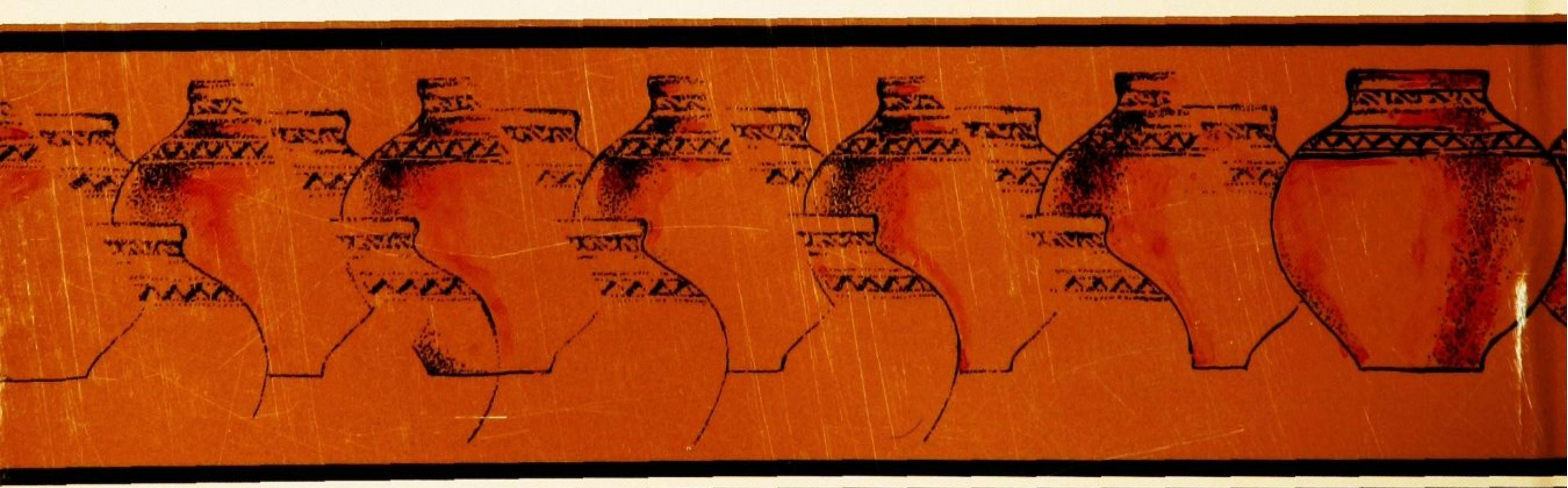


مطبوعات
مكتبة الملك فهد الوطنية

الاستيطان والآثار الإسلامية في منطقة القصيم

عبدالعزيز بن جار الله بن إبراهيم الجار الله



الرياض
١٤١٧هـ/١٩٩٧م

الاستيطان والآثار الإسلامية

في منطقة القصيم

عبدالعزيز بن جار الله بن إبراهيم الجار الله

أخصائي الدراسات الأثرية بمكتب وزير المعارف وجريدة الرياض

الرياض

١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م

الإهداء

إلى روح والديَّ أبي وأمي - يرحمهما الله - .

وإلى زوجتي المخلصة التي بدأت معي هذا المشوار .

و إلى أطفالي الأعزاء ، و قرى القصيم وخبوب بريدة التي عشت فيها بعضاً من طفولتي .

وإلى وطني بكل تضاريسه الذي علمني حب هذه الأرض .

وإلى إنساننا العربي وتاريخنا الإسلامي .

إليهم جميعًا أهدي هذا العمل المتواضع .

قائمة المحتويات

الموضوع **الصفحة**

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

المقدمة

يعالج هذا الكتاب، طبيعة الاستيطان والمواقع الأثرية الإسلامية في منطقة القصيم التي يقع بعضها على طرق قوافل الحج والتجارة. وهي طريق الحج العراقي الممتد من البصرة في العراق إلى مكة المكرمة، ويتفرع منه طريق يصل إلى المدينة المنورة، وطريق الحج المعروف بدرب زبيدة الممتد من الكوفة إلى مكة المكرمة. حيث يمر هذا الطريق وبعض فروعه بمنطقة القصيم والطريق المباشر من البصرة إلى المدينة. ومن أهم المواقع الأثرية الواقعة على الطريق الرئيس من البصرة إلى مكة: النباج، العوسجة، القريتان، رامة، إمرة، طخفة، ضرية.

وفي ضوء ما ذكرته المصادر التاريخية والجغرافية، فإن منطقة القصيم أدت دورا كبيرا في الفترات الإسلامية المبكرة كحلقة وصل، ربطت بين شرق العالم الإسلامي والحرمين الشريفين في الحجاز بحكم مرور الطرق داخلها وأدى ذلك إلى انتعاش المستوطنات القديمة في هذه المنطقة. كما ساعدت الطرق في فترات ازدهارها ضمن عوامل أخرى، على قيام بلدات وقرى جديدة، ومحطات دائمة طوال الفترات الإسلامية المبكرة.

فقبل الإسلام عاشت القصيم صراع عدد من القبائل العربية القوية التي لها سطوة على وسط الجزيرة وشمالها مثل: مملكة كندة، وقبيلة أسد، وعبس، وعامر بن صعصعة. ودارت أعظم أيام العرب على أرض القصيم.

وفي فجر الإسلام عبرت منطقة القصيم بعض السرايا التي بعثها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم. كما شهدت القصيم عدداً من الحروب والمعارك بسبب الردة والثورات على الخلافة الراشدة. كذلك سلكتها الجيوش الإسلامية في طريقها لنشر الإسلام، في المناطق الواقعة شرق الجزيرة العربية وشمالها الشرقي والعراق وفارس. مما قاد إلى تحولات سكانية. وقد اشتهرت بعض المستوطنات في المنطقة، إما لكونها قرى أو بلدات قديمة أو نقاط تجمّع لبعض القبائل العربية، وإما لأهميتها الرّعوية، أو لتشكيلها نقاطا تلتقي عندها طرق قوافل الحج والتجارة. فعلى سبيل المثال يلتقي أحد فروع طريق حج البصرة مع طريق الكوفة عند موقع «النّقرة»، في الوقت الذي يستمر فيه الفرع الآخر (البصرة - مكة) ليمر بمنطقة ضريّة التي تعدُّ إحدى المحميات المشهورة في الفترات المبكرة من العصر الإسلامي. كما أن منطقة القصيم اكتسبت مكانة متميزة لوقوعها بين الحواضر الإسلامية في العراق، مثل: البصرة، والكوفة، وواسط، وسامراء، وبغداد من جهة، وبين كل من مكة المكرمة، والمدينة المنورة، واليمامة من الجهة الأخرى، بالإضافة إلى طبيعة أرضها المنبسطة والمتسعة، وتوفر الموارد الاقتصادية من مياه، وغطاء نباتي كثيف بسبب كثرة الأودية مثل: وادي الرّمّة وفروعه والمنخفضات الزراعية، مما ساعدها على أن تؤدي الدور الحيوي المهم في تنامي المستوطنات داخلها. وقد غذّت أواسط الجزيرة بما في ذلك القصيم، على طول الفترات التاريخية الهجرات السكانية. وكان أكبر هذه الهجرات وأضخمها هي التي حدثت بعد تأسيس مدينتي البصرة والكوفة في عهد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه والقضاء على الردة. حيث عدت الكوفة والبصرة دار هجرة رحل إليها الكثير من أفراد القبائل. ومن القصيم رحلت

مجموعات من أفراد القبائل مثل : كندة، وعبس، وأسد، وذبيان، وعامر، وغنى، والضباب.

ولا بد أن دروب الحج وحركة التجارة التي ازدهرت في فجر الإسلام، قد أثَّرت بشكل مباشر على طبيعة الاستيطان في مناطق القصيم، والتي يمر بها الطريق ، وانعكس ذلك بالضرورة على مخلفاتها الأثرية، وعلى أنماطها المعمارية.

فموقع النباج الجغرافي على سبيل المثال كإحدى المستوطنات القديمة، مكنها من أن تصبح ملتقى طرق فازدادت أهميتها نتيجة لذلك. وقد ذكرت المصادر التاريخية والجغرافية أن النباج كانت مركزا رئيسًا لتجمع القوافل. ويتضح ذلك من خلال المعالم الأثرية الباقية في الموقع، مثل : قصر مارد الذي يُعد من أهم المباني الإسلامية الظاهرة للعيان في القصيم، وأنموذجاً جيداً للدراسة من حيث التخطيط، وطرز العناصر المعمارية.

ويحتوي موقع النباج على بركة مطمورة ، تقع داخل مزرعة حديثة وبقايا سد، وقنوات مائية. بالإضافة إلى بعض الأساسات الحجرية. كما ينتشر الفخار والخزف والزجاج في أماكن متفرقة من التلال الأثرية. والنباج يمثل حاليا الطرف الشمالي الشرقي من منطقة الدراسة.

ومن بين المواقع الأخرى في المنطقة هناك موقع ضَريَّة الذي يقع في الطرف الجنوبي الغربي من المنطقة. كما استطعنا من خلال هذه الدراسة، الكشف عن مواقع أخرى، ومعرفة طبيعة مخلفاتها الأثرية وطرزها المعمارية، من مبان ، ومنشآت مائية وخلافها، وأبرز سمات الفخار المستعمل فيها، ومن ثم ربطها ببعضها داخل منطقة الدراسة، وشبيهاتها خارج المنطقة.

وتعدُّ ضرية من أشهر المواقع الأثرية في القصيم والتي عرفت الاستيطان والاستقرار قبل الإسلام. فقد عرفت كمدينة في القرون الإسلامية الأولى. وقد ساعدتنا المعلومات الأثرية في هذا الموقع مع مواقع أخرى، إلى الربط بين المواقع المختلفة ومعرفة الطرز المعمارية المستخدمة في منطقة الدراسة طوال الفترات المبكرة من العصر الإسلامي؛ وخصوصاً فيما يتعلق بالمنشآت المائية.

وقد لوحظ كذلك وجود آبار ومنشآت قديمة غير ملحقة بمستوطنات. بعضها مطمور، والبعض الآخر ظاهر للعيان. وهذا بدوره ألقى الضوء على قدم الاستيطان بسبب وفرة المياه والغطاء النباتي.

ويسعى الباحث من خلال هذه الدراسة الميدانية التي استمرت لأكثر من ثلاث سنوات بدءاً من عام ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، إلى توثيق المواقع الأثرية في منطقة القصيم التي عرف بعضها كبلدات وقرى زراعية، واستخدم بعضها كمحطات توقف واستراحة على الطرق، وقد جاء ذكر بعضها في المصادر القديمة، وإدخالها ضمن الخريطة الأثرية للمملكة العربية السعودية، وتسليط الضوء عليها. بالإضافة إلى إبراز الخصائص المحلية والثقافية للمنطقة من خلال دراسة المعالم الأثرية الثابتة كالعمارة، والآثار المنقولة كالفخار، وكشف العلاقة بين المواقع الأثرية في منطقة الدراسة.

كما يهدف الباحث من الدراسة، إلى كشف طبيعة الاستيطان والأنماط والطرز المعمارية التي سادت في هذه المواقع، والتحولات التي طرأت عليها، على امتداد الفترة الزمنية التي عاشتها.

وترمي الدراسة أيضاً إلى بيان الدور الذي قامت به المستوطنات القديمة في خدمة طرق قوافل الحج والتجارة والوقوف على المرتكزات السياسية والاقتصادية التي أسهمت في قيام واستمرار هذه المواقع ، مع توضيح علاقة تلك المواقع بالمدن المجاورة لها حاليا ، وتبين استمرار الاستيطان الحضاري فيها ، وإبراز طبيعتها في تحديد طرق الحج والتجارة ، ومدى تأثرها بالظروف السياسية والأمنية والاقتصادية .

ولعل السبيل الأمثل لتحقيق الأهداف سالفة الذكر ، هو دراسة المواقع الأثرية الإسلامية في إطارها الجغرافي والتاريخي . وقد اقتضى ذلك انتهاج منهج بحث ميداني ، لتحديد تلك المواقع في منطقة القصيم ، وحصر المرافق المختلفة المكونة لكل موقع والتحقق منها آثارياً مع ربطها جغرافياً بالمناطق من حولها لتحديد أسباب اختيار مكان الموقع ، وحصر المرتكزات الاقتصادية المتوفرة حوله (مصادر المياه ، الزراعة ، الرعي ، التجارة . . . الخ) والتي ساعدت في قيام واستمرار تلك المواقع .

بعد ذلك كان لابد من إجراء دراسة آثارية ، وصفية ، وتحليلية ، لعينة من المنشآت المعمارية ، والمنشآت المائية من برك وآبار وقنوات في تلك المواقع ، لإبراز المستوى التقني والمعماري فيها .

كما تطلب الأمر تتبع مناهج قياسية ، وإحصائية كمية ، من قياس ورفع بعض المنشآت المعمارية ، وتصنيف المادة الفخارية التي جمعت من المواقع ، ودراسة وتحليل الكتابات الإسلامية المنقوشة على الواجهات الصخرية . كل ذلك من أجل فهم طبيعة تلك المواقع ، ووضعها في إطار تاريخي (كرونولوجي) ، يحدد نشأتها ، وازدهارها ، ومن ثم اضمحلالها .

وكان لابد لنا من وقفة عند الدراسات السابقة، ذات الصلة بموضوع البحث ومن بينها كتاب المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (بلاد القصيم) لمحمد بن ناصر العبودي ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، وكذلك رسالة الماجستير لصالح بن سليمان الوشمي بعنوان «الآثار الاجتماعية والاقتصادية لطريق الحج العراقي» سنة ١٤٠٢هـ-١٤٠٣هـ وصدرت أخيراً في كتاب سنة ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م، والتي استفادت في تتبع المحطات من معجم بلاد القصيم، والمرجعان السابقان اعتمدا بدورهما على كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة لأبي إسحاق إبراهيم الحربي المتوفى سنة ٢٨٥هـ تحقيق حمد الجاسر سنة ١٤٠١هـ، ١٩٨١م، وعلى أبي علي الهجري في أبحاثه في تحديد المواضع (أوائل القرن الرابع)، وما جاء به البلدانيون عن محطات طريق الحج البصري.

وفي حين سارت الدراسات أعلاه في توجه تاريخي وجغرافي، فإن دراستنا قد ركزت على الجانب الآثاري والاستيطاني لمنطقة القصيم. وفي تحقيق المواقع الأثرية تم الاعتماد على مصادر عدة منها: ابن خرداذبة (ت٣٠٠هـ) وابن رستة (كتاب الأعلاق ٢٩٠هـ) والواقدي (ت٢٠٧هـ) ورواية أحمد الكوفي (ت٣١٤هـ) والبكري (ت٤٨٧هـ) والجهضمي الذي نقل عنه الحربي، والإدريسي (ت٥٦٠هـ) (الجداول ١, ٢, ٣)

قسمت هذه الدراسة إلى أربعة فصول وخاتمة: تناول الفصل الأول الخلفية الجغرافية، والجيولوجية، والبيئية، والاقتصادية للمنطقة، بدءاً بتحليل لأصل كلمة (القصيم) ومدلولها، و الحدود الحالية للمنطقة، وعرض للبنية الجيولوجية والطوبوغرافية، والتعرّف على الطبقات الحاملة للمياه وتحديد بعض الخزانات الأرضية، ومصادر مياه المنطقة، والنطاق

النباتي، إلى جانب ما يتوفر فيها من إمكانات لمرتكزات اقتصادية من زراعة ورعي وتجارة. ثم عرض لحركة السكان وهجرة القبائل، ودور القصيم في تاريخ الجزيرة العربية.

أما الفصل الثاني، فإنه يناقش المواقع الأثرية على طرق الحج والتجارة الرئيسة والفرعية التي تجتاز منطقة القصيم، والتي شكلت أحد الروافد الاقتصادية للمنطقة. فعلى هذه الطرق نمت بلدات، وقرى، ومحطات. كما ساعدت الطرق على ازدهار قرى قديمة. وكان لانتقال مراكز الثقل السياسي من المدينة إلى الكوفة ودمشق، ومنها إلى بغداد ثم إلى عدة حواضر بعد انهيار بغداد أثره في حركة السكان، في مسارات تلك الطرق، ونشاطاتها. ومن ثم في نمط الاستيطان بالمنطقة وازدهارها.

ويعرض الفصل الثالث لمسح المنطقة وتحديد مواقع المستوطنات القديمة في منطقة الدراسة، ونتائج المسح الميداني الذي أجريناه، وما تم رصده من المواقع سواء أكانت بلدات أو قرى أو محطات على طرق الحج، أو مستوطنات بعيدة عنها. كذلك يتضمن هذا الفصل بعض الملاحظات عن تلك المواقع التي ساعدت الظروف البيئية المحلية المحيطة بها على استمرارها حتى عهدنا الحالي كبلدات، ومدن، على الرغم من دخول المنطقة على ظلام تاريخي وفترات الانقطاع التي تعرض لها طريق الحج البصري وفروعه.

أما الفصل الرابع فيتناول التحليل المعماري للمنشآت المعمارية من المواقع التي شملها المسح، ويقدم تحليلاً آثارياً معماريًا لها، ويقارنها بمثيلاتها في مواقع أخرى بهدف وضعها في الإطار العام للعمارة والطرز

المعمارية الإسلامية. ثم يعرض الفصل للمعثورات السطحية من فخار، وخزف، وزجاج، وأدوات حجرية، وبرونزية جمعت من المواقع الأثرية بهدف تصنيفها ووصفها ومقارنتها مع العينات المماثلة داخل منطقة المسح، ومن ثم وضعها في إطار زمني. كذلك لابد من إجراء دراسة لعرض وتحليل الكتابات الإسلامية والنقوش والمخربشات القديمة لإعطاء العمق الحضاري والتاريخي للمنطقة.

ويختتم البحث بعرض لخلاصة عامة للاستنتاجات التي توصل إليها الباحث.

كما تمّ تعزيز البحث بعدد وافر من المصادر والمراجع والمقالات ذات الصلة بموضوع الدراسة. وقد وثّق الباحث دراسته بالخرائط الجغرافية، والرسوم التوضيحية؛ لإبراز المعالم الأثرية من منشآت معمارية للقصور والمنازل، والمنشآت المائية من سدود وبرك وآبار ونحوها وزوّد الباحث هذه الدراسة بعدد وافر من الصور الفوتوغرافية التوضيحية للآثار المعمارية والمواقع الأثرية والملتقطات السطحية والكتابات الإسلامية وبعض المظاهر الطوبوغرافية لمنطقة القصيم من جبال وأودية وصحار.

حيال ذلك يتقدم المؤلف بالشكر الجزيل وعظيم الامتنان لله سبحانه وتعالى أولاً ثم إلى الذين شجعوه في إخراج هذا الجهد والعمل الذي استمر لأكثر من ثلاث سنوات. وإن هذا العمل ما كان له أن يظهر لولا التعاون المثمر الذي لقيه المؤلف من الأستاذ الدكتور سعد بن عبدالعزيز بن سعد الراشد، أستاذ الآثار الإسلامية في قسم الآثار والمتاحف جامعة الملك سعود، على حسن توجيهه منذ أن كان العمل يعيش ولادته المبكرة حتى نهايته.

والشكر لمعالي وزير المعارف الدكتور محمد الأحمد الرشيد على اهتمامه بالعمل وتشجيعه للمؤلف.

والشكر الجزيل للأستاذ تركي بن عبدالله السديري، رئيس تحرير جريدة الرياض على تشجيعه وما قدمه للمؤلف من مساعدة.

والشكر والعرفان لأخي الدكتور عبدالعزيز بن سعود بن جارالله الغزي، الذي مد البحث بمعلومات في دراسات الفخار والخزف واستفاد المؤلف من ملاحظاته التاريخية في وسط الجزيرة، وعلى الجهد الذي بذله في مراجعة الكتاب.

والشكر والعرفان للدكتور العباس سيد أحمد محمد علي، أستاذ دراسات ما قبل التاريخ بقسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود على ملاحظاته وما مد به المؤلف من معلومات قيمة وغنية عن الاستيطان، أسهمت في دراسة الاستيطان وفي تفسير الظواهر والغموض الذي عاشته المنطقة، وعلى الجهد الذي بذله في مراجعة الكتاب.

كما يشكر الدكتور محمد محمد مرسي الكحلاوي، أستاذ العمارة في قسم الآثار والمتاحف، والذي استفاد المؤلف من ملاحظاته في مجال العمارة الإسلامية.

وكذلك الأستاذ الدكتور مصطفى عبدالله شيحه والدكتور خليل المعيقل الأستاذ المشارك في قسم الآثار والمتاحف على مراجعتهما للكتاب.

والشكر للإدارة العامة للآثار والمتاحف على ما قدمته من تشجيع وتسهيل مهمة المؤلف أثناء العمل الميداني. وشكر خاص لسعادة الدكتور

عبدالله حسن مصري، والشكر لإمارة منطقة القصيم لتسهيلها مهمة المؤلف أثناء العمل الميداني. ويتوجه بالشكر إلى شقيقه الأكبر إبراهيم ابن جار الله الجار الله الذي أسهم في التمويل المادي للبحث وكان خير عون ودافع. جزاه الله عني أحسن الجزاء.

ويتقدم بالشكر الجزيل للزميل والصديق علي عبدالله السعيد، مدير متحف مدينة بريدة الذي رافق ولادة الكتاب وتحمله المتاعب وتقلبات الأحوال الجوية أثناء العمل الميداني طوال السنوات الثلاث بطول القصيم وعرضه.

كما يتقدم بالشكر أيضًا إلى الأستاذ صالح السندي -يرحمه الله- أمير ضرية الذي قدم التسهيلات والمساعدة لفريق العمل أثناء العمل الميداني، وإلى الدكتور صالح سليمان الوشمي-يرحمه الله- الذي شجع المؤلف على تبني هذا الموضوع، واستفاد المؤلف من دراسته عن المنطقة في رسالة الماجستير «الآثار الاجتماعية والاقتصادية على طريق الحج العراقي في منطقة القصيم». وإلى الأستاذ تركي الفهيد مدير ثانوية الأسياح على ما بذله من جهد وكرم ضيافة لفريق العمل الميداني. وعبدالستار جبار العزاوي من المتحف القومي العراقي في بغداد والمتخصص في مجال العمارة الإسلامية، والذي رافق المؤلف في رحلة علمية على بعض محطات درب زبيدة في الصحراء العراقية، حيث تم التعرف عن كثب على طبيعة تلك المواقع، فكانت الرحلة غنية بالمعلومات التي انعكست إيجاباً على الكتاب، واستفاد المؤلف من ملاحظات وتعليقات الدكتور العزاوي على المنشآت المعمارية. وإلى الأستاذ خالد الأعظمي المتخصص في

الفخار والخزف الإسلامي من المتحف القومي العراقي على المعلومات التي قدمها للمؤلف .

وإلى الأستاذ أحمد أبوالقاسم بقسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود على ملاحظاته وتعليقاته على المادة الفخارية التي جمعت من مواقع المسح، وإلى الدكتور العربي بقسم الآثار والمتاحف على المشاركة في أعمال المسح، وإلى الأستاذ صلاح الترك من قسم الجغرافيا في تنفيذ بعض الخرائط. والشكر لمكتبة الملك فهد الوطنية وأمينها السابق الدكتور يحيى ساعاتي وأمينها الحالي الأستاذ علي السليمان الصوينع - على تفضلهم بنشر وتوزيع هذا الكتاب. لكل هؤلاء ولغيرهم من الذين لم يرد ذكرهم ممن كان لهم دور في إخراج هذا العمل الشكر والتقدير .

عبدالعزيز جار الله الجار الله

٢٠/٢/١٤١٦هـ

الفصل الأول

الخلفية الطبيعية والتاريخية لمنطقة القصيم

القصيم أصل الكلمة .

القبائل القديمة في المنطقة .

حدود منطقة القصيم .

البنية الجيولوجية للمملكة العربية السعودية

تضاريس المنطقة .

البنية الجيولوجية للمنطقة .

الاستيطان قبل الإسلام .

الاستيطان في الفترة الإسلامية .

السكان وحركة القبائل .

دويلات أسستها قبائل من الجزيرة .

الفصل الأول

الخلفية الطبيعية والتاريخية لمنطقة القصيم

القَصِيم أصل الكلمة :

القصيم في أصل اللغة : القَصْم : كَسْر الشيء ودقّه ، ويقول صاحب اللسان يقال قصمه يقصمه قصماً فانقصم وتقصّم أي كسره كسراً . وقالوا قصم (بالقاف) وفصم (بالفاء) . ومن اللغويين من يفرق بين القصم والفصم . . قال أبوعبيدة : القصم بالقاف هو أن ينكسر الشيء فيبين ومنه قيل : فلان أقصم الثنية إذا كان منكسرها ، أما الفصم بالفاء ، فهو أن ينصدع الشيء من غير أن يبين . وفي الحديث : الفاجر كالأرزة صماء معتدلة حتى يفصمها الله .

وقصم السواك وقَصْمته ، وقصْمته الكسرة منه وفي الحديث : استغنوا عن الناس ولو عن قصمة السواك . والقِصْمة بكسر القاف ، أي الكسْرة منه إذا استيك به ويروى بالفاء . ويقال قَصَمهُ يقصمه قصماً : أهلكه . وقالَ الزجّاج في قوله تعالى ﴿ وكم قصمنا من قرية﴾ ، بمعنى أهلكنا وأذهبنا . ويقال رجل قصيم ، أي سريع الانقصام هيّاب ضعيف ، والقصيمة ماسهل من الأرض وكثر شجره ، والقصيمة منبت الغضا ، والأرطى ، والسَّلَم وهي رملة . وقال لبيد :

وكتيبة الأحلاف قد لاقيتهم ... حيث استفاض دكادك وقصيم[1]

---

(١) ابن المنظور، لسان العرب، إعداد وتصنيف: يوسف خياط ونديم مرعشلي، ص: ١٠٥ ـ ١٠٦.

وقصم الشيء كسره حتى يبين وبابه ضرب تقول قصمه[1].

ويلاحظ من هذه الأقوال، أنها تشترك في معنى واحد وهو الضّعف. فإذا كسرت الشيء فلاشك أنك تُضْعِفُه بعد أن كان صلباً قويا، وتسهله بعد أن كان صعباً؛ ولذلك سموا مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم القاصمة. لأنها قصمت الكفر أي أضعفته وأذهبته.

ونظراً لصفة السهولة التي لازمت معاني اللفظ المختلفة، سموا ما سهل من الأرض الرملية: القصيمة. ثم استعمل لفظ القصيمة أو القصيم، للرمال التي تنبت شجر الغضا خاصة.

وقول الليث في القصيمة ما ينبت الغضا هو الصواب، والقصيم موضع معروف يشقه طريق بطن فلج. وقال أبو حنيفة: القصيم بغير هاء أجمة الغضا، وجمعها قصائم وقصم والقصيمة الغيضة [2]. والغيضة: الشجر الملتف وغالبا ما يكون في مغيض ماء يجتمع فينبت فيه الشجر[3].

وجاء ذكر القصيم في قاموس محيط المحيط: «القصيمة رملة تنبت الغضى أو جماعة الغضا المتقارب... موضع بين اليمامة والبصرة ويشقّه طريق بطن فلج»[4]. ثم أطلق اللفظ على موضعٍ جغرافي بعينه من الجزيرة العربية (الخريطة رقم ١).

---

(١) انظر الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، سوريا، ص: ٢٢٥.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ص٥، ١٠٦، ١٠٦

٣) العبودي، محمد بن ناصر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: بلاد القصيم، الرياض: دار اليمامة، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، جـ ١، ص ٢٩.

(٤) البستاني، المعلم بطرس، محيط المحيط، ص ٧٤٠

وجاء ذكر القصيم عند الحربي وهو يصف طريق الحج البصري بعد اجتياز رمال عروق المظهور والنباج «الأسياح» «ثم من وراء حبل الحاضر من الرمل أقواز صغار يمنة ويسرة عن الطريق، والمحجة فيها أحياناً رمل دعس، وأحياناً قيعان منها قاع بولان». ويضيف الحربي: «تلك الأقواز والأجارع يمنة الطريق ويسرته يقال لها القصائم.. وبهذه القصائم أودية فيها شجر الفاكهة من التين والخوخ والرمان، وفاكهته أطيب فاكهة وأعذبها وأرقها»[1]. وقاع بولان الذي ذكره الحربي على طريق الحج البصري إلى مكة، هو القاع الأبيض أحد مجاري وادي الرمة قرب نفوذ صعافيق، وبلدة الربيعية، كما يرد لدى محمد العبودي[2]. استناداً على تحرياته الميدانية.

وقال الأصفهاني «وأسافل الرُّمة تنتهي إلى القصيم رمل لبني عبس»[3].

وفي موضع آخر قال: «والقصيم موضع ذو غضا، فيه مياه كثيرة وقرى منها قريتا ابن عامر وهما اليوم لولد جعفر بن سليمان إحداهما يقال لها العسكرة»[4]. ويضيف: «وأهل القصيم يسكنون في خيام الخوص وهي منازل بني عبس وغيرهم، وفيه نخيل كثيرة، وهو من عمل المدينة ويقال: حدّ القصيم قاع بولان وهي مفازة. قال: والقصيم رمل وبالقصيم ماء لبني

= انظر الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط ط ٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧، ص ١٤٨٤.

(١) الحربي، إبراهيم بن إسحاق، المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق حمد الجاسر، الرياض، المطابع الأهلية، ١٤٠١هـ ١٩٨١م ص. ٥٨٥ - ٥٨٦.

(٢) العبودي، بلاد القصيم، جـ٥، ص، ص: ٩, ١٩ وما بعدها.

(٣) الأصفهاني، الحسن بن عبدالله، بلاد العرب، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي، الرياض، دار اليمامة، ص : ٦٩.

(٤) المصدر السابق، ص ص: ٢٣٩ ـ ٢٤١

أسد في الرمل عليه خيام من الخوص كثيرة يقال له الحويرثية، ويضيف وبالقصيم عجلز، وهي ماءة لبني مازن، وهي المنصف بين مكة والبصرة[1]. وفي موضع آخر: «ومبين: قريب القصيم. والجرد بينه وبين القصيم، وهو مرعاة ومرعى القصيم»[2].

وذكر الهمداني القصيم بقوله: «.. ثم أبانان/ أبان الأسود وأبان الأبيض جبلان يمر بينهما بطن الرمة، ودونهما عشيرة وهي طائية، وبفراعة أجا وسلمى جبلا طيء، ثم وراء ذلك القصيم وهو بلد واسع، كثير النخل والرمل. والنّخل في حواء الرمل، وهو كثير الماء كثير الحصون... ثم الخبراء عن يمين ذلك والينسوعة وهما من مياه الطريق البصري، وبركة طخفة دونهما إلى بركة ضريّة، والقصيم تحته رمل الشقيق إلى حظائر مدرك»[3].

وجاء عند ياقوت: «القصيم وهو من الرمال ما أنبت الغضا، وهي القصائم، والواحدة قصيمة، قال أبومنصور: القصيم موضع معروف يشقه طريق بطن فلج... ويوم القصيم: من أيام العرب قال زيد الخيل الطائي:

ونحن الجالبون سباء عبس إلى الجبلين من أهل القصيم»[4].

وعدّ الأصفهاني القصيم، حدا للأماكن المرتفعة التي أسموها «نجد» بالنسبة لمن يأتي من العراق قاصداً الحجاز «وقال بعضهم: حدّ نجد من النباج وهو لبني عبدالله بن عامر بن كريز. ويقول بعضهم: إذا جزت القصيم فأنت في نجد إلى أن تبلغ ذات عرق تم تتهم. والقصيم موضع ذو غضا...»[5].

(١) المصدر السابق ص: ٣٣٩ - ٣٤١.

(٢) المرجع السابق، ص ص: ٣٤٠ - ٣٤١ - ٢٨٧ - ٢٨٨.

(٣) الهمداني ، الحسن بن أحمد بن يعقوب صفة جزيرة العرب؛ تحقيق محمد بن علي الاكوع الحوالي، الرياض، دار اليمامة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م. ص ص: ٢٨٨ - ٢٨٩.

(٤) الحموي ، ياقوت بن عبدالله، معجم البلدان، جـ٤ ، بيروت، دار الصياد، ص: ٣٦٧.

(٥) الأصفهاني ، بلاد العرب، ص٣٣٩.

وإنما سميت منطقة القصيم بهذا الاسم لاشتهارها بالتربة الرملية والشجر الملتف الناشىء عن الخصب وكثرة المياه: قال سويد العبسي:

لقد علمت خود تحل الأبرقا   و(النقرتين) و(القصيم) ذا النقا

أنا نداوي بالسيوف الأحمقا[1].

والنقا هو الكثيب المرتفع من الرمل، ومما يدل على أن هذه المنطقة عرفت بهذا الاسم قديماً، ورود اسم القصيم مقرونا بذكر مواضع فيه كلها معروفة الآن، وفي الشعر الجاهلي القديم قال أبو داوود:

من ديار كأنهن وشوم   لسليمى برامة لا تريم

أقفر الخب من منازل أسما   ء فجنبا مقلص فظليم

وترى بالجواء منها حلولا   وبذات القصيم منها رسوم

سالكات سبيل قفرة بدا   ربما ظاعنٌ بها ومقيم[2]

والمنازل المعروفة الآن من هذا الشعر هي: رامة وتقع شرق عنيزة وجنوب البدائع، وهي إحدى محطات درب الحج البصري إلى مكة بعد القريتين. والخب وجمعها خبوب وهي القرى الزراعية المحيطة بمدينة بريدة من جميع جهاتها ماعدا الشمالية، وظليم شهيب يقع شرق مدينة عنيزة وبالجهة الغربية من الشماسية، ويطلق عليه الآن «الظُلَيْم» بالتصغير، والجواء مجموعة من القرى، تقع شمال بريدة يمر بها طريق الحج البصري الذي يتجه إلى المدينة. ومن أشهر قراها قديما، أثال من بلاد بني أسد.

(١) الحربي، المناسك، ص: ٣٢٢ وقد ورد هذا البيت في حديث الحربي عن النقرة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٤، ص: ٣٦٧.

(٢) البكري، عبدالله بن عبدالعزيز، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع؛ تحقيق مصطفى- بيروت، عالم الكتب، جـ١، ص٦٢٨

القبائل القديمة فى القصيم:

ومن أشهر القبائل العربية التي عاشت على أرض القصيم قبيل الإسلام- قبائل: كندة، عبس، وذبيان، وأسد، وغطفان، وباهلة، وتميم، وكلاب، وغني، وفزارة، والضباب، وبني عامر بن صعصعة. وقال الأصفهاني: «فأعلى الرمة لأهل المدينة وبني سليم، ووسطها لبني كلاب وغطفان، وأسفلها لبني أسد وعبس، ثم ينقطع في الرمل، رمل العيون»[(١)]. ومن أيام العرب الشهيرة التي دارت أحداثها بين القبائل المذكورة آنفاً وبين بعض القبائل الأخرى في القصيم هي:

يوم القصيم وفيه قال زيد الخيل الطائي:

ونحن الجالبون سباء عبس　　　من الجبلين من أهل القصيم

ومن رواحها للحي كعب　　　وكان غدوها لبني تميم

ويوم البردان الذي وقع بين حجر بن عمر الكندي وبين زياد بن الهبولة ابن عمرو القضاعي[(٢)] وقد قيل كلام كثير حول ذلك اليوم من ناحية أطراف الصراع فيه[(٣)]. ويعتقد أنه وقع بالقرب من ضرية.

ويوم الكلاب الأول الذي وقع بين أبناء الحارث بن عمرو الكندي بعد مقتل والدهم، وكان الصراع فيه بين شرحبيل بن الحارث وأخيه سلمة ابن

---

(١) الأصفهاني، بلاد العرب، ص ص ٧٩ ـ ٨٠.

(٢) التيمي، أبو عبيدة معمر بن المثنى، أيام العرب قبل الإسلام، جمع وتحقيق ودراسة عادل جاسم البياتي. جـ ٢، بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص: ٣٦.

(٣) الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، الجزء السادس عشر، شرح وتهميش، عبد أ. علي مهنا؟ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ص ص: ٣٥٤ ـ ٣٨٧؛ علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الثالث. بيروت: دارالعلم للملايين، ١٩٧٦م، ص ص: ٣٢٢ ـ ٣٢٥.

الحارث، وشاركت فيه القبائل العربية كتغلب وبطون من بكر بن وائل وتميم وقيس[1]، والكلاب قيل: ماء بين جبلة وشمام على سبع ليال من اليمامة، وقيل غير ذلك[2]. ويوم خزاز، أو خزازي، الذي وقع بين القبائل المعدية بقيادة ملوك كندة وأمراء تغلب، وبكر وبين القبائل القحطانية وخاصة مذحج ومن حالفها[3]، كما يعتقد أنه من الأيام التي دارت ضد أحد ملوك كندة الذي استنجد بأحد ملوك الجنوب فأصبحت الحرب بين معد بقيادة كليب وائل، والسفاح التغلبي، وقحطان بقيادة أحد ملوك اليمن، وسلمة بن الحارث الكندي[4] وهو اليوم الذي قال فيه عمرو بن كلثوم التغلبي في معلقته:

ونحنُ غداة أوقدَ في خَزَازٍ رفدنا فوقَ رِفْدِ الرافدينا[5].

كما قال فيه السفاح التغلبي أحد قادة المعركة:

وليلة بت أوقد في خزازي هديت كتائباً متحيرات[6].

خزاز جبل يقع بالقرب من جبال متالع وكير في طخفة جنوب غرب القصيم[7]، ويوم منعج وهو من أيام عامر وغطفان، وفيه قتل رجل من قبيلة غني رجلاً عبسياً، ودارت أحداثها في منعج الذي ذكرته المصادر بأنه واد

---

(١) التيمي، أيام العرب جـ ٢، ص ص: ٤٩ ـ ٥٠ .، جواد علي، المفصل، الجزء الثالث، ص ص: ٣٥٣ ـ ٣٥٤.

(٢) الحموي، ياقوت، معجم البلدان جـ٤، ص: ٤٧٢. وجبلة تقع جنوب غرب القصيم قرب قرية نفي. راجع العبودي،

(٣) التيمي، أيام العرب، ص ص: ٢٩ ـ ٣٤.

(٤) جواد علي، المفصل، الجزء الثالث، ص ص: ٣٥٤ ـ ٣٥٦.

(٥) عمرو بن كلثوم التغلبي، ديوان عمرو بن كلثوم التغلبي، تحقيق أيمن ميدان. جدة: النادي الأدبي الثقافي بجدة،١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ص: ٤١٢. راجع التيمي، أيام العرب، ص: ٣٢.

(٦) التيمي، أيام العرب، جـ ٢، ص: ٣١.

(٧) العبودي، بلاد القصيم، جـ٣، ص: ٨٨٩ وانظر الشايع، عبدالله بن محمد، نظرات في معاجم البلدان: =

يأخذ بين حفر أبي موسى والنباج، ويقع في بطن فلج، وذكر أنه وادٍ في ناحية قبيلة غني، بين أضاخ وإمّرة. وفيه أملاك لغني بناحية حمى ضريّة، وذكر أن منعج الوحيد ببلاد بني عامر. وقال أحد شعراء الحماسة:

وما نام مياح البطاح ومنعج ولا الرّس إلا وهو عجلان ساهرُ

والبطاح قرب الرّس، والرّس من المدن الرئيسة في القصيم - تقع شمال منعج على بعد حوالي ٦٠كم، ويعرف منعج حالياً باسم وادي دخنة.

ويوم ساق وذكر أنه جبل لبني أسد بين النباج والنقرة، وأنه جبل حذاء عناب في طريق المدينة، وجبل ساق يقع إلى الشمال الغربي من مدينة بريدة على بعد ٦٠كم. ويوم عاقل في بطن عاقل قرب الرّس. ويوم الخربة عند أضاخ في جنوب القصيم، ويوم القريتين بين بني عامر وبين الملك النعمان ابن المنذر ومعه من بني كلاب، وبني ضبة، والرباب، وتميم. وأيام عبس، وذبيان يوم داحس والغبراء، وهي حروب طويلة دخلت عدد من القبائل العربية أطرافاً بها مثل عبس، وبني يربوع، وكندة، وفزارة، وبني عامر، وكلاب. ويوم المروت. ويوم إرم الكلبة وقعت قرب النباج بين بني العنبر وبني يربوع. ويوم ذي طلوح حدثت بين بني يربوع وبين بكر بن وائل، ودارت قرب الينسوعة شرقي النباج. ويوم نقا الحسن أو الشقيقة، وهو يوم لبني ضبة على بني شيبان، والحسن أو الشقيقة من رمال الدهناء شرقي النباج وقيل إنه نقا إلى جنب الطريق، ويقصد بالطريق هو طريق الحج البصري الممتد إلى مكة. ويوم طخفة وهي وقعت بين الضباب وبين بني جعفر، وقيل إنها وقعت بسبب

= تحقيق مواضع هامة في نجد، الرياض، مرامر للطباعة الإلكترونية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ص:٢٤٨، ٢٦٢ صورة ٦٥.

الردافة بين بني يربوع والملك الكندي المنذر بن ماء السماء. (ويوم خر) أغارت بنو أسد على بني يربوع. ويوم الجُفار وهو يوم لبني تغلب على بني تميم، وقال فيه النعمان بن عقفان أحد بني تغلب:

سائل فقيما (بالجفار) ونهشلا ومجاشعا وبنى أبان تُخَبَّر
عنا غداة رأوا فوارس تغلب دون القصيمة من العجاج الأكدرِ

ويوم النسار تحالفت أسد، وطيء، وغطفان فيما بينها ضد بني عامر فقتلوهم أشد قتل، فتحالفت تميم مع بني عامر ضد الأحلاف فلقوا الأحلاف في يوم الجفار فقتلت تميم أشد مما قتلت بنو عامر، فقال بشر ابن أبي خازم:

يوم الجفار ويوم النسا ر كانا عذابا وكانا غراما
فأما تميم بن مرٍ فألفاهم القوم روبى نياما
وأما بنو عامر بالجفار ويوم النسار فكانوا نعاما[1]

حدود منطقة القصيم:

حدود منطقة القصيم الجغرافية القديمة تتطابق تقريباً مع حدودها الإدارية الحالية، ويحدّها من الشمال الشرقي بلدة قبة عند النفود الكبير، وتستمر الحدود الشمالية تجاه الغرب مارة بالقرى الشمالية، مثل الهبيرة والنمرية والشقران حتى النقرة بالجهة الشمالية الغربية للقصيم، وتلك الحدود تفصلها عن منطقة حائل. أما غرباً فإنها تبدأ من النقرة باتجاه الجنوب الغربي مارة ببدائع الحمايين، والقاعية، والرخيم، والقبيعة حتى جنوب منطقة ضرية عند فيضة

---

(١) عن أيام العرب انظر التيمي، جـ٢، ص ٢٩ وما بعدها، حمد الجاسر، الجفار «العقل» في منطقة الزلفي، صدى طويق، العدد الثالث ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ص ١٠ ـ ١٤. العبودي، بلاد القصيم، جـ١، ص ٣١.

نوماني وعرويلة وهي حدود تفصلها عن منطقة المدينة المنورة. وحدودها الجنوبية تبدأ من جنوب ضرية باتجاه الشرق حتى العمار أسفل المذنب مارة بالقرارة، وسامورة، وأم طليحة، والملقا، والخرماء الجنوبية، وخريمان وهي حدود تفصل بينها ومنطقة الرياض. بينما الحدود الشرقية فهي حدود رملية تقريباً تبدأ من أم حزام باتجاه الشمال، والمستوى، وشرق الأسياح حتى قبة بالشمال الشرقي ماراً بالنبقية والجندية وغض وفيضة[1] وهي حدود فاصلة بينها ومنطقة الرياض. وبذلك تكون الحدود الطبيعية للمنطقة شمال وادي الترمس، الذي ينتهي عند أسافل رمال النفود الكبير، وشمال جبال الموشم، وصارة، وجبل قطن باتجاه الغرب، فهي حدود متعرجة عبر المدن والقرى سابقة الذكر، وبالتالي فإن حدودها الشرقية تمر برمال السر، وصعافيق، ورمال النفود «زليغيف الزلفي» والأسياح، ثم تنحرف باتجاه الشمال الغربي، لتصل شمال وادي الترمس[2]. وفي داخل هذه المنطقة توجد حالياً محافظات ومدن رئيسة أهمها بريدة، وهي عاصمة المنطقة، وعنيزة، والرس، والبكيرية، والبدائع، والمذنب، ورياض الخبراء، النبهانية والأسياح، وعيون الجواء، والشماسية وعدد من المراكز هي: قصيباء، الربيعة، مراكز الخبوب،

---

(١) خريطة إمارة منطقة القصيم، إدارة خدمات المنطقة. خريطة جغرافية لمربع وادي الرمة بالمملكة العربية السعودية - ج م - ٢،٦ ب، وزارة البترول والثروة المعدنية جدة ، ١٩٧٨م انظر الخريطة التي أعدتها وزارة المالية عن مناطق المملكة. انظر إبراهيم بن عبدالعزيز المعارك، بريدة: ماض مجيد وحاضر مزدهر ومستقبل مشرق. الرياض: شركة العبيكان للطباعة والنشر ط٢، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧، خريطة منطقة القصيم، ص ص ١٤ - ١٥.

(٢) خريطة مربع وادي الرمة، ج م - ٢،٦ب. انظر الوشمي، صالح سليمان، الآثار الاجتماعية والاقتصادية لطريق الحج العراقي على منطقة القصيم، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص ص: ٢٥ - ٣١. انظر: البليهد، محمد ابن عبدالله، صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار الجزء الأول، ط٣، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ص:١٥١. انظر: لوريمر - ج . ج - دليل الخليج =

الصمعورية، قصر بن عقيل، الهلالية، عقلة الصقور، النقرة، والفوارة، وضرية، إضافة إلى عدد كبير من القرى، وتتركز أكثرها على امتداد وادي الرمة الذي يخترق الإقليم (الخريطة رقم ٢).

كما وصف القصيم بكثرة المياه: فالهمداني عندما تحدث عن القصيم ذكر أنه كثير النخل، والرمل، والماء والحصون. وذكر الحربي صاحب المناسك، أن القصائم أودية، وأشجار فاكهة، وتين، وخوخ، وعنب، ورمان. وذكر ذلك ياقوت صاحب معجم البلدان[١]. ووصفه الأصفهاني بأنه موضع ذو غضا فيه مياه كثيرة وقرى. وأنه موطن لقبائل قوية مثل: بني كلاب، وغطفان، وبني أسد، وعبس.

واشتهرت المنطقة في السابق بكثرة عيونها السارحة، ومن أهمها: الزرقا، والموطأ، والجرية، والقصيعة قرب بريدة، والقريتين قرب عنيزة، وفي غرب القصيم عيون الوادي، وعين ضرية، وشمالاً عيون قصيبا وعين عبس في الجواء، وشرقا عيون النباج (الأسياح) ومنها عين ابن فهيد[٢].

ونلحظ مما أورده أصحاب معاجم البلدان والمعاجم اللغوية وغيرهم، أن الرمال وشجر الغضا، هما السمة المميزة قديماً وحديثا، حيث إن الرمال تنتشر على مساحات كبيرة في وسط وشرق القصيم، ويكاد يغطي شجر الغضا معظم أجزاء المنطقة الشرقية منه والذي اشتهرت به المنطقة، وعُرفت بعض المناطق بالغضا مثل غضا عنيزة. وكذلك أشارت المصادر إلى وادي الرمة الذي

= القسم الجغرافي - جـ٥ - ص: ١٨٥٣.

(١) ياقوت الحموي - معجم البلدان - ص: ٣٦٧.

(٢) الوشمي، صالح، طريق الحج العراقي ص: ٤٠.

ذُكِر بأنه شريان المنطقة الحيوي ويشكل بسطح القصيم شبكة من الروافد المائية كما سنرى لاحقا.

كذلك أشارت هذه المصادر إلى السبخات، ومنها العوشزية القريبة من مدينة عنيزة وسبخة ضاري عند الشقة والواقعة شمال بريدة، وسبخة الغفة قرب آبان الأسود[1] . يضاف إلى ذلك وجود المنخفضات الخصبة التي تشكل الواحات والقرى الزراعية التي تحيط بها الكثبان الرملية وتعرف بأسماء محلية مثل: القاع، الخب، النقرة، الصباخ، الخبراء، الروضة[2] .

ومما تقدم ذكره، يمكن أن نصل إلى أن كلمة القصيم جاءت صفة للأرض الرملية السهلة. كما جاءت صفة للرمال التي تنبت الغضا والشجر المتشابك والملتف، والرمال والغضا هما القصيم سواء أكانت الأرض رملية تنبت الغضا أم الغضا نفسه، لذا فاسم القصيم ارتبط بالرمال وشجر الغضا، وهذا هو واقع منطقة القصيم.

البنية الجيوليوجية للمملكة العربية السعودية

بالمملكة العربية السعودية ثلاثة أقاليم جيولوجية رئيسة هي: الدرع العربي، الحوض الرسوبي، السهول الساحلية[3] ، (الخريطة رقم ٣).

ولعل أقدم التكوينات الصخرية بالمملكة العربية السعودية تعود إلى ما قبل الكمبري (ماقبل الحياة) precambrian ويقدر عمر هذه التكوينات التي تقع في منطقة الدرع العربي بأكثر من ١٠٠٠ مليون سنة. ونظرا لعدم وجود أية

(١) عن السبخات انظر التضاريس في هذا الفصل. انظر خريطة وزارة البترول ج م - ٦,٢ب.
الهاشمي، صالح، طريق الحج العراقي ص: ٣٩.

(٢) انظر تضاريس سطح القصيم من هذا الفصل.

(٣) الشلبي، عبدالباسط - سبع سنابل خضر، ط٢ - ١٩٨٠م - جدة - دار الأصفهاني - ص: ٥٠ .

أشكال للحياة فيها، أصبح من الصعب تاريخها أو حتى مقارنتها من الناحية الزمنية. وتشمل هذه صخوراً نارية متحولة مثل الجرانيت والكوارتزايت. والمعروف أن الجزيرة العربية كانت آنذاك جزءا من قارة تعرف بـ(جندوانا) حتى ٨٠ ـ ٦٠ مليون سنة تقريبا. حيث لم يكن البحر الأحمر حينها موجودا، وإلى الشمال كان يمتد البحر الذي أطلق عليه الجيولوجيون بحر «تثيس» والذي كان يغمر اليابسة أحياناً، ثم انحسر مخلفاً ارسابات تغطي أجزاء من إقليم نجد الحالي[١].

ومنذ ٥٠٠ مليون سنة خلال ما كان يعرف بالزمن الجيولوجي الأول، وفي حقبة العصر الكمبري Cambrian الذي شهد البدايات الأولى للحياة، الذي تظهر صخوره في منطقة جبل ساق بالقصيم[٢]، طغت مياه «تيس» على أطراف شبه الجزيرة العربية، مرسبة تكوينات من الجير والرمل، ومكونة أحواضاً ومستنقعات في الأماكن المنخفضة[٣] وفي العصر الطباشيري الأعلى (الطباشيري نحو ١٠٠ مليون سنة) Cretaceous في نهاية الزمن الجيولوجي

---

(١) انظر أحمد المهندس ومحمد السنوسي ـ مبادىء الجيولوجيا العامة الرياض ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م ـ دار عالم الكتب، ص: ١٤٩ ـ ١٥١. محمد محمود محمدين، مع التكوينات الجيولوجية، ربيع الآخر ١٤١١هـ ـ نوفمبر ١٩٩٠م. البلديات ـ مجلة تصدرها وزارة الشئون البلدية والقروية في المملكة العربية السعودية ـ العدد ٢٤ ـ السنة السادسة، ص: ١٤٨ ـ ١٥١. وانظر يوريس زارنيس وأخرون تقرير مبدئي عن المسح في المنطقة الوسطى، أطلال حولية الآثار العربية السعودية، العدد ٣. ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، ص ص ٩ ـ ١٠.

(٢) المهندس والسنوسي ـ مبادىء الجيولوجيا العامة ـ ص: ١٥٤. انظر خريطة جيولوجية لمربع وادي الرّمة بالمملكة العربية السعودية، وزارة البترول والثروة المعدنية، ج م ـ ٦، ٢أ، جدة، ١٩٨٢م.

(٣) المرجع السابق ص: ١٥٤.

انظر اللعبون، عبدالعزيز، أقدم غابة صخرية في العالم، السنبلة، العدد ١١ ربيع الأول ١٤١١هـ، سبتمبر ١٩٩١م، ص.ص ٢٦ ـ ٢٧.

الثاني، بدأت المنطقة تشهد حركات انكسارية، وشهدت المملكة العربية السعودية ترسبات طباشيرية على سطحها باستثناء منطقة الدرع العربي، وخلال الزمن الجيولوجي الثالث Tertriay (المايوسين ٣٠ مليون سنة)، نتج الانكسار الأخدودي الذي فصل ما يعرف الآن بالجزيرة العربية عن شمال شرق إفريقيا، وكوّن البحر الأحمر والحافات الصخرية على جانبيه، والمصهورات البركانية التي كونت الحرات، كذلك مالت الطبقات الرسوبية صوب الخليج العربي وبالتالي انحدرت المياه الجوفية في ذات الاتجاه لتتجمع على مستويات عميقة بالمنطقة الشرقية من المملكة.

وبنهاية هذه الحقبة، منذ ٣ ملايين سنة، كانت الصورة الجيولوجية الحالية للمملكة العربية السعودية قد اكتملت حيث انحسرت مياه البحر لتظهر اليابسة بشكل أكبر.

وفي الزمن الرباعي الذي يشمل عصر البلايوستوسين، Pleistocene وعصر الهولوسين الحالي، واللذان عاصرا الإنسان والحضارة، تعرضت الجزيرة العربية (المملكة) لأمطار أدت إلى تكوين مجاري الأودية الرئيسة مثل وادي الرمة، ووادي حنيفة، ووادي الدواسر[١] وشهدت المنطقة كذلك فترات جفاف، وفترات مطيرة متعاقبة، وتقلصت خلالها صحارى المملكة وترسبت كميات من الرمال والحصى على السطح نتيجة عوامل التعرية (جرف المياه والتفتت).

---

(١) انظر: المهندس والسنوسي، مبادىء الجيولوجيا العامة، ص: ١٩٣ ـ ١٤٠. محمد محمدين، مع التكوينات الجيولوجية، مجلة البلديات، ص: ٣٩

البنية الجيولوجية لمنطقة القصيم:

تقع منطقة القصيم في الأجزاء الشرقية من الدرع العربي. حيث تنقسم المنطقة إلى جزءين، الجزء الأول «الغربي»، ويقع في نطاق المنطقة الصخرية من الدرع العربي. أما الجزء الثاني «الشرقي» فيقع في نطاق المنطقة الرسوبية، حيث تتركز أهم المدن والقرى الزراعية. والمنطقة الرسوبية في القصيم ترتكز على صخور الدرع العربي (الجرانيت والبازلت) وتوجد فيها عدة تكوينات رسوبية، تعرف بأسماء مثل تكوين الساق (نسبة إلى جبل الساق والواقع على بعد ٦٥كلم جنوب غرب مدينة بريدة، المدينة الرئيسة في القصيم)، وهذا التكوين الذي يعود إلى العصر الكمبري، Cambrian من أهم مكامن المياه الجوفية في المنطقة، ومن بين تلك التكوينات أيضاً تكوين تبوك[١].

وهناك تكوينات الخف (أخذت اسمها من بلدة الخف)، وهي ترسبات جيرية تظهر في مدينة عنيزة وتستمر جنوبا ويعود تاريخها إلى العصرين، البرمي Permian والترياسي (حوالي ٢٠٠ مليون سنة). وتتكون من حجر رملي ويظهر بعضه إلى الغرب والشمال الغربي من بريدة، ويعود تاريخه إلى ما بعد الكمبري (٤٠٠ ـ ٣٠٠ مليون سنة)[٢].

وكذلك تشمل هذه المجموعة تكوينات الجوف (اكتسبت التسمية من مدينة الجوف) ذات الحجر الرملي، وتشاهد شرق النفود الكبير وجنوب القصيم. وهناك أيضا تكوين سدير الذي يظهر في شمال شرق بريدة، ويعود

---

(١) أطلس المياه، إعداد وزارة الزراعة بالمملكة العربية السعودية - الرياض، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م، ص٤٩ وما بعدها. انظر الربدي، محمد بن صالح ـ بريدة، دراسة في الخصائص الطبيعية والسكانية ـ جـ١ ١٤٠٧هـ ص: ٤١ ـ ٤٤.

(٢) أطلس المياه، ص: ٤٩ وما بعدها.

تاريخه إلى العصر البرمي، Permian . وهو عبارة عن حجر رملي وطفل يتداخل مع الجص. وتنسب جميع هذه التكوينات إلى فترات جيولوجية مختلفة كما تحوي صخوراً جيولوجية متباينة[1] .

تضاريس منطقة القصيم:

تقع شبه الجزيرة العربية ضمن نطاق الصحارى العظمى شبه المدارية في النصف الشمالي من الكرة الأرضية، ومنها في المملكة العربية السعودية صحارى: الربع الخالي، والنفود الكبير «رملة عالج»، والنفود الصغير «الدهناء».

وتحتل هضبة نجد الجزء الأوسط من الجزيرة العربية، وتتوسط منطقة القصيم الهضبة المشار إليها التي تقع ما بين هضاب الحجاز غربا حتى الدهناء شرقا والنفود الكبير شمالا، والربع الخالي جنوبا[2] وتنتشر على سطحها حافات وتكوينات رملية.

وتنقسم تضاريس منطقة القصيم إلى أربع ظواهر سطحية وهي:

١ ـ الجبال والهضاب ٢ ـ الكثبان الرملية «النفود».

٣ ـ المنخفضات «بلايا». ٤ ـ الأودية «شبكة وادي الرمة».

---

(١) أطلس المياه، ص٤٩ وما بعدها. انظر الربدي، محمد بن صالح ـ بريدة، جـ١ ، ١٤٠٧هـ ص: ٤١ ـ ٤٤.

(٢) محمدين، محمد محمود. أحمد، حسن عبدالعزيز ـ الأقاليم الجافة، دراسة جغرافية في السمات والأنماط، دار العلوم ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ـ ص: ١٤٤.

الجبال والهضاب :

تمثل التلال الصخرية والضلوع في منطقة القصيم، جبالاً غير متباعدة لاتشكل سلسلة متصلة، وتظهر معاكسة لاتجاه التضاريس بالمنطقة، حيث تطل على الغرب، والضلوع معرضة باستمرار لعمليات النحت والتعرية[1]. تكوّن التلال المظهر الجغرافي الرئيس الذي يلاحظ في منطقة نجد[2] وتظهر في شكل هضاب تنتشر فيها السبخات «البلايا». وإلى الشمال من مدينة بريدة ترتفع هضبة الأسياح إلى ما بين٦٠٠ ـ ٧٠٠م عن سطح البحر[3]، وهي أرض صحراوية جافة تشقها أودية قديمة قاحلة، تحتوي على ضلوع صخرية «الصفراوات» وتشكيلات رملية. وهي بمجملها أرض قاحلة غير صالحة للزراعة. وبعض هذه الهضاب يمر بأطرافها وادي الرمة وأودية أخرى. وتتركز الجبال في الجزء الغربي من القصيم في نطاق المنطقة الصخرية من الدرع العربي وتظهر وضوحاً تلك الجبال في جنوب وادي الرمة لاتساع قاعدة الدرع العربي. ومن أشهر جبال القصيم: قطن، أبانان، ساق، الموشم، ستار، سواج، طخفة، عسعس. (اللوحة رقم ١، أ، ب)

الكثبان الرملية :

تنتشر الكثبان الرملية في المنطقة على نطاق واسع، وتعرف بأسماء مناطقها، مثل: نفود بريدة، الثويرات، الغميس، صعافيق، الهلالية، الطرفية، الشقيقة، بالإضافة إلى تلال رملية صغيرة تعرف باسم العروق مثل:

---

(١) الشريف، عبدالرحمن صادق وصالح، حسن عبدالقادر، «موارد المياه الجوفية في حوض النفود الرسوبي الكبير»، مجلة الدارة، العدد الرابع، السنة الثالثة، صفر ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م، ص: ١٥٤.

(٢) الشريف ، عبدالرحمن صادق ، منطقة عنيزة ، دراسة إقليمية ، ١٩٦٩م ، ص : ٦١

(٣) عبدالرحمن الشريف وعبدالقادر، موارد المياه، الدارة، العدد الرابع، ١٣٩٨هـ، ص :١٥٤.

عرق المظهور، عرق سبيع، وعروق الأسياح. وتقع بين هذه الكثبان منخفضات خصبة تعرف بأسماء عدة، منها: الخب، القاع، الروضة.

ومن بين مجموعة الكثبان الرملية التي تقع في منطقة القصيم نفود السر. وهو سلسلة من الكثبان الرملية تمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي بطول ٢٧٠كم. ويصل اتساعه إلى ما بين ٢٠ إلى ٢٥كم شرق المذنب، ويتضاءل شمالاً في نفود صعافيق، ويصل إلى أقل من ١٠كم. ويعرف الطرف الشمالي منه بنفود صعافيق بالقرب من قرية العوشزية جنوب وادي الرمة. وجزؤه الشمالي الأعلى يعرف باسم نفود الطرفية. أما نفود الشقيقة والذي يصل طوله إلى ٧٥كم، ويتراوح عرضه من ١٥ إلى ٢٥كم، فيشكل قوساً حول مدينة عنيزة من جهة الجنوب الشرقي. وهنالك، أيضاً، نفود الثويرات ويمتد بطول ٢٠٠كم، بينما يتراوح عرضه بين ١٥ ـ ١٠كم، وفي بعض الأجزاء يصل إلى ٢٥٠م. وترتفع بعض قمم هذه الكثبان إلى ٣٠٠م[١]، إضافة إلى نفود المظهور والعريق وعدد آخر من الكثبان والعروق أقل أهمية بالنسبة لاستيطان الإنسان. (اللوحة رقم ٢، أ)

المنخفضات «بلايا Palaya» :

والبلايا[٢] أرض منخفضة تتجمع فيها مياه التصريف الداخلي للصحارى، أو لقرب الماء من سطحها، وتتميز باستوائها ورواسبها وتستمد

---

(١) راجع الربدي، محمد صالح ـ بريدة، ١٤٠٧هـ، ص: ٥٢، محمدين محمد محمود، حسن عبدالعزيز أحمد ـ الأقاليم الجافة ص: ١٦١ –١٦٦.

(٢) بلايا (Palaya) كلمة أسبانية تعني في مفهومها الشاطئ أو الساحل، ولكنها عندما استخدمت على نطاق واسع تعدل مدلولها الأصلي لتصبح تعبيراً فيزيوغرافياً يعني البحيرات أو الأحواض المؤقتة التي تغمرها المياه أحياناً.

مياهها إما من المجاري السطحية، وإما من المطر المباشر، أو المياه الجوفية، وتظهر بعض المنخفضات بشكل مسطحات صلصالية، والتي عادة ما يطلق عليها اسم «خبروات».

وفي سطح منطقة القصيم يتبين لنا ظاهرتان، (أ) المنخفضات الزراعية، (ب) السبخات.

أ ـ المنخفضات الزراعية :

الخبوب :

وهي أراض زراعية منخفضة وخصبة، واقعة بين الكثبان الرملية المستطيلة، تنتشر في المنطقة الرسوبية. وقد ذكرتها المصادر بأنها سهل بين حزنين من الرمل، أو شقيقة بين جبلين من الرمل. وتعرف مثل هذه المنخفضات بأسماء محلية منها الخب، والجمع أخباب، وخبوب، وتشكل طوقاً على مدينة بريدة من جهاتها الغربية والشرقية والجنوبية، وتطلق على القرى الواقعة في أماكن منخفضة بين الرمال، مثل: خب المريدسية، البريدي، والعوشز، والقبر. أما إذا قل حجم الرمال حول المنخفض فيطلق عليه «نقرة»[1].

أما الدارات فقد ذكرت المصادر أن مفردها دارة، وهي عبارة عن أرض واسعة محاطة بالجبال سواء كانت أرضها غليظة أم سهلة، منها: دارة الشجى، جلجل، رفرف، الخرج، عسعس.

القيعان :

أمّا القيعان الطينية الصخرية غير المسامية التي تحتفظ بالماء لوقت طويل،

(١) لمزيد من التفاصيل عن الخبوب انظر العبودي، بلاد القصيم، جـ٣، ص: ٨٤٥ وما بعدها.

فبعضها صالح للزراعة، والبعض الآخر غير صالح، مثل: الجرف، والخشيم، والخرم. وتتكون بعض القيعان من التقاء الأودية المنحدرة إلى الشرق بالرمال المستندة على الجالات مثل: قاع خرما، وقاع مدرج، والعصودة، وصلاصل. والروضات والتي يستريض فيها الماء[1]. وهي أماكن منابت العشب، وتتميز بأعشابها الكثيفة والمتنوعة، وأرضها الزراعية، وتربتها المسامية التي لاتحتفظ بالماء طويلا مثل: روضة الصريف، وروضة الربيعية وعين فهيد (اللوحة رقم ٢، ب)

الخبــراء :

أما الخبراء، وجمعها الخبراوات، وهي بمعنى انخفاض وليونة وسهولة الأرض، لها خصائص الروضة والقاع المتمثلة باحتفاظها الطويل بالماء، وإنباتها للعشب والأشجار. ويجدر التنويه على أن البعض منها خالٍ من النبات مثل: خبراء الجرذاوية[2].

ويتخلل بعض الخبراوات الغدران. ومن أماكن الخبراوات، الأرض الواقعة على الضفة الشمالية من وادي الرمة في مدن وقرى الخبراء، ورياض الخبراء، والسحابين، بينما تتمركز الخبوب والقيعان والروضات والخبراوات في هامش الدرع العربي ـ المنطقة الرسوبية ـ التي تمتد على طولها العروق، والكثبان، الرملية في المنطقة المحصورة بين الثويرات،

---

(١) انظر الغنيم، عبدالله يوسف، أشكال سطح الأرض المتأثرة بالرياح في شبه الجزيرة العربية، الكويت، ١٤٠١هـ ص: ١٤ وما بعدها. وعن الدارة انظر الهمذاني، أبا بكر أحمد بن محمد، والمعروف بابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ليدن، مطابع بريل، ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م، ص: ٣٢. راجع الأصفهاني، بلاد العرب، ص : ١٠٠، انظر الهمداني، صفة جزيرة العرب ص: ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦٣، ٣٢٢.

(٢) المرجع السابق، ص: ٤٢.

والمظهر، وشرقي نفود الشقيقة، حيث تمتد بشكل شريط من الجنوب إلى الشمال[1].

وقد أسهم التوزيع الجغرافي للمنخفضات الزراعية، في تشكيل المراكز العمرانية وتوزيعها. حيث نشأت حول تلك المنخفضات القرى والمزارع واستزرعت الروضات نفسها، وحفرت فيها الآبار، وتحولت إلى بلدات أو مدن، فشكلت قرى متجاورة ممتدة على شريط واحد، متوازية مع الامتدادات الطولية للجالات في شرق القصيم[2] يتضح لنا من العرض السابق، أن هناك قرى ومدناً ممتدة من الجنوب إلى الشمال، في المنطقة الواقعة ما بين رمال نفود المظهور وصفراء الأسياح، وهي: الجعلة، عين ابن فهيد، التنومة، البرود، حنيظل، أبو الدود، ضيدة. وكذلك الحال بالنسبة للمنطقة المحصورة ما بين نفود الثويرات، ونفود السر، وصعافيق، والطرفية حيث يقع بتلك المنطقة عدد من القرى والمدن، مثل: أم سدرة، والويحرة، والرويضات، والشماسية، والربيعية، والرويضة، والركية، والصريف، والطرفية، والبطين، ومدرج.

ب ـ السبخات :

تشكل السبخات التي تعرف عموماً باسم «بلايا»، المعلم السطحي الثالث بالمنطقة، حيث ينتشر عدد منها بين الكثبان الرملية. وهناك عدة عوامل تتحكم في وجود هذه السبخات، منها:

أـ عوامل جيولوجية تشكل مظاهر السطح وتكون أحواضاً منخفضة.

ب ـ عوامل هيدورولوجية تتعلق بارتفاع منسوب الماء وقربه من السطح.

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن تضاريس المنطقة المحصورة ما بين الثويرات والمظهر راجع الفنيم، اشكال سطح الأرض، ص: ٤٢.

(٢) المرجع السابق: ص.ص: ٣٩ ـ ٤١.

ج ـ عوامل مناخية مرتبطة بوجود السبخات في مناطق يزيد فيها التبخر على تساقط الأمطار.

د ـ عوامل بشرية تتمثل في سوء استخدام مياه الري، وخاصة الأحواض، المغلقة.

هـ - التصريف المائي : تنشأ السبخات في مناطق تجمع المياه.

وتتكون السبخات نتيجة تجمع المياه في تلك المناطق المنخفضة بعد أن تقطع رحلة طويلة عبر منحدرات الجبال والهضاب، حاملة معها الأملاح المذابة. وفي حالة تجمع هذه المياه في المنخفضات السبخية المرتكزة على صخور صلبة وغير مسامية، تتركز الأملاح فتبدأ السبخات بالظهور. ويتم ذلك بفعل عامل التبخر، وتتغذى هذه السبخات أيضاً من مياه الأمطار الساقطة على الكثبان الرملية، أو المياه التي تجرفها الأودية من أماكن بعيدة، حيث تتجمع في المنخفضات ذات الصلة[1]. (اللوحة رقم ٣، أ).

ومن أبرز السبخات في منطقة القصيم، سبخة قاع الظليم الواقعة إلى الشرق من عنيزة، ويصل طولها إلى حوالي ١٥كم وعرضها ٣كم، وكذلك سبخة العوسجية التي تبلغ أطوالها ١٥×٢كم وأيضاً سبخة الصباخ «فيحان» جنوب بريدة وبعض السبخات تحوي على تربة صالحة للزراعة، وفي موسم الأمطار تغمر هذه السبخات وتستغل مصدراً لمياه الشرب وسقاية الحيوانات والزراعة واستخراج الملح[2] وبالمنطقة عدد آخر من السبخات مثل المشتت، وقاع الخرماء، والشقة، وقصيباء والقاع الأبيض وخرطم.

---

(١) عن السبخات انظر: الفرا، طه عثمان، ظاهرة السبخات في المملكة العربية السعودية، الدارة ـ العدد ٤ ـ ١٣٩٨هـ. ص: ١٢٢ – ١٢٨. انظر: الأقاليم الجافة. ص: ٧٢ وما بعدها.

(٢) خريطة مربع وادي الرمة بالمملكة جـ م ـ ٢,٦ب. الفرا، ظاهرة السبخات، الدارة، العدد ٤، ١٣٩٨هـ ص ص: ١٣٩ – ١٤١.

ويلاحظ أن بعض هذه السبخات تقع في تربة شديدة الملوحة، وتستغل مصادر للملح. وهناك سبخات في مناطق ذات تربة زراعية يستغلها الأهالي للزراعة.

الأودية - وادي الرمة :

تُعدُّ الأودية المظهر السطحي الرابع في منطقة القصيم. ولعل أهمها وأبرزها وادي الرمة الذي يعد أحد أطول الأودية في المملكة العربية السعودية. وعلى الرغم من كونه نهرا جافاً، إلا أنه يشكل مخزونا هائلا من المياه الجوفية التي تُعدُّ مصدرا للآبار والواحات والقرى الزراعية[1]. وبالإضافة إلى ذلك توجد عدة أودية كبيرة أخرى مثل: الترمس، والفويلق، والباطن. وإن كانت هذه الأودية تدخل ضمن شبكة وادي الرمة وفروعه.

يبدأ وادي الرمة من مرتفعات الحجاز حيث تتجمع بعض روافده عند سفوح جبال الحجاز وتتجه شرقا، تنضم إليها روافد أخرى مكونة وادي الرمة الذي يشق المنطقة الصخرية من الدرع العربي، ثم يعبر النطاق الرسوبي بمنطقة القصيم مارا بين مدينتي بريدة وعنيزة، ثم يواصل جريانه نحو الشمال الشرقي حيث تختفي معالمه السطحية تحت نفود الثويرات، وما يعرف بنفود صعافيق، ورمال الغميس، الطرفية، ويبلغ طوله من حرة خيبر حتى جنوب غرب مدينة البصرة في العراق حوالي ٩٠٠كم، وتعرف الأجزاء السفلى من الوادي بعد

---

(١) عبدالرحمن الشريف وحسن عبدالقادر، موارد المياه الجوفية من حوض النفود الرسوبي الكبير، مجلة الدارة، العدد ٤، ١٣٩٨هـ، ص: ١٥٥ عبدالله بن ناصر الوليعي، بحوث جغرافية، ١٢ تعرج الأنهار والأودية، مطابع جامعة الملك سعود ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م، ص ٥٥.
انظر جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ص: ١٨٢ أطلس المياه، إعداد وزارة الزراعة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م، صورة التقطت بواسطة الأقمار الصناعية عام ١٩٧٢م إثر جريان الوادي، ص ٣٨.

اجتياز منطقة القصيم باسم وادي الباطن. وكان وادي الرمة الماضي في فترة العصور المطيرة يستمر حتى يصل الخليج العربي عبر وادي الباطن [(١)]. (اللوحة رقم ٣، ب).

أما فروع وادي الرمة، فأكبرها المحالاني بالضفة الشمالية من الوادي، وفروع أخرى مثل مرغان والجراير وشعيب الجرير والعمودة ورقط والعظيم، إضافة إلى وادي الترمس في شمال القصيم وشري والمكحول. وفي الضفة الجنوبية من وادي الرمة، يوجد فرعه الرئيس المعروف بوادي الجرير، وفروع صغيرة مثل: الجفن، والهميلية، وسأحوق، وشعيب، جرار، والداث، والخشيبي، ووادي النساء، ودخنة، والرشاء، إضافة إلى شعاب وجداول متقطعة تنتشر على سطح المنطقة. (الخريطة رقم ٤).

مصادر المياه :

تعتمد منطقة القصيم في مصادرها المائية، على المياه المخزنة منذ آلاف السنين وعلى المياه السطحية والجوفية التي تنتج عن تساقط الأمطار داخل الإقليم وخارجه، وتنتهي إلى تكوين مخزون مائي عن طريق التصريف الجوفي، وهو الركيزة الأساسية للحياة في المنطقة، ونظرا لسيادة المناخ الصحراوي في المملكة، وخاصة في منطقة الدراسة، فإن الجفاف هو الطابع المميز للمنطقة. وعليه فإن التوازن المائي يواجه عجزا شديدا؛ لأن التبخر يفوق كمية الأمطار الساقطة محلياً، مما يجعل الأثر الفعلي للأمطار المحلية ضئيلاً. وبالتالي فإن الأمطار المحلية لا تفي بالمتطلبات المائية للمنطقة. ورغم شح

---

(١) الشريف وعبدالقادر، موارد المياه الجوفية، الدارة، ص: ١٥٥. وانظر المراجع الأخرى في الهامش السابق.

الأمطار فيها، فإن منطقة القصيم تُعدُّ واحدة من أكثر مناطق حوض النفود الرسوبي أمطارا، إذ يتراوح متوسط هطول الأمطار فيها ما بين ٨٥ـ ١٤٢ ملم[١].

أما فيما يخص مصادر المياه الدائمة فإنه ليس في المنطقة أنهار دائمة ـ على الأقل في الوقت الحاضر ـ أو بحيرات عدا ما كان منها موسميا. وتعتمد مصادر المياه السطحية في المنطقة، على الأمطار التي تسقط خارج حدودها[٢] وتنجرف في الأودية وفروعها، وخاصة وادي الرمة وقد سبقت الإشارة إليه. وتكوّن هذه الأمطار طبقات من الطمي في الأودية والمنخفضات، وتوفّر أحيانا للأهالي كمية من المياه عبر الآبار التي تحفر فيها، وهذه الآبار عادة ما تكون قريبة من السطح.

أما بخصوص المياه الجوفية فإنه توجد إمدادات من المياه كافية في الطبقات الرئيسة الحاملة للمياه ويتراوح العمر الجيولوجي لهذه الطبقات من العصر الكمبري Cambrian إلى العصر الثلاثي Cenos. وتعد طبقة الساق أكثر تجانساً من طبقة تبوك المتنوعة، وهما يشكلان المصدرين الرئيسين للآبار في المناطق الشمالية والوسطى والشمالية الغربية[٣].

ومن أهم الطبقات الرئيسة الحاملة للمياه في القصيم:

طبقة الساق: واستمدت اسمها من جبل ساق الواقع غرب مدينة بريدة (بين خط عرض ١٦ , ٢٦ شمالاً، وخط طول ١٨ , ٤٣ شرقاً) وهو يمتد على

(١) انظر عبدالرحمن الشريف، وحسن عبدالقادر، موارد المياه الدارة ، ١٣٩٨هـ ص: ١٦٥ انظر محمدين، الأقاليم الجافة ، ص ص ١٥٠ ـ ١٥٧. انظر الخطيب ، سبع سنابل خضر ، ص: ٨٥.

(٢) الخطيب، سبع سنابل خضر، ص: ٥١. محمدين، محمد، الأقاليم الجافة، ص ص: ١٥٦ ـ ١٥٧.

(٣) أطلس المياه، ص: ٤٨.

طول الطرف الشمالي، والشمالي الشرقي للدرع العربي، وتكون متصدعة في بريدة وفي الأسياح والمنطقة الشمالية من القصيم تتدفق المياه من الآبار بضغط عال تصل فيها إلى ارتفاع ١٠٠ متر فوق سطح الأرض. وتقل قوة التدفق، وكميته باتجاه الغرب نحو منكشف الطبقة. . . ويتراوح الإنتاج في آبار القصيم من ١٠ إلى ١٠٠ لتر في الثانية. وتوجد أعلى قيم لمعاملات الناقلية في المناطق غير المحصورة من الطبقة قريباً من وادي الرمة وإلى الشمال من هذه المنطقة[(١)].

وتعد كمية تغذية الطبقة بالمياه قليلة جداً وكمية المياه المتسربة في منطقة المنكشف بالقصيم شرق الدرع العربي تقدر بثمانين مليون متر مكعب سنوياً. أما التغذية عن طريق السيول فهي قليلة وتشيرالعينات التي جمعت من الآبار في قبة شرق القصيم والعمار جنوب شرق القصيم وفحصت عن طريق النظائر المشعة، إلى أن متوسط عمر المياه يصل إلى ٢٨٠٠٠ سنة. أما طبقة تبوك فتعود إلى العصر الديفوني Devonian [(٢)].

ويعد تكوين تبوك تعاقباً بحرياً إلى قاري، وتوجد ثلاث طبقات من الأحجار الرملية ضمن التكوين. ويفصل بين كل من هذه الطبقات طبقة من الطفل وهي: قصيبا، ورعن، والحنادر. وتوجد الأحجار الرملية العلوية شمال القصيم فقط، والأحجار الرملية الوسطى والسفلى توجد في جميع الأنحاء على امتداد منطقة القصيم وتنقطع في الجنوب. وطبقة تبوك تعد أقل وفرة من طبقة الساق، ويتراوح إنتاج طبقة الأحجار الرملية السفلى من ٥٠٦ إلى ٥,١٠ لترات في الثانية، وتشير تحليلات النظائر المشعة لمياه بئر المدرج في

(١) أطلس المياه، ص ص: ٤٩ ـ ٥٠ .

(٢) المرجع السابق، ص : ٥١.

طبقة تبوك (خط عرض ٤١ , ٢٥ شمالاً ، وخط ٤٣ , ٣٨ شرقاً) إلى أن عمر الماء هو ١٥٠٠٠ سنة[١].

طبقات المنجور، وضرما. وسميت المنجور نسبة إلى خشم المنجور في وسط المملكة وترجع صخوره الرملية إلى العصر الترياسي المتأخر Triassic. وأما تكوين ضرما فينسب لمدينة ضرما ويعود إلى العصر الجوراسي الأوسط Jurassic. وطبقات المنجور وضرما توجد على نطاق ضيق جداً في منطقة القصيم، ويظهر منكشف المنجور الرملي في أجزاء من وادي الرمة وجنوب القصيم[٢].

الطبقات الثانوية الحاملة للمياه :

تعد الطبقات الثانوية مصدراً مهماً للمياه، وهي مثل الطبقات الجوفية الرئيسية تختلف من طبقة لأخرى من حيث الامتداد وجيولوجيتها. وطبقة الخف وجلة تعودان إلى حقب الحياة القديمة، وتنتج طبقة الخف مياهًا ذات نسبة متوسطة إلى مرتفعة الملوحة في القصيم، وتعد الصخور البازلتية مصدراً مهمًا للمياه في الأماكن التي تمتدإلى هذه الصخور فوق الرواسب الغرينية في مجاري المياه الأصلية وفي مناطق الدرع العربي، يتم سحب المياه من صخور القاعدة المركبة التي تعود إلى عصر ما قبل الكمبري[٣].

---

(١) المرجع السابق، ص: ٥١.

(٢) المرجع السابق، ص ص: ٥٢ - ٥٣.

(٣) المرجع السابق، ص: ٥٨.

نبذة تاريخية واستيطانية :

تحتل القصيم موقعاً استراتيجياً بحكم موقعها المتوسط بين جنوب الجزيرة وشمالها، وبين البحر الأحمر والخليج العربي. وبالتالي كان لابد لها أن تشكل جسراً بين هذه المناطق عبر العصور، وتمر بمنطقة القصيم شبكة من الخطوط التجارية تربطها بمختلف مناطق الجزيرة؛ وبالتالي بتجارة الجزيرة المحلية منها والدولية. وكان لابد بحكم ذلك الموقع أن تؤدي دوراً اقتصادياً وغيره في صياغة الأحداث بالجزيرة العربية. بالإضافة إلى موقعها الجغرافي المتميز، فإنها تتمتع بميزات أخرى، منها توفر الأودية ومصادر المياه والتجارة. فتحتل القصيم منطقة منبسطة تقل فيها التضاريس وتخلو من العوائق الطبيعية مثل سلاسل الجبال التي تعيق حركة الاتصال، مما ساعد على سهولة التنقل بين أجزاء المنطقة وعبرها، فوادي الرمة يخترق منطقة القصيم، وهو غني بموارده المائية السطحية والجوفية والذي مهد لوجود بيئة غنية بغطائها النباتي في معظم فصول السنة، كذلك تزخر المنطقة بواحاتها وارتفاع منسوب مياهها الجوفية، الأمر الذي وفر مصادر المياه فيها وبالتالي كان له الأثر الكبير في عملية الاستيطان. بالإضافة إلى المصادر المائية بالمنطقة هناك مراعٍ واسعة، وأراضٍ خصبة ساعدت في زراعة الأرض الواقعة على أطراف الأودية.

وبالرغم من هذه الأهمية ، فإن تاريخ العمل الآثاري بالمملكة العربية السعودية، لا يشير إلى أي أعمال آثارية كبيرة في المنطقة.

الاستيطان في فترة ما قبل الإسلام:

أوضحت المسوحات الآثارية التي أجرتها الإدارة العامة للآثار والمتاحف

وجود مواقع من بعض حقب ما قبل التاريخ بالمنطقة[1]، مما يشير إلى أن المنطقة قد شهدت استيطانا بشريا في تلك الفترات حين تمتعت بظروف مناخية جيدة مقارنة بالفترات اللاحقة. كذلك أوضحت بعض المجسات في موقع زبيدة (العمارة)، شمال مدينة عنيزة أنه يعود إلى فترات متعددة أقدمها يؤرخ إلى نهاية الألف الثاني ق.م، وآخرها ربما يعود إلى العصر الإسلامي[2]. كما كشفت المسوحات في الجزء الشمالي الغربي من المنطقة عن عدد من المواقع منها: الحاجر، وقروري، ومعدن النقرة الواقعة على مسار درب زبيدة[3]. ولا تزال معرفتنا بالتسلسل الحضاري للمنطقة غير واضحة، والمعروف عنها يأتي من المصادر التاريخية، التي لا تقدم معلومات يمكن أن تكون تسلسلاً تاريخياً مترابطاً فيما يخص هذه المنطقة. كما تشير بعض الدراسات الأثرية الحديثة إلى احتمال أن يكون الجزء الشمالي الغربي من القصيم الموطن الأصلي للأنباط قبل أن ينطلقوا لتأسيس مملكتهم المعروفة في البتراء[4].

ومما تمدنا به المصادر التاريخية والجغرافية[5]، أن المنطقة قد شهدت في فترة ماقبل الإسلام بعض «أيام العرب» مثل: يوم خزار، ويوم منعج، ويوم

---

(١) زارينس يوريس وآخرون، التقرير المبدئي عن المسح في المنطقة الوسطى، أطلال حولية الآثار العربية السعودية ـ العدد، ٣، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م. ص: ٣١، ٣٢. الدباغ، تقي، الوطن العربي في العصور الحجرية، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٨م، ط ١ ص: ٥٤ ـ ٦١.

(٢) أطلال ـ العدد ٤، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، ص ص: ١١٧ـ ١٢٥.

(٣) عن تاريخ وآثار درب زبيدة راجع سعد الراشد، درب زبيدة، طريق الحج من الكوفة إلى مكة المكرمة «دراسة تاريخية وحضارية أثرية»، الرياض، دار الوطن، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م ص٣١ وما بعدها.

(٤) الذييب، سليمان عبدالرحمن، الموطن الأصلي للأنباط، مجلة الدارة. العدد، ٢، ١٤١٦هـ ص: ٧٣. راجع الذييب، سليمان عبدالرحمن، نقوش عربية شمالية من تبحر شمال غرب المملكة العربية السعودية، (بحث تحت النشر)، مجلة الدارة، هامش ٤.

(٥) التيمي/ أيام العرب، جـ٢، ص ٢٩ وما بعدها، راجع البليهد، صحيح الأخبار، جـ١، ص:٢٢ وما بعدها، وما أورده من أشعار جاهلية عن أسماء الأماكن والأعلام في المنطقة.

جبلة، وحرب البسوس، وحرب داحس والغبراء، ويوم طخفة. كما يذكر بعض من شعراء الجاهلية أسماء ومعالم جغرافية وأودية في المنطقة.

الاستيطان في الفترة الإسلامية المبكرة:

انتشر الدين الإسلامي في منطقة القصيم وعرفت فيها بعض الغزوات، منها غزوة قطن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وغزوة ضريّة. كما شهدت بعض مناطقها حروب الردة مثل البطاح [1]، وسلكت بعض دروبها جيوش الفتح الإسلامي إلى العراق وشرق العالم الإسلامي. وأيضا في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان (رضي الله عنه) عُمرت النباج كمحطة لاستراحة حجاج طريق الحاج البصري.

وتوحدت الجزيرة العربية سياسيا، وانطلقت منها الفتوحات الإسلامية حيث عبرت الجيوش العربية حدود جزيرة العرب إلى مناطق واقعة تحت نفوذ الامبراطوريتين الساسانية والبيزنطية، وسيطروا عليها، وتم فتح العراق والشام والشمال الإفريقي وما وراءهما، وأحاطوا بالممالك التي تمتد من المحيط الأطلسي حتى نهر السند، وبحر الخزر، وسقطت تلك القوى الاقتصادية والحضارية بأيدي الفاتحين العرب المسلمين، وشكل العنصر العربي عماد هذه الجيوش. وقد استقر الفاتحون العرب في تلك المناطق مؤسسين بذلك مراكز ومعسكرات تحولت فيما بعد إلى مدن ومراكز حضارية، مثل: البصرة، والكوفة، والفسطاط. وفي وقت لاحق، القيروان، وواسط، بالإضافة إلى المدن التي كانت قائمة حينها مثل دمشق، وحمص، وبعلبك، وحلب،

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، بيروت، دار إحياء التراث العربي، جـ٣، ص.ص: ٤٢١، ٢٥٦. ياقوت الحموي - معجم البلدان - جـ٤، ص: ٣٧٥. التيمي، أيام العرب، هامش ص:٥٤١. العبودي، بلاد القصيم الرياض، جـ٢، ص ص : ٥٩١ – ٥٩٧.

وأنطاكية، والقدس. وتحوّلت هذه المراكز إلى مدن ومستوطنات دائمة للمقاتلين العرب وعائلاتهم، وأيضاً مقراً للولاة وما يتصل بهم من دواوين وأجهزة إدارية. وعندها انفتحت أمام سكان الجزيرة العربية وقبائلها، فرص أخرى للهجرة والاستيطان في تلك المناطق الجديدة الأكثر غنى، التي أصبحت تحت سيطرتهم المباشرة، تدفقت الجماعات البشرية من الجزيرة العربية إليها حيث تملكوا الأراضي، ومارسوا الزراعة، وعملوا بالتجارة، فنمت العديد من القرى والأرياف بجوار المراكز الرئيسبة. وتُعدُّ هذه الحركة السكانية امتداداً للهجرات السابقة وأحد أكبر الهجرات في التاريخ العربي وأبعدها أثراً في التفريغ السكاني لوسط الجزيرة(١).

بعد انتقال مركز الخلافة إلى خارج الجزيرة العربية، بدءاً من الفترة الأموية وانتقال العاصمة إلى دمشق، ثم الفترة العباسية، واتخاذ بغداد عاصمة لها، دخلت القصيم في فترة غموض تأريخي، وتحديداً في القرن الرابع الهجري، ويغيب فيه تقريباً ذكر القصيم في المصادر حتى قيام الدولة السعودية الأولى في القرن الثاني عشر الهجري(٢). وبناء على هذا الواقع يبرز دور علم الآثار كمصدر رئيس لكشف تاريخ هذه المنطقة وتوضيح

---

(١) العلي، صالح أحمد، امتداد العرب في صدر الإسلام، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، ص ٣ وما بعدها. ل. ماسينيون، خطط البصرة وبغداد، ترجمة إبراهيم السامرائي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، ١٩٨١م، ص ٢٥ وما بعدها. بول، ستانلي لين، الدول الإسلامية، تحقيق بارتولد وخليل أدهم، ترجمة محمد صبحي فرزات، دمشق، مكتب الدراسات الإسلامية، جـ١، ص ص ٢٦ ـ ٢٩. ابن حوقل، أبي القاسم بن حقول النصيبي، صورة الأرض، بيروت، دار الحياة، ١٩٧٩م، ص: ٢٩. الجاسر، حمد، ابن عربي موطد الحكم الأموي في نجد، الرياض، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص: ١٦.

(٢) الشويعر، محمد بن سعد ـ نجد قبل ٢٥٠ سنة، ـ ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م ـ ص: ١٠. راجعالعبودي، بلاد القصيم، جـ١ ص ص ١٢١ ـ ١٢٢.

دورها. فالقصيم تزخر بكم كبير من المواقع الأثرية التي تعود إلى مختلف الحقب التاريخية. ويبقى علم الآثار الأداة التي يمكن ان تزيح ذلك الغموض، وتسلط الضوء على مواقع الاستقرار ومنجزات الإنسان الحضارية في المنطقة، وطرق التكيف البيئي فيها، ثم إبراز دور المنطقة في التاريخ الإقليمي.

استيطان السكان وحركة القبائل :

تتحدث بعض المصادر التاريخية عن القبائل القديمة وحركة السكان في منطقة القصيم. وهي مثلاً تذكر أن الآبار والعيون والبلدات والجبال في بعض نواحي القصيم تتبع لقبيلة عبس أو أسد أو كلاب أو خلافها من القبائل والعشائر في القصيم، فإنها تقصد بذلك ديار ومناطق نفوذ تلك القبائل في فترة ما قبل وفجر الإسلام بالجزيرة العربية، قبل أن تتحرك مع الفتوحات وتنفتح أمامها حدود الأقاليم. وكان للفتوحات الإسلامية واضطراب الأمن دور كبير في انتقال بعض المجموعات البشرية من مستوطناتها إلى الأمصار والعواصم الإسلامية الجديدة. واستمرت هذه الحركة السكانية خلال القرون الأولى للإسلام وما بعدها. وإذا كان لقبيلة أسد، أو عبس، أو كندة، أو بني كلاب نفوذ واسع في منطقة القصيم، فقد تقلّص ذكرها، وفي الوقت الحاضر لاوجود لتلك القبائل بأسمائها القديمة في المنطقة[1]، ولربما غيرت تلك القبائل مواطنها لبعض الوقت، ورحلت عن القصيم بعد انتشار الإسلام وإنشاء مدن

(١) العبودي بلاد القصيم جـ١، ص ١١٨. العلي، صالح أحمد، خطط البصرة ومناطقها، دراسة في أحوالها العمرانية، والمالية في العهود الإسلامية الاولى. مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ص. ص ٤٧ ـ ٤٩ وما بعدهما. ستانلي لين بول، الدول الإسلامية، ص٢٣٠. اليعقوبي، أحمد ابن أبي يعقوب. كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، ص ص ٩، ٧٤، ٧٥.

إسلامية جديدة. ولا يستبعد أن تكون مجموعات أخرى قد استوطنت في منطقة القصيم وملأت الفراغ السكاني الذي أحدثته تلك الهجرات، . أو ربما تكون قد اكتسبت أسماء جديدة، أو أنها قد تفرعت منها قبائل بأسماء أخرى. فقد استقر عدد من القبائل العربية خارج الجزيرة العربية في الفترة الجاهلية لأسباب أمنية، أو اقتصادية، أو سياسية بحثاً عن الزعامة والسيادة. ومثالاً لذلك قبيلة تغلب التي استقرت في الجزيرة من أرض العراق، وهي مثل قبائل ربيعة كانت تسكن في الأصل تهامة، ثم انتشرت في الحجاز، ونجد، والبحرين، فلما وقعت الحرب بينها وبين بكر بن وائل، زحفت نحو الشمال إلى أرض الجزيرة في العراق، وعرفت الأراضي الواقعة بالقرب من الموصل باسم (ديار ربيعة)، واستطاعت أن تؤدي دوراً أثناء الفتح الإسلامي وتؤسس لاحقاً دولة لها باسم الدولة الحمدانية، وأسهمت تغلب وقبائل إياد في فتح تكريت والموصل[1].

ومن القبائل القحطانية التي استقرت خارج الجزيرة الغساسنة الذين يعود نسبهم إلى الأزد بن الغوث، فأقاموا مملكة لهم بالشام وسكن الأزد الموصل وانضمت إليهم قبائل من الخزرج وحمير وبكر جاءت من أرض العراق وسكنت الجزيرة بعد ما تفككت مملكة حمير واستقرت هناك وأصبحت تسمى بديار بكر. كما نقل عثمان رضي الله عنه بعض الأزد وأسكنهم الموصل، كما نقل إليهم محمد بن مروان في العصر الأموي جماعات من الأزد وربيعة[2]. وعرفت الحيرة أنها منازل ملوك بني نصر، ولخم، وهم آل النعمان

---

(١) السلمان، عبدالماجود أحمد، الموصل في العهدين الراشدي والأموي، مطابع جامعة الموصل، ص، ص:٣٧ ـ ٤٣.

(٢) المرجع السابق، ص ص: ٣٧ ـ ٤٣.

ابن المنذر وأهل الحيرة كانوا يدينون بالنصرانية، ومنهم قبائل عربية كانت على دين النصرانية من بني تميم، ومن سُليم، ومن طيء[1]. وأسكن الخليفة عثمان ابن عفان رضي الله عنه بعضاً من قبيلة طيء بالعراق، كما أسكن قبيلة كندة وقبيلة عبدالقيس بالموصل، ومن عبدالقيس بنو شيبان وهؤلاء بطن متسع كثير الشعوب فقد سكنوا شرقي دجلة، كما أمر عثمان (رضي الله عنه) معاوية ابن أبي سفيان والي الشام والجزيرة أن يسكن العرب بمواضع نائية عن المدن، فأنزل بني تميم الرابية، وفي المازحين والمديبر أخلاط من قيس وبني أسد[2].

وفي الكوفة التي اختطت زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب سنة ١٤هـ ووصفها اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ) أنها دار هجرة المسلمين فاختطت كل قبيلة خطة لها، فجاءت قبيلة عبس إلى جانب المسجد، وعشائر منها تحولت إلى أقصى الكوفة، وجاءت طيء ناحية جبانة بشر، وجرير بن عبدالله البجلي وسائر بجيلة اختطوا قطيعة واسعة وأقطع الأشعث بن قيس الكندي وكندة من ناحية جهينة إلى بني أود وتفرقت همدان بالكوفة، وجاءت تميم، وبكر، وأسد فنزلوا الأطراف، وكان لكل قبيلة جبّانة تعرف بهم وبرؤسائهم مثل: جبانة عرزم، وجبّانة بشر، وجبّانة أزد، وجبّانة كندة[3].

أما حمص التي افتتحها صلحاً أبوعبيدة بن الجراح سنة ١٦هـ ففيها أقاليم، حماة أهلها بهراء ومعرة النعمان أهلها تنوخ، وصوران بها قوم من أياد، وتدمر وأهلها كلب، وشيزر وأهلها قوم من كندة، وهناك مدينة اللاذقية وأهلها قوم من اليمن من سليح وزبيد وهمدان ويحصب[4]. وكذلك الحال في

(١) راجع اليعقوبي، البلدان، ص: ٧٤.
(٢) راجع السلمان، عبدالماجود، الموصل، ص ص: ٣٧ ـ ٤٣.
(٣) راجع اليعقوبي، البلدان، ص. ص: ٧٢ ـ ٧٥.
(٤) المصدر السابق، ، ص: ٨٦

مدينة القيروان التي اختطها عقبة بن نافع الفهري سنة ستين هجرية في زمن الخليفة معاوية ابن أبي سفيان، وفيها أخلاط من الناس، من قريش، ومن سائر بطون العرب، من: مضر، وربيعة، وقحطان(١).

وكانت قبيلة أسد أقوى القبائل نفوذا في القصيم حيث سكنت المنطقة التي تقع فيها حاليا مدينة بريدة، «الخبوب»، والرس، والبكيرية. ويشاركها في تلك النواحي بنو عبس حيث كان نفوذهم في منطقة الضلفعة، وأبلق، وأثال القريبة من مدينة بريدة. ويمتد نفوذ قبيلة بني أسد إلى المناطق الشمالية والغربية لمنطقة القصيم مثل: الفوارة، ومدينة الرّس، ومنطقة ساق الجواء، وشمالاً حتى حدود منطقة حائل الحالية. وبنو عبس سكنوا منطقة الأبيض، وجبل قطن، وثادق، وبعض المناطق الجنوبية الغربية. وكانت هناك مناطق تداخل بين قبيلتي أسد وعبس كما يتضح من العرض السابق(٢).

أما تميم فكان تواجدها في شرق القصيم، في مناطق الجعلة، والنبقية، والروضة، والصريف، وكذلك في شمال القصيم في القوارة، وخف، وفي وسط القصيم، في ضارج، وعجلز، وقرب رامة وغرب الخبوب. وسكنت قبيلة باهلة أماكن محدودة في شرق حمى ضريّة، وإمرة، ودخنة،

---

(١) المصدر السابق، ص،ص: ١٠٤، ١٠٥. ولمزيد من المعلومات عن الاستيطان في مدينة القيروان الإسلامية في عصرها المبكر راجع: Abdullah Ali al- Zaidan The People of Qay-rawan: The Demographic and Social Campostion of The Population of A Maghribi City During The First 250 Years of its existence, on The Basis of Medieval Arabic Chronicles And Inscriptions Ph. D. Thesis, University of Leeds, , 2 Vols, 1978.

(٢) العبودي، بلاد القصيم، جـ١، ص ص: ١٣٢ - ١٣٣. راجع خريطة منازل أشهر القبائل القديمة في القصيم، العبودي، جـ١، ص: ١٣٤.

والمذنب. أما قريش فكان لها أماكن زراعية وحيوية مهمة بالقصيم مثل: النباج «الأسياح»، وضريّة، والفوارة، والقريتين، وعنيزة[1]. وسكنت قبائل مثل: غني، والضباب، وفزارة، وبني عامر في غرب وجنوب القصيم.

وقد تكون بعض الأماكن سكنًا لأكثر من قبيلة، مثل النباج، وضريّة، وعيون الجواء، وغيرها[2]. وهذا يعود إلى حركة القبائل وحيوية المنطقة وما تتمتع به من مرتكزات اقتصادية جيدة.

ولأن منطقة القصيم كغيرها من بعض مناطق الجزيرة العربية التي دخلت في الظلام التاريخي منذ انقضاء القرن الرابع الهجري، وحتى نهاية القرن

(١) العبودي، بلاد القصيم، جـ ١، ص ص ١٣٢ ـ ١٣٣. التيمي، معمر بن المثنى أيام العرب، جـ٢، وراجع القصيم: أصل الكلمة وحركة القبائل، من هذا الفصل. وعن ديار بني أسد ابن حوقل، صورة الأرض، ص ص: ٣٠، ٣١، ٤١. اليعقوبي، البلدان، ص: ١٦. راجع حروب خالد بن الوليد رضي الله عنه مع المرتدين من قبائل: أسد، وغطفان، وفزارة عند الواقدي في كتابه الردة، ص: ٨١ وما بعدها. وعن حروب الردة راجع البلاذري أبا الحسن، فتوح البلدان، مراجعة رضوان محمد الرضوان، بيروت، دار الكتاب العلمية، ١٤٠٣هـ، ص: ١٠٣ وما بعدها، وراجع السيف، محمد عبدالله الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص: ٢٢٠ وما بعدها.

(٢) فقد ذكر الأصفهاني تداخل سكن القبائل، فهو يذكر ان الناجية من بلاد بني أسد، وعرفة ساق، وعرفة القروين، والثلماء، والرس، عرفة صارة، وعرفة رقد، وعرفة اعياد. فجميع هذه العرف لبني أسد ـ والعرف أجارع وقفاف ـ وجبل ابان الأسود والدآث وهو وادي قرب الرس. لقبيلة عبس. فقد ذكر بعض أماكنها منها جبل قطن والمشهور الواقع غرب الرس ووادي جرير فذكر ان اسفله لبني عبس، وأعلاه لبني أسد، وجرير ينحدر من جبل التين شمال جبل قطن ماراً بلدة الفوارة ويصب في وادي الرمة قرب جبل النبهانية، ابان الأسود. وأيضا أسفل ثادق لعبس وأعلاه لأسد، وثادج، وجبل ابان الأبيض ـ يعرف حالياً ابان الأحمر ـ لعبس، وابان الأسود لبني أسد، واسافل الرمة تنتهي إلى القصيم، رمل لبني عبس وبلدة الفوارة والمقنعة وماء السلع والعقارة والثيلة في جبل قطن لبني عبس وذو فرقين وصحير وتياسان لبني عبس واسفله باتجاه وادي الجرير لبني أسد. وهذه المواقع تجدها في وسط وغرب القصيم، الأصفهاني، بلاد العرب، ص ص: ٣٦ ـ ٤٦، راجع خريطة القصيم الطبيعية، خريطة رقم ٤ وخريطة رقم ٢.

الحادي عشر الهجري، وهي فترة ٧٠٠ سنة، فإننا لا نستطيع رسم الصورة التأريخية الكاملة والدقيقة التي كانت عليها المنطقة، وعن حركة القبائل والسكان، وكيف غاب ذكر قبيلة أسد من المنطقة التي تعد من أكبر القبائل في صدر الإسلام في تلك الناحية، وإن كان أقرب الاحتمالات أن بعضًا منها رحل بعد انهزام القبائل في حروب الردة، والتحق بعضها بالفتوحات الإسلامية واستقرت في المناطق المفتوحة. ومن الجدير بالملاحظة أن هذه القبائل رغم رحيلها إلا أنها بقيت مرتبطة بجذورها ومواطنها الأصلية، إذ أن حالة الهجرة كثيراً ما كان يعقبها ارتداد وانكماش إلى مواطنها الأصلية بحسب الدوافع والأسباب التي أدت إلى الهجرة. ومنطقة القصيم لم تفرغ من سكانها تمامًا وإنما تفككت كياناتها القوية وضعفت السلطة المركزية القبلية فيها دون الإخلال الكبير في التواجد السكاني. وفي فترة لاحقة رحل جمع كبير بسبب ضعف الأمن بعد سيطرة دولتي الأخيضريين والقرامطة في شرق ووسط الجزيرة.

الحركة التجارية وعلاقتها بالاستيطان:

في الفترة التي سبقت الإسلام أدت الجزيرة العربية دورا مهماً في التجارة الإقليمية والدولية، وكانت السلع التي تأتي من القارة الهندية عن طريق البحر تفرغ، إما في رأس الخليج العربي وإما في موانئ البحر العربي، أو عند رأس البحر الأحمر، ثم تنقل بالقوافل عن طريق البر عبر الجزيرة العربية إلى بلاد الرافدين، والشام، والبحر الأبيض المتوسط. وعلى هذه الطرق البرية نمت عدد من المدن التجارية في الجزيرة العربية، إلى جانب ازدهار مدن أخرى مثل: العقبة، وتيماء، ودومة الجندل، ومكة، والجرهاء، والعقير، وعدن[1].

(١) راجع: جواد علي ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام جـ٧ ص ص: ٣٦٥ ـ ٣٧٥.
راجع دلو، برهان الدين، جزيرة العرب، جـ١، ص ص: ١٢٥، ١٢٦

وقد ازدهرت التجارة وأصبحت الجزيرة العربية على أثرها وسيطاً مهماً في التجارة الدولية بين الشرق والغرب. غير أن هذا الوضع أثار حفيظة وأطماع بعض القوى الدولية: اليونانية، والرومانية، ومن بعدهما البيزنطية، التي فكرت في السيطرة على هذه التجارة، فأقدم الرومان على القيام بحملة مباشرة عام ٢٥ق.م للسيطرة على ثروات اليمن وتحويل طرق التجارة إلى البحر الأحمر تفادياً للمرور بالجزيرة العربية، حتى تكون لهم سيطرة مباشرة على تلك التجارة والوصول إلى مصادر التجارة الشرقية، عندها بدأ الدور التجاري البري في الجزيرة العربية يتقلص، وبدأت ممالكها الجنوبية تعاني من هذا الوضع. وقد تزامن ذلك مع احتلال الحبشة لليمن، وانهيار سد مأرب، وبالتالي تضاءل دور موانئ جنوب الجزيرة في التجارة الدولية، غير أن انتقال التجارة عبر البحر الأحمر، أدى إلى انتعاش حركة التجارة على سواحلها. الشيء الذي هيأ ظروفاً أفضل لنمو حركة التجارة في الحجاز ومدن أخرى شمال الجزيرة، وبذلك ازدهرت أسواق محلية مثل: عكاظ، ومجنة، وذي المجاز، وسوق حجر في اليمامة، وسوق بني قينقاع، وأسواق دومة الجندل. وقد ساعد على ازدهار مدن الحجاز، كون مكة مركزاً دينياً يفد إليها الحجاج من مختلف المناطق، فكان ذلك عاملا مساندا في ازدهار التجارة. ومن أبرز المدن التجارية التي كشفت عنها الحفريات الأثرية قرية «الفاو» على حافة الربع الخالي[1].

---

(١) دلو- برهان الدين، جزيرة العرب- ج ١ ص ص: ١٢٨ - ١٣١ .وعن الاكتشافات الأثرية في قرية الفاو، راجع: عبدالرحمن الانصاري، قرية الفاو، الرياض، مطابع جامعة الملك سعود، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ وعن الأسواق، راجع الأزرقي، محمد بن عبدالله بن أحمد، أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار، بيروت، دار الأندلس، جـ٢، ص: ٢٠٦. راجع جواد علي، المفصل ج٧، ص ص ٣٦٥ - ٣٦٨. راجع الأصفهاني، بلاد العرب، ص:٣٢. السيف، عبدالله محمد، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص: ٩٩. =

أما في الفترة الإسلامية فقد تحولت حاضرة الخلافة الإسلامية من المدينة المنورة إلى الكوفة في عهد الخليفة علي بن أبي طالب، (رضي الله عنه)، ومن بعدها إلى دمشق مع بداية العهد الأموي. وسيطر المسلمون على رؤوس الطرق التجارية خارج الجزيرة العربية، وبذلك تقلص دور المراكز التجارية داخل الجزيرة تدريجياً، وبدأت تلك المراكز تفقد أهميتها التجارية والاقتصادية السابقة، كما فقدت من قبل أهميتها السياسية والإدارية بانتقال الثقل السياسي من المدينة المنورة إلى الشام والعراق.

ورافق هذا التحول بعض الهجرات السكانية وبخاصة من وسط الجزيرة العربية. وفقدت المنطقة بعضاً من أهميتها التجارية بسبب انتعاش التجارة ما بين العراق وشرق العالم الإسلامي وآسيا الوسطى.

وبالمقابل فإن الظروف البيئية في المناطق المجاورة للجزيرة العربية وبالأخص بلاد الشام وبلاد الرافدين كانت غنية بمواردها الاقتصادية. وقد أسهمت بشكل فعال في جذب عناصر بشرية من الجزيرة العربية إليها على امتداد عصور التاريخ، وخاصة خلال الفترات التي يغيب فيها الأمن ويشح فيها الرزق كالحالة التي تعرضت لها منطقة القصيم من نهاية القرن الثالث الهجري وحتى منتصف القرن السادس الهجري[1].

وقد ساعد وقوع البصرة على رأس الخليج العربي في نموها وتجارتها البحرية. فقد ظهرت آثار النشاط التجاري فيها منذ أوائل العصر الأموي،

= راجع أحمد، لبيدا إبراهيم، مكانة الخليج العربي التجارية ومصادرها. مجلة المؤرخ العربي، تصدرها الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، الرياض، ١٩٨٤، العدد ٢٤، ص ص: ٢١ ـ ٢٦.

(١) راجع الحالة الأمنية في فترتي القرامطة والأخيضريين، من هذا الفصل.

وشملت تجارتهم مع المحيط الهندي والمدن الواقعة في الأطراف الشرقية من الهضبة الإيرانية خشب الساج الذي يجلب من الهند، والعاج القادم من الهند وشرق إفريقيا، وكذلك الديباج والخز من إقليم الأحواز وغيرها. وقد اعتمدت تجارة البصرة على الازدهار الكبير الذي حدث في بغداد ورافقه انتعاش الطريق النهري الذي يسلك دجلة[١].

وكان لتوسع الفتوحات في الأقاليم المجاورة للبصرة مثل أواسط وجنوب الهضبة الإيرانية وخراسان دور في فتح الحدود وتوسع مجال التجارة وتبادل السلع. وقد انعكس هذا على نشاط الحركة التجارية وزيادة موارد الجبايات من تلك المناطق، حيث قدمت الجباية مردوداً جيداً للجنود المقاتلة من أهل البصرة، فتمت إعادة تنظيم الجباية وتوزيع العطاء، فأمنت للمقاتلة مورداً سنوياً.

شكلت جباية أراضي البصرة، والأقاليم المجاورة لها واحدة من أهم مدخولاتها المالية. حيث كانت الجباية وحتى العصر الأموي توزع على من استوطنها من مقاتلة العرب، وهذا ما أغرى المقاتلة من أهل نجد والحجاز، وبخاصة منطقة القصيم القريبة من البصرة، الاستيطان فيها، وهي الحركة السكانية التي نشطت نتيجة للفتوحات وحروب الردة. وأصبح كل مقاتل يمتلك دخلاً مالياً سنوياً يؤمن له عيشه[٢]. وتأتي إعادة تنظيم الجباية وتوزيعها على المقاتلة في البصرة بعد القضاء على حركات الردة في الجزيرة العربية والتي

---

(١) العلي، صالح، خطط البصرة، ص ص: ٣٥، ٣٦.

(٢) العلي، صالح، خطط البصرة، ص ص: ٣٦، ٢٤٦، ٢٥٢، كذلك الحال اكتسبت الشام نفس الأهمية من حيث جذب القبائل العربية إليها، ابن حوقل، صورة الأرض، ص: ٤٢ وعن الجباية راجع العلي، خطط البصرة، ص: ٢٢٤. وعبدالباقي، أحمد، معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، أيار، مايو ١٩٩١م، ص: ١٤٠.

شملت منطقة القصيم، وهذا ما دعا إلى إنشاء مراكز ومدن لتكون قاعدة للجيوش الإسلامية للقضاء على دولتي الفرس وبيزنطة، وكذلك السعي بعد حروب الردة إلى استقرار القبائل في معسكرات، وتجمعات حضارية، وكان لهذين العاملين، معسكرات المقاتلة واستقرار القبائل في مراكز حضارية[1]، دور في تماسك وتثبيت الدولة الإسلامية في الجزيرة العربية، كما نتج عن ذلك انتقال ورحيل عدد من عشائر وأفراد القبائل العربية من وسط الجزيرة العربية إلى تلك المناطق.

ولم يكن حظ جزيرة العرب في القرن الثاني الهجري أحسن منه في القرن الأول الهجري، إذ في الربع الأول من القرن الثاني انتقل مركز الخلافة إلى بغداد التي أصبحت المركز السياسي والإداري للدولة الإسلامية، ومن الطبيعي أن تجذب إليها الحركة التجارية من أرجاء العالم الإسلامي، وكان لموقع بغداد الجغرافي دوره في فتح طرق بحرية، حيث كانت السفن تتجه من البحر الأحمر، وبحر العرب، والخليج العربي إلى بلاد الرافدين، وفتح ذلك طرقا بحرية لم تكن بذات أهمية في الفترات السابقة[2]، فأدى هذا بدوره إلى تقليص أهمية تجارة القوافل عبر الطرق البرية في الجزيرة العربية. وفقدت الجزيرة العربية دورها كوسيط في حركة التجارة الإقليمية. وازدادت بالتالي عزلتها خصوصاً وأن الدولة الإسلامية قد شهدت انتشاراً واسعاً في الفترة العباسية وسيطرت على نهايات طرق القوافل البيزنطية والساسانية مما أوجد البدائل الأكثر أمناً.

---

(١) العلي، صالح، الامتداد العربي، ص: ٢٦. راجع صالح العلي، خطط البصرة، ص ص: ٥ ـ ٧.

(٢) راجع لومبارد، موريس، الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة عبدالرحمن حميدة، دمشق، دار الفكر، ص ص: ٣٠، ٣١. راجع النقيب، خلدون، المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية، بيروت، ط:١٩٨٧م، ص ص: ٣٢، ٤٦.

وتواصل انحسار دور الجزيرة العربية بالنسبة للتجارة الدولية وبخاصة أواسط الجزيرة العربية في هذه الفترة وبقي لها الدور الديني بحكم المدينتين المقدستين مكة والمدينة، اللتين ظلتا مركزاً لجذب الحجاج.

غير أن لهذا الوضع دورا إيجابياً يكمن في حقيقة أن تجارة محلية قد نشأت ولازمت رحلات الحجيج، بعد أن دخلت في لواء الإسلام بلاد العراق وفارس وبلاد ما وراء النهر - شرق العالم الإسلامي - فأصبحت هناك محطات على طرق الحج تزود الحجاج بحاجياتهم، ونشأت شبكة جديدة من الطرق، وحركة اقتصادية محلية حيث كان السكان المحليون يتبادلون تجارتهم مع الحجاج، والبعض يجلب إلى هذه المراكز ماشيته لبيعها إلى الحجيج وبالمقابل فإن الحجيج يبيعون مامعهم من سلع تجارية لتغطية نفقات سفرهم[١]، غير أن هذه الحركة بقيت في إطارها المحلي والموسمي، وخارج إطار التجارة الدولية والإقليمية التي كانت تؤديها المنطقة في ماضيها. أما الأجزاء الداخلية من إقليم نجد فقد ازدادت عزلتها من الناحية التجارية والاتصال الإقليمي بحكم موقعها الداخلي، وبعدها عن السواحل في الخليج العربي والبحر الأحمر، غير أن الأجزاء الشمالية من نجد استمرت تؤدي دورها بسبب طرق الحج التي تمر عبرها مثل طريق الحج الكوفي.

الحالة السياسية في وسط الجزيرة:

شهدت الفترة العباسية الثانية[٢]- التي تبدأ بنهاية خلافة (الواثق) الذي

(١) لومبارد، موريس، الجغرافيا التاريخية، ص: ٣٢.

(٢) مرت الخلافة العباسية بمراحل سياسية مختلفة: الفترة الأولى وتمثلها سيطرة الخلفاء الأقوياء، وقد سيطروا على جميع العالم الإسلامي ما عدا بلاد الأندلس، الفترة الثانية تبدأ بخلافة المتوكل سنة ٢٣٢هـ وفيه تفككت الخلافة العباسية شيئاً فشيئا، وضعفت، واستقل عدد من الدويلات الواقعة في الأطراف وأصبحت سيادة العباسيين مقتصرة على العراق وفارس والأحواز. الفترة الثالثة تبدأ =

توفي عام ٢٣٢هـ ضعفاً وتفككاً في المركز السياسي والإداري للدولة، ومن بعدها في فترة انفصال الدويلات عن هيكل الدولة العباسية، وانتقال وتوزع الثقل السياسي إلى عدة مدن وأقاليم إسلامية أخرى، بدءاً بانفصال الأندلس وتأسيس دولة أموية هناك سنة ١٣٨هـ، ثم توالي حركات الانفصال عن الدولة العباسية مثل: دولة الأدارسة في المغرب الأقصى سنة ١٧٢هـ، تأسيس مدينة فاس، وفي سنة ١٨٤هـ أسس الأغالبة في إفريقية (تونس) دولتهم، وقامت دولة بني طولون سنة ٢٦٤هـ كسلطة سياسية مستقلة في مصر وسورية، وفي سنة ٣٢٣هـ أعلن الإخشيديون عن قيام دولتهم في مصر وسورية وخلفهم الفاطميون حيث سيطروا سنة ٢٩٧هـ على تونس والمغرب الأقصى، وسنة ٣٥٨هـ سيطروا على مصر، وفي سنة ٣٨١هـ ألحقت دمشق وحلب والحجاز بحكم الفاطميين، وفي سنة ٥٦٩هـ سيطر الأيوبيون على مصر مستقلين بدولتهم، وسيطروا على دمشق، وحلب، والموصل، والقدس. كما سيطر المرابطون والموحدون على الشمال الإفريقي والأندلس منذ منتصف القرن الخامس[1]. ونتيجة لهذه الأحداث نشأت حواضر إسلامية، وازدهرت طرق حج وتجارة أخرى غير التي كانت سائدة مثل طريق الحج المصري الشامي- البعيد عن منطقة القصيم- . وجذبت هذه الحواضر إليها الحركة التجارية، وبالمقابل لم تنجح الجزيرة العربية في خلق مركز سياسي في هذه الفترة يعيد

= سيطرة بني بويه على بغداد سنة ٣٣٤هـ - ٤٤٧هـ حيث أصبح الخليفة العباسي لا يملك أي سلطة من سياسية سوى اسم الخلافة، وسيطرة السلاجقة ٤٤٧هـ - ٥٩٠هـ بعد ذلك على الخلافة، واستمر حال الخلافة العباسية ضعيفاً حتى سقطت بغداد ٦٥٦هـ على أيدي المغول، والتتار. راجع الشيخ محمد الخضري بك، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة العباسية، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ص ٤٨٤ - ٤٨٥.

(١) بول ستانلي لين ، الدول الإسلامية، راجع قيام الدويلات،، جـ١، ص ص: ٣٥ – ٣٨.

إليها دورها السابق وبخاصة إقليم نجد الذي بقي بعيداً عن مجرى الأحداث السياسية والتجارية الإقليمية.

على الرغم من أن شبه الجزيرة العربية قد عرفت كيانات سياسية محدودة النطاق الجغرافي والسياسي مثل دولة القرامطة في المنطقة الشرقية[١]، ودولة بني الأخيضر في اليمامة ـ الخضرمة ـ فقد ذكر الهمداني أن الخضرمة «جو الخضارم مدينة وقرى وسوق فيها بنو الأخيضر بن يوسف وهي دار بني عدي ابن حنيفة...»[٢] عرفت أيضاً مدناً ومراكز عديدة، تتجمع حول كل منها قبيلة أو أكثر، أو عشائر متحالفة، إلا أن تلك المدن فشلت في صهر الجماعات العربية في بوتقة اجتماعية واحدة، كما لم تنجح أي من تلك المدن في بسط نفوذها على المدن المجاورة مثل ما حدث في الكثير من مناطق العالم، لتخلق نواة لسلطة مركزية حتى على مستوى الإقليم الواحد[٣].

فالحياة السياسية في وسط الجزيرة العربية في القرون الإسلامية الأولى تكاد تكون مماثلة في تنظيمها على ما كانت عليه في الزمن الجاهلي، أي أن لكل قبيلة شيخاً أو أميراً يقوم على إدارة تجمع قرى ومناطق رعوية، ويشكلون حكماً ذاتياً يرتبطون من خلاله بالدائرة السياسية الأكبر، التي تمثلها الخلافة في دمشق، أو بغداد، أو أي قوى أخرى تسيطر على منطقة الحجاز، كما ان بعض

---

(١) الاصطخري، ابراهيم بن محمد، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبدالعال الحيني، القاهرة، وزارة الثقافة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م، ص: ٢٣ زكار، سهيل، أخبار القرامطة، الرياض: دار الكوثر، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م، ص: ١٤٦ ومابعدها.

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص: ٢٨٢. راجع الأندلسي، محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم جمهرة أنساب العرب.بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٤٦.

(٣) عن تأسيس المدن راجع فاليري : غولايف ـ المدن الأولى ترجمة طارق معصراني، موسكو، دار التقدم، ١٩٨٩م. ص: ٤٣ وما بعدها، ص: ١٦٠ ومابعدها.

القرى الداخلية في نجد تدار من قبل أمرائها ومشائخها الذين يعترف أهلها بحكمهم. ويُنظر إلى الفراغ السياسي الذي أحدثه انتقال مركز الخلافة من المدينة المنورة إلى الأقاليم المجاورة: (العراق، والشام، ومصر)، وظلم الولاة إلى أنه دافع وسبب لنشوء حركات انفصال وقيام حكومات داخل الجزيرة، بعد أن فقدت المنطقة نفوذها السياسي والتجاري إبان الخلافة الراشدة، وفيما بعد سيطرت العناصر غير العربية: (الفارسية، والتركية) على مقاليد السياسة في بغداد ودفعت ببعض من الزعامات التقليدية العربية إلى العودة داخل الجزيرة العربية، وبالتالي سعت تلك الزعامات إلى تأسيس دويلات لها، لاستعادة نفوذها السابق. فالأمويون استطاعوا أن يؤدوا دوراً سياسياً وأسسوا الدولة الأموية، وكذلك الحال مع العباسيين الذين أسسوا الدولة العباسية، أما العلويون والذين يشعرون أن لهم حقاً في السلطة فقد عاشوا على الهامش السياسي[1] كما عاشت منطقتا نجد واليمامة على الوضع نفسه. فالحركات الانفصالية التي تقوم في الحجاز تعالجها الحكومة المركزية بسرعة عاجلة وتجهز عليها مثلما حدث مع حركة عبدالله بن الزبير رضي الله عنه حفاظاً على المدينتين المقدستين مكة والمدينة، وحفاظاً على الرمز الديني الذي تستمد منه الخلافة قوتها، أما الحركات التي قامت في إقليم اليمامة وما جاوره، فقدر لها أن تعيش وقتاً أطول، وإن شكلت خطراً على الحكومة المركزية، إلا أنها بقيت في محيطها الهامشي.

---

(١) عن الدولة الاخيضرية راجع الشبل، عبدالله بن يوسف، من تاريخ اليمامة - الدولة الأخيضرية -، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ٦، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م، ص ص:٤٥٩ - ٤٦٦.

راجع الشبل، عبدالله، مجلة العرب، «الأخيضريون في اليمامة»، جـ ١، ٢ س، ١٤ رجب وشعبان، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ص ص: ١٠٢، ١٠٨. انظر خميس، عبدالله بن محمد بن خميس، تاريخ اليمامة - =

ومن هذا المنظور يمكننا أن نرى قيام الدولة الأخيضرية في اليمامة وسط الجزيرة ودولة القرامطة في شرق الجزيرة ودويلات أخرى لها تأثير على اليمامة ونجد مثل العيونية، والعصفورية، والجبرية، من بني عقيل وبني ثعلب. وتلك الدول لم تحظ باهتمام تاريخي، وإنما جاءت أخبارها متفرقة، لبعدها عن العاصمة السياسية ولقلة تأثيرها على محور الخلافة في بغداد.

وينظر إلى أحداث القرن الثالث للهجرة في وسط الجزيرة العربية، التي تمثّلت في ثورات القبائل وتمردها وقطعها للطريق وسلب ونهب طرق الحج والتجارة، على أنها امتداد لحركات الانفصال التي تعرضت لها الخلافة العباسية.

الأخيضريون :

قامت دولة الأخيضريين التي تنسب لـ«محمد»[1] بن يوسف بن إبراهيم

= مغاني الديار ومالها من أخبار وآثار - الرياض، مطابع الفرزدق، جـ٣، ١٤٠٧/١٩٨٧م، ص ص: ٢٤٦ - ٢٥٥. وراجع ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون، بيروت، مؤسسة جمال، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، المجلد ٤، ص ص: ٩٨ - ٩٩. وراجع أيضاً A.S. Al - Ghazzi, Acomparative Study of Pottery from a Site in the al - Kharj, Valley Central, Arabia, Unpublished Ph. D. Thesis, Institute of Archaeology, University College, University of London, 1990, Part 1, pp. 46 - 48.

الوشمي، صالح بن سليمان الناصر، ولاية اليمامة، دراسة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض، ١٤١٢هـ، ص ص:١٧١-١٧٤.

ستانلي لين بول، الدول الإسلامية، ص: ٢٢٧. خسرو، ناصر، سفر نامة - رحلة ناصر خسرو - نقلها إلى العربية د.يحيى الخشاب، بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٨٣م، ط٣، ص ص: ١٤١ - ١٤٢. الزيلعي، أحمد عمر، أضواء جديدة على تاريخ الأسرة الموسوية من خلال ثلاثة نقوش كوفية من موقع السرين الأثري جنوب مكة المكرمة، العصور، لندن، دار المريخ ١٩٩١ - ١٤١١هـ، المجلد ٦، الجزء الأول، ص ص: ١٦٩ - ١٨٩.

(١) محمد بن يوسف بن إبراهيم بن عبدالله بن موسى - الجون - بن عبدالله بن الحسن بن الحسن =

ابن عبدالله» الذي يعود بنسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب والمعروف بالأخيضر، في اليمامة إثر فشل حركتهم العلوية في المدينة ومكة عام ٢٥٢هـ واتخذوا الخضرمة عاصمة لملكهم. وبنوالأخيضر علويون وهم إحدى الفرق الشيعية على مذهب الزيدية التي حكمت في اليمامة ولها صلة عقائدية بزيدية اليمن وكلهم ينضمون إلى الدعوة الفاطمية الإسماعيلية(١).

ورغم الصراع القبلي في ذلك الجزء من المنطقة إلا أن الأخيضريين استطاعوا أن يؤسسوا دولة ابتداءً من عام ٢٥٣هـ، وذكرت بعض المصادر أنها ظهرت عام ٢٣٨هـ واستمرت حتى منتصف القرن الخامس الهجري، وجعلوا عاصمتهم (الخضرمة) وسط منطقة الخرج الحالية، ونشروا مذهب الزيدية في نجد ويذكر ناصر خسرو الذي مر باليمامة في القرن الخامس الهجري: « . . . وباليمامة حصن كبير قديم. والمدينة والسوق . . . وأمراؤها علويون منذ القديم ولم ينتزع أحد هذه الولاية منهم إذ ليس بجوارهم سلطان أو ملك قاهر، وهؤلاء العلويون ذوو شوكة، فلديهم ثلاثمائة أو أربعمائة فارس، ومذهبهم الزيدية(٢)انتهى. وامتد نفوذهم إلى الأقاليم الأخرى باتجاه الشمال، بما في ذلك منطقة القصيم. وتذكر بعض الروايات أنهم حكموا الكوفة وأن حصن الأخيضر الواقع في الصحراء العراقية قرب كربلاء ينسب

= ابن علي بن أبي طالب، المعروف باسم الأخيضر، وهو مؤسس الدولة الاخيضرية في اليمامة بعد أن هزمتهم جيوش الدولة العباسية في مكة عام ٢٥٢هـ ويذكر ابن حوقل ان دخول محمد بن يوسف الأخيضر إلى اليمامة كان في سنة ٢٣٨هـ. صورة الأرض، ص: ٥٨ راجع الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص : ٢٨٢.

(١) عن الدولة الاخيضرية راجع الشبل، عبدالله، الدولة الأخيضرية، ص ص: ٤٦١ ـ ٤٦٣. خميس، عبدالله بن محمد بن خميس، تاريخ اليمامة ـ معاني الديار ومالها من أخبار وآثار، الرياض، مطابع الفرزدق، جـ٣، ص : ٢٥٠. الشبل عبدالله، مجلة العرب، الاخيضريون في اليمامة، جـ١، ٢س، ١٤، ص ص: ١٠٢ ـ ١٠٨. راجع الوشمي، صالح، ولاية اليمامة، ص: ١٧١هـ. وراجع ستانلي بول، الدول الإسلامية، ص: ٢٢٧.

(٢) الشبل، عبدالله، الدولة الأخيضرية، ص : ٤٦٢.

إلى الدولة الأخيضرية، وأن القرامطة كونوا للدولة الأخيضرية مظلة وحماية مكنتها من مد نفوذها إلى الكوفة[1].

إلا أن سياسة الدولة الأخيضرية انتهجت أسلوب التعسف والظلم، وهذا بدوره حدّ من سيطرتها وانتشارها، ودفع سكان وقبائل هذه المنطقة إلى الهجرة إلى افريقيا والعراق هرباً من ظلم الأخيضريين. فيذكر ابن حوقل عند حديثه عن اليمامة: «أما اليمامة فواد، والمدينة به تسمى الخضرمة . . . وكانت قراراً لربيعة ومضر، فلما نزل علَيها بنو الأخيضر جلت العرب منها إلى جزيرة مصر، فسكنوا بين النيل وبحر القلزم وقرّت ربيعة ومضر هناك، وصارت لهم ولتميم كالدار التي لم يزالوا بها».

وفي موضع آخر يذكر: «وصادف ذلك دخول محمد بن يوسف الحسني الأخيضر اليمامة، وانقشاع أهلها من جوره إلى أرض مصر والمعدن في آلاف كثيرة، فغلبوا على من كان بها من أهل الحجاز لسنتهم وفورهم، وتكامل بالعلاقي قبائل ربيعة ومضر، وهم جميع أهل اليمامة في سنة ثمان وثلاثين ومائتين»[2]. وأشار إلى أنه زمن المتوكل الخليفة العباسي.

وذكر ياقوت عن قران: «ملهم وقران قريتان باليمامة لبني سحيم بن مرة ابن الدؤل بن حنيفة . . . وقال ابن سيرين في تاريخه: وفيها، يعني في سنة ٣١٠هـ، انتقل أهل قران من اليمامة إلى البصرة لحيف لحقهم من ابن الأخيضر في مقاسماتهم وجدب أرضهم»[3].

---

(١) خسرو، ناصر، سفر نامة، ص ص: ١٤١ ـ ١٤٢. وراجع الشبل، عبدالله، الدولة الأخيضرية، ص ص: ٤٥٩ ـ ٤٦٦، فضلاً راجع هامش ١ ص : ٦٧. من هذا الفصل.

(٢) ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل النصيبي «صورة الأرض». ص ص: ٣٨ ـ ٥٨. خميس، عبدالله، تاريخ اليمامة، جـ ٣، ص: ٢٥٠.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٤ ص: ٣١٩.

وعلى الرغم من سيطرة القرامطة في تلك الفترة التاريخية على أجزاء كبيرة من الجزيرة العربية حتى وصلت اليمن والعراق والشام وتزامن الدولتين القرمطية والأخيضرية بداية من منتصف القرن الثالث الهجري تقريباً، إلا أن القرامطة لم يسيطروا على منطقة نفوذ الدولة الأخيضرية، وقد علل الدكتور عبدالله الشبل ذلك بأن القرامطة والأخيضريين يلتقيان في المذهب العقائدي، ويتوافقان في الأهداف السياسية الموجهة ضد الدولة العباسية[1]، بالإضافة إلى استفادة القرامطة من موقع الأخيضريين كخط دفاعي ضد أي هجوم عباسي محتمل من جهة الحجاز على القرامطة المتمركزين في شرق الجزيرة العربية. وكذلك استفاد العباسيون من وجود الأخيضريين في اليمامة لقمع ثورات القبائل العربية في وسط الجزيرة من جهة، وتحجيم دولة القرامطة من جهة أخرى كي لا تبسط نفوذها على كامل الجزيرة العربية ويصبح خطرها أشد.

ويبقى تاريخ نهاية الدولة الأخيضرية غامضاً، فهناك عدة آراء، الرأي الأول يقول: إن سلطة الأخيضريين على اليمامة انتهت في منتصف القرن الرابع، أي عام ٣٥٠هـ تقريباً عندما اجتاح القرامطة اليمامة، وسحقوا جيش

---

(١) الشبل، عبدالله، الدولة الاخيضرية، ص: ٤٦٦. راجع الشبل، عبدالله. مجلة العرب، جـ١، ٢ س، ١٣٩٩ص: ١٠٥. عن دخول القرامطة إلى اليمن وسيطرتهم على صنعاء راجعكتاب أنباء الزمن في أخبار اليمن من سنة ٢٨٠ إلى سنة ٣٢٢ هجرية، صححه ووضع حواشيه محمد عبدالله ماضي، مكتبة الثقافة الدينية، ص ص: ٤٤ ـ ٦٤. وعن القرامطة في العراق والشام، راجع ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المجلد ٤، ص ص: ٨٨ ومابعدها، ص: ٣٠٩، راجع آل ملا، عبدالرحمن ابن عثمان، تاريخ هجر، جـ٢، الاحساء، مطابع الجواد، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، القرامطة والعباسيون، ص ص: ٥٢٩ ـ ٥٥١. آل عبدالقار، محمد بن عبدالمحسن آل عبدالقادر الانصاري الاحسائي، تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد، علق عليه حمد الجاسر، الاحساء، مكتبة الاحساء الأهلية، ط٢، ١٤٠٢خـ ـ ١٩٨٢م، القسم الأول والثاني، ص ص: ٨٤ ـ ٩٦.

بني الأخيضر في معركة مدمّرة وقعت بالقرب من الخضرمة بالخرج حيث قتلوا عدداً من أمراء بني الأخيضر، وسيطروا عليها بالإضافة إلى مناطق واسعة من الجزيرة العربية، والرأي الثاني يقول: إن حكم الأخيضريين في اليمامة استمر إلى منتصف القرن الخامس الهجري، في حالة توافق سياسي ومذهبي مع القرامطة، والرأي الثالث يقول: إن الأخيضريين مروا بفترة ضعف سياسي من أثر هجمات القرامطة، وأنهم دخلوا في حكم القرامطة وطلبوا أن يكونوا أمراء اليمامة من قبل القرامطة، واستعادوا قوتهم السياسية بعد أن انهزمت دولة القرامطة في القرن الخامس الهجري، واستقل بعد ذلك الأخيضريون[1]، أي أن سلطتهم تجاوزت منتصف القرن الخامس.

القرامطة :

أما القرامطة الذين سيطروا على شرق الجزيرة العربية فقد امتد نفوذهم إلى اليمامة وهاجموا قوافل الحجيج، وأخلوا بأمن طرق الحج لفترة من الزمن، حتى بلغوا مكة سنة ٣١٧هـ ٩٢٩م أيام موسم الحج وقتلوا الحجيج واقتلعوا الحجر الأسود. وقد كان لقبيلتي عُقيل وكلاب من قبائل عامر ابن صعصعة دور كبير في مساعدة الحركة القرمطية سنة ٢٨١هـ/ ٩٨٤م في منطقة هجر[2] الأحساء حالياً، وكان لقبيلة عامر بن صعصعة دور نشط في غرب وجنوب القصيم في الفترة التي سبقت الإسلام.

ولقد ساعد في القضاء على ثورة الزنج وتصفيتها يحيى بن علي الطمامي وأبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي، وهما من دعاة القرامطة، لنشر حركة

(١) الشبل، عبدالله. الدولة الأخيضرية، ص ص : ٤٦٣ – ٤٦٦، راجع الشبل، مجلة العرب، ص ص : ١٠٢ – ١٠٨.

(٢) راجع زكار، أخبار القرامطة ص ص: ١١٥، ١٤٧، ١٤٨، ١٥١. راجع القصيم، أصل الكلمة، والقبائل والتجارة وحركة السكان من هذا الفصل.

القرامطة داخل تلك القبائل ومنطقة هجر خاصة حتى استولى أبو سعيد الجنابي على بلدة الأحساء واتخذها قاعدة له. وقد حاولت الدولة العباسية ودفعت جيوشها للقضاء على القرامطة في الأحساء لكنها فشلت. ونشط القرامطة من جديد عندما سيطر أبو طاهر سليمان على السلطة سنة ٣٠٥هـ وكان محور عملياتهم العسكرية طريق القوافل وقرى نجد، وأصبحت قوافل الحجاج أحد أهدافها الرئيسة على طريق الحج البصري والكوفي، وذلك لإضعاف الدولة العباسية عسكرياً وسياسياً، كما قامت اتصالات وثيقة بين القرامطة والفاطميين[١]، ونتيجة لسياسة السلب والنهب والتنسيق بين الدولة الفاطمية والقرمطية والأخيضرية هاجرت أعداد كبيرة من القبائل العربية من وسط الجزيرة وشرقها إلى الأقاليم المجاورة خارج الجزيرة، وبخاصة قبيلة عامر ابن صعصعة التي استوطنت في العراق والشام.

ومع اتساع عملياتهم، أخذ القرامطة بإغراء القبائل للوقوف إلى جانبهم، وبالمقابل مارس العباسيون الأسلوب نفسه مع القبائل لشراء ولائهم، كما فكر بعض زعماء القبائل بالجزيرة العربية للعمل لمصلحته الشخصية دون الارتباط بالقرامطة أو العباسيين. وفي عام ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م توصل القرامطة والدولة العباسية إلى اتفاق يلتزم بموجبه القرامطة بعدم قطع الطريق ومهاجمة قوافل الحج والتجارة ويلتزم الخليفة العباسي بالاعتراف بإمارة القرامطة على البلاد التي يحكمونها والمتمثلة بهجر والبحرين، أي شرق الجزيرة العربية بالإضافة إلى أجزاء من وسطها، مع دفع مبالغ مالية كبيرة لهم[٢].

---

(١) زكار، أخبار القرامطة، ص ص: ١٥٤، ١٥٥. الظاهري، أبو عبدالرحمن بن عقيل، أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء، الرياض القسم الأول، دار اليمامة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص: ١٢٢ وما بعدها.

(٢) زكار، أخبار القرامطة، ص ص: ١٥٤ - ١٥٥.

وفي هذه الفترة (سنة ٣٣٢هـ/ ٩٤٤م) بدأت حركة القرامطة تأخذ شكل الدولة، وقبلت بحدودها الطبيعية هجر والبحرين. وبقيت اليمامة تحت نفوذ الأخيضريين والزعامات العربية من قيس عيلان، وهذا كان على حساب هيبتها بين القبائل وانتشارها حتى حدود العراق، وكان استيلاء الفاطميين على مصر وبناء القاهرة ذا تأثير سيئ على القرامطة، حيث أصبح الفاطميون يهددون مصالح القرامطة، من خلال الإتاوة التي يتلقونها من الدولة العباسية مقابل عدم التعرض لقوافل الحج والتجارة المارة بالجزيرة العربية، على الرغم من أن الفاطميين دفعوا إتاوة للقرامطة في سنة ٣٦٦هـ وبذلك تضاءل حجم دولة القرامطة حتى قضى عليهم السلاجقة بدءاً من الغارات السلجوقية على الأحساء التي كان يسيرها السلاجقة عبر بني ثعلب، حيث استولى الأصغر ابن أبي الحسن الثعلبي سنة ٣٩٨هـ على الأحساء وقضى نهائياً على سلطة القرامطة في شرق الجزيرة العربية. واستمرت المنازعات في المنطقة بين القبائل الثلاث وهي: بنو ثعلب ـ الذين قضوا على القرامطة ـ وبنو عقيل وبنو سليم، وتمكن بنو ثعلب من طرد بني سليم من المنطقة إلى مصر، وتمكنوا فيما بعد من طرد بني عقيل إلى العراق، ليكوّن بنو عقيل دولة لهم بإقليم الجزيرة من أرض العراق. ومد بنو ثعلب نفوذهم إلى أجزاء من الجزيرة والموصل وديار بكر حتى ضعفت دولتهم ليعود بنو عقيل مرة أخرى بعد أن هزمتهم جيوش السلاجقة فيسيطروا من جديد على شرق الجزيرة ويقيموا الدولة العقيلية في منتصف القرن السابع الهجري حوالي ٦٥٠هـ ويقضوا على سيطرة بني ثعلب.

العقيليــون :

أما دولة العصفوريين في اليمامة (٦٣٦هـ ـ ٨٢٠هـ) (١٢٣٨م ـ ١٤١٧م) والتي تنتسب إلى عصفور بن راشد العامري العقيلي ويعود بنسبه إلى عقيل ابن

كعب بن عامر بن صعصعة القبيلة التي كانت تستوطن في الفترة الجاهلية في غرب القصيم. فقد سيطر على الأحساء سنة ٦٣٦ بعد صراع استمر طويلاً ما بين بني عامر والدولة العيونية في الأحساء، حتى تمكنت دولة العصفوريين ـ المتحالفة مع القرامطة ـ من السيطرة على الأحساء والقطيف واليمامة وعمان في منتصف القرن السابع الهجري، ثم استولى على ملكهم دولة الجبور (الأجوديون)، حيث انتقلت عشائر من بني عقيل إلى العراق.

بنو أجود (الجبور) :

تنسب هذه الدولة (٨٢٠هـ ـ ٩٦٣هـ) إلى أجود بن زامل العقيلي ابن جبير، ويطلق عليهم الجبرية وبنو جبر النجدي الأصل المالكي المذهب، وهي من بني عقيل بن عامر بن صعصعة، وشمل حكمها البحرين وعمان ونجد، وقد أحيا أحد ولاتها سيف بن زامل مذهب أهل السنة. وكان لدولة الجبور نفوذ وسلطة في المنطقة، وكان رئيس نجد وله إلمام ببعض فروع مذهب مالك واعتناء بتحصيل كتبهم وأقام الجمعة والجماعات، وأكثر من الحج واستقر بقضائهم بعض أهل السنة بعد أن كانوا شيعة[1].

دويلات أسستها قبائل من الجزيرة :

الدويلات التي أسستها القبائل العربية خارج الجزيرة العربية مثل: بني حمدان، وبني مرداس، وبني عقيل، وبني مزيد ساهمت في جذب عدد من

(١) آل عبدالقادر، محمد بن عبدالله، تحفة المستفيد، ص ص: ١٢٠، ٦١٧. آل ملا، عبدالرحمن ابن عثمان، تاريخ هجر، جـ٢، ص ص: ٥٦٧ ـ ٥٦٨، وعن إمارة آل عصفور وآل جبر انظر آل ملا، عبدالرحمن، جـ٢ ص ص: ٦٠٥ ـ ٦٢٥. زكار، أخبار القرامطة، ص ص: ١٥٥ ـ ١٥٧. وعن الدولة العقيلية وبني أجود، راجع ابن خميس، تاريخ اليمامة، جـ٣، ص ص: ٢٤٧ ـ ٢٦٤. وعن دويلات بني عقيل راجع الظاهري، أبوعبدالرحمن بن عقيل، أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء، ص: ١٢٢ وما بعدها.

القبائل من وسط الجزيرة العربية، وقادت إلى هجرات أخرى جديدة إلى أراض قامت فيها دويلات مستقلة عن الدولة العباسية، عندما هاجرت تلك القبائل من موطنها الأصلي بالجزيرة العربية إلى سوريا والجزيرة من أرض العراق، وألفت قوة سياسية خارجة عن سيطرة الدولة العباسية التي كانت ضعيفة في القرن الرابع الهجري، وقد استطاعت بعض الأسر مدعومة بقبائلها القوية أن تستولي على المدن والأقاليم، مثل قبيلة تغلب التي أقامت دولة الحمدانيين في حلب والموصل ٣١٧ـ٣٩٤هـ/ ٩٢٩ـ١٠٠٣م. وكان حكم الحمدانيين يتجاوز الموصل إلى ماحولها من ديار ربيعة وديار مضر ومركزها الرقة ثم صار النفوذ للعبيديين على الشام والجزيرة، حتى سيطر على المنطقة صالح بن مرداس[١].

أما بنو مرداس الذين حكموا في حلب ٤١٤ـ٤٧٢هـ-١٠٢٣ـ١٠٧٩م فهم ينتمون إلى قبيلة بني كلاب العربية التي كانت تسكن وسط القصيم. وقد أثار صالح بن مرداس الأعراب المقيمين قرب حلب على ابن لؤلؤ من مماليك الحمدانيين وبالتحالف مع سنان بن عليان الكلبي وكذلك زعيم قبيلة طيء ضد الفاطميين سيطروا على الشام وفلسطين وحلب. وكانت حلب من نصيب صالح بن مرداس، فأسس دولة بني مرداس التي استمرت حتى زمن سابق ابن مرداس حين قضى عليها مسلم بن قريش العقيلي، المتمركز في الرقة[٢].

وبنو عقيل خارج الجزيرة ٣٨٦ـ٤٨٩هـ/ ٩٩٧ـ١٠٩٦م، قبيلة كبيرة

---

(١) راجع ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون، المجلد ٤، ص ص: ٢٢٧ ـ ٢٥٤. بول، ستانلي لين، الدولة الإسلامية، ص ص: ٢٣٠ ـ ٢٣٥. راجع جبور، جبرائيل سليمان، البدو والبادية، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٨م، ص ص: ٣٧٩ ـ ٣٨٠.

(٢) راجع بول، ستانلي لين، الدولة الإسلامية ص ص: ٢٣٦ ـ ٢٣٨. وراجع جبور، جبرائيل سليمان، البدو والبادية، ص: ٣٨٠.

جداً وهي أحد الفروع الخمسة من بني كعب المنسوبة لقبائل بني مضر في بلاد العرب، فلما أسلم بنو عقيل انتشرت قبائلهم في سوريا والعراق وحتى شمال إفريقيا والأندلس. وفي بداية الخلافة العباسية كانت العراق مليئة بالعقيليين، وسكن أحد فروع قبائلهم وهم المنتفق حول البصرة. وكان بنو خفاجة من بني عقيل حتى سنة ٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م أدلاء للقوافل التي تمر بصحراء العراق، ويحتمل أن يكون فرع بني عقيل الذي حكم الموصل يعود إلى هؤلاء، وكان بنو عقيل الذين حكموا أجزاء من العراق وشمال سوريا في القرن الرابع الهجري يدفعون الخراج للحمدانيين، حيث كان بنو عقيل وبنو كلاب وبنو نمير وبنو خفاجة وكلهم من عامر بن صعصعة وبنو طيء من كهلان قد انتشروا ما بين الجزيرة والشام في عدوة الفرات وكانوا كالرعايا لبني حمدان يؤدون إليهم الإتاوات. وبعد أن انهارت الدولة الحمدانية تمتع العقيليون بالاستقلال. وكان أبو الدرداء محمد بن المسيب أمير بني عقيل قد سيطر سنة ٣٨٠هـ على مدينتي نصيبين وبلدا اللتين كان يسيطر عليهما الحمدانيون وضمهما إلى الموصل والسيادة العقيلية، وكذلك سيطروا على: الكوفة، والقصر. وقد توسع حكم العقيليين في زمن مسلم ابن قريش في حوالي ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م، حيث شملت سلطتهم: بغداد، وحلب، وبعد ذلك ضعفت الدولة العقيلية حتى قضى عليها السلاجقة سنة ٤٨٩هـ/ ١٠٩٦م. وهناك من بني عقيل فروع ورؤساء حكموا في مختلف المدن الصغيرة في سوريا والعراق، ولما فقدوا سيطرتهم السياسية في تلك البلاد عادوا إلى مواطنهم الأصلية في وسط الجزيرة العربية وشرقها[1].

---

(١) راجع ابن خلدون، تاريخ بن خلدون، المجلد ٤، ص ص: ٢٥٤ ـ ٢٧١. راجع بول، ستانلي لين، الدولة الإسلامية، ص ص: ٢٣٩ ـ ٢٤٣.

أما بنو عقيل داخل الجزيرة العربية، فقد كان ظهورهم في البحرين في أواخر القرن الثالث الهجري. وآخر دويلاتهم دولة آل أجود الجبرية العقيلية - سبق الحديث عنها - ، وآخر ملوكهم منيع بن سالم، فقد لجأ إلى العراق في نهاية القرن العاشر الهجري، وكان العقيليون يحكمون الأحساء ونجد، وكان بنو عقيل هم أهل الخفارة على البراري في عهد الدولة العيونية وورثوا الملك بعد العيونيين على البحرين ونجد. وأولى الأسر العقيلية الحاكمة، بنو عصفور، واستمرت دولتهم إلى نهاية القرن العاشر الهجري[1].

وحكم بنو مزيد من سنة ٤٠٣ وحتى سنة ٥٤٥هـ/ ١٠١٢ - ١١٥٠م وهم من قبيلة بني أسد، التي كانت تعد من أقوى القبائل في القصيم. رحلوا من الجزيرة العربية وسكنوا الجزيرة من أرض العراق وانتشروا في صحراء القادسية في الطرف الأيسر من الشط، وكانت من عشائرهم بنو دبيس الذين كانوا يسيطرون على الجزيرة الدبيسية والتي سيطر عليها فيما بعد بنو مزيد. وبداية حكمهم تتمثل بانشقاق مزيد أبي الحسن علي من بني مزيد عن الدولة البويهية سنة ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م، وتأسيسه دولة بني مزيد التي اتخذت مدينة جامعان سنة ٤٩٥هـ عاصمة لها، وخلفه ابنه نورالدين دبيس بن مزيد، ثم توسع حكمهم فضموا: هيت، وواسط، والبصرة. وقد اعترف الخليفة المقتدي بالله بإمارة بني مزيد، وكان ذلك زمن سيف الدولة صدقة الأول، الذي كان يحمل لقب ملك العرب، ووصف بأنه أعظم الحكام، وبعد أن قتله السلاجقة، تولى ولده دبيس الثاني سنة ٥٠١هـ ودخل في حروب طويلة مع

---

(١) راجع الظاهري، أبوعبدالرحمن بن عقيل، مسائل من تاريخ الجزيرة العربية، الرياض، دار الأصالة، ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ص: ٢١٣ - ٢١٩. وعن بني عقيل والعقيلات راجع، إبراهيم، عبدالعزيز عبدالغني، نجديون وراء الحدود «العقيلات»، دار الساقية، ١٩٩١م.

السلاجقة، وآخر حكام بني مزيد هو علي بن دبيس المتوفى سنة ٥٤٥هـ/ ١١٥٠م وانتهت بذلك دولتهم. وتذكر بعض الروايات التاريخية أن الخليفة العباسي المستنجد بالله أمر بإبادة قبائل بني أسد الموجودة بكثافة في العراق فقتل منهم سنة ٥٥٨هـ/ ١١٦٢م أربعة آلاف رجل فاضطر الباقون إلى النزوح(١).

الاستيطان في القصيم بعد القرن الثالث الهجري:

وفي القرن الثالث الهجري أدت الظروف السياسية السائدة دوراً رئيساً في تقليص جاذبية المنطقة للمستوطن، ولذا لم يكن هناك ما يغري المجموعات البشرية في المناطق المجاورة لكي تهاجر إليها. كما لم تمكن الظروف السياسية المنطقة من بلورة كيان قوي يطمع في ضم المناطق الغنية في مواردها، ولذا استمر اتصالها بالعالم الخارجي عبر طرق الحج والتجارة التي تمر بأراضيها. إضافة إلى أن المجتمعات البشرية في وسط الجزيرة العربية لم تستطع أن تطور النسيج الاجتماعي والاقتصادي والسياسي فيما بينها. كما أنها لم تتعرض لخطر خارجي يدفعها إلى التكتل السياسي(٢).

وربما عانت منطقة القصيم بحكم موقعها المتوسط والداخلي في الجزيرة العربية أكثر من غيرها من هذا الوضع. حيث انغلقت على نفسها لبعض الوقت مما جعلها مكتفية ذاتياً بمصادرها المحلية. فمن ناحية، نجد أن نشاطات

---

(١) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المجلد ٤، ص ص: ٢٧٦ ـ ٢٩٣. بول، ستانلي لين، الدولة الإسلامية، ص ص: ٢٤٦ ـ ٢٤٩.

(٢) العلي، صالح، الامتداد العربي في صدر الإسلام ص: ٣ وما بعدها راجع ج.هـ. ستيفنسن، زراعة الواحة في وسط وشرق شبه الجزيرة العربية، ترجمة زين الدين عبدالمقصود، نشرة دورية يصدرها قسم الجغرافيا بجامعة الكويت، الكويت، المطبعة العصرية، كانون ثاني/ يناير ١٩٧٩م، صفر ١٣٩٩هـ، ص: ١١.

بني الأخيضر قطعت حركة الطرق التجارية القادمة من جنوب الجزيرة، ولم تساعد على ازدهار نشاطها. وقد روى لنا ناصر خسرو في القرن الخامس الهجري، الحالة السيئة سواء اقتصادياً، أو أمنياً لمنطقة الأفلاج والتي تعد بوابة من البوابات الرئيسة للحركة التجارية البرية عبر الجزيرة العربية. ومن الناحية الأخرى، نلاحظ ان منطقة القصيم أصبحت أقل أمناً مما كانت عليه بسبب اتخاذ وسط الجزيرة من قبل القرامطة مسرحاً لغاراتهم الموجهة لسلب قوافل الحجيج، أو لتأديب القبائل العربية التي تبدي ميلاً نحو مناصرة أطراف أخرى أو استياء من الحكم القرمطي. وعليه فإن الاستيطان ومواقعه في المنطقة قد أخذ بالضمور حيث بدأت بعض التجمعات في الهجرة بحثاً عن أماكن أخرى أكثر أمناً وعدلاً. وتفيد الأبحاث الأثرية المنجزة أن هناك وفرة في المواقع الإسلامية التي تعود في تاريخها إلى ما بين القرنين الأول والرابع الهجريين، وكمثال على ذلك ما كشفت عنه أعمال إدارة الآثار والمتاحف السعودية؛ وبخاصة موسم عام ١٩٧٨م والذي شمل من وادي الدواسر حتى مدينة الرياض، والذي أنبأ عن وجود عشرات المواقع وفي جميع المناطق التي شملها المسح[١].

ومهما يكن من أمر، فإن ظهور حركات التمرد التي قادها نجدة بن عامر الحنفي في اليمامة على الدولة الأموية، وعبدالله بن الزبير في الحجاز، والثورات الأخرى في الجزيرة العربية وظلم الولاة، وسيطرة القرامطة والأخيضريين وأيضاً نظرة الدولتين الأموية والعباسية إلى القيادات بالجزيرة ومناصبتها العداء التقليدي لها أدى إلى عزل وسط الجزيرة العربية، بما في ذلك

(١) خسرو، ناصر، سفر نامة، بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ط٣، ص ص: ١٣٩ - ١٤١. عن المواقع الأثرية راجع زارينس، بوريس وأخرون، التقرير المبدئي لمسح المنطقة الوسطى، ١٣٩٨هـ ١٩٨٧م، أطلال العدد الثالث، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

منطقة القصيم، وجعلها تعيش بمعزل عن مركز القرار السياسي في بغداد في ظل غياب قيادات سياسية محلية تهيئ لها الاستقرار السياسي والحضاري. وبذلك حرمت المنطقة من الاستقرار والنمو اللذين يمكنانها من الازدهار الحضاري، على غرار المناطق الإسلامية الأخرى، بالإضافة إلى أن الشح البيئي النسبي في منطقة القصيم ضمن عوامل أخرى قد أدى إلى عدم ازدهار مدن كبيرة ذات مرتكزات اقتصادية دائمة، أو مراكز سياسية. واقتصرت المنطقة على بلدات كبيرة وواحات لمجتمعات زراعية، ومحطات لطرق الحج والتجارة.

وكما لمسنا سابقاً أن هجرة السكان من القصيم ووسط الجزيرة كانت بسبب الاضطرابات الأمنية زمن القرامطة والأخيضريين والخلافات المذهبية والأوضاع الاقتصادية المتقلبة. فإننا نلمس المؤشر ذاته الذي كان سبباً في الهجرة والبحث عن الأمن، وفي عودة السكان والزعامات القيادية سواء تلك التي تنتمي إلى قبائل، أو عشائر، أو عوائل وتستمد منها نفوذها، أو تلك القيادات التي استطاعت أن تكون لنفسها نفوذاً، فإنها سعت إلى تأسيس سلطة داخل قرى أواسط الجزيرة والتي سبق أن رحلت عنها. فبعد أن سقطت بغداد العاصمة العباسية على يد المغول في منتصف القرن السابع الهجري (سنة ٦٥٦هـ)، وبسبب ظلم وفساد الجيوش التتارية الغازية، لجأت القيادات والسكان في بغداد ومحيطها إلى الهجرة إلى مدن أكثر أمناً، وبالتالي اضطرت القيادات والتجمعات البشرية التي استوطنت العراق بسبب الثورات، والظروف البيئية الصعبة وظلم القرامطة، والأخيضريين ذوي التوجه الشيعي وقيام دولة مثل الدولة الجبورية التي نشرت مذهب أهل السنة، إلى العودة نحو مواطنها الأصلية في وسط الجزيرة لتعيد بناء القرى الزراعية وتؤسس لها

إمارات بعيداً عن الصراعات في العراق والشام، ابتداءً من أواخر القرن السابع الهجري، حتى تشكلت هذه الإمارات والبلدات فيما بعد وأخذت شكلها في منتصف القرن الثامن وبداية القرن التاسع الهجري.

ويبدو أن منطقة القصيم قد بقيت منطقة طرد وجذب للمجموعات السكانية، بحسب الأحوال السياسية والاقتصادية والأمنية المتقلبة، وللتأثيرات المذهبية من دويلات شرق الجزيرة. ففي حالة اختلال الأمن في حواضر الخلافة العباسية مثلاً، أو إقليم اليمامة والبحرين، يصبح القصيم مع باقي أجزاء الجزيرة الملاذ الآمن الذي تحتمي به المجموعات الهاربة من مناطق الصراع أو الكوارث.

وإذا لم تتمكن منطقة القصيم من احتضان وإنشاء مدن كبيرة مثل حواضر العالم الإسلامي مثل: بغداد والقاهرة والقيروان، أو مدن مثل: البصرة والكوفة بسبب ظروف القصيم السياسية والاقتصادية والبيئية، فإنها عرفت نوعاً من أنماط الاستيطان الذي يتمثل في واحات وقرى زراعية متجاورة ومتجانسة وبلدات كبيرة تشكل قاعدة للقرى الزراعية، عاشت على اقتصادها الريفي المعتمد على إنتاجها الزراعي وطرق الحج والتجارة التي تمر بأراضيها. وهذا النوع من النمط الاستيطاني الذي عرفته وعاشته المنطقة في فترات تاريخية مبكرة هو النمط الاستيطاني السائد في الفترة الحالية مع تغير بالشكل والحجم نتيجة التحولات الاقتصادية الحديثة. فالبلدات التي كانت في السابق قاعدة للقرى والواحات كبرت وأصبحت مدناً ومحافظات حديثة مثل: بريدة، وعنيزة، والرس، وعين بن فهيد، وضرية، وعيون الجواء، والنقرة، واستمرت في أداء دورها كقاعدة للقرى الزراعية المتجاورة. (اللوحة رقم ٢).

الفصل الثاني

طرق القوافل والتجارة.

التجارة في الشرق الأدنى القديم.

طرق القوافل في الجزيرة العربية.

الطرق في العهد الإسلامي.

المواقع الأثرية على الطريق فى منطقة القصيم/الطريق البصري.

أولاً: المواقع الأثرية على طريق الحج البصري.

أ ـ المنازل عند البلدانيين ب ـ المنازل عند الكتاب المتأخرين.

ثانياً: المواقع الأثرية على الطريق المباشر من البصرة إلى المدينة.

ثالثا: منازل طريق الحج من الكوفة إلى مكة.

رابعاً: المواقع الأثرية على الطريق الفرعي.

المواقع الأثرية على طريق الحج البصري عند البلدانيين والمتأخرين.

الفصل الثاني

طرق القوافل والتجارة

تعد التجارة من أقدم النشاطات الحضارية التي مارسها الإنسان منذ أقدم العصور، حيث اقتضت حاجة الإنسان إلى تبادل الفائض عن حاجته الذاتية مع الآخرين من أفراد مجتمعه، ثم مع المجتمعات الأخرى المجاورة. وقد نتج عن ذلك نشأة الأسواق الأولى في المجتمعات البسيطة، ثم دفعت بعملية الاتصال بين المجتمعات. وتطورت الطرق التي تربط بين المناطق، ثم ما لبثت أن ساعدت كذلك على استئناس الإنسان للحيوان، خاصة تلك الحيوانات التي لا تستعمل لأغراض الغذاء وحده، مثل: الثيران، الحمير، البغال، والجمال، لنقل السلع والمنتوجات بين المناطق.

وفي المناطق التي شهدت وجود سبل اتصال طبيعية كالأنهار، استعمل الإنسان تلك المرافق، وطوّر وسائل عبور بدائية تنقله على امتداد تلك الأنهار وعبرها.

ولم يقتصر التبادل التجاري على السلع الطبيعية مثل المواد الخام، من حجارة، وصدف والمنتوجات الزراعية والحيوانية فحسب؛ بل شمل سلعاً قام الإنسان بتصنيعها لخدمة أغراض معينة مثل الفخار، والخزف، وخلافه.

كذلك فإن السلع المتبادلة لم تقف فقط عند حاجة الإنسان المباشرة؛ بل تعدتها إلى حاجة الحيوان المستأنس ومتطلبات الزراعة والعمارة وغيرها.

وتوسعت شبكة التبادل هذه، فبدلاً من التبادل المباشر بين مجموعتين، أصبحت هناك مجموعات تقوم بدور الوسيط بين مجموعات متباعدة تنقل السلع والمنتوجات بينها. ثم توسعت هذه الممارسة لتخرج عن النطاق الجغرافي، وتذهب إلى ما وراء حدوده لتصل إلى مجتمعات بعيدة تعيش ظروفاً بيئية مختلفة وتنتج سلعاً طبيعية أو صناعية لا تستطيع المناطق الأخرى إنتاجها[١].

وهناك من الأدلة المادية الآثارية ما يؤكد حقيقة التبادل منذ العصور الحجرية. فمنذ العصر الحجري القديم الأسفل، حين كان الإنسان صائداً للحيوان، وجامعاً للنبات وقبل أن يعرف الاستئناس والزراعة، عُثر في الكثير من المواقع على أنواع من المواد الخام الحجرية لاتتوافر في المناطق القريبة من المواقع؛ بل لابد من جلبها من مسافات بعيدة ولا يكون منطقيا افتراض أن الإنسان يسير مسافات طويلة كلما اقتضت الحاجة إلى تلك المناطق لجلب هذه المواد؛ بل لابد أن تكون هناك شبكة من التبادل، قد نظمت حياة تلك المجتمعات حتى منذ تلك الفترات المبكرة. غير أن هناك عوامل وشروطاً لابد من توافر الحد الأدنى منها على الأقل، قبل أن يتمكن الإنسان من ممارسة حرفة التجارة:

---

(١) عباس محمد علي، محاضرات مادة الاستيطان المدني، جامعة الملك سعود، (لم تنشر) عن الأنماط الاستيطانية راجع: حجارة، إسماعيل أنماط الاستيطان البشري في عصور ماقبل التاريخ، العصور، المجلد الخامس، الجزء الأول، يناير ١٩٩٠م جمادى الآخرة، ١٤١٠هـ، لندن، دار المريخ، ص.ص٧-٥٢. راجع ويلن، نورمان.م، ود.افيديين، أوائل البشر في شبه الجزيرة العربية، مجلة الثقافة العالمية، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ٥٩، السنة ٩، يوليو ١٩٩٣م / محرم ١٤١٤هـ، ص ص:١٣، ١٤. مزيد من المعلومات راجع: شهاب، حسن صالح، «اسطورة هيبالوس والملاحة في المحيط الهندي»، نشرة دورية يصدرها قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت، ذو الحجة ١٤٠٧هـ/أغسطس ١٩٨٧م، ص : ١١ وما بعدها.

١ ـ لابد من وجود وفرة في سلعة أو سلع ما، تفي بحاجة المجتمع وتفيض عن حاجته للحد الذي لا يظهر معه بوضوح اختلال الموازنة في ذات المنطقة، بين عطائها البيئي في تلك السلع والاستهلاك المحلي. وهذا يعني وجود وفرة تزيد على حاجة المجتمع وإمكانات التخزين فيه.

٢ ـ لابد من توافر الحاجة لتلك السلع في المجتمعات الأخرى، إذ أن انعدام الحاجة يبطل بالطبع ويهمش ضرورة نقلها وتبادلها مع تلك المجتمعات.

٣ ـ توفر إمكانية نقل السلع إما بوساطة الإنسان نفسه، إن كانت المناطق في حيز جغرافي واحد، يمكن للإنسان أن يحمل السلع والسير بها إلى المناطق الوسط بين تلك المجموعات، أو توافر حيوانات مستأنسة تنقل عليها تلك السلع.

٤ ـ وجود طرق آمنة بين المجتمعات والمستوطنات يطرقها الإنسان وهو آمن على نفسه وبضاعته.

٥ ـ وجود نقاط استراحة على هذه الطرق تتوافر فيها المياه، والغذاء، للإنسان والحيوان؛ إذ أن حمل الماء والغذاء الخاص بالإنسان والحيوان، والكافي للرحلة يؤثر سلباً على حجم السلع والبضائع المتاجر فيها[١].

التجارة في الشرق الأدنى القديم :

شكلت التجارة وتبادل السلع ظاهرة وسمت حضارات الشرق الأدنى، ففي العصر الحجري الحديث نشطت تجارة الزجاج البركاني الذي يتوافر طبيعياً

---

(١) راجع : عباس محمد علي، محاضرات مادة الاستيطان المدني (لم تنشر) Gowlett, J., Ascent to Civilization, London, p.14. راجع : الدباغ ، تقي الوطن العربي في العصور الحجرية ص : ٥٤-٦١، مزيد من المعلومات راجع إسماعيل حجارة، العصور، أنماط الاستيطان ص:٧-٥٢.

في الأناضول،[١] وينعدم في مناطق الشرق الأدنى الأخرى. ولما يتميز به الزجاج البركاني من خواص، انتشر استعماله في تصنيع الأدوات في وسط مجتمعات الشرق.

ومع ظهور المدنيات القديمة في وادي الرافدين ووادي النيل، وسيطرة الدولة على مناطق واسعة، ووجود إدارة قوية ازدهرت التجارة بين مناطق الشرق الأدنى من ناحية، وبين الشرق الأدنى ومناطق ما وراء حدوده من ناحية أخرى. فتبادلت مجتمعات الشرق الأدنى فيما بينها سلعاً، مثل: منتجات الأشجار في اليمن، والاستفادة من لحائها، وأوراقها، وثمارها، وأصماغها، وأصبح الطلب على هذه المنتجات يوازي الطلب على الذهب، وبعض هذه المنتجات يدخل في صناعة الأدوية، والعقاقير، والعطور، ومراسم الطقوس الدينية في المعابد، أو الجنائزية عند الدفن[٢]. ثم وصلت تجارتهم إلى شبه القارة الهندية وكان منها التوابل والدارسين، ونقلت القوافل العربية التمور والعنب والأدم والقرفة والذهب والأحجار الكريمة إلى وسط وشرق إفريقيا، كما تحكي رحلات التجارة في عهد الملكة الفرعونية حتشبسوت (أواسط الألف الثانية ق. م)[٣].

وقد استعمل هؤلاء طرقا برية وبحرية، فعلى الطرق البرية استعملوا الحمير والبغال، والخيول، والأبقار، كما استعملوا القوارب، والمراكب في

---

(١) Mellaart, J. The Neolithic of The Near East, London, 1981.

(٢) الهاشمي، رضا جواد، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بغداد، الكويت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص.ص. ١٦ ـ ١٧. البدر، سليمان سعدون، مكان الخليج في حضارة الشرق الأدنى القديم، يصدرها قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت، ديسمبر ١٩٨٠م، محرم ١٤٠١هـ، ص ١٣ وما بعدها. راجع برهان الدين دلو، جزيرة العرب، ص ص: ١٢٥ ـ ١٢٧.

(٣) فضلاً راجع الهاشمي، رضا جواد، تجارة القوافل، ص: ١٧ ـ ١٨

الرحلات المائية. غير أن صحارى وفلوات الشرق الأدنى كانت في حاجة أيضاً إلى وسيلة ذات مقدرات خاصة على تحمل السير لمسافات طويلة على الرمال، وتحمل العطش مع حمل قدر كبير من السلع ما أمكن. وقد وجد أهل الشرق الأدنى ضالتهم في الجمل الذي لديه مقدرات خاصة في تحمل أعباء السير لمسافات طويلة في الصحارى القاحلة. وهناك ما يشير إلى أن الجمل كان مستأنساً في مطلع الألف الثاني ق.م.[1] ويعتقد أن دوره في النقل، والتجارة، والترحال في الجزيرة العربية. كان مع بداية الألف الأول ق.م،[2] وذلك حين ازدهرت تجارة الجزيرة العربية، ونستنتج ذلك من تردد ذكر العرب في المصادر الآشورية وظهور الممالك العربية الجنوبية، نتيجة لذلك نمت شبكة من الطرق بين حواضر جنوب الجزيرة العربية (سبأ-حمير.. الخ) وشمالها (تدمر-البتراء... الخ) عبر مناطق الوسط (كندة واليمامة وغيرهما) فازدهرت الحضارة العربية السابقة للإسلام[3].

كان للموقع الجغرافي الاستراتيجي للشرق الأدنى، والجزيرة العربية كوسيط بين مناطق العالم القديم من ناحية، وكمنطقة تلاصق بحار ومحيطات، تشقها أنهار، أثر مباشر في الدور الذي قدمته هذه المنطقة في التجارة المحلية والدولية. فمنتوجات شبه القارة الهندية مرت عبرها في طريقها إلى حوض المتوسط وشمال إفريقيا وشرقها، وكذلك في المقابل انتقلت منتجات تلك المناطق عبر الشرق الأدنى والجزيرة العربية إلى أواسط آسيا.

(١) الهاشمي، رضا جواد، تجارة القوافل ودورها الحضاري، ص ص: ١٠، ١١. جواد علي، المفصل، جـ٧، ص ص: ٣٢٠، ٣٢١.

(٢) المرجع السابق، ص: ١٠.

(٣) المرجع السابق، ص ص: ١٠، ١٢. راجع محمد محمدين، وحسن أحمد، الأقاليم الجافة، ص ص: ٩٩-١٠٣.راجع دلو، برهان الدين، جزيرة العرب، ص ص : ٨٦ - ٨٨.

طرق القوافل في الجزيرة العربية :

بدأت تجارة الجزيرة العربية تأخذ مكانها في تجارة المنطقة والتجارة العالمية، بمنتصف الألف الأول ق.م، بعد ظهور الدولة الفارسية الاخمينية، وسقوط بابل عام ٥٣٩ق.م، ومن بعده احتلال الفرس لمصر، وصراعهم مع اليونان. نشطت طرق التجارة عبر الجزيرة العربية بعيدة عن مراكز الصراع في الشمال، ونقلت هذه التجارة سلعاً جنوبية وجنوبية شرقية مثل اللبان والبخور والتوابل وغيرها إلى مناطق الشمال، كما جلبت سلعاً شمالية إلى الجنوب. وفي الوقت ذاته فإن بعض المنتجات المحلية صاحبت هذه التجارة العالمية مثل: التمور لتباع داخل مناطق الجزيرة العربية وخارجها[(١)].

ومن أهم الطرق التي شهدتها الفترة السابقة للإسلام الطريق بين جنوب الجزيرة وبلاد الشام، الذي يربط جنوب الجزيرة العربية وسواحلها بشرق البحر الأبيض المتوسط. وبعد تجمعه في مدينة مأرب يسير باتجاه نجران حيث يتفرع إلى فرعين أحدهما شرقي يمر بقرية الفاو، ومنها شمالاً إلى الأفلاج، والخرج، ثم إلى الخليج. والآخر فرع غربي يسير بمحاذاة السلاسل الجبلية إلى الحجاز حيث يمر بمكة المكرمة، والمدينة، ثم العلا (ديدان)، والحجر (مدائن صالح)، ثم البتراء ومنها يتفرع إلى الشام، وغزة، ومصر. كما ينطلق طريق فرعي من هذا الطريق مارا بتيماء ودومة الجندل وينتهي في وادي الرافدين[(٢)].

وفي الفترة الإسلامية، ظلت بعض الطرق التي كانت مستخدمة في فترة ما قبل الإسلام مستعملة أيضًا. وكما يتوقع فإن انتقال الحواضر ومراكز الثقل

---

(١) راجع الهاشمي، رضا جواد ؛ تجارة القوافل؛ ص : ١٥.

(٢) الأنصاري ؛ قرية الفاو ص : ١٦ ؛ وراجع خريطة طرق التجارة في كتاب الفاو وراجع :جواد علي؛ لمفصل ؛ج ٧؛ طرق الجاهليين ،ص :٣٢٢ ومابعدها .

الإداري والسياسي من مكان إلى آخر لابد وأن ينعكس بدوره على تشكيل شبكة الطرق وأهميتها. وتجدر الإشارة إلى أن بعض هذه الطرق والمسالك استعملت أيضاً كدروب للجيوش والسرايا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلافة الراشدة، والتي انطلقت من الحجاز فقصدت وادي الرافدين، وبلاد الشام، ومصر، وشمال إفريقيا وأواسط آسيا وخلافها. وسنعرض بشيء من التفصيل للطرق في الفترة الإسلامية[1].

الطرق في العهد الإسلامي:

تنقسم هذه الطرق إلى طرق خارجية تربط الجزيرة العربية بأقاليم من خارج الجزيرة. وطرق داخلية تربط بين أجزاء الجزيرة، غير أن بعض الطرق الخارجية قد استعملت كطرق داخلية تربط بين منازل ومدن الجزيرة الداخلية، وهذا عرض لأشهر هذه الطرق. (الخريطة رقم ٥).

الطرق الخارجية :

الطريق من البصرة إلى مكة والمدينة: يربط هذا الطريق مابين البصرة بالعراق، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، ويتفرع الطريق عند النباج حيث يستمر الطريق الرئيس إلى مكة، في حين يتجه طريق آخر إلى المدينة المنورة، ومنازل الطريق من البصرة إلى المنجشانية ٨ أميال وإلى الربو ١٢ ميلاً وإلى الحفير ٨ أميال، وإلى الرحيل ٢٨ ميلاً، وإلى الشجي ٢٩ ميلاً، وإلى الخرجاء ٣٣ ميلاً، وإلى الحفر ٢٧ ميلاً، وإلى ماوية ٣٢ ميلاً، وإلى العشر ٢٩ ميلاً،

---

(١) جواد علي، تاريخ العرب، جـ ٧، ص ٣٢١.
التيمي، أيام العرب، ص ٣٧٨، ٣٧٩، ٤٠١، بخصوص مسالك اليمامة عبر الدهناء، راجع، عبدالله ابن محمد بن خميس، الدهناء، في: محاضرات وبحوث، ٣، الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ص.ص ١٨١ ـ ١٩٣.

وإلى الينسوعة ٢٣ ميلاً، وإلى السمينة ٢٩ ميلاً، وإلى النباج ٢٣ ميلاً، وإلى الصريف ١٠ أميال، ومن النباج إلى العوسجة ١٩ ميلاً، وإلى الفريش ٢٢ ميلاً، وإلى راما ٢٤ ميلاً، وإلى امّرة ٢٧ ميلاً، وإلى طخفة ٢٦ ميلاً، وإلى ضرية ١٨ ميلاً، وإلى جديلة ٣٢ ميلاً، وإلى فلجة ٣٥ ميلاً، وإلى الدثينة ٢٦ ميلاً، وإلى قبا ٢٧ ميلاً، وإلى الشبيكة ٢٧ ميلاً، وإلى وجرة ٤٠ ميلاً، وإلى ذات عرق ٢٧ ميلاً، وإلى البستان ٢٤ ميلاً، وإلى مكة ٢٨ ميلاً. وأما المنازل: النباج، الصريف العوسجة، القريتين، رامة، إمرة، طخفة، ضرية، فجميعها داخل منطقة القصيم. أما الفرع الذي يؤدي إلى المدينة فإنه يمر بمنازل منها: قوا، أثال، الناجية، الفوارة، وعند النقرة يلتقي الطريقان: البصري، والكوفي ليستمر عبر طريق الكوفة حتى يصل مكة(١) (الخريطة رقم ٦).

الطريق من البصرة إلى اليمامة: يربط هذا الطريق البصرة في العراق باليمامة في أواسط الجزيرة العربية، ويبدأ من البصرة ويمر بعدد من المنازل منها كاظمة،

(١) الحربي، المناسك، ص ص: ٥٧٥، ٦٠٣. راجع أرجوزة الجهضمي عند الحربي في كتابه المناسك، ص ص: ٦٢٢، ٦٣٨. ابن رستة، أبي علي أحمد بن عمر، الاعلاق النفيسة، ليدن، مطبعة بريل، ١٨٩٣م، ص ص: ١٨٠ ـ ١٨١. ابن خرداذبة، لأبي القاسم عبيد الله بن عبدالله، المسالك والممالك، وضع مقدمته محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، ص ص: ١٢٥، ١٢٦. الواقدي، محمد بن عمر، ص ص: ٢٢٢، ٢٢٣. أبوالفرج، قدامة بن جعفر البغدادي، نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة، ملحق في كتاب المسالك والممالك لأبي القاسم عبيدالله بن عبدالله بن خرداذبة، ليدن، مطبعة بريل، ١٨٨٩م، ص: ١٩٠. الهجري، أبوعلي، أبحاثه في تحديد المواضع، تحقيق حمد الجاسر، الرياض، دار اليمامة، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م، ص ص: ٣٢٣، ٣٢٤. المقدسي، محمد بن أحمد ـ المعروف بالبشاري، وضع مقدمته محمد مخزوم، بيروت، دار التراث العربي، ص: ١٠٠. البكري، أبو عبيد، الممالك والمسالك، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م، ص ص: ٣٢٣، ٣٢٤. المقدسي، محمد بن أحمد ـ المعروف بالبشاري، وضع مقدمته محمد مخزوم، بيروت، دار التراث العربي، ص: ١٠٠. البكري، أبو عبيد، الممالك والمسالك، تحقيق عبدالله يوسف الغنيم، الكويت، ذات السلاسل، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م، ص ص: ٥١، ٥٤. الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن محمد الحسني، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م، جـ١، ص: ١٦٠. وقد ذكر هذه المنازل على طريق اليمامة ـ مكة. ذكر ابن حوقل أن الطريق من البصرة إلى المدينة ١٨ مرحلة، صورة الأرض، ص: ٤٦.

والقرعا، وطخفة، والصمان، ويمر بمنازل أخرى حتى يصل إلى اليمامة. وجميعها خارج منطقة القصيم. ويذكر الحربي أن الطريق من البصرة إلى اليمامة يسلك طريق البصرة ـ مكة، وبعد أن يصل إلى منزل القريتين يعدل الطريق إلى اليمامة ماراً بالمنازل التالية: أشى، ذات غسل، مرأه، قرقرا[١].

الطريق من الكوفة إلى مكة: يبدأ هذا الطريق من الكوفة بالعراق ويمر بمنازل عديدة قبل أن يصل إلى مكة، ومن هذه المنازل: القادسية، والمغيثة، والعقبة، والشقوق، والجفر، والربذة، والمسلح، والحاجر، قروری، النقرة. ويستمر حتى يصل إلى البستان ومن هناك إلى مكة المكرمة[٢]. ويمر بمنطقة القصيم، وسوف نعرض إلى منازل هذا الطريق التي تقع في المنطقة. (الخريطة رقم ٧).

الطريق من البصرة إلى عمان: ويبدأ من البصرة ماراً بمنازل منها: عبادان، الزابوقة، خليجة، مسيلحة، ساحل هجر، العقير، قطر، حتى يصل إلى عمان[٣].

الطريق من مصر إلى مكة: يربط مصر بالمدن الحجازية، مبتدئاً من الفسطاط ومروراً بمنازل منها: البويب، والجب، وأبله، وحقل، ومدين، ووادي القرى، حتى يصل إلى مكة[٤].

---

(١) الحربي، المناسك، ص ص ٦١٥، ٦١٦. ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ، ص ص ١٢٨ ـ ١٢٩، طخفة هنا غير طخفة المنزل الواقعة ما بين إمرة وضرية في منطقة القصيم. ابن رستة، ص: ١٨٤. قدامة ابن جعفر، ص ١٩١. البكري، ص: ٥٠. الإدريسي، جـ١، ص: ١٦١.

(٢) ابن خرداذبة ؛المسالك والممالك ؛تحقيق ؛ ص ١١٠-١١٢؛راجع الحربي ؛المناسك ص :٢٨١، ٣٥٦. راجع اليعقوبي، البلدان، ص ص: ٧٥، ٧٦. ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص ص: ١٧٤، ١٧٧. قدامة ابن جعفر، الخراج، ص ص: ١٨٥، ١٨٧. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص: ١٠٠.

(٣) ابن خرداذبة، المسالك، ص ٦١. قدامة بن جعفر، الخراج، ص: ١٩٣. البكري، الممالك والمسالك، ص ص: ٤٧، ٤٨. الإدريسي، نزهة المشتاق، ص ص: ١٦١، ١٦٢. ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص: ١٨٣. قدامة بن جعفر، الخراج، ص ص: ٢٠٥. البكري، الممالك والمسالك، ص ص: ٩٧، ١٠٢.

(٤) ابن خرداذبة، ص ص ١٢٧ ـ ١٢٨. اليعقوبي، البلدان، ص ص: ٩٨، ٩٩. ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص: ١٨٣. قدامة بن جعفر ، الخراج، ص: ١٩١. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص: ١٠٠. البكري، الممالك والمسالك، ص ص: ٩٦، ٩٧.

الطريق من اليمن إلى الشام : وهذا الطريق يربط جنوب الجزيرة العربية بمنطقة الشام بعد أن يمر بعدد من المنازل داخل اليمن ثم يمر بمنازل مثل : نجران، والفاو، والخرج، ومكة، والعلا، والبتراء، وغزة، وينتهي في الشام، تتصل بهذا الطريق الطرق القادمة من مصر.

الطريق من دمشق إلى مكة : ويربط الطريق الشام بمكة، ويبدأ من دمشق ومن منازله الرئيسة : ذات المنازل، وتبوك، والحجر، والسويدا حتى مكة[١].

الطرق الداخلية :

وكما ذكرنا فإن منازل الطرق الخارجية داخل الجزيرة العربية أصبحت طرقاً محلية، ومسالك بين المنازل والمدن والاتصال الداخلي، ولكنَّ هناك طرقاً ومسالك منفصلة في مساراتها عن الدروب الرئيسة، ويعود ذلك لأسباب تتعلق بالاتصال المحلي بين مدن ومناطق بعيدة عن مسار الطريق الرئيس، أو لاختصار المسافة بين المناطق. وسوف نستعرض بعضاً من هذه الطرق والمسالك الداخلية التي شكلت شبكة ربطت القرى، والمدن، والمستوطنات المحلية، وساهمت مع الطرق الخارجية في ربط مناطق الجزيرة العربية بعضها ببعض.

الطريق من اليمامة إلى مكة : يمر هذا الطريق عبر وادي حنيفة، الباطن. ومن منازله : العرض، والسيح، وسقيراء، حتى يصل إلى القريتين بمنطقة القصيم، وهي إحدى منازل درب الحج البصري إلى مكة. ثم يستمر الطريق سالكاً طريق البصرة إلى مكة. ويذكر الحربي أنه يربط اليمامة بمكة طريقان : «طريق من القريتين، لا يأخذ فيه على مرأة، وطريق على مرأة، فإذا خرجت من

(١) ابن خرداذبة، ص ١٢٨ ـ راجع الحربي المناسك ص : ٦٥٣. والطريق من الشام إلى اليمن، يسلك طريق الشام مكة وطريق مكة اليمن.

مرأة فأول منبر يلقاك منبر بعقرباء». وعقرباء قامت على أنقاضها بلدة الجبيلة القريبة من مدينة الرياض. وذكر الحربي منازل ومنابر الطريق منها: حجر وهي مدينة اليمامة، منبر جو بالخضرمة، الخرج، المجازة. وإذا خرجت من مرأة معرضاً في بلاد بني كعب، ومن منازله ومنابره: أضاخ، حضيان، معدن الأحسن، الصدارة، العقيق، صداء، الفلج. والطريق الآخر يتياسر عن طريق مرأة ومن منازله ومنابره: الفقي، السحيمية، قرية سدوس، ملهم وهي وقران[1].

الطريق من اليمامة إلى صنعاء: يمر عبر منازل منها: الخرج، والمعدن، والثور، والفلج، ونجران، ثم يسلك طريق المهجرة المؤدي إلى صنعاء[2].

الطريق من مكة إلى اليمن: يربط هذا الطريق مكة المكرمة باليمن، ويمر عبر منازل منها: بئر ابن المرتفع، الفتق، تربة، رنية، تبالة، بيشة بعطان، جرش، صعدة، إلى أن يصل إلى صنعاء. وذكر الحربي أنهما طريقان: طريق على البحر، وطريق على تهامة[3].

الطريق من المدينة إلى مكة: ويربط هذا الطريق المدينتين المقدستين المدينة بمكة، ويمر عبر منازل منها: الشجرة، والسيالة، والسقيا، والجحفة، وعسفان. إلى أن يصل إلى مكة المكرمة[4].

---

(١) الحربي، المناسك، ص ص ٦١٦-٦٢٠. ابن خرداذبة، المسالك، ص ١٢٦. قدامة بن جعفر، الخراج، ص: ١٩١، الإدريسي، نزهة المشتاق، ص: ١٦٠.

(٢) ابن خرداذبة، المسالك، ص ١٣٠. قدامة بن جعفر، ص: ١٩٣.

(٣) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ص ١١٧ ـ ١١٨. راجع الحربي، المناسك ص ص ٦٤٣-٦٤٧. اليعقوبي، البلدان، ص ص: ٧٩، ٨٠. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص: ١٠١،الإدريسي، نزهة المشتاق، ص: ١٤٥.

(٤) ابن خرداذبة، المسالك، ص ص ١١٤ ـ ١١٥. الحربي، المناسك، ص ٤٢٥ وما بعدها. اليعقوبي، البلدان، ص ص: ٧٧، ٧٨، ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص: ١٧٧. قدامة بن جعفر، الخراج، ص:١٨٧. الإدريسي، نزهة المشتاق، ص ص: ١٤١، ١٤٣.

الطريق من مكة إلى الطائف : ويربط مكة المكرمة بالطائف ويمر بمنازل منها : بئر ابن المرتفع ، قرن المنازل ثم إلى الطائف ، وذكر الحربي أن طريق الطائف من عرفة ، كرا ، الهدة ، ثم الطائف . وطريق آخر على موضع زيمة ، مشاش ، قرن المنازل ثم إلى الطائف . وطريق آخر على طريق العقبة عبر عرفات ، ثم بطن نعمان ، ثم يصعد عقبة حراء ، ثم الطائف[١] .

الطريق من عُمان إلى مكة : طريق ساحلي يربط عمان بمكة المكرمة يمر عبر منازل مثل : فرق ، عوكلان ، هباه ، مخلاف كندة ، مخلاف زبيد ، عثر ، مرسى حلى ، الشعيبة ، جدة ، حتى يصل إلى مكة[٢] .

ويلاحظ من خلال الاستعراض السابق أن هناك عدداً من الطرق الخارجية والداخلية تمر بمنطقة القصيم . وقد قامت منازل ومدن على هذه الطرق في بعض الحالات ، كما أن بعضاً من هذه الطرق قد انحرفت لتمر ببعض المستوطنات والواحات ، وفي حالات أخرى تتبع الطرق مجرى وادي الرمة وفروعه ، وأماكن توافر المياه .

ولعل أهم الطرق التي تمر بمنطقة القصيم ، الطرق القادمة من شرق العالم الإسلامي عبر العراق المؤدية إلى الحجاز حيث الحرمان الشريفان بمكة المكرمة والمدينة المنورة ، إلا أننا قبل التطرق إلى المواقع الأثرية على الطرق وأيضاً مسالك وخطوط هذه الطرق وتفرعاتها في منطقة القصيم ، لابد من الإشارة إلى بعض الأمور المتعلقة بالطرق التي تمر بالجزيرة ومن أبرزها ما يلي :

(١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ١١٧ ـ راجع الحربي، المناسك، ص ص ٦٥٣، ٦٥٤. اليعقوبي، البلدان، ص: ٧٩. ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص: ١٨٤. قدامة بن جعفر، الخراج، ص: ١٨٧. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص: ١٠١، الإدريسي، نزهة المشتاق، ص: ١٤٤.

(٢) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ص ١٢٦ – ١٢٧. اليعقوبي، البلدان، ص ص : ٧٧، ٧٨. قدامة ابن جعفر، الخراج، ص : ١٩٢. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص : ١٠١، البكري، الممالك والمسالك، ص ص : ٣٥، ٣٦، ٤٧.

١ ـ إن هذه الطرق على الرغم من كونها مرتبطة بالحج أكثر من أي نشاط آخر، إلا أنها في حقيقتها قد ارتكزت على طرق تجارية قديمة عُرفت منذ عصور سابقة للإسلام، وكانت تربط بلاد ما بين النهرين بالحجاز عبر منطقة القصيم. وهي بالتالي وإن خدمت أغراض الحج في الفترة الإسلامية، إلا أنها قد خدمت التجارة والحروب قبل الفترة الإسلامية، والفتوحات الإسلامية، وبريد الدولة الإسلامية بين المركز السياسي والولايات البعيدة، وأغراض الاتصال بين مناطق التجمعات البشرية، والأقاليم البعيدة؛ ولذا فإن الطرق ليست قاصرة على الحج.

٢ ـ على الرغم من أننا نربط هذه الطرق الآن بالعراق، ونطلق عليها طريق الحج العراقي، أو البصري، أو الكوفي فإنها في الحقيقة تتجاوز حدود العراق إلى فارس وخراسان وأواسط آسيا ـ شرق العالم الإسلامي ـ إذن لم تكن العراق سوى البوابة الشرقية للجزيرة العربية. ومن تلك المناطق تدفقت أعداد الحجيج ومعها تجارتها، إلى العراق ومنها سلكت هذه الطرق والمعابر إلى الحجاز.

ساعد تأسيس العباسيين لمدينة بغداد واتخاذها عاصمة لدولتهم، ساعد إقليم العراق كي يؤدي دورا حضاريا وتجاريا متميزا؛ مما جعل بغداد نفسها المقر السياسي والحضاري وملتقى وانطلاق الطرق التجارية. وهذا الوضع السياسي فرض على بعض الطرق العراقية أن تخترق أجزاء من منطقة القصيم.

٣- بسقوط الدولة الأموية في دمشق، وانتقال العاصمة السياسية والحضارية ومركز الخلافة إلى إقليم العراق ومقرها بغداد في الفترة العباسية الأولى، أصبح لمنطقة القصيم دور تقوم به، حيث أصبحت ممراً مهماً ما بين العاصمة السياسية بغداد، والعاصمة الدينية مكة المكرمة. وكان لهذه الحادثة

التاريخية ـ قيام الدولة العباسية في العراق ـ آثارها، ليس في تشكيل هذه الطرق فقط، وإنما في زيادة الاهتمام بها والاعتماد عليها.

وبانتقال الخلافة إلى بغداد، انتقل معها مركز الثقل الإداري والسياسي إلى الأجزاء الشرقية من العالم الإسلامي. وكان لابد لهذا التحول الجغرافي السياسي من أن ينعكس على نمط الحركة التجارية وشبكة الاتصال بين المركز السياسي والإداري في بغداد، والمراكز الدينية في الحجاز من ناحية. كما انعكس أيضا على ربط بغداد بخراسان وأواسط آسيا من ناحية أخرى. وإزاء ذلك نشطت الطرق القادمة من أواسط آسيا إلى بغداد، وازدادت معها حركة الطرق المؤدية إلى الحجاز، ونتج عن ذلك أن ازدهر طريق حاج الكوفة وطريق حاج البصرة.

٤ ـ ومع بداية الفترة العباسية الثانية، بدأ الضعف يدب في الدولة، بقيام عدد من الدويلات. وزادت الفتن. وعم الفساد وتعددت مراكز الثقل الإداري والسياسي في العالم الإسلامي، مما أدى في النهاية إلى سقوط بغداد حاضرة الخلافة، إلاَّ أن المركز الديني بقي كما هو، بالرغم من أن الطرق القادمة من الشرق فقدت دورها نسبيا، إلا أنها ظلت مسلكاً للحجاج والتجار القادمين من الشرق إلى الحجاز.

المواقع الأثرية على الطرق في منطقة القصيم :

إن الشبكة التي تكونها هذه الطرق في منطقة القصيم، يمثلها الطريق المعروف بطريق حاج البصرة الذي يأتي ممتداً من الأبله (وهو الاسم القديم للميناء الذي أنشئت بقربه البصرة عام ١٤هـ في زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه)[١].

---

(١) خياط، خليفة، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، الرياض، دار طيبة، ص ١٢٩. ستانلي لين بول، الدولة الإسلامية، ص ٢٧. =

وقام على الطريق عدد من المنازل والاستراحات، ويجتاز الطريق أراضي ذات تضاريس مختلفة حتى يصل إلى موقع النباج في شرق القصيم، وهو الموقع الأول، ومن هناك يتخذ الطريق مسارين، المسار الرئيس منه يتجه مباشرة إلى مكة المكرمة، أما المسار الفرعي فيتجه إلى المدينة المنورة عبر موقع معدن النقرة.

أما الطريق الثاني الذي يعرف بطريق الحج الكوفي - درب زبيدة - الذي يربط الكوفة بمكة، فتمر أجزاء منه بمنطقة القصيم، ويلتقي طريق البصرة والكوفة بالنقرة. والطريق الثالث طريق البصرة - المدينة المباشر، فيمر بأجزاء من منطقة القصيم، وطريق اليمامة مكة الذي يمر بموقع القريتين، ثم يسلك طريق البصرة - مكة.

وهذه الطرق شكلت شبكة مترابطة من المسالك ربطت بين بلدات وقرى القصيم. والنباج ملتقى الطرق، وهي أقصى هذه المنازل شرقاً. وأقصى نقطة بالمنطقة غربا منزل النقرة وهي الأخرى ملتقى الطريقين البصري والكوفي. ويوجد بين النقطتين شمالاً وجنوباً منازل، وواحات، أكملت شبكة الطرق، مثل قصيباء شمالاً، وضريّة جنوباً.

= راجع اليعقوبي، البلدان، ص ص ٩ - ٨٤. وقد ذكر اليعقوبي أن عتبة بن غزوان اختط البصرة سنة ١٧هـ في زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. راجع صالح العلي، خطط البصرة ومناطقها، ص ص ٤١، ٥٤. الهمداني، ابن الفقيه كتاب البلدان، ص: ١٨٨، وقد ذكر نقلاً عن الواقدي أن البصرة انشئت سنة ١٧هـ.

وعن ميناء الأبله راجع : القوصي، عطية، تجارة الخليج بين المد والجزر في القرنين الثاني والثالث الهجريين، يصدرها قسم الجغرافيا بجامعة الكويت، والجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت، يونيو - حزيران ١٩٨٠م، رجب ١٤٠٠هـ، ص ١٠.

أولاً: المواقع الأثرية على طريق الحج البصري إلى مكة داخل منطقة القصيم :

المنازل عند البلدانيين :

يذكر الحربي، أن طريق الحاج البصري إلى مكة يبدأ بعد أن يجتاز منزل «السمينة» حيث يدخل الطريق في الحدود الشرقية للقصيم. ويصف ذلك بقوله: «تلك الأفواز والأجارع يمنة الطريق ويسرته يقال لها القصائم». ويقصد الحربي بذلك، الرمال التي تغطي الأجزاء الشرقية من منطقة القصيم، وتحديدا الرمال الواقعة شرق مدينة الأسياح. وبعد أن يجتاز الطريق رمال الشقائق يضيف الحربي: «وهو سبعة أحبل بينها سبع شقائق». وتشرف هذه الرمال على النباج التي يمر بها الطريق، وهي أولى مواقع الطريق في منطقة القصيم. وتعرف بـ«نباج ابن عامر»، ويتخلل هذه الأرض، رمال، وقيعان، منها: قاع بولان، وسمي بذلك لأن الأرض إذا أصابها المطر تتوحل وتزلق الإبل فيها، كما يذكر ذلك الحربي. ومن النباج يتجه الطريق إلى العوسجة، والمسافة بينهما ١٩ ميلاً، وهي المنزلة الثانية، ثم يصل القريتين التي تبعد عن العوسجة ٢٢ ميلاً المنزلة الثالثة. ويذكر الحربي أن القريتين: الدنيا منها قرية ابن عامر، والأخرى بناها جعفر بن سليمان وبها حصن وأن أهلها يستعذبون ماء عنيزة التي على بعد ميلين منها. ومن وراء القريتين بلد يقال له الرمادة، وبعده بثلاث أميال موضع يقال له عجلز، والرمادة وعجلز يقعان في منتصف طريق مكة من البصرة. وقد ذكر أن في عجلز بركة وآباراً ومسجداً.

والمنزلة الرابعة موقع رامة والمسافة بينها وبين القريتين ٢٤ ميلاً، وبرامة آبار كثيرة، ثم يتجه الطريق من رامة إلى إمرة المنزلة الخامسة عبر بطن عاقل، والمسافة بينهما ٢٧ ميلاً وإمرة هي بلاد قيس وبها آبار كثيرة. وبعد إمرة يصل

إلى طخفة المنزلة السادسة والمسافة بينهما ٢٦ ميلاً، وبها آبار كثيرة وهي لبني كلاب. وبعد ذلك يستمر باتجاه ضريّة المنزلة السابعة، وهي المنزل الأخير في منطقة القصيم، وتبعد ضريّة عن منزل طخفة ١٨ ميلاً واشتهرت بأنها «حمى». كما ذكرت بأنها بلد قديم، وقرية عامرة تابعة في ولايتها للمدينة وبها بركة وآبار كثيرة ونخل وأشهر آبارها الطهمانية[1] (الجدول رقم ١ , ٣).

أما ابن خرداذبة، فإنه يورد المواقع على الطريق في منطقة القصيم بادئا بالنباج التي يسير منها الطريق إلى العوسجة، ثم القريتين، ومنهما إلى رامة، ثم إلى إمرة، ثم طخفة، ومنها إلى ضريّة، آخر منازل الطريق في منطقة القصيم في اتجاه مكة[2] (الجدول رقم ١ ، ٣).

ويشير ابن رستة إلى المواقع على هذا الطريق في منطقة القصيم فيبدأ بالنباج، ثم العوسجة، ثم القريتين ،ثم رامة ،ثم إمرة، ومنها يسير الطريق إلى طخفة، وذكرها طخثة ومنها إلى ضريّة[3]. وبالتالي يتطابق مسار الطريق، عند ابن رستة وابن خرداذبة، وفي الوقت الذي يحدد فيه ابن رستة المسافة بين المواقع، نجد ابن خرداذبة لا يحددها. (الجدول رقم ١ ، ٣).

والواقدي يذكر المواقع بدءاً من النباج، ثم العوسجة، ثم القريتين ويذكرها القرنتين، ثم رامة، ثم طخفة، ثم الضرية[4]، ويسقط إمرة الواقعة بين رامة وطخفة، ولا يذكر المسافة بين المنازل. (الجدول رقم ٢ ـ ٣).

---

(١) الحربي، المناسك، ص ص ٥٨٦ -٥٩٧. وراجع الأصفهاني، بلاد العرب، ص ص ٢٧٨ ـ ٢٨٠.

(٢) ابن خرداذبة المسالك والممالك ص، ص ١٢٥ ـ ١٢٦.

(٣) ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص ص: ١٨٠، ١٨١.

(٤) الواقدي، محمد بن عمر بن واقد، كتاب الردة مع نبذة من فتوح العراق، وذكر المثنى بن حارثة الشيباني، رواية أحمد بن محمد بن أعثم الكوفي، تحقيق يحيى الجبوري، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ص: ٢٢٢، ٢٢٣.

وأما أبو الفرج قدامة بن جعفر فيذكر مواقع الطريق داخل منطقة القصيم يبدأها بالنباج، ثم العوسجة، ثم القريتين، ثم رامة، ثم إمرة، ثّم ضريّة[1]، مسقطاً بذلك طخفة الواقعة بين إمرة وضرية.

وأما أبو علي الهجري، فإنه يذكر جميع المواقع التي أوردها ابن خرداذبة، وابن رستة لكنه يبدأ ترتيبها من الغرب إلى الشرق، بدون ذكر للمسافات فبدأ بضريّة وانتهى بالنباج، وذكر القريتين باسم الفريش، وأن بين الفريش والنباج أربعون ميلاً في منزلين جميعًا ثم العوسجة ثم النباج[2] وهو بذلك يتفق معهما على المواقع.

ويذكر المقدسي منازل طريق البصرة. غير أنه يقدم القريتين قبل النباج والعوسجة[3].

كذلك يتطابق ترتيب المواقع عند البكري[4] مع ما جاء به الحربي والبلدانيون وآخرون. فيبدأ بالنباج وينتهي بضريّة مع ذكر المسافات.

أما الإدريسي[5] فيذكر المواقع بدءاً من القريتين، ثم رامة، ثم طخفة- وجاءت طقجة- ثم ضرية- وجاءت صرية- وأورد هذه المواقع عندما تحدث عن طريق اليمامة- مكة، وبالتالي لم يذكر المواقع التي تسبق القريتين، وهما العوسجة والنباج، كذلك أسقط إمرة الواقعة ما بين رامة وطخفة، فلم يذكرها، (راجع الجداول رقم ١، ٢، ٣).

---

(١) أبو الفرج، قدامة بن جعفر، نبذة من كتاب الخراج ص: ٨٤.

(٢) الهجري، أبوعلي، أبحاثه في تحديد المواضيع، ص ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

(٣) المقدسي أبو عبدالله بن محمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، ص ٢٠٦.

(٤) البكري، الممالك والمسالك ص ص ٥٢ ـ ٥٣.

(٥) الإدريسي، محمد بن محمد بن عبدالله، نزهة المشتاق، ص: ١٦٠.

المنازل عند الكتاب المتأخرين :

بعد أن استعرضنا منازل طريق الحج البصري إلى مكة داخل منطقة القصيم كما وردت عند البلدانيين ، سوف نتناول بإيجاز منازل طريق الحج البصري إلى مكة من خلال دراسات حديثة تميزت بمحاولة تحديد المواقع بالنسبة للقرى والمدن الحديثة بمنطقة القصيم .

والدراسات الحديثة اشتملت على تعليقات حمد الجاسرعلى كتاب المناسك للحربي ، وتعليقات عبدالله الغنيم على كتاب اليعقوبي (الممالك والمسالك)، والمعجم الجغرافي لبلاد القصيم/ لمحمد العبودي . والآثار الاجتماعية/ لصالح الوشمي .

الجاسر :

وعند حمد الجاسر المنزل الأول بالقصيم النباج ، وهي عين ابن فهيد الواقعة على خط عرض: ٤٥/ ٢٦ ، وخط طول ١٦/ ٤٤ ، ثم قاع بولان ، والمنزل الثاني الصريف ، وهي التي جرت فيها وقعة الصريف سنة ١٣١٨[١] هـ ، والمنزل الثالث العوسجة والمعروفة اليوم باسم العوشزية ، وهي قرية كبيرة ، ولكنها لا تقع على طريق الحج العراقي باتجاه مكة ، إنما تميل نحو الجنوب كثيراً ، وعلل الجاسر ذلك بقوله : إن طريق الحج ربما إنه يدع الرمال يميناً ويساراً متجهاً جنوباً حتى يصل العوسجة (العوشزية)[٢] شرق عنيزة عند درجة ٥/ ٢٦ و١٠/ ٤٤ ، والمنزل الرابع القريتين الواقعة إحداهما شرق عنيزة ، ومتعارف عند الأهالي هناك أن العيارية إحدى القريتين . ثم الرمادة وهي وراء القريتين

(١) عن الصريف راجع الفصل الثالث من هذا الكتاب موقع الصريف.
(٢) عن منزل العوسجة راجع موقع العوسجة في الفصل الثالث من هذا الكتاب.

ومنتصف الطريق ما بين البصرة ومكة. والمنزل الخامس رامة الواقعة غرب عنيزة بحوالي ميل واحد، وقد حفرت بها آبار ارتوازية حديثة وكثرت المزارع فيها. والمنزل السادس إمرة والواقعة في طرف حمى ضرية الشرقي، ويطلق الاسم على الجبل، ولاتزال معروفة حتى الآن، وجبل إمرة واقع غرب بلدة دخنة، وجبل خزاز بين بلدتي الشبيكية والخشيبي في جنوب مدينة الرس. ثم رابغة وهو متعشى بين إمرة وطخفة. ثم بعد ذلك المنزل السابع طخفة، وأخيراً ضرية وهي قرية معروفة على خط عرض ٤٥ ,٢٤ْ وخط طول ٥٩ ,٤٢ْ تقريباً[١] (الخريطة رقم ٦ والجدول رقم ٤).

الغنيــم :

والطريق عند الغنيم يبدأ من المنزل الأول بعد البصرة، وهي المنجشانية، ثم يذكر منازل الطريق حتى يصل إلى السمينة، وهي التي تسبق النباج المنزل الأول بالقصيم، فيذكر أن الطريق يقطع بعض رمال الدهناء حتى يصل النباج (عين ابن فهيد،) ثم يتجه الطريق جنوباً إلى العوسجة، وهي قرب عنيزة، ثم يأخذ اتجاهاً جنوبياً غربياً عبر الأودية المنحدرة من المرتفعات الغربية، ماراً على المواقع: رامة، وإمرة، وطخفة وأخيراً ضرية[٢]. (الخريطة رقم ٦ والجدول رقم ٤).

العبــودي :

وقد جاء مسار الطريق عند العبودي مبتدئاً من النباج «الأسياح حالياً»، حيث يستعرض منازل الطريق من بداية دخوله الحدود السعودية وحتى ضرية

(١) الحربي، المناسك، هامش ص: ٥٨٥ – ٥٩٤.

(٢) البكري، جزيرة العرب من كتاب الممالك والمسالك الجغرافية الإقليمية لجزيرة العرب، الغنيم، ص، ص: ١٥٠، ١٥١.

المنزل الأخير في القصيم والمواقع هي: الرقعي، الحفر، ماوية، ذات العشر، المجازة الينسوعة «بريكة الأجردي»، الخبراء، السمينة البيصيّة، النباج، الصريف، قاع بولان «البريكة»، القرية، الروغاني، العيارية، الرمادة، رامة، إمرة، طخفة، وأخيرا ضريّة[1].

وتعد النباج أول المنازل على طريق الحج البصري إلى مكة في منطقة القصيم للقادم من العراق، ويقول العبودي: إن الشقائق التي ذكرها الحربي والواقعة ما بين السمينة والنباج، هي عروق الأسياح مما يلي البصرة، وإن الطريق يصل إلى النباج بعد أن يجتاز عروق الأسياح. وهي مجموعة من العيون أشهرها عين ابن فهيد، وعند النباج ينشطر الطريق إلى اتجاهين، طريق يستمر باتجاه مكة المكرمة وهو الطريق الرئيس، وطريق آخر يأخذ جهة اليمين باتجاه الغرب ليصل إلى المدينة المنورة. وسوف نتحدث عن المواقع على الطريق من البصرة إلي مكة داخل منطقة القصيم. وأما الطريق الثاني من النباج ـ النقر إلى المدينة، فسيأتي الحديث عنه، بعد أن نستوفي دراسة الطريق الرئيس ومنازله.

يصف العبودي طريق النباج ـ مكة بأنه يبدأ من النباج باتجاه الجنوب الغربي ليمر بقرية الجعلة الحالية، ثم يعبر إلى الصَّريف، ويستمر باتجاه مجرى وادي الرمة.

وبالقرب من بلدة «الربيعة» وتحديداً في الشمال الغربي منها، يوجد موقع أثري في مجرى الوادي يشتمل على بعض المنشآت المعمارية ومنها، بركة ضخمة، وبعض الأساسات الجدارية، ومنشآت أخرى، مثل مسجد، وحصن.

---

(١) راجع العبودي، بلاد القصيم، جـ١، ص ص: ١٥٧ ـ ١٨٣. وهو مسار الطريق من البصرة إلى مكة.

وقد غطّت الكثبان الرملية المنشآت ويعرف هذا الموقع باسم البريكة. ثم يستمر الطريق مع مجرى وادي الرمة، ويخترق قاع بولان «قاع الأبيض» إلى العوسجة التي ذكرها الحربي. يعتقد حمد الجاسر أنها العوشزية قرب مدينة عنيزة[1]. إلا أن العبودي لم يذكرها على هذا المسار، حيث يذكر أن الطريق بعد قاع الأبيض ذي الأرض المستوية يتجه نحو الجنوب الغربي إلى القُرَيَّة «بالتصغير» والتي كانت تعرف قديماً بـ«القرية» بالتكبير والمنسوبة إلى عبدالله ابن عامر بن كريز، وهي إحدى القريتين المشهورتين في القديم. وهذا هو المسار الرئيس (أ) الذي يتبع وادي الرمة، أما المسار (ب) فإنه يتجه من النباج إلى خب العوشز جنوب مدينة بريدة مخترقاً بذلك عدداً من القرى الزراعية ومن خب العوشز يتجه الطريق إلى العسكرة (العيارة)، ويمتد الطريق الرئيس من القرية ليصل قرب «الروغاني» شمال مدينة عنيزة، حيث توجد بركة اشتهرت عند أهالي المنطقة بأنها بركة زبيدة. وقد أزيلت قبل حوالي ٣٠ سنة عندما أنشىء طريق الأسفلت الذي يربط بين مدينتي بريدة وعنيزة. ويستمرالطريق ماراً بالعياريّة التي كانت تعرف قديماً بـ«العسكرة»، وهي إحدى القريتين، ثم إلى الرمادة، مجتازاً رمال الغميس قاصدا رامة. ومن رامة مرورا بوادي عاقل، وهو وادي العاقلي المشهور قديماً وحديثاً، يسلك صحراء منعج التي تعرف حاليا بـ«دخنة»، حتى يصل إلى جبل إمرة. ومن إمرة يمر الطريق بجبل سواج ـ فيصل طخفة، ومن طخفة إلى المنزلة الأخيرة في المنطقة وهي ضريّة، قاعدة الحمى ومن أشهر منازل الحج البصري إلى

---

(١) الحربي، المناسك، هامش ص: ٥٨٨.

مكة[1] (الخريطة رقم ٦ والجدول رقم ٤).

الوشـــمي:

أما الوشـمي فيبـدأ أول منازل طريق الحج البـصري إلى مكة في منطقة القصيم بموقع النباج، (عين ابن فهيـد)، ثم يتجه الطريق جنوباً ليمر بقرب بلدة الجَعَلة، ويسلك اتجاهاً غربياً مع ميل إلى الجنوب عبر صفراء الأسياح، حتى يصل إلى الصريف المنزل الثاني وهي استراحة صغيرة، وبعدها ينقسم الطريق إلى مسارين (أ-ب) يجتمعان فيما بعد عند منزل القريتين: (القرية، والعسكرة التي تعرف حديثاً باسم العيارية.

يمر المسار الأول (أ) عبر المواقع التالية: الصريف، العوسجة (خب العوشز)، العيارية. أما المسار الثاني (ب) فيمر بمواقع: الصريف، قاع بولان، (قرية ابن عامر). ونورد هنا تفصيل هذين المسارين:

المسار (أ): يسير من الصريف إلى خب العوشز (عوسجة)، الواقعة جنوب غرب مدينة بريدة، مخترقاً رمال «الغميس»، ومارّاً بواحات شرق بريدة، مثل: الهدية، النقع، العكيرشة - ويبدو أن هناك منازل صغيرة نشأت على الطريق مثل: التغيرة، وهي ضاحية شمال شرق بريدة، عثر فيها على مخلفات أثرية إسلامية. ومن خب العوشز (العوسجة) يتجه إلى إحدى القريتين وهي العسكرة (العيارية) عبر رمال الغميس في اتجاه الجنوب الغربي فينزل على وادي الرمة قرب ما يعرف بـ«زبيدة». وفي العيارية يلتقي بالشطر الثاني.

---

(١) العبودي، بلاد القصيم، وعن العوسجة وبركة زبيدة، راجع العبودي، بلاد القصيم، جـ٣، ص: ٨٥٢ وما بعدها. جـ١، ص: ١٨٠.

ويتفق الوشمي مع العبودي بأن العوسجة هي خب العوشز، مخالفين بذلك ما ذهب إليه حمد الجاسر من كون العوسجة هي قرية - العوشزية - قرب عنيزة.

المسار (ب): يبدأ من الصريف باتجاه القريتين مروراً بقاع بولان (الأبيض) في وادي الرمة، وهذا القاع تغمره مياه الأمطار، وذكره الحربي: بقوله: «إذا صاروا إليه في المطر زلقت فيه الإبل ووحلت»[١]. (اللوحة رقم ٣ أ، الجدول رقم ٤). ويستكمل الوشمي وصفه: وتظهر في بطن الوادي أساسات مبان أثرية وتعرف باسم البريكة، أو «العفجة»، وتقع تحديداً في مضيق وادي الرمة عند تكوينات رمال صعافيق من الشرق، والغميس من الغرب. ومن آثاره بقية بركة عباسية مستطيلة مع بقايا آثار عمرانية قديمة مطمورة بالرمال، ومنها إلى القرية حيث يلتقي بالمسار الأول، كما ذكر. ومن القريتين يتجه الطريق إلى المنزل الرابع وهي رامة أو رامتان، وتقع قرب تكوين رمال الشقيقة.

وبعد رامة يتجه الطريق إلى «إمْرة» وتقع جنوب غرب مدينة الرس، ثم تأتي طخفة، وهي المنزل السادس، وسميت طخفة نسبة إلى جبلها المشهور منذ العهد الجاهلي، وأخيراً يصل إلى ضريّة وهي المنزل السابع والأخير بمنطقة القصيم، وتعد إحدى الأحمية الإسلامية المشهورة[٢] (الخريطة رقم ٦).

ثانياً: المواقع الأثرية على الطريق المباشر من البصرة إلى المدينة:

وهذا الطريق يصل البصرة بالمدينة المنورة مباشرة دون أن يمر بمنازل الطريق الرئيس - البصرة إلى مكة - في منطقة القصيم، وتقع بعض منازله

(١) الحربي، المناسك، ص: ٥٨٦.

(٢) الوشمي، طريق الحج العراقي، ص، ص:١٣٣ - ١٥٠. مسار الطريق عبر منطقة القصيم.

بالقصيم. وقد ذكر الحربي أن الطريق يبدأ من البصرة ويسلك ما بين منزلتي الشَّجِيِّ والرُّحَيلْ ثم الحزن، ثم مياه منها: الوقبا، القيصومة، وقنة، وحومانة الدارج، وأبرق العزاف، وبطن نخل. غير أن الطريق لم يُركَبْ منذ دهر للمخاوف. أي أنه هُجِرَ بسبب المخاوف[1].

ذكر العبودي منازل الطريق بادئاً بأبرق العزاف، ثم ذي العشيرة، شمال جبل قطن، ثم يجتاز وادي الرمة قرب عقلة الصقور إلى النقرة، ثم بطن نخل وهي الحناكية[2]. وبذلك تكون منازل الطريق داخل منطقة القصيم: قنة، حومانة الدارج، أبرق العزاف. ومنزل قنة يعتقد أنها مرحلة تسبق النباج من جهة البصرة[3] وقد قال عنها ياقوت: بأنها منزل قريب من حومانة الدارج في طريق المدينة من البصرة. ويعتقد الوشمي أن الاسم محرف عن «قبة»، البلدة الواقعة بين الدهناء، ورمال عروق الأسياح على حدود القصيم الشمالية[4].
أما حومانة الدارج فقد ذكرها ياقوت بقوله: «أماكن غلاظ منقادة. ما كان فوق الرمل ودونه حيث يصعده أو يهبطه. وهي ماء قريبة من القيصومة وأنها في منقطع رمل الثعلبية متصلة بالحزن»[5].

وذكر العبودي مدرج: «بطن منخفض من الأرض كان فيه ماء قديم يقع في وهدة من الأرض على هيئة بطن منخفض شديد الانخفاض مستدير في شكله». ويضيف أن اسمه الحالي مدرج، وأن بعض أوصاف حومانة الدارج تنبطق عليه، ويقع مدرج شمال مدينة بريدة على بعد ١٢٥كم[6].

---

(١) الحربي: المناسك ، ص، ص: ٦٠٤، ٦٠٥.
(٢) العبودي ـ معجم بلاد القصيم، جـ١، ص: ٢٦٣.
(٣) ياقوت الحموي ، معجم البلدان، جـ٤، ص: ٤٠٩.
(٤) الوشمي طريق الحج العراقي، ص: ١٢٩.
(٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٤، ص: ٣٢٥.
(٦) العبودي، بلاد القصيم، جـ٦، ص، ص: ٢٢٢١، ٢٢٢٢.

والمنزل الأخير أبرق العزّاف وسمي بالعزاف لأنهم يسمعون فيه عزف الجن. ويذكر العبودي أنَّ أبرق العزاف يسمى حالياً أبرق الضيان، وحدد موقعه شمال القصيم، وشمال غرب عيون الجواء وقريباً من جبل «صارة» المشهور. وقال إنه سمي قديماً بأبرق العزّاف لأن أصوات الرمال تشبه صوت العزف فتخيف الأعراب بتلك المنطقة. وإن هناك موضعين يطلق عليهما «أبرق العزاف» أحدهما يقع في شمال القصيم ـ وهو الذي نحن بصدده ـ والثاني في الطريق بين الربذة والمدينة[1].

ثالثاً : منازل طريق الحج من الكوفة إلى مكة :

ويعد هذا الطريق من أشهر طرق الحج العراقية ويعرف بـ«درب زبيدة»، ويمتد من الكوفة بالعراق حتى مكة المكرمة، وقد ذكر الحربي منازله من القاع نورد أسماءها على النحو التالي:

من القاع إلى زبالة ١٨,٥ ميلاً، ومن زبالة إلى الشقوق ١٧ ميلاً، ومنها إلى البطان ـ قبر العبادي ـ ٢٢,٥ ميلاً، وإلى الثعلبية ٢٢,٥ ميلاً، ومنها إلى الخزيمية، ٢٣ ميلاً، وإلى الأجفر ٢٠,٥ ميلاً، وإلى فيد ٢٧ ميلاً، وإلى توز ٢٤,٥ ميلاً، وإلى سميراء ١٥,٥ ميلاً، ومنها إلى الحاجر ٢٣,٥ ميلاً، وإلى النقرة ٢٧,٥ ميلاً، وإلى مغيثة الماون ٢٧ ميلاً، وإلى الربذة ٢٠ ميلاً، وإلى السليلة ٢٣,٥ ميلاً، وإلى العمق ١٨ ميلاً، وإلى معدن بني سليم ٢٢ ميلاً، ومنها إلى الأفيعية ٢٦,٥ ميلاً، وإلى المسلح ٢٦,٥ ميلاً، وإلى الغمرة ١٧ ميلاً، وإلى ذات عرق ٢٠ ميلاً، وإلى البستان ٢١ ميلاً[2]. وذكر ابن خرداذبة

---

(١) الحربي، المناسك، ص: ٣٢٩ وهامش: ٦٠٤، ٦٠٥.

(٢) هناك نقص في مخطوطة الحربي حيث يبدأ وصفه للمنازل من عند القاع، ولكننا نجد المنازل مرتبة في أشعار أحمد بن عمرو الذي أورده الحربي في المناسك ص، ص: ٥٤٥ ـ ٥٥٦.

منازل هذا الطريق: من الكوفة إلى القادسية ١٥ ميلاً، ثم إلى العذيب طرق البادية ٦ أميال، ثم إلى المغيثة ٢٤ ميلاً، والمتعشى وادي السباع على ١٥ ميلاً، ثم القرعاء ٣٢ ميلاً، والمتعشى مسجد على بعد ١٤ ميلاً، ثم إلى العقبة ٢٩ ميلاً والمتعشى القبيبات على بعد ١٤ ميلاً، ثم القاع ٢٤ ميلا[1]. ويستمر في رصد المنازل الرئيسة حتى مكة ويتبعه في ذلك ابن رستة، والمقدسي، والهمداني، واليعقوبي، وقدامة[2] (الخريطة رقم ٧).

أما منازله داخل منطقة القصيم فهي عند الحربي، الحاجر، ثم قرورى، ثم أضاخ، ثم النقرة. وفي منزل النقرة يلتقي الطريقان: طريق الكوفة إلى مكة، وطريق البصرة إلى المدينة. وعند ابن خرداذبة فإنها: الحاجر، والمتعشى العباسية على بعد ١٥ ميلاً، ثم معدن القرشي (معدن النقرة) ٣٤ ميلاً، والمتعشى قرورى على بعد ١٧ ميلا[3].

والحاجر هو المنزل الأول داخل حدود القصيم للقادم من الكوفة، وقد ذكر الحربي أن الحاجر كان اسمه المنيفة، وإنه كان لغنيّ وأن من سمّاه بالحاجر قبيلة غطفان منذ زمن الجاهلية، والمسافة من الحاجر إلى النقرة ٢٧,٥ ميلاً، وطريق العشيرة يعدل المنحدر من الحاجر، حتي يخرج إلى الأجفر. وبالحاجر بركة مربعة تقع يمنة الطريق على بعد ميل من المنزل، وبئران تعرفان بالمهرس، وبئران من آبار المهدي عليهما حوض، وبئران تعرفان بالحرشي، وبئران برماح، وبئر الضربة، وحساء مطوى يعرف بالصرى، وبئر بحضرة الحصن

---

(١) ابن خرداذبة، المسالك، ص ص ١١٠ ـ ١١٢.

(٢) يمكن مراجعة كافة التفاصيل في البحث المطول والدراسات التي وضعها سعد عبدالعزيز الراشد. درب زبيدة، ص ص: ١٢٥ ـ ٢٩٥ والجداول: ٢ ـ ٤.

(٣) ابن خرداذبة، المسالك، ص ١١٢.

تعرف بالمثلثة. والوادي الذي يسبق الحاجر بطن الرمة، وهو يخرج إلى قريب النباج، ومن حفر فيه ذراعين وجد الماء[1].

والبريد الخارج يقال له بريد أكمة العشرق. التي تبعد عن الحاجر بميلين كان عندها البريد السادس والثلاثون لحاج بغداد[2].

والمنزل الثاني بعد الحاجر، هو قرورى الذي يبعد عن الحاجر ١٣ ميلاً، ويعتبر متعشى، وهو أرض مستوية وتسمى الصلعاء. وقرورى جبل يشرف على المتعشى، عليه علم وبه بركتان في موضع واحد يمنة ويسرة عند القصر. وإحدى البركتين زبيدية مدورة، والأخرى مربعة. وعند الجبل أربع آبار، فمن أراد النقرة أخذ يسرة مع الجبل، ومن أراد معدن القرشي يتيامن. وعلى بعد ٦ أميال من قرورى عبر طريق النقرة بركة مدورة تعرف بـ«الحسني». ويذكر الجاسر أن قرورى موضع بين المعدن والحاجر، على بعد ١٢ ميلاً من الحاجر، وفيه بركة، وقصر، وبئر عذبة[3].

وتلي قرورى أضاخ التي ذكر الجاسر أنها قرية تقع على خط طول ١٥ْ ـ ٢٥ْ شمال، وخط عرض ٤٠ْ ـ ٤٣ْ درجة تقريبا شرق جبلي خزار وإمرة. وأضاف أنها تقع شرق طريق الحاج بمسافة، وأن الحربي ذكرها استطرادا[4].

---

(١) الحربي، المناسك، ص، ص: ٢١٧ – ٢١٩.

(٢) راجع المرجع السابق هامش ص:٢١٩، وعن الحاجر، راجع الأصفهاني حيث ذكر أنها قرية وسوق، وأنه ماء لبني أبي سلمى، على طريق الكوفة إلى مكة. بلاد العرب، ص،ص: ٢٤٣ ـ ٢٤٤، وراجع اليعقوبي فقد ذكر أن أهلها قيس، وأكثرهم بنو عبس، البلدان، ص: ٧٦. الراشد/ سعد عبدالعزيز/ درب زبيدة، ص ص:٢٢١، ٢٢٢، أطلال/ العدد ٤، ص:٣٩.

(٣) الحربي، المناسك: ص، ص: ٢١٩، ٢٢٠. هامش ٢٢٠ الراشد. درب زبيدة ص، ص:٢٢٢، ٢٢٤. راجع أطلال، العدد ٤. ص:٣٧.

(٤) الحربي، المناسك، هامش ٢٢١.

أما المنزل الرابع فهو النقرة (بطن رُمة)، وذكر الحربي أن التسمية جاءت من قليب نُقرت بالصفا، حتى أدرك ماؤها فسميت النقرة، وكانت لبني فزارة، ويسكنها بادية من بني فزارة، وحاضرها لقريش والتجار، والمسافة ما بين النقرة ومغيثة الماوان ٢٧ ميلاً. وبالنقرة قصر ومسجد وبركتان وآبار، وبها أعلام: علمان للدخول وآخران للخروج، وعلمان لطريق البصرة وآخران لطريق المدينة، وتبعد عنها بركة السمط ١٢ ميلاً، كما تبعد عن النقرة بركة الأفحوانة، والقصر، وهما متعشى، حوالي ١٣ ميلاً[١].

وذكر ياقوت من «منازل» درب زبيدة بمنطقة القصيم، الرضْيعيَّة، وهي بئر بين الحاجر ومعدن النقرة في طريق الحاج[٢]. والنقرة نقرتان: النقرة الشمالية والنقرة الجنوبية والمسافة بينهما لاتزيد على ١٠كم وتقع الجنوبية على خط عرض ٣٥ـ٢٥ْ وخط طول ٢٥ـ٤١ْ، والشمالية ٤٠ـ٢٥ْ و٤٥ـ٤١ْ تقريبا[٣].

ويذكر العبودي أن أول منازل درب زبيدة بالقصيم هو الحاجر، بعده يجتاز الطريق البياضة، وهي أرض مستوية بيضاء وتعرف قديما بـ«الصلعاء». وهو المنزل الثاني ، ومنها يمر بجبل أبي رقيبة، وهذا الجبل كان يسمى قديما قرورى وهو المنزل الثالث، وحاليا يعرف باسم القارورة، ولاتزال آثار طريق الحاج موجودة بقرب جبل أبو رقيبة، ثم يصل إلى المنزل الرابع وهو النقرة[٤].

---

(١) الحربي، المناسك ص.ص: ٣٢١ -٣٢٣.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص: ٥٠.

(٣) الحربي ـ المناسك، الجاسر هامش ص : ٢٢٢

(٤) العبودي، بلاد القصيم، جـ١، ص : ١٨٦.

وخلال المسح الذي أجرته الإدارة العامة للآثار، تمّ تحديد هذه المنازل حيث اختبرت في أجزاء منها، وجمعت بعض الملتقطات السطحية[(١)]. كذلك جاء تفصيل لها ضمن الدراسة التي أجراها سعد عبدالعزيز الراشد لدرب زبيدة[(٢)].

رابعاً: المواقع الأثرية الواقعة على الطريق الفرعي:

يتفرع هذا الطريق من طريق «الجادة» البصرة ـ مكة عند النباج حيث يتجه إلى المدينة، وبعد مروره بعدة مواقع داخل القصيم يصل إلى النقرة الموقع الأخير حيث يلتقي بدرب زبيدة، وقد ذكر «منازله» الحربي نذكرها بتصرف على النحو التالي:

يعدلون من النباج نباج بني عامر، فيتيامنون فيصبحون من ليلتهم ببطن قوّ... ثم يرتحلون منه فيصبحون ماءً لبني عبس، يقال له أثال. وآثال عقبة في ذلك الموضع. ثم يخرجون فيصبحون الناجية ليس بها ماء، ثم يسيرون إلى الفوارة فيصبحون بها، وبها عيون ونخل كثير كانت لعيسى بن جعفر وإذا جاوزوها بستة أميال عرض لهم قطن ... ثم بطن الرمة فنزلوه، وفيه غدير الدهر لا يكاد يعدمه ماء... فيصبحون النقرة فيوافون بها أهل الكوفة، من أخذ على طريق الجادة إلى مكة[(٣)]. وذكر كل من ابن خرداذبة وقدامة[(٤)] أن من عدل من النباج فإلى النقرة، أما ابن رستة فيقول: .... «فيعدل من أراد طريق المدينة من النباج إلى العيون، ثم إلى عناب، ثم إلى معدن النقرة»[(٥)].

(١) أطلال، العدد الرابع، ١٤٠٠هـ.١٩٨٠م، ص، ص: ٣٥ ـ ٤٠.
(٢) الراشد، درب زبيدة ١٤١٤هـ: ص، ص: ٢٢١ ـ ٢٢٤.
(٣) الحربي. المناسك، ا ص، ص: ٦٠٥ ـ ٦٠٨. راجع الأصفهاني، بلاد العرب، ص: ٢٧٠
(٤) ابن خرداذبة، ص: ١٢٦، راجع جعفر بن قدامة، الخراج، ص: ١٩٠.
(٥) ابن رستة، ص، ص: ١٨١، ١٨٢.

ويعقب حمد الجاسر على ما ذكره الحربي، بأن أثال بلدة معروفة من بلدات عيون الجواء واقعة في الشمال الغربي من مدينة بريدة، وعيون ابن عامر المقصود بها عيون الجواء[1] (الجدول رقم ٥).

غير أن الوشمي يرى أن المسار يتجه غرباً مباشرة، من النباج ماراً بصفراء الأسياح والطرفية إلى أن يصل إلى أثال ثم عيون الجواء، وذكر أن في العيون بقايا آثار قديمة، وكسرًا فخارية وزجاجية، ومن هناك يستمر الطريق إلى النقرة حسب المواقع المشار إليها[2] (الجدول رقم ٥).

بينما نجد العبودي يصف المنازل على الطريق، داخل منطقة القصيم بالنسبة للقرى والمدن الحالية، مبتدئاً بالنباج، ويتجه الطريق منها شمالاً إلى قصيبا، التي عناها الحربي ببطن قوّ، مارين في طريقهم إلى قصيبا بصفراء الأسياح، وجال الغراء، والدغمانية، ثم يسلك الطريق ما بين قريتي النغبقة الشمالية، والجنوبية ليصل إلى مدينة قصيبا، ويتجه بعد ذلك بشكل معاكس إلى الجنوب ليصل إلى منزل «أثال»، وقد يعود ذلك إلى وعورة الأرض باتجاه المدينة المنورة، ووفرة المياه في «أثال» وعيون الجواء، ثم يعبر إلى الحنادر غرباً، ويدخل شعيب الفويلق، وجبل الأصبعة - عرف قديما بساق العناب - ويدخل بين جبلي الرحا والرحية. والرحا يعرف قديماً (رقد)، ثم قليب الحمل، ثم هجرة العمودة، ثم الفوارة. وبعد الفوارة يتجه غربا باتجاه جبل قطن، وخيمة قطن فيعبر مجرى وادي الرمة أسفل عقلة الصقور، ويرى جبل طمية ثم يصل إلى النقرة، حيث يجتمع حاج البصرة إلى المدينة بحاج الكوفة إلى مكة[3]. (الجدول رقم ٥).

(١) الحربي، المناسك - الجاسر، هامش ص ص: ٦٠٦ - ٦٠٧.
(٢) الوشمي، طريق الحج العراقي، ص ص:١٥٢ - ١٥٣.
(٣) العبودي بلاد القصيم، جـ١، ص ص: ١٨٣ - ١٨٦.

ويتضح لنا من خلال العرض السابق، أن المواقع على طرق الحج البصري والتجارة في منطقة القصيم، أخذت أنماطاً استيطانية متنوعة، تبعا للوظيفة التي يقوم بها الموقع، ومنها ما هو مستوطنة كبيرة، يطلق عليها بلدة أو قرية كبيرة، ومنها ما جاء على شكل متعشى أو منزل واستراحة صغيرة، أو أنها مسالك وممرات فقط ولم تذكر أنها منزل أو بلدة إنما منطقة رعوية تتوافر فيها الأعشاب ومياه الأمطار وبعض الآبار والركايا وتكون منبسطة أرضها ويسيرة على تنقلات القوافل.

وبحكم أن الحربي أقدم هؤلاء البلدانيين، وأنه قد سار على طريق الحج البصري بنفسه وذكر منازله من خلال المشاهدة، وليس نقلاً عن غيره، وأفرد لطريق البصرة بشقيه المكي والمدني، صفحات وتحدث عن بعض منازله بالتفصيل في حين اكتفى بعض البلدانيين بذكر منازل الطريق فقط ؛ لذا فإننا نعدّ الحربي المحور الرئيس والمصدر الذي نقل عنه البلدانيون الآخرون ـ إلاّ ما ندر ـ والكتاب المتأخرون[1].

دراسة المواقع الأثرية على طريق الحج البصري عند البلدانيين والمتأخرين

أ ـ المواقع على الطريق البصري عند البلدانيين :

الموقع الرئيس الذي اتفق البلدانيون على ذكره، وأورده الكتاب المتأخرون هو النباج وقد جاء ذكره عند الحربي ، والجهضمي الذي نقل الحربي عنه الأرجوزة والقصائد الشعرية وابن خرداذبة، وابن رستة،

(١) راجع البكري، جزيرة العرب؛ تحقيق عبدالله الغنيم، ص: ١٥٠.

والواقدي، وأبو الفرج قدامة بن جعفر، وأبو علي الهجري، والمقدسي، والبكري، والإدريسي. وقد اتفق هؤلاء على أنه منزل رئيس فجاء عند البعض منهم، ملتقى طرق وبلد عامر، واكتفى البعض بذكره دون الإشارة إلى عمرانه. وإذا كان اتفاق البلدانيين السابقين والكتاب المتأخرين، على أن النباج المنزل الأول بمنطقة القصيم من جهة الشرق مما يلي البصرة، فإن المقدسي جعل من النباج المنزل الثاني بعد القريتين اللتين قرب عنيزة، في حين أن أبا علي الهجري ابتدأ في ذكر المنازل من ضرية ونزولاً حتى النباج، والإدريسي لم يذكره ضمن المنازل. أما الصريف فقد ذكر أنه متعشى.

المنزل الثاني عند الحربي هو العوسجة، وقد اتفق معه البلدانيون، سابقو الذكر على أنه المنزل الذي يلي النباج، في حين خالف ذلك المقدسي فعدها المنزل الثالث بعد النباج والقريتين. أما الجهضمي[1] فلم يذكره بالاسم، بل ذكر الصريف على أنه الموقع الذي يلي النباج ثم القصيم، والإدريسي لم يذكره.

المنزل الثالث عند الحربي هو القريتين، وخالف هذا الاتفاق المقدسي والجهضمي، فأما المقدسي فقد ذكر القريتين على أنها تسبق كلا من النباج والعوسجة أي أنها تأتي قبل النباج. ،الجهضمي أورد القريتين بعد القصيم وقاع بولان، وهذا واقع حالها، وكتبت عند الواقدي القرنتين، وذكرها الهجري باسم الفريش، أما الإدريسي فذكرها كملتقى طريق: البصرة - مكة، واليمامة - مكة.

المنزل الرابع عند الحربي: رامة، ويخالف هذا الاتفاق الجهضمي حيث جاء عنده رامة - (رامتان) - بعد النباج والصريف، والقصيم، وقاع بولان،

---

(١) الحربي، المناسك، ص.ص: ٦٣٠ - ٦٣١.

والقريتين، وعجلز. وهذا الخلاف فقط في أسماء المنازل، بينما مسار الطريق صحيح.

المنزل الخامس عند الحربي هو: إمرة، وخالف ذلك الواقدي والجهضمي، فأما الواقدي فلم يأت على ذكر إمرة. وعند الجهضمي تأتي إمرة بعد عاقل ورامتان.

المنزل السادس عند الحربي طخفة، ويأتي بالترتيب بعد إمرة، وموقعها عند الجهضمي الثامنة. وذكرها ابن رستة (طغثة)، والإدريسي (طقجة).

المنزل السابع والأخير عند الحربي: ضريّة، وتعدّ المنزل الأخير في منطقة القصيم عند جميع البلدانيين. ، وذكرها المقدسي مُعَرَّفة الضريَّة.

وهناك بعض الاستراحات والمتعشيات بطريق الحج البصري إلى مكة، ذكر منها الحربي قاع بولان، وبلد الرمادة، وعجلز، وبطن عاقل. وذكر أن في عجلز بركة وآباراً ومسجداً. وجاء ذكر أخرى عند الجهضمي مثل: الصريف، القصيم. (راجع الجداول: ١, ٢, ٣).

ب-المواقع على الطريق البصري كما جاءت في الروايات والدراسات الحديثة:

اتفق العبودي مع الحربي ومع بعض البلدانيين، على أن أول منازل القصيم الذي يلي البصرة هو النباج، ومنه يمر الطريق بقرية الجعلة، ثم الصريف المنزل الثاني، ثم البريكة، ثم قاع بولان «قاع الأبيض» وهو المنزل الثالث للطريق. ولم يذكر العبودي العوسجة في هذا المسار كواحدة من المنازل الرئيسة، بل أشار إلى أنها تقع غرب الطريق، وحددها بخب العوشز الواقع جنوب غرب بريدة. ومن قاع بولان يصل إلى المنزل الرابع القريّة وهي قرية عبدالله بن عامر بن كريز. ويمر الطريق بعدها بقرب الروغاني ليصل إلى بركة

زبيدة، ومنها إلى العيارية التي كان يطلق عليها سابقا العسكرة وهي إحدى القريتين، ثم الرمادة حيث يترك الطريق وادي الرمة إلى اليمين جنوب البدائع، حتى يصل إلى رامة المنزل الخامس، ومنها يصل إلى إمَّرة المنزل السادس، عبر وادي العاقلي (عاقل)، ويستمر الطريق إلى طخفة المنزل السابع، ومنها إلى ضريّة المنزل الثامن.

أما حمد الجاسر في تعليقاته على كتاب الحربي، فإنه يتفق مع الحربي على المنازل الرئيسة، ويرى أن العوسجة هي قرية العوشزية القريبة من مدينة عنيزة. وبيَّن أنها لا تقع في اتجاه مكة، بل تميل نحو الجنوب كثيراً.

ويتفق الغنيم مع ما ذكره الجاسر والعبودي من أن المنزل الأول في القصيم هو النباج ويحدده بـ«عيون ابن فهيد» وأن المنزل الثاني العوسجة، ويحدد موقعه بقرب بلدة عنيزة، ويقصد بذلك بلدة العوشزية الواقعة شرق مدينة عنيزة مؤيداً ما ذكره الجاسر بأن العوسجة هي العوشزية، ثم يورد المنازل: رامة، إمرة، وطخفة، وضرية. وبذلك يكون قد أسقط القريتين التي أوردها البلدانيون.

ويتوافق ما أورده الوشمي مع بعض ما جاء عند البلدانيين والمتأخرين، من حيث أن المنزل الأوّل بمنطقة القصيم هو النباج. وبالنسبة للمنزل الثاني، فإنه يتفق مع الجهضمي والعبودي ويخالف الحربي والبلدانيين الآخرين الذين ذكروا أنها العوسجة. ويرى الوشمي أن الطريق ينقسم إلى قسمين (أ ـ ب) بعد منزل الصريف ليلتقيا فيما بعد عند منزل القريتين.

ويوافقهم الوشمي فيما يخص المنازل الرئيسة، ولكنه يختلف مع العبودي حول بطن قو التي ذكرها الحربي على طريق النباج ـ النقرة ـ المدينة، حيث

يحددها الوشمي بشعيب الطرفية بدلاً من قصيبا عند العبودي، نظراً لوقوع الأخيرة شمالاً عن مسار الطريق[1]، ولطول المسافة بينها وبين النباج. فالطريق يتجه بعد شعيب بن مطلق إلى منزل أثال، ثم عيون الجواء، ثم غرباً إلى الناجية عبر المليدا الشمالية ووادي الفويلق وجبال الموشم وجبل بقيعا الأصبع، ومن الناجية إلى الفوارة، ثم جبل قطن ووادي الرمة حتى يصل النقرة.

أما الطريق الذي يصل ما بين البصرة والمدينة المنورة دون المرور بطريق البصرة. ـ مكة، والذي ذكر الحربي منازله وأشار إلى أنه هُجِرَ بسبب المخاوف، فلم يذكر عند غيره لأن الناس لا تسلكه، بسبب المخاوف والوعورة.

وقوافل الحج والتجارة عادة ما تتوخى المسالك السهلة، مثل ضفاف وجنبات وادي الرمة، وفروعه، والأودية الأخرى، ومناطق الرمال السهلة، والخالية من الكثبان الرملية، وتتجنب الجبال والهضاب الصخرية الوعرة.

ويلاحظ أيضاً أن المنازل تحكمها أماكن وفرة المياه والآبار والقرى والمستوطنات القائمة. فليست سهولة الطريق فقط هي الفصل. وتتحدث المصادر عن بعض المنازل كمستوطنات كبيرة، والبعض الآخر كمراكز لمناطق رعوية. وهناك شبه اتفاق بين بعض البلدانيين حول المنازل الرئيسة. وأضاف البعض منازل فرعية بحكم معاصرتهم لازدهار الطريق، وفصل البعض في المسالك واكتفى البعض بذكرها بالاسم. ويلاحظ أن الاختلاف بين البلدانيين يتركز في معظمه حول ترتيب المنازل، وقد يكون سببه الفارق الزمني بين كتاباتهم ونشاط المنازل خلال عصر كل منهم.

(١) الوشمي، صالح، طريق الحج العراقي، ص ص: ١٨٢ ـ ١٨٧.

أما غير البلدانيين فإن الاختلاف والتباين بينهم أكبر؛ بحكم أن الطريق لم يعد يستعمل في عهدهم وتعرض إلى انقطاع تاريخي، وبالتالي اختفت المرجعية من الواقع الجغرافي. والاختلاف حول المنازل فيما بينهم، أو مع البلدانيين إنما يعزى للتحول في مسار الطريق وهو أمر فات عليهم، حتى في حالة الاتفاق على موقع المنزل.

ونلاحظ الاختلاف بينهم حول المسافات بين المنازل، وهذا يعزى لتحول الطريق من مسلك إلى آخر لعدة أسباب منها: الرمال المتحركة التي تسد الطريق أحياناً. أو انتعاش منازل جديدة، وبلدات وقرى، أو جفاف الآبار، وضرورة التحول إلى مناطق أخرى، أو اضطراب الأمن في زمن معين وضرورة تلافي المناطق غير الآمنة.

أما فيما يختص بالرواة من بلدانيين ومحدثين، فنلاحظ أن رواية الحربي المتوفى ٢٨٥هـ، هي الأقدم والأساس الذي اعتمد عليه البلدانيون. والحربي سلك طريق البصرة - مكة، وفصل في منازله، كما أنه الوحيد الذي أشار إلى طريق البصرة - المدينة المنورة المباشر. والبلدانيون الذين جاءوا من بعد الحربي، نقلوا عنه مع بعض الإضافات التي شملت مسميات جديدة، علماً أن أكثرهم لم يسلكوا الطريق بأنفسهم، فجاءت رواياتهم مماثلة تقريباً لما أورده الحربي. فمثلاً أبو القاسم عبيدالله ابن خرداذبة، الفارسي الأصل والمتوفى حوالي ٣٠٠هـ. كان والده حاكما على طبرستان جنوب بحر قزوين، وعمل هو في بلاط الخليفة العباسي المعتمد (٢٥٦ - ٢٧٩هـ) بسامراء، وشغل وظيفة صاحب البريد بنواحي الجبال بإيران، وجاء وصفه للطرق بدرجات يتفاوت فيها التفصيل، حيث حظيت بعض الطرق باهتمام وتفصيل أكثر، مثل الطرق التي تخرج من شمال بغداد إلى آسيا الوسطى، وكذلك طريق الهند والصين البري

والبحري، والطريق إلى الأندلس وبيزنطة، وطرق أذربيجان والقوقاز. أما الطرق الخارجة من بغداد باتجاه الجنوب الشرقي إلى مكة، والمدينة، وجنوب الجزيرة العربية، فلم تلق الرعاية والتفصيل، كما كان تأثير ابن خرداذبة على البلدانيين المتقدمين واضحاً، فأخذ عنه اليعقوبي، وابن الفقيه، وابن رستة، وابن حوقل، والمقدسي، وكذلك المتأخرون مثل الإدريسي وابن خلدون[1].

والمؤرخ محمد بن عمر بن واقد الواقدي، صاحب كتاب الرّدة، والذي ولد بالمدينة المنورة، وتوفي في بغداد سنة ٢٠٧هـ، تولى القضاء بشرقي بغداد زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد، وقد كانت له مكانة عند الخليفة الرشيد ويحيى البرمكي، وعينه الخليفة المأمون قاضياً لعسكر المهدي في شرق بغداد، ومن تلاميذه ابن سعد صاحب كتاب الطبقات الكبرى، ووصفه الحربي صاحب المناسك، بأنه أعلم الناس بأمر الإسلام[2].

والبلداني أبو علي بن رستة والذي كتب الأعلاق النفيسة ما بين عام ٢٩٠هـ و٣٠٠هـ (وهناك اعتقاد جازم بأنه تم تأليفه بعد عام ٢٩٠هـ)، وابن رستة من أصل أصفهاني، وكان بالحجاز عام ٢٩٠هـ، ولم يبق من موسوعته «الأعلاق النفيسة» سوى الجزء السابع، وابن رستة مثل سابقيه لم يخل من تأثير ابن خرداذبة[3].

وقدامة بن جعفر، صاحب كتاب الخراج، يكاد يتفق مع ابن خرداذبة. فابن قدامة كان من عمال الخراج في إقليم الجبال، فجاءت المسالك والمنازل

(١) كراتشكوفسكي، اغناطيوس يوليانوفتش، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين هاشم، ط٢، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ص، ص ١٦٧ إلى ١٧١. راجع: عبدالباقي، أحمد، معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري، ص، ص: ٢٩٨ ـ ٤٠٠. راجع حميدة، عبدالرحمن، أعلام الجغرافيين العرب، دمشق، دار الفكر، ١٤٠٤/١٩٨٤ص ص: ١٠٦ ـ ١٠٧.

(٢) الواقدي، محمد بن عمر، كتاب الردة، ص ص: ٩ ـ ١٣.

(٣) المرجع السابق، ص‌ص: ١٧٨-١٧٩، راجع حميدة عبدالرحمن، أعلام الجغرافيين العرب، ص‌ص:١١٦ – ١١٧ .

دقيقة، ومفصلة عند ابن قدامة، في طريق خراسان وبعض الطرق الكبيرة التي كانت تتشعب من بغداد. وشغل قدامة بن جعفر وظيفة صاحب البريد، فأسرته أقامت في البصرة وهي مقربة للعباسيين، كما أن كتابه الخراج، الذي ألفه حوالي٣١٦هـ ٩٢٨م ويتكون من ثمانية أقسام لم يصل منها سوى أربعة تمثل الجزء الثاني، بمثابة تتمة مهمة لما كتبه ابن خرداذبة، ويستند على البلاذري، ويعتمد في كتابته على الوثائق الرسمية للدولة. ووفاة قدامة غير محددة، ولكنها قد تقع ما بين ٣١٠ـ٣٣٧هـ، (٩٢٢ـ٩٤٨م).

أما شمس الدين أبوعبدالله محمد الشامي المقدسي المعروف بالبشاري فيُعدُّ آخر هؤلاء البلدانيين، الذين ينتمون إلى القرن الرابع، فهو من مواليد القدس عام ٣٣٥هـ/ ٩٤٦ـ٩٥٧م، فقد كتب في نحو ٣٧٥ـ٣٧٨هـ ٩٨٥ـ ٩٨٨م[(١)] . وكتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) وجد في مسودتين إحداهما تعود إلى ٣٧٥هـ، والثانية تعود إلى ٣٧٨هـ، وهي التي رجع إليها ياقوت الحموي، أما وفاة المقدسي فهي غير معروفة على وجه التحديد، ومن المرجح أن وفاته كانت في أواخر القرن العاشر الميلادي حوالي ٣٩٠هـ/ ١٠٠٠م[(٢)].

وأبوعبيد عبدالله البكري المتوفى ٤٨٧هـ صاحب كتاب الممالك والمسالك، فقد كان تلميذاً لأحمد بن عمر العذري وابن عبدالبر النمري، والمعروف باسم القرطبي والأندلسي، وقد تأثر بأسلوب الجيهاني وابن رستة،

---

(١) المرجع السابق، ص ص ١٨٠ ـ ١٨١.
وراجع حميدة، عبدالرحمن، أعلام الجغرافيين، ص ص: ١٤٨ ـ ١٤٩.
(٢) المرجع السابق، ص ص: ٢٢٧ ـ ٢٣٠.
راجع حميدة، عبدالرحمن، أعلام الجغرافيين، ص ص: ٢٥٥ ـ ٢٥٦.

وكان جده ووالده اميرين على مدينة ولبة وشلطيش غرب إشبيلية، وكان هو نفسه وزيراً لأمير المرية وعمل مع المعتمد بن عباد باشبيلية. وقد استفاد من كتابه (الممالك والمسالك) ياقوت الحموي[1].

ومحمد بن محمد بن عبدالله الإدريسي المعروف بالشريف الإدريسي، والمولود في مدينة سبتة في المغرب ٤٩٣هـ/ ١١٠٠م، وينتمي بنسبه إلى الأدارسة العلويين الذين حكموا أجزاء من إفريقيا حوالي ٣٧٥هـ، أما أجداد الإدريسي المباشرون فكانوا أمراء على مالقة، فتعلم الإدريسي في قرطبة، وزار أوروبا مثل: سواحل لشبونة، وفرنسا، وإنجلترا، وآسيا الصغرى، وحلّ ضيفاً على الملك روجر الثاني في صقلية سنة ٥٣٣هـ، ومن هناك كانت شهرته، وينسب الفضل في بروز الإدريسي إلى الملك روجر. وقد استفاد الإدريسي من المسعودي، وابن خرداذبة، والعذري، واليعقوبي، وقد تأثر بأعمال الإدريسي ابن سعيد المغربي، وأبو الفدا. وتوفي في صقلية سنة ٥٦٠هـ[2].

أما المحدثون فقد جاءت كتاباتهم وتعليقاتهم متممة لكتابات البلدانيين مع محاولات جادة في تحقيق المواضع الجغرافية والمعالم التاريخية، ومن هؤلاء مثل: الشيخ حمد الجاسر، العبودي، الغنيم، الوشمي.

---

(١) المرجع السابق ص ص: ٢٩٥ ـ ٣٠٢.
راجع حميدة، عبدالرحمن، أعلام الجغرافيين، ص ص: ٢٥٦ ـ ٢٥٧.

(٢) المرجع السابق، ص،ص: ٣٠٤ ـ ٣٠٥.
راجع الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ١، دراسة وتعريف.
راجع حميدة، عبدالرحمن، أعلام الجغرافيين، ص ص: ٢٨٨ ـ ٢٨٩.

(الجدول رقم ١)

منازل طريق الحج والتجارة من البصرة إلى مكة (عند الجغرافيين المسلمين)

الطريق الرئيس

م	الحربي ت ٢٨٥هـ		ابن خرداذبة ت ٣٠٠هـ		ابن رستة يعود تاريخ الأعلاق إلى ٢٩٠هـ		قدامة بن جعفر ت٣١٠ - ٣٢٧هـ		المقدسي ت ٢٩٠هـ	
	المنزل	المسافة بالميل ●	المنزل	المسافة بالميل	المنزل	المسافة بالميل	المنزل	المسافة بالميل	المنزل	المسافة بالميل
	البصرة		البصرة		البصرة		البصرة		البصرة	
١	المنجشانية	٨	المنجشانية		المنجشانية	٨	الحفيرة		الحفيرة	١٨
٢	الحفير	٢٣	الحفير		الحفير	١٠	ماوية		الرحيل	٢٨
٣	الرحيل	٢٨	الرحيل		الرحيل	٢٨	ذات العشر		الشجي	٢٧
٤	الشجي	٢٩	الشجي		الشجي	٢٩	الينسوعة			
٥	الخرجاء	٣٣	الخرجاء		الخرجاء	٢٣	السمينة		الحفر - أبي موسى	٢٦
٦	الحفر	٢٧	الحفر		الحفر	٢٦	النباج		ماوية	٣٢
٧	ماوية	٣٢	ماوية		ماوية	٣٢	العوسجة		ذات العشر	٢٩
٨	العشر	٢٩	ذات العشر		ذات العشر	٢٩	القريتين		الينسوعة	٢٣
٩	الينسوعة	٢٣	الينسوعة		الينسوعة	٢٣	رامة		السمينة	٢٩
١٠	السمينة	٢٩	السمينة		السمينة	٢٩	إمرة		القريتين	٢٢
١١	النباج	٢٣	النباج		النباج	٢٣	ضرية		النباج	٢٣
١٢	الصريف	١٠								
١٣	العوسجة	١٩	العوسجة		العوسجة	١٩	جديلة		العوسجة	٢٩
١٤	القريتين	٢٢	القريتين		القريتين	٢٢	فلجة		رامة	

● **المسافة بالميل العربي، والميل يساوي ٢ كيلو متر.**

انظر البكري، جزيرة العرب، من كتاب "الممالك والمسالك" تحقيق عبدالله الغنيم، ص ١٥٢.

تابع (الجدول رقم ١)

منازل طريق الحج والتجارة من البصرة إلى مكة (عند الجغرافيين المسلمين)

الطريق الرئيس

م	الحربي ت ٢٨٥هـ		ابن خرداذبة ت ٣٠٠هـ		ابن رستة يعود تاريخ الأعلاق إلى ٢٩٠هـ		قدامة بن جعفر ت٣١٠ - ٣٢٧هـ		المقدسي ت ٢٩٠هـ	
	المنزل	المسافة بالميل	المنزل	المسافة بالميل	المنزل	المسافة بالميل	المنزل	المسافة بالميل	المنزل	المسافة بالميل
١٥	رامة	٢٤	رامة		رامة	٠٠	الدفينة		إمرة	٢٧
١٦	إمّرة	٢٧	إمّرة		إمّرة	٢٧	قبا		طخفة	٢٦
١٧	طخفة	٢٦	طخفة		طخفة	٢٦	مران		ضرية	١٨
١٨	ضرية	١٨	ضرية		ضرية	٢٨	وجرة		جديلة	٣٢
١٩	جديلة	٣٢	جديلة		جديلة	٣٢	أوطاس		فلجة	٣٥
٢٠	فلجة	٣٥	فلجة		فلجة	٣٥	ذات عرق		الدثينة	٢٦
٢١	الدثينة	٢٦	الدفينة		الدفينة	٢٦	بستان		قبا	٢٧
٢٢	قبا	٢٧	قبا		قبا	٢٧	مكة		الشبيكة	٢٧
٢٣	الشبيكة	٢٧	وجرة - مران		الشبيكة	٢٧			وجرة	٤٠
٢٤	وجرة	٤٠	أوطاس		وجرة-مران	٤٠-٣			ذات عرق	٢٧
٢٥	ذات عرق	٢٧	ذات عرق		أوطاس	٠٠				
٢٦	البستان	٢٤	بستان		البستان	٢٧				
٢٧	مكة	٢٨	مكة		مكة	٢٤				

(الجدول رقم ٢)

منازل طريق الحج والتجارة من البصرة إلى مكة (عند الجغرافيين المسلمين)

الطريق الرئيس

م	الواقدي ت ٢٠٧هـ رواية أحمد الكوفي ت/ ٣١٤هـ		أبو علي الهجري توفي أوائل القرن الرابع الهجري		البكري ت ٤٨٧هـ		● الجهضمي		الادريسي ت ٥٦٠هـ ذكر الطريق من القريتين	
	المنـزل	المسافة بالميل	المنـزل	المسافة بالميل	المنـزل	المسافة بالميل	المنـزل	المسافة بالميل	المنـزل	المسافة بالميل
١	البصرة		البصرة		البصرة		البصرة			
٢	الحقين		الحفير		المنجشانية	٨	المحدثة			
٣	الدجيل		الرحيل		الحفير	١٠	الحفير			
٤	الشجاء		الشجي		الرحيل	١٨	الرحيل			
٥	الخرجاء		الخرجاء		الشجي	٢٦	الشجي			
٦	-		الحفر		الخرجاء	٣٣	الخرجاء			
٧	الحفر		ماوية		حفر	٢٦	الحفر			
٨	وماوية		العشر		ماوية	٣٢	ماوية			
٩	العشير		الينسوعة		ذات العشر	٢٩	الرقعة			
١٠	الينسوعة				الينسوعة	٢٣	الخرشنة			
١١	السمينة		النباج		السمينة	٢٩	الحدادة			
١٢	النباج		العوسجة		النباج	٢٣	ذات العشر			
١٣	العوسجة		الفريش		العوسجة	٢٧	الينسوعة		القريتين	
١٤	القرنتين		رامة		القريتين	٢٢	السمينة		رامة	

● أرجوزة الجهضمي أوردها الحربي في كتابه المناسك.

تابع (الجدول رقم ٢)

منازل طريق الحج والتجارة من البصرة إلى مكة (عند الجغرافيين المسلمين)

الطريق الرئيس

م	الواقدي ت ٢٠٧هـ رواية أحمد الكوفي ت/ ٢١٤هـ		ابو علي الهجري توفي أوائل القرن الرابع الهجري		البكري ت ٤٨٧هـ		الجهضمـي		الادريسي ت ٥٦٠هـ ذكر الطريق من القريتين	
	المنـزل	المسافة بالميل	المنـزل	المسافة بالميل	المنـزل	المسافة بالميل	المنـزل	المسافة بالميل	المنـزل	المسافة بالميل
١٥	رامة		إمرة		رامة	٢٤	النباج		طخفة	
١٦	الصريف									
١٧	طخفة		طخفة		إمرة	٢٧	القصيم		ضرية	
١٨	الضرية		ضرّية		طخفة	٢٦	القريتان		جديلة	
١٩	محلة		الجديلة		ضرية	١٨	رامتين		قلجة	
٢٠	جديلة		فلجة		جديلة	٣٢	امرة		الرقيبة	
٢١	الرفيفة		الدثينة		فلجة	٣٥	طخفة		قباء	
٢٢	قبا		قباء		وجرة	٤٠	ضرية		مران	
٢٣	شبيكة		مران		أوطاس	٢٤	الجديلة		وجرة	
٢٤	وجرة		وجرة		الشبيكة	٠٠	فلجة		أوطاس	
٢٥	ذات عرق		ذات عرق		مران	٣	قباء		ذات عرق	
٢٦	ستار بني عامر		البستان		ذرات عرق	٢٧	وجرة - مران		البستان مكة	
٢٧	مكة		مكة				ذات عرق - البستان الصفاح			

(الجدول رقم ٣)

منازل طريق الحج والتجارة من البصرة إلى مكة داخل منطقة القصيم كما وردت عن الجغرافيين المسلمين

المنـزل	الحربي ت ٢٨٥هـ	ابن خرداذبة ت ٣٠٠هـ	ابن رستة ت ٢٩٠هـ	قدامة ابن جعفر ت ٣١٠ - ٣٢٧	المقدسي ت ٢٩٠	الواقدي ت ٢٠٧هـ رواية الكوفي ت ٢١٤هـ	أبو علي الهجري بدأ الطريق من ضرية إلى النباج	البكري ت ٤٨٧	الجهضمي
الأول	النباج ١٩ ميلاً	النباج	النباج ١٩ ميلاً	النباج	القريتين ٢٣ ميلاً	النباج	النباج المسافة بين النباج إلى القريتين ٤٠ ميلاً	النباج ٢٧ ميلاً	النباج
الثاني	الصريف ١٠ أميال								الصريف -القصيم
الثالث	العوسجة ١٩ ميلاً من النباج	العوسجة	العوسجة ٢٢ ميلاً	العوسجة	النباج ٢٣ ميلاً	العوسجة	العوسجة	العوسجة ٢٢ ميلاً	القصيم
الرابع	القريتين ١٩ ميلاً	القريتين	القريتين	القريتين	العوسجة ٢٩ ميلاً	القريتين ذكرت القرتين	القريتين ذكرت القرتين	القريتين ٢٤ ميلاً	القريتين
الخامس	رامة ٢٤ ميلاً	رامة	رامة ٢٧ ميلاً	رامـة	رامـة ٠٠ ميلاً	رامة	رامـة	رامـة ٢٧ ميلاً	رامتان عاقل
السادس	إمرة ٢٦ ميلاً	إمرة	إمرة ٢٦ ميلاً	إمرة	إمرة ٢٧ ميلاً	طخفة	إمـرة	إمـرة ٢٦ ميلاً	إمَّرة
السابع	طخفة ٢٦ ميلاً	طخفة	طخفة ذكرت طفئة ٢٨ ميلاً	ضوية	طخفة ٢٦ ميلاً	ضريـة	طخفـة	طخفة ٢٦ ميلاً	طخفة
الثامن	ضرية ١٨ ميلاً	ضرية	ضرية		ضرية ١٨ ميلاً		ضريـة	ضريـة	ضريـة

(الجدول رقم ٤)

محطات طريق الحج والتجارة من البصرة إلى مكة داخل منطقة القصيم كما جاءت في الدراسات الحديثة

المحطة	الجاسر	الغنيم	العبودي		الوشمي	
			أ	ب	أ	ب
الأولى	الأسياح	الأسياح	الأسياح	الأسياح	الأسياح	الأسياح
الثانية	الصريف	العوسجة / العوشزية	الصريف	خب العوشز - عوسجة	الصريف	الصريف
الثالثة	العوشزية	رامة	البريكة	القريتين العسكرة - العيارية	البريكة، العفجة	خب العوشز
الرابعة	القريتين	إمّرة	القريتين	رامة	القريتين قرية بن عامر	القريتين "العسكرة" العيارية
الخامسة	رامة	طخفة	رامة	إمرة	رامة	رامة
السادسة	إمرة	ضرية	إمرة	طخفة	إمرة	إمرة
السابعة	طخفة		طخفة	ضرية	طخفة	طخفة
الثامنة	ضرية		ضرية		ضرية	ضرية

(الجدول رقم ٥)

الطريق الفرعي عبر منطقة القصيم من : النباج - النقرة إلى المدينة (مقابلة الأسماء الواردة عند الحربي مع تحقيقات العبودي والوشمي)

م	الحربي / المناسك		العبـــودي		الوشمي	
	المحطة	المواقع ومعالم الطريق	المحطة	المواقع ومعالم الطريق	المحطة	المواقع ومعالم الطريق
١	نباج بني عامر		النباج الأسياح	طريق - صفراء الأسياح - جال - الغراء - الدغمانية - النغبقة الشمالية والجنوبية.	النباج الأسياح	صفراء الأسياح - الطرفية
٢	بطن قو		قصيبا قديمًا / قوا		بطن قو/ حاليًا شعيب بن مطلق	
٣	أثال		أثال		اثال	عقبة اثال / حاليًا المشيرف
٤	عيون ابن عامر		عيون الجواء	الخنادر - شعيب الفويلق - جبل الاصعج قديمًا ساق العناب - جبلي الرحا والرحية - قليب الحمل - هجرة العمودة.	عيون الجواء	
٥	الناجية		الفوارة	جبل قطن - مجرى وادي الرمة - جبل طمية.	الناجية	المليدا - وادي الفويلق - جبال الموشم - عناب بقيعاء - اصبع
٦	الفوارة	قطن - بطن الرمة غيدر الدهر	النقرة		الفوارة	جبل قطن - جبل خيمة - قطن - وادي جبلا أبان وطمية
٧	النقرة				النقرة	

الفصل الثالث

الدراسة الميدانية :

أولاً : النباج : عين بن فهيد .

الوصف العام للموقع .

ثانياً : الصريف : الوصف العام .

ثالثا : العوسجة : البريكة، الوصف العام .

رابعاً : القريتان : القرية، العيارية : الوصف العام، زبيدة .

خامساً : رامة : الوصف العام للموقع .

سادساً : إمرة : الوصف العام .

سابعاً : طخفة : الوصف العام للموقع .

ثامناً : ضرية : الوصف العام للموقع .

الفصل الثالث
الدراسة الميدانية

أدرك الآثاريون ومنذ وقت طويل أن استنتاجاتهم عن الحضارات الغابرة تستند إلى العينات التي تصل إليهم من المخلفات الحضارية لإنسان الماضي. وحين تخضع منطقة ما لدراسة آثارية، لابد من انتقاء جزء أو أجزاء من تلك المنطقة، لإجراء المسح فيها. وبعد أن يعثر على المواقع، لابدأن يختار الباحث عينات منها لإجراء التحريات الآثارية، من مجسات وأعمال تنقيب يجب أن تتم في مواضع مختارة في كل موقع من المواقع ذات العلاقة. ويتم إخضاع المواد الأثرية التي يحصل عليها من الأماكن المختارة للتحليل والدراسة بهدف الخروج باستنتاجات[1].

تمشياً مع ما أشرنا إليه، وبعد أن قام المؤلف بدراسة خرائط المنطقة الجيولوجية والطبغرافية، والاهتداء بما جاء في المصادر التي تتحدث عن المستوطنات، والمواقع العائدة للفترات الإسلامية المتعاقبة في منطقة الدراسة ونتائج الدراسات الآثارية والحضارية والتاريخية السابقة، ومراجعة سجلات إدارة الآثار والمتاحف السعودية؛ قام بزيارات عديدة على مدار السنوات

(١) عباس محمد علي، محاضرات مادة الاستيطان المدني (لم تنشر). ادمز، روبرت ماك، أطراف بغداد، تاريخ الاستيطان في سهول ديالي، ترجمة صالح العلي، وعلي المياح، وعامر سليمان، بغداد - المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٤م، ص ص: ٨ - ١٦.

الثلاث الماضية، لمنطقة الدراسة، وللمواقع الأثرية التي لها صلة بالبحث، تخللتها استفسارات من الأهالي والجهات الحكومية ذات الصلة. وبما أن المنطقة المختارة يجب أن تكون عينة ممثلة للمنطقة الكبرى (القصيم)، كان لابد أن تمثل تمثيلاً حقيقياً يحوي بنية القصيم الجيولوجية والطوبغرافية ومواردها المائية وغطاءها النباتي، وكان من الواجب أن تشمل جزءا من الدرع العربي الصخري، والمنطقة الرسوبية، والنفود، وجزءا من مجرى وادي الرمة، والسبخات، وخزانات المياه السطحية والجوفية والمراعي وجزءاً من طريق القوافل لما لهذا من علاقة بنمطية وعوامل الجذب الاستيطاني كتوافر المياه والمراعي وخصوبة الأرض ووعورتها . وبعد المعاينة، قام المؤلف باختيار المنطقة الممتدة بين خط طول ٤٢,٥٠ و٤٤,١٥ شرقاً، وخط عرض٢٤,٤٥ و٢٧,٠٠ شمالاً، كعينة ممثلة لمنطقة القصيم.

شمل المسح الميداني مساحة جغرافية قُدِّر طولها بمائتين وخمسين كيلو متراً وعرضها بنحو مائة وسبعين كيلومتراً (الخريطة رقم ٨). كان المسح موجهاً لتسليط الضوء على مواقع الفترة الإسلامية، علماً بأن التداخل الاستيطاني أمر وارد. وعلى الرغم من تشابه طبيعة المواقع المكتشفة، إلا أننا حاولنا قدر المستطاع أن نبين طبيعة كل موقع.

تم تنفيذ المسح الأثري بواسطة السيارة في الأماكن التي كانت ملائمة لذلك. وفي أغلب الحالات نُفّذ المسح سيراً على الأقدام في مناطق الهضاب، وشعاب الجبال، والرمال، وكان ذلك بتتبع الطرق المطروقة أولاً، لتحديد المواقع المعروفة، مما نتج عنه تحديد مواقع أخرى على مساراتها. ومن ثم اتخذنا من تلك المواقع والطرق، مراكز ننطلق منها في اتجاهات تتعامد معها، حيث

سرنا في السهول، والمناطق الصخرية، في محاولة للوصول لأية مواقع لم يسبق أن اكتشفت، وقد وفقنا بحمد الله إلى تحديد المواقع التالية:

النباج، الصريف، العوسجة، القرية، العيارية، زبيدة، العوشزية، الغاف، أثال، عيون الجواء، ضارج، الشقة، التغيرة، خب العوشز، قصيباء، الفوارة، القرارة، الحنادر، الناجية، المذنب، الخرماء الشمالية، أضاخ، رامة، إمرة، طُخفة، سواج، التكروني، ضريّة، المطيوى، الجفنية، والنقرة. (الخريطة رقم ٤).

وتجدر الإشارة إلى أن هناك محطات، ذكرتها المصادر والمراجع الجغرافية والتاريخية المتقدمة والمتأخرة، تقع ضمن منطقة الدراسة وخارج منطقة المسح، ومنها: الفوارة، وطميَّة، والنقرة، والحاجر، وقروري، والحميمة والجفنية.

ونظراً لاستحالة إجراء دراسة تفصيلية لكل مواقع منطقة المسح، للاعتبارات الواضحة، والمتمثلة في المدة الزمنية لتنفيذ الدراسة، وهدف الدراسة، والإمكانات المادية والفنية فقد وقع الاختيار على ثمانية مواقع توفرت فيها كافة متطلبات الدراسة وهي: ١ ـ النباج، ٢ ـ الصريف، ٣ـ العوسجة، ٤ ـ القريتين، ٥ ـ رامة، ٦ ـ إمرة، ٧ـ طُخفة، ٨ ـ ضريّة.

ومن الناحية الأثرية والاستيطانية فإن اختيارنا لتلك المواقع قد استند إلى عدة عوامل من أهمها التالي:

١ ـ من ناحية التوزيع الجيولوجي فإن خمسة منها (النباج، الصريف، القريتين، العوسجة، رامة) تقع في المنطقة الرسوبية. بينما يقع ثلاثة منها (إمرة، طخفة، وضرية) في المنطقة الصخرية من الدرع العربي. وعليه فإن هناك تبايناً في مقومات الاستيطان يجب معرفتها.

٢ـ تقع ثلاثة من هذه المواقع (الصريف، والعوسجة، والقريتين) على المجرى الرئيس لوادي الرمة، أو أحد فروعه، وتقع أربعة أخر (رامة، إمرة وطخفة، وضريّة) بعيداً قليلاً عن مجرى الوادي . ولكن على شعاب كبيرة تتجمع لتكون روافد الوادي . أما الموقع الثامن (النباج) فيقع في منطقة بعيدة عن المجرى ويكاد يختفي فيها مجرى الوادي ويغور تحت الرمال، ولابد لهذا التوزيع المكاني من أهمية تتطلب دراسة المواقع دراسة أثرية، ومعرفة نوعية الاستيطان في كل منها.

٣ـ ثلاثة من هذه المواقع (النباج، والقريتين، وضرية) تمثل مستوطنات كبيرة دائمة، عبارة عن بلدات كبيرة منذ الفترة الجاهلية. أما المواقع الأخر (الصريف، العوسجة، ورامة، وإمرة، وطُخفة) فهي مواقع صغيرة، ربما كانت محطات موسمية، تزدهر في مواسم الحج، وربما في مواسم المرعى، مما يستدعي تعميق هذا المفهوم المبني على المشاهدة السطحية بعمل أثري.

٤ـ على الرغم من أن المواقع الثمانية، هي محطات على الطريق الرئيس من البصرة إلى مكة، إلا أن ثلاثة منها (ضريّة، والنباج، والقريتين) تمثل نقاط التقاء وتقاطعًا مع طرق محلية . بينما تعتمد المواقع: الصريف والعوسجة على الطريق الرئيس، والمواقع: القريتين، رامة، إمرة، وطخفة، ضرية، يسلكها طريق اليمامة مكة. وما أشرت إليه لابد أن يكون له أثر في نوعية الاستيطان وحجمه. (الخريطة رقم ٤، ٦).

٥ـ تمثل هذه المواقع محوراً يقطع منطقة القصيم من الشمال الشرقي، إلى الجنوب الغربي، تكون النباج عند طرفه الشرقي الرسوبي، وضريّة عند طرفه الغربي الصخري (الخريطة رقم ٨). ولذا فإن توجه دراسة تلك المواقع يشكِّل قاعدة لدراسات فرعية تجرى فيما بعد.

٦ - إلى جانب ما تشتمل عليه تلك المواقع من أطلال معمارية وملتقطات سطحية تساعد كثيراً في كشف النقاب عن أهمية كل موقع على حدة.

كان لابد لنا - بالطبع قبل الدخول في وصف المواقع - من إجراء دراسة جغرافية تاريخية للتحقق من أن المواقع التي وقفنا عليها والتي نحن بصدد دراستها، هي المنازل التي جاء ذكرها عند البلدانيين والجغرافيين الأوائل، لذا سنقف عند بداية وصفنا لكل موقع، على ذكر ما جاء في كتابات البلدانيين ومن جاء بعدهم أو أخذ عنهم من المتأخرين، ثم نعطي وصفاً للموقع، وما يحيط به من مظاهر جيولوجية وتضاريسية وما عليه من مظاهر معمارية أثرية.

أجرت الإدارة العامة للآثار والمتاحف[1] السعودية، وضمن برنامج توثيق درب زبيدة، بعض المسوحات الأثرية الأولية في أطراف الناحية الغربية لمنطقة القصيم داخل منطقة البحث، شملت ست محطات يمر بها الطريق وهي: معدن النقرة، الحميمة الجنوبية (الحسنى)، قروري (سناف اللحم)، الحاجر (البعايث)، الحميمة الشمالية، الجفنية. وتعد هذه المحطات الجزء الذي يمر به درب زبيدة في منطقة القصيم وهي على النحو التالي:

معدن النقرة (الشمالية والجنوبية):

ويشتمل الموقع على عدد من الآبار المنحوتة في الصخر أو المطوية، ويتكون من جزء شمالي وآخر جنوبي. واكتشف في الجزء الجنوبي أطلال مدينة أثرية[2] بقايا إنشاءاتها مشيدة باللبن، كما اكتشفت أنفاق محفورة في الهضاب الصخرية للكشف عن المعادن.

(١) الحلوة، صلاح، نيل ماكنزي، التقرير المبدئي عن المرحلة الرابعة لمسح درب زبيدة، العدد الرابع/ ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. ص ص: ٣٥ - ٤٢.

(٢) المقصود من المدينة الأثرية، القرية القديمة للنقرة وهي هجرة بادية أنشئت في منتصف القرن الرابع عشر الهجري، منذ ٦٠ سنة.

ويحتوي موقع النقرة الشمالية على أساسات مبان وآبار مهجورة كما وجدت ملتقطات سطحية في الموقع، اشتملت على الفخار غير المزجج ذي اللون الأحمر والمطلي باللون الأبيض، والفخار الرقيق الأحمر، وصنُّف الفخار إلى خمسة أنماط. وذكر أنها تشبه فخار القرنين التاسع والعاشر الميلاديين في العراق[1].

الحميمة الجنوبية (الحسنى):

ويتكون الموقع من تل صغير تظهر فيه بعض الجدران المشيدة باللبن، تحمل أسطحها الداخلية ملاطاً جيرياً. وفي الموقع أيضاً بركة دائرية قطرها ٢٨,٥٠م بينما يبلغ ارتفاع جوانبها كما يشاهد من على سطح المكان ٣٠سم بالإضافة إلى مصفاة مستطيلة أبعادها تبلغ ٨م×٦,٥م[2].

قروري (سناف اللحم):

يحتوي موقع قروري على مظاهر أثرية تشتمل على بركتين، إحداهما دائرية الشكل بقطر يبلغ ٢٧,٧٥م، أما الأخرى فتظهر بشكل مربع تبلغ أبعاده ٢٧,٥م × ٢٧,٥م. ويوجد أيضاً قصر بأبعاد تبلغ ٥٣,٥م×٥٥م. كما وجد مسجد مساحته ١٠,٥م × ١١,٢٥م. ويحتوي الموقع أيضاً على بئرين حُفرتا في ضفة الوادي، ويوجد في الموقع وحدات معمارية وفرن لصهر الحجر الجيري.

---

(١) أطلال، العدد ٤، ص: ٣٦. الراشد، درب زبيدة طريق الحج من الكوفة إلى مكة المكرمة «دراسة تاريخية وحضارية أثرية»، ص: ٢٢٧.

(٢) أطلال، العدد ٤، ص ص: ٣٧ ـ ٣٩. الراشد، درب زبيدة، ص ص: ٢١٩ ـ ٢٢٠.

وبالنسبة للمعثورات الأثرية، فإنها اشتملت على أربعة أميال منصوبة على جبل سناف اللحم يبدو أنها كانت تستخدم لإرشاد الحجاج، وبعض حطام الأواني الفخارية غير المزججة، والمطلية باللون الأزرق[1].

الحاجر (البعايث):

يمثل موقع الحاجر مستوطنة إسلامية قامت على مستوطنة قديمة، ويوجد في الموقع وحدات معمارية لم يفصل فيها، كما وجدت فيه بركتان، الأولى مستطيلة الشكل أبعادها: ٣٢م × ٢٦م، أما الأخرى مربعة الشكل بطول ٢٨×٢٨م. وتوجد بئر قديمة مطوية.

وفيما يتعلق بالمعثورات الأثرية، فإنها تشتمل على بعض الرحى، وآنية فخارية أحادية التزجيج، إما باللون الأخضر أو الأزرق، وآنية مزججة بالأخضر على زخارف منفذة باللون الأسود[2].

الحميمة الشمالية:

يحتوي الموقع على بركة مربعة الشكل يبلغ طول ضلعها ٣١,٢٥م وملحق بها مصفاة، وحوض بشكل مستطيل أبعاده تبلغ ١٦×٦,٥م ومبني بصفَّين من الحجر، كما يوجد مسجد صغير مشيد بالحجر الذي لم يبق منه إلا أساساته البالغة أبعادها ١٢م×٣١م. وبالإضافة إلى ما سبق ذكره توجد وحدات معمارية ومبانٍ سكنية منها ثلاثة مبانٍ منفصلة، وأنقاض لأربعة أفران لإعداد الجبس من الحجرِ الجيري[3].

(١) أطلال، العدد ٤، ص، ص: ٣٧ ـ ٣٨. الراشد، درب زبيدة ص ص: ٢٢٢، ٢٢٣.

(٢) أطلال، العدد ٤، ص ص: ٣٩ـ ٤٠. الراشد، درب زبيدة ص ص:٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٣) أطلال، العدد ٤، ص ٤١.

الجفنية:

يحتوي الموقع على بركة مربعة ضلعها ٢٦×٢٦م لها دعامات نصف دائرية من الداخل يصل إليها الماء من ركنها الجنوبي الغربي، وبركة دائرية قطرها ٢٧م ومدعمة من الداخل والخارج بدعامات نصف دائرية يصل إليها الماء من قناة في الجهة الشمالية الغربية من البركة. وملحق بالبركة حوض مستطيل أبعاده ٥,٦×٢٠م يتوسطه جدار يقسمه إلى قسمين، ويقع شرق البركة الدائرية قصر أبعاده ٦٠×٧٠م تظهر بعض أساساته الحجرية وآثار مسجد صغير قرب القصر[١].

لقد رأينا ذكر هذه المواقع هنا لأنها تقع في إطار منطقة الدراسة، وكما ذكرنا سابقا أن إدارة الآثار والمتاحف شملت هذه المواقع ضمن برنامج المسح الأثري والدراسة التي قام بها سعد الراشد ضمن بحثه المطول عن درب زبيدة، فلم نضعها ضمن الدراسة الميدانية في هذا البحث. وركزنا الجهد على المواقع التي لم يشملها نشاط إدارة الآثار فيما يتعلق بطريق البصرة وفروعه، كما سيتبين لاحقاً.

أولاً: النبَّاج: عين ابن فهيد

تقع منطقة الأسياح إلى الشمال الشرقي من مدينة بريدة. على بعد حوالي ٦٣ كيلومترا. وعاصمة الأسياح عين ابن فهيد. وهي التي تضم عدداً من المنشآت واللقى الأثرية. وتقع قرب خط العرض ٤٥َ-٢٦ْ، وخط الطول ١٤َ-٤٤ْ.

---

(١) الدايل، خالد، وصلاح الحلوة، ونيل ماكينزي، التقرير المبدئي لمسح درب زبيدة، أطلال، العدد الثالث، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ص: ٦٢ - ٦٣.

تتشكل الأسياح من قرى متجاورة تمتد على شريط واحد من الجنوب إلى الشمال بطول حوالي ٦٠كم. وأولى قراها الجنوبية الجعلة وأقصاها الشمالية بلعوم، وقاعدتها مدينة عين ابن فهيد، وقرى الأسياح: بلعوم، اللغفية، ضيدة، عشيران، أبا الدود، حنيظل، خصيبة، البرود، التنومة، طريف، قصر العبدالله، برقا، والجعلة. وتتميز الأسياح بالعيون الجارية وموارد المياه القريبة جدا من السطح.

جاء ذكر النباج عند الحربي بعد محطة السمينة، حيث تطرق لنفود الأسياح بقوله: ثم من وراء هذا الرمل الشقائق، وهو سبعة أحبل بينها سبع شقائق لكل حبل منها اسم، ولكل شقيقة اسم... وآخر شقيقة منها مما يلي مكة المغرة، وهي أرض حمراء كأنما صبغت بالعُصْفر، وحجارتها كذلك، تتصل بالحبل الذي يقال له حبل الحاضر من الرمل، وهو آخرها، ويشرف على النباج، نباج ابن عامر.

أما من حيث التسمية فيذكر أنها سميت النباج لكثرة أهلها، وكثرة الأصوات، يقال: رجل نباج إذا كان كثير الكلام. ومن السمينة إلى النباج ثلاثة وعشرون ميلاً، وبالنباج عين ونخل، وتجار كثير ومسجد، ومنبر. ومنها يعدل من يعدل من أراد المدينة[1]. كما أشار الأصفهاني[2] إلى النباج بأنها على طريق الحج البصري وبقرب الحنظلة التي تسمى الآن حنيظل، وهي إحدى قرى الأسياح. كما قرنها بالقريتين التي قرب عنيزة وإحدى محطات الطريق، وأورد اسم الجعلة وهي القرية الواقعة في جنوب عين ابن فهيد، النبقة

(١) الحربي - المناسك ص ص: ٥٨٥ -٥٨٧.
(٢) الأصفهاني، بلاد العرب ص ص: ٢٦٦، ٢٦٧.

والشقوق وهما النبقية الواقعة شرق بريدة باتجاه الأسياح والشقة القريتان الواقعتان شمال غرب بريدة ويقول الأصفهاني : والحنظلة لأهل النباج من قريش، والطحانة بالنباج . ويضيف الأصفهاني : «وللبصرة إلى مكة طريقان : أما أحدهما فالصحراء عن يسارك وأنت مصعد إلى مكة ليالٍ، فإذا ارتفعت فخرجت من فلج فأنت في الرمل، فإذا جاوزت النباج والقريتين فقد أنجدت» . وفي موقع آخر : «حد نجد من النباج، وهو لبني عبدالله بن عامر ابن كريز»[1] . وكذلك يقول الأصفهاني أيضًا : «وأماكن يقال لها الحناظل . . . ولبني أسيّد ماءة عظيمة من النباج يقال لها الجعلة، قريبة من الطريق. ولهم ماءة على الطريق يقال لها العوسجة ومياه أخر»[2] .

(١) عبدالله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي، وهو ابن خال الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأبوه عامر بن كريز ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولد لسقى، تولى إمارة البصرة عام ٢٩هـ/ ٦٤٩م وعمره ٢٤ سنة في زمن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه حتى وفاة الخليفة عثمان بن عفان، وقاد الجيوش العربية التي قضت على الدولة الساسانية، ثم تولى إمارة البصرة في الفترة الاموية في زمن معاوية ابن أبي سفيان سنة ٤١هـ ولمدة ٣ سنوات، وتوفي في المدينة المنورة سنة ٥٧هـ وقيل ٥٩هـ. وكان عبدالله بن عامر راويا للحديث الشريف واهتم بإصلاحات الطرق والمنشآت المائية وتعمير المدن، فقد قال: لو تُركت لخرجت المرأة في حداجتها على دابتها ترد كل يوم على ماء وسوق حتى توافي مكة. فاصلح سوق البصرة وحفر أنهراً عديدة في البصرة وأعاد تعمير النباج والقريتين، غرس فيهما نخلاً وانبط عيوناً وحفر الحفر على طريق الحج وحفر السمينة وبنى قصوراً وحياضاً وسقايات في قباء وعرفات وأجرى العيون فقال عنه ابن كثير: هو أول من اتخذ الحياض بعرفة. ولمزيد من المعلومات عن عبدالله ابن عامر بن كريز، راجع خليفة بن خياط، تحقيق أكرم العمري، الرياض، دار طيبة ط٢، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص: ١٦١ وما بعدها. العسقلاني، أحمد بن علي ابن حجر، تهذيب التهذيب، جـ٥، حيدر أباد، سير أعلام النبلاء، تحقيق العرقسوس وصاغر جي، جـ٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ص ص: ١٨ ـ ٢١. المشهداني، محمد جاسم، عبدالله ابن عامر، بغداد، دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٨م، ص: ١٣ وما بعدها. سعد الراشد، درب زبيدة، ص ص : ٤٢ ـ ٤٣.

(٢) الأصفهاني، بلاد العرب، ص ص: ٣٥٦ – ٣٥٧.

وذكر ابن خرداذبة النباج عندما جاء على ذكر الطريق من البصرة إلى مكة، بعد محطة السمينة.[1] وتحدث الهمداني عن النباج بأنها « بلاد كثيرة القرى ويقال له نباج بني عامر، وهي عيون تنبج بالماء ونخيل وزروع أعلاها يواصل الجبلين، أجا وسلمى بينهما مسيرة يومين ». وفي موضع آخر تحدث عن القرارة وحائل وبطن منيم ذي المياه المالحة، وعد منها صوقع والضبيب وقنى والهوة، وهي مقابلة لقف مارد، وقف مارد معترض بين الثنايا ثنايا الأودية حنيظلة ونعام وبرك وبين بطن حائل والعارض [2]. فذكر بذلك حنيظلة والتي يعتقد أنها قرية حنيظل القريبة من النباج. أما ياقوت: فقد ذكر بأن في بلاد العرب نباجين، أحدهما على طريق البصرة يقال له نباج بني عامر، وهو بحذاء فيد، والآخر نباج بني سعد بالقريتين، وأن النباج منزل لحجاج البصرة، والنباج بين مكة والبصرة للكريزيين، وأيضا النباج من البصرة على عشر مراحل وأثال قريب من النباج وبهما يوم من أيام العرب مشهور لتميم على بكر بن وائل. ويضيف: النباج استنبط ماءه عبدالله بن عامر بن كريز. شقّ فيه عيوناً وغرس نخلاً وولده به وساكنه رهطه بنو كريز ومن انضم إليهم من العرب. ومن وراء النباج رمال أقواز على الطريق والمحجة فيها أحياناً لمن يصعد إلى مكة رمل وقيعان منها قاع بولان[3].

وذكرها الواقدي بأنها إحدى محطات طريق البصرة ـ مكة نزل بها خالد ابن الوليد وهو في طريقه من اليمامة إلى البصرة لمحاربة الفرس حيث يقول:

---

(١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص: ١٢٥

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ص: ٢٨٠، ٢٩٣ ـ ٢٩٤.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٥، ص ص: ٢٥٥ ـ ٢٥٦.

«لما صار خالد بن الوليد كان قد نزل بالنباج نزل على ماء لبني بكر بن وائل». وفي موضع آخر يقول: «ثم رحل ومعه المثنى بن حارثة من النباج يريد الكوفة»[1].

وكما نفهم من المصادر السابقة، فإن النباج تعد في أوائل العصر الإسلامي أشهر نواحي القصيم. فهي إحدى المحطات الرئيسة بالمنطقة وأكثرها عمرانا، وعندها يفترق طريق الحج البصري، فالجادة الرئيسة تتجه إلى مكة والطريق الآخر إلى المدينة المنورة.

وقد تكون أهمية النباج نابعة من موقعها الجغرافي. فهي المنطقة الزراعية الخصبة الوافرة في مياهها، ويأتيها الطريق بعد مرحلة صعبة من عروق الأسياح التي عُرِفَت قديما برمال الشقيق. وهي بالفعل مرحلة صعبة جدا، حيث تتكون من عروق رمال كثيفة، هذا بالنسبة لقوافل الحج والتجارة القادمة من البصرة ـ شرق العالم الإسلامي ـ وكذلك الحال للمرحلة التي تجتازها القوافل القادمة من مكة المكرمة والمدينة، حيث تجتاز المرتفعات الصخرية في غرب القصيم. وقد مكن انخفاض الأسياح والواقع ما بين رمال شقيق النباج وصفراء النباج من انحدار مياه الأمطار إلى تلك البقعة (عين ابن فهيد) واحتفاظ الرمال بكميات كبيرة من مياه الأمطار الموسمية كخزان مائي طبيعي تحت السطح[2].

وأصبح النباج في صدر الإسلام إحدى محطات الحج والتجارة، حيث تمر به القوافل التي تسلك طريق الحج العراقي ـ البصرة مكة والمدينة ـ وكذلك

---

(١) الواقدي، كتاب الردة، ص ص: ٢٢٣ ـ ٢٢٥. راجع إبراهيم محمد أبوالفضل، والبجاوي، علي محمد، أيام العرب في الإسلام، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، ص ص: ١٧٧ ـ ١٧٨. انظر الطبري، محمد بن جرير، تأريخ الأمم والملوك، جـ٤، ص ص: ٣ ـ ٤.

(٢) راجع الفصل الأول، تضاريس منطقة القصيم، من هذا الكتاب.

القوافل التجارية الأخرى التي لا تأخذ طريق الحج إلى مكة، إلى جانب أنه يرتبط بشبكة من الطرق المحلية تربطه بالقرى والأرياف المجاورة له. وزادت شهرة النباج لكونه محطة واقعة على الطريق، وممراً مهماً ازدهر في القرن الثالث الهجري. مما جعل منه ملتقى لشبكة طرق واسعة ومتعددة المصادر والاتجاهات بوأته مكانة جعلت مؤرخاً مثل ياقوت الحموي يجعله معياراً ومعلماً لتحديد مواضع أخرى حيث يقول: «. . . عقرباء منزل من أرض اليمامة في طريق النباج، قريب من قرقرى».

وقال أيضاً: القيصومة: «تناوح الشيحة، بينهما عقبة شرق فيد، ومنها إلى النباج أربع ليال على طريق البصرة إلى مكة والمدينة معا».[1] وقال أبوعلي الهجري: «العفار: وهو جبل رمل عظيم، عرضه ثمانية أميال، وهو على طريق أهل أضاخ إلى النباج».[2] وجاء في أخبار القرامطة لثابت الصبائي المتوفى سنة ٣٦٥هـ أن زكروية القرمطي سدّ الآبار وردم البرك في الطريق، فسار إلى فيد وحاصرها، ثم رحل إلى النباج ثم إلى حفر أبي موسى، أي أنه انتقل من فيد على طريق الحج الكوفي إلى النباج على طريق الحج البصري[3].

وأرجوزة الجهضمي[4] المتوفى سنة ٢٠٦هـ، التي أوردها الحربي في كتابه المناسك أعطتنا صورة وصفية لناحية النباج ظهر فيها ازدهاره في القرن الثالث الهجري حيث وصف عمارته وعيونه السائحة.

---

(١) ياقوت، معجم البلدان، جـ٤، ص١٣٥.

(٢) أبو علي الهجري، ص: ٢٦٩.

(٣) زكار، سهيل، أخبار القرامطة، ص ص: ٢٠٨ ـ ٢٠٩.

(٤) المناسك؛ الحربي؛ ص: ٦٣٠ هامش ٦٢٢.

ويردد أهالي الأسياح أساطير، وحكايات، وأشعاراً ولكن بلهجة عامية عن شخصية تعرف بـ«سلطان مارد»[1]، وأنه قد عمر الأسياح، وقام ببناء قصر مارد وأنشأ سداً فيها، ونُسبت له جميع الآثار الباقية، وكوّن حوله قوة أخضع بموجبها المنطقة القريبة من الأسياح. وتذكر الرواية أن سلطان مارد كان مواليًا لأحد حكام العراق الأتراك الذي أرسله بجيش ليمنع الأعراب من الاعتداء على قوافل الحجيج، وفرض الأمن في شرق الطريق من العراق إلى الحجاز. وفرض الجباية أيضاً على الحجاج الذين يَردوُن واحة البرود إحدى قرى النباج. فجعل السلطان النباج مقره العسكري، وأجرى إحدى عيون بني عامر المدفونة وبنى قصر مارد، والسد، ثم تمرد على الحاكم العراقي وأعلن حكمه على المنطقة.

ومن الشعر العامي القديم الذي يذكر اسم مارد:

تقابل حميدان «وسلطان مارد»　　　تهيا من كف ذا لهذا صواب

ويذكر العبودي أن القصة سالفة الذكر، قد وقعت في الفترة التاريخية المظلمة التي تؤرخ من نهاية القرن الرابع حتى نهاية القرن الحادي عشر (٧٠٠ سنة)، وهي فترة تاريخية طويلة. ولكنه يرجح أن عهد سلطان مارد يعود إلى القرن العاشر، ويستدل على ذلك بعدة أمور. الأول: أن الشعر الذي قيل في تلك الفترة يُعدُّ من الشعر الدارج في منطقة نجد الذي بدأت تفسد لغته العربية ابتداءً من القرن الثامن الهجري. والثاني هو اقتران سلطان مارد بالضياغم من قبيلة شمّر، الذين عاشوا في تلك الفترة.[2]

---

(١) لمزيد من التفصيل حول حكاية سلطان مارد، راجع تاريخ موقع النباج من هذا الفصل، وانظر العبودي، بلاد القصيم رسم، جـ١، ص ص: ٣٣٤ ـ ٣٤٢، وراجع النقيدان، سليمان، آثار تتحدث عن القديم في بلادنا، مجلة المنهل، جـ٥، المجلد ٢٦، جمادى الأولى سبتمبر ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، ص ص: ٣٨٦ ـ ٣٨٧.

(٢) العبودي، بلاد القصيم، جـ ١ ص: ٣٣٨.

وذكر النقيدان نقلاً عن أهالي الأسياح أن تاريخ سلطان مارد يقع في الفترة ٨٥٠ ـ ٩٠٠هـ.[١]

وبعد ذلك غابت الأحداث التاريخية عن النباج، واندثرت العيون وأهملت ودفنت، حتى مطلع القرن الثالث عشر الهجري وتحديدا الفترة الواقعة ما بين ١٢٠١هـ ـ ١٢١٨هـ عندما قام بإحياء تلك العيون محمد ابن فهيد، التي تسمت باسمه مدينة العين الحالية.

ويبدو أن اسم الأسياح اسم حديث إلى حدٍّ ما، حيث أن المصادر القديمة والمراجع الحديثة التي بحثت في جغرافية وتاريخ الجزيرة العربية لم تطلق عليه اسم الأسياح وكان الاسم السائد النباج[٢].

وينطبق اسم النباج، على المنطقة التي تعرف حالياً بالأسياح متوافقة مع ما أورده البلدانيون من وصف تلك الناحية من القصيم. وتقع شمال قصر مارد في الهضبة التي يقوم عليها القصر نقوش صخرية لكتابة قديمة[٣] يعتقد أنها ثمودية، كما أنه يوجد جنوب القصر نقوش وكتابات على صخرة تعرف باسم النصلة، وتدل هذه الكتابات على قدم الاستيطان بالمنطقة سواء دوّنها المسافرون الذين يمرون بها، أو أنها كتابات من استوطنوا في النباج. مما يدل على أن الاستيطان في المنطقة سابق للعصر الإسلامي. كما أن عبدالله بن عامر ابن كريز والي البصرة، أنشأ وأعاد عمران بلدات ومحطات بمنطقة القصيم، مثل القريتين وعيون الجواء والنباج، حيث كانت النباج أحد المسالك والممرات

(١) النقيدان، سليمان، آثار تتحدث، المنهل، ص ص: ٣٨٦ ـ ٣٨٧.

(٢) العبودي، بلاد القصيم، جـ ١، ص: ٣١٣.

(٣) لمزيد من المعلومات عن الأسياح، راجع العبودي، بلاد القصيم، جـ١، ص ص: ٣١١ ـ ٣٢٤. وعن محمد بن فهيد راجع العبودي، بلاد القصيم، جـ١، ص ص: ٢٤٢ ـ ٢٤٤. الوشمي، طريق الحج العراقي، ص ص: ١٩٩ ـ ٢١٣.

التي تردها القوافل قبل أن يقوم ابن عامر بإنعاشه وعمرانه. وقد تعرضت المنطقة لانقطاع تاريخي، ودخلت في ظلام تاريخي ندرت فيه المعلومات والكتابات التاريخية ابتداء من نهاية القرن الرابع وحتى نهاية القرن الحادي عشر الهجري. وخلال الفترة مرّت النباج بانتعاش وازدهار في زمن سلطان مارد، الذي ذكرت بعض المراجع أنه هو الذي بنى قصر مارد، ولكن ليس لدينا سند تاريخي يؤكد بناء القصر وزمن سلطان مارد سوى الحكايات والأساطير التي يرويها الأهالي عن سلطان مارد ويتناقلونها، وكذلك القصائد الشعبية التي تتحدث عنه. وهذه الإشارات لم تساعدنا على التعرف على تاريخ تلك الحقبة من تاريخ النباج. وبعد تلك الفترة يستمر الانقطاع التاريخي المدون أو المروي، حتى أوائل القرن الثالث عشر الهجري عندما أعاد استنباط تلك العيون محمد بن فهيد.

الوصف العام للموقع:

يتكون موقع النباج من جزءين، الجزء الشرقي والجزء الغربي ويشتمل الجزء الشرقي على: المزارع، وقصر مارد، والبركة مشكلاً شريطاً ممتداً من الجنوب إلى الشمال. وممثلاً منطقة الاستيطان القديمة والنشاط العمراني المذكور في المصادر التاريخية.

تقع القنوات «العيون»، في الجهة الغربية من عين ابن فهيد في منطقة التركيب الصخري، وتعرف بصفراء الأسياح التي تنحدر مياهها إلى الشرق جهة المزارع، عبر قنوات أرضية حفرت بالصخر لتصل إلى الأراضي الزراعية بالمنطقة المستوية والرملية.

ويشتمل الموقع على المنشآت التالية :

١ ـ القصر، ٢ ـ السد، ٣ ـ القنوات، ٤ ـ الآبار، ٥ ـ المعثورات، ٦ ـ النقوش والكتابات، ٧ ـ الوحدات المعمارية الأخرى.

الوصف المعماري للقصر :

يقع قصر مارد على تل صخري مرتفع، بالجهة الشرقية من «عين بن فهيد» عاصمة منطقة الأسياح وتحيط بالقصر من الجهة الشرقية والجنوبية كثبان رملية يمر عبرها أحد روافد وادي الرمة. أما من الجهة الغربية فتحده مدينة عين ابن فهيد، ويبعد القصر عن المدينة حوالي ٢كم وهي مسافة تتكون من أرض منبسطة، معظمها أرض «سبخة» ذات ملوحة سطحية موحلة، وبعض المزارع المهجورة (الشكل رقم ١). أما الجهة الشمالية فتتكون من قسمين هما قسم شمالي شرقي، تكونه امتدادات للكثبان الرملية والمعروفة باسم «عروق الأسياح»، وقسم شمالي غربي، تكونه مزارع قديمة، وفيه تقع بركة من برك درب الحج البصري، ولكنها مطمورة بالتراب والرديم.

يقوم قصر مارد على مساحة مربعة الشكل، يبلغ طول ضلعها حوالي أربعين متراً (اللوحة رقم ٤ أب). ولكونه مشيداً على تلٍ مرتفع ومحصناً تحصيناً طبيعياً من ثلاث جهات، فقد وضعت بوابته في الجهة الغربية منه، والتي تطل على مدينة العين كما تسمى حديثاً، والنباج كما عرفت قديماً، حيث إنها الجهة المكشوفة للأعداء والجهة الكاشفة للمستوطنة ومداخلها. ووضعت البوابة في منتصف الجدار الغربي في مسافة قدرها ٢٠ , ٤م ولربما كانت تحتوي على بابين، أحدهما في الاتجاه الشمالي والآخر على الجدار الغربي.

والتخطيط المذكور للبوابة يظهر في عمارة القلاع الإسلامية،[1] وهو تخطيط يقصد منه منع المهاجمين من الوصول إلى داخل القصر مباشرة مما يسهل من مهمة الدفاع عن القصر في حالة الهجوم المباغت (اللوحة رقم ٥ أ).

ويحيط بالقصر سور تهدمت أجزاؤه العلوية ومازالت أجزاء من ركنه الشمالي الغربي باقية بارتفاع يبلغ أربعة أمتار (اللوحة رقم ٥ ب)، وعرض مقداره متر تقريباً، ويلاحظ أن بناءه تم بطريقة الحطات، على شكل مداميك تغطيها طبقة من الجص القوي (اللوحة رقم ٦ أ). ويدعم سور القصر اثنا عشر برجاً تنعدم في أجزائها السفلى أي فتحات للدخول، ويفصل الواحد عن الآخر مسافة قدرها اثنا عشر متراً. ويوجد أربعة من الأبراج المذكورة في الأركان، بعرض يبلغ مترين ونصف المتر لكل منهما، أما الثمانية الباقية، فهي موزعة على أضلاع السور بواقع برجين لكل ضلع. (اللوحة رقم ٦ ب).

وفقد القصر بعض أجزائه وخاصة الجزء الأوسط من المبنى، وحسب مخطط الدور الأرضي ـ للوضع الحالي ـ فإن القصر ينقسم إلى ثلاث وحدات معمارية، هي : شمالية وجنوبية وشرقية. ونفضل أن تكون التسمية، الوحدة المعمارية الشمالية ، والوحدة المعمارية الشرقية وهي الجزء المتهدم، والوحدة المعمارية الجنوبية.

الوحدة المعمارية الشمالية :

تقع هذه الوحدة شمال الداخل من البوابة الرئيسة، وهي مكونة من سبع غرف تختلف في مقاساتها، ويكون ضلع القلعة الشمالي جدارها الشمالي.

---

(١) كريزويل ماك، الآثار الإسلامية الاولى، ترجمة عبدالهادي عبلة، دمشق، دار قتيبة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ص: ٢٢٣، ٢٦٧، ٢٧٩، ٣١٠.

الغرفة رقم (١)

تقع في الزاوية الشمالية الغربية، وتبلغ مساحتها ٦,٩٠×٣,٧٠م، ومدخلها في الحائط المطل على فناء القصر، وهو عبارة عن عقد مدبب ذي مركزين بارتفاع ٣ أمتار يدخل منه إلى الغرفة. (اللوحة رقم ٧ أ) وبحائط الغرفة الغربي الملاصق للسور عقدان من النوع نصف الأسطواني الممتد أفقياً حتى أخذ شكل القبو، ويستند طرف العقد الغربي على سور القصر ليكون دخلة جدارية قصد منها تقوية وتدعيم البناء، عرض ٢ متر، وبارتفاع ٣ أمتار، وبعمق ٢ متر، (اللوحة رقم٧ ب) وتفصل بينهما كتف سميكة، لمقاومة الحمل بدرجات السلم التي يصعد منها على الضلع الغربي، والذي يمتد بأعلى القبو. ويكون الجزء الباقي من السلم أربع عشرة درجة، يبلغ ارتفاع كل منها ١٦سم، وسمكها ٢٨سم، وعرضها حوالي متر واحد. (اللوحة رقم ٨ أ) أما ضلع الغرفة (١) الشرقي فيشترك مع غرفة رقم (٢)، وهو جدار صامت. والغرفة حالياً مكشوفة من الأعلى، ويعتقد أنها كانت مغطاة بنظام الأقبية، ويعزز هذا الرأي عدم عثورنا على أخشاب، أو ما يدلل على أنه غطي بسقوف مسطحة، كما أن متوسط عرض الغرف يبلغ ما بين ٢,٨٠م، إلى ٣,٧٠م وهو ملائم لبناء السقف بطريقة القبو بنفس طراز العقدين من النوع نصف الإسطواني سابقي الذكر، بالإضافة إلى عدم وجود دلائل، من حيث العقود، أو الأعمدة، أو الدعامات، لمنشآت معمارية تمثل دوراً ثانياً قائماً فوق الدور الأول، فلم نعثر على درج أو أبواب تؤدي إلى الدور الثاني، عدا الدرج الواقع على الجدار الغربي للغرفة رقم (١). ويقع هذا الدرج قريباً جدا من البوابة البارزة، (اللوحة رقم ٨ ب) ويستنتج من ذلك أن الدرج كان لحماية الحصن من الأعلى، والمراقبة الدورية من خلال الأبراج الأربعة الرئيسة، على الرغم

من صعوبة السير فوق الأقبية ـ في حال تأكد وجود الأقبية ـ لكن هناك مسافة تصل إلى حوالي ١,٥٠م وهي المسافة بين حافة القبو المفترض، وسمك سور القلعة الذي يتراوح ما بين ٧٠سم إلى متر واحد. وبذلك يمثل الدور الثاني ممرات، الغرض منه الاتصال بين الأبراج الأربعة، وحماية محيط القصر من أعلى. (الشكل رقم٢).

الغرفة رقم (٢) :

غرفة مستطيلة تبلغ أطوالها ٦,٣٠×٦,٩٠م، ويقع مدخلها بالضلع الجنوبي كما في الغرفة رقم (١)، والآخر بالوحدة الشمالية، وجدارها الشمالي هو ضلع السور الشمالي. ويتوسط جدار ها الشمالي والجنوبي قاعدة أو كتف مربعة أطوالها حوالي ١م، أعتقد أن وظيفتها تمثل قاعدة لطرفي عقد ممتد من الشمال إلى الجنوب، بطول الغرفة وبمحور يبلغ حوالي ٤,٩٠م، بحيث يقسم الغرفة إلى قسمين عرض كل جزء حوالي ٢,٦٠م، مما يهيىء لإقامة قبوين بالغرفة على مساحة قدرها ٢,٥٠×٦,٩٠م تقريباً.

الغرفتان رقم (٣)ـ(٤) :

الغرفتان رقم ٣ـ٤ متشابهتان من حيث الأطوال والشكل، حيث تبلغ الأطوال ٣,٧٠×٦,٩٠م، ويقع مدخلهما بالجزء الجنوبي للغرفة (٢) استناداً على العرض البالغ ٣,٧٠م للغرفة، فمن المحتمل أن الأسقف كانت مغطاة بطريقة القبو.

الغرف رقم (٥)ـ(٦)ـ(٧) :

ويتكون هذا القسم من ثلاث غرف تختلف من حيث التخطيط، فالغرفتان رقم ٥ ، ٧ عبارة عن غرفتين مستطيلتين ومتشابهتين، تبلغ أطوالهما

٠٥ , ٣×٢٠ , ٦م، ويقع مدخل الغرفة (٥) في ضلعها الشرقي، يتم الدخول إليها من خلال غرفة (٦) التي يكون مدخلها بالجدار الجنوبي. أما الغرفة رقم ٧ فيتم الدخول إليها من مدخلها بالجدار الجنوبي، وأيضا فإن الجدار الشرقي للغرفة رقم (٧) هو الضلع الشرقي للقصر. ويقع بين الغرفتين ٥ ـ ٧ غرفة رقم (٦) وهي مربعة الشكل، طول ضلعها حوالي ٥٠ , ٦م. وفي أركانها الأربعة أكتاف صغيرة مستطيلة الشكل، أطوالها حوالي ٨٠سم.

الوحدة المعمارية الجنوبية :

تقع الوحدة المعمارية الجنوبية على يمين الداخل من البوابة الغربية الرئيسة، ويُعدّ ضلع القصر الجنوبي جدار الغرف الجنوبية. وتتكون من غرف تأخذ الأرقام ٨ ـ ٩ ـ ١٠ ـ ١١ ـ ١٢ ـ ١٣، ابتداءً من الغرفة الجنوبية الغربية للقصر.

الغرفة رقم ٨ عبارة عن غرفة واقعة بالزاوية الجنوبية الغربية من القصر، وهي مستطيلة الشكل، أطوالها ١٠ , ٦×٧م. ويظهر في منتصف الجدار الجنوبي للغرفة كتف مستطيلة تبلغ أطوالها ٥٠ , ١×١م تنصف الغرفة، وتظهر كتف أخرى بالجدار الشمالي مقابلة للكتف السابقة وبالأطوال نفسها. (اللوحة رقم ٩ أ) وهناك احتمالان لتفسير وجود الكتفين: الأول أن هاتين الكتفين تمتدان بعرض الغرفة على شكل جدار، بحيث يفصل التقسيم، وتصبح مساحة الغرفة الواحدة ٨٠ , ٢×٧م، أما الاحتمال الثاني وهو الأقوى، فيتمثل في أن الأكتاف تتصل عبر عقد، وتكون غرفة واحدة مستطيلة، تبلغ أطوالها ١٠ , ٦×٧م وعليه تكون مماثلة للوحدة المعمارية الشمالية. كما نعتقد أن الغرفة رقم ٨ قد غطيت بقبوين يمتدان من الشمال إلى الجنوب، والغرفتان (٩ ـ ١٠) مماثلتان تماما من حيث التخطيط والإنشاء للغرفة رقم ٨ «سابقة الذكر». وأيضا

الغرف ذات الأرقام ١١ ـ ١٢ ـ ١٣ مماثلة تماماً، لما تقدم وصفه في الوحدة المعمارية الشمالية التي تحمل الأرقام ٥ ـ ٦ ـ ٧ إلا ما يتصل ببعض الإضافات بالنسبة للغرفة رقم (١٢)، حيث توجد الأكتاف الركنية الأربع التي تأخذ المسقط المربع الذي يهيىء من خلال رقبة القبة، لإقامة القبة نفسها على المسقط المربع، ولذا أعتقد أنها كانت مغطاة بقبة على مسقط مربع. أما بالنسبة للغرفتين ٥ ـ ٧ فيوجد لهما مسطبة تقع بجداريهما الغربي، ربما استخدما لغرض التسقيف. كما أعتقد أن ضلع الغرفة الجنوبي، يتصل بعقود على شكل سلسلة تمتد من الغرب، إلى الشرق. وبالنسبة للغرفة رقم ١٣ فإن الدخول إليها يكون عبر ممر الغرفة ذات القبة رقم ١٢، وعبر الضلع الشرقي لها، ويوجد مجرى مائي أسطواني من خارج السور ويقع في مستوى أقل من سطح الغرفة الحالي. (اللوحة رقم ٩ ب).

وأعتقد أنه كانت هناك عقود للجدران الشمالية للوحدة الجنوبية، تمتد من الغرب إلى الشرق بطول الوحدة الجنوبية، وربما أنها كانت توازي مداخل الغرف، (اللوحة رقم ١٠ أ) ويؤيد ذلك هيكل العقد المتهدم في الغرفة رقم ٨، كما توجد في الجدار الشمالي أكتاف أسطوانية متجهة إلى الشمال، أي إلى الساحة الفاصلة بين الوحدتين الجنوبية والشمالية. (اللوحة رقم ١٠ ب).

الوحدة الشرقية:

تمثل الوحدة الشرقية وحدة بنائية تربط بين الأطراف الشرقية للوحدة المعمارية الشمالية الجنوبية. وهذه الوحدة متهدمة ويغطي سطحها الرديم والحجارة المتناثرة، وهو أكثر الأجزاء تعرضاً للانهيارات، ويشكل في وضعه الحالي كتلة من الرديم الذي يصعب معه تحديد مخطط هذا الجزء فيعتقد أن

جدران الوحدة الشمالية والجنوبية خاصة أجزاءها الشرقية وقعت وتساطقت في هذا الجزء. لكننا نستطيع أن نحدد بعض الملامح العامة لهذا الجزء وهي على النحو التالي:

١ ـ هناك امتدادان للغرفة رقم ١٣ ويعتقد أنهما متساويان بالأطوال، ويلاحظ في جدراها الشرقي مجريان بشكل طولي تمر من خلالهما الأبواب في حالة الإغلاق.

٢ ـ نتبين وجود غرفتين مستطيلتين بأطوال مختلفة.

٣ ـ في الجدار الجنوبي للوحدة الشرقية عقدان صغيران.

٤ ـ يعتقد أن مستوى أرضية هذه الوحدة منخفض عن المستوى العام للقصر خاصة الساحة والأجزاء الغربية والوحدات الشمالية والجنوبية، وتحديداً تتساوى بمستوى الوحدة الشرقية والغرف: ٥، ٦، ٧ في الوحدة الشمالية، والغرف: ١١ , ١٢، ١٣ في الوحدة الجنوبية. ويتناسب ذلك مع ميل وانحدار الهضبة جهة الشرق. (اللوحة رقم ١١ أ).

ونخلص إلى القول: بأن الوحدة الشرقية متهدمة، ويصعب التحديد الدقيق لمخططها.

ساحة القصر:

تأخذ هذه الساحة شكلاً مربعاً ٢٤×٢٤م، وقد فتح مخرجان بضلعي السور الجنوبي والشمالي لأخذ الحجارة المتهدمة والطين ليستخدمها أهالي المنطقة في الزراعة والبناء؛ مما صعّب المهمة للتعرف الدقيق على مخطط هذا الجزء من القصر.

ولكن بعد أن درسنا هذه المساحة، وكشفنا عن بعض قواعد وأساسات الأعمدة والأكتاف، وتتبعنا اتجاه السواكف والحنيات، واتجاه الأعمدة الأسطوانية وأطوال الأكتاف، توصلنا إلى تصور شكل هذه المساحة الغامضة، وقد ساعدنا على ذلك مخطط القصر الذي رسم كمسقط للدور الأرضي. ولاحظنا أن الضلع الغربي من القصر، وتحديدا الجزء الواقع ما بين البوابة والوحدة الجنوبية، يحتوي على أساسات قواعد أعمدة وعددها اثنان والمسافة بينهما حوالي ٢,٦٠م إلى ٣م، وكذلك الأعمدة الأسطوانية من الأعلى، نلاحظ أن اتجاهها إلى الشمال، ولذا نعتقد أن هناك عقوداً تمتد من الغرب إلى الشرق، من أول قاعدة عمود بالضلع الغربي، وموازية تماماً للجدار الشمالي للوحدة الجنوبية، والمسافة بين كل عمود وآخر حوالي ٦,٥٠م وهو قطر العقود. وهناك أيضا سلسلة من العقود موازية للسابقة باتجاه الشمال مكونة من صفين من العقود. ويتقاطع مع هذين الصفين، ثلاثة صفوف من العقود العمودية على الوحدة الجنوبية. وبذلك يتكون لنا صفان من العقود الأفقية موازية للجدار الشمالي من الوحدة الجنوبية، وتقاطع معها ثلاثة صفوف من العقود الرأسية على الجدار الشمالي من الوحدة الجنوبية. ونتيجة لهذه العقود المتقاطعة، يتم تغطية السقوف بأقبية طولية، تمتد من الغرب إلى الشرق، ويبلغ عرض القبو ما بين ٢,٦٠م. إلى ٣,٦٠م. كما أعتقد أن هذه الأقبية تمتد موازية للوحدة الجنوبية حتى الضلع الشرقي للقصر. كذلك يسود الاعتقاد أن هذه الأعمدة تتصل بجدران تفصل الأروقة، وتكون وحدات معمارية، وغرفاً منفصلة، وممرات لخدمة الغرف، ويستدل من ضخامة كتل الأعمدة أن لها وظيفة إنشائية أخرى، منها حمل القبة الكبيرة التي يحتمل أنها كانت تغطي منطقة الساحة ويؤكد ذلك ما يتردد بين الأهالي من كبار السن في مدينة

الأسياح أن في قصر مارد قبة كبيرة وقد شاهدوها وتواترت هذه الروايات، وهذا أمر وارد ويعزز ذلك الغرف ذات المسقط المربع بالوحدتين الشمالية والجنوبية، وهما ٦ بالشمالية - ١٢ في الجنوبية.

ويعتقد أن العقود الافتراضية بالوحدة الشمالية في قصر مارد، مماثلة ومشابهة تماماً للوحدة الجنوبية الشاخصة للعيان، وقد لاحظنا مواقع قواعد وأساسات الأعمدة، وبنفس الاتجاهات أساسات وقواعد أعمدة الوحدة الجنوبية وتكاد تكون باتجاه واحد، ولكن نلاحظ بالوحدة الشمالية عدم وجود أعمدة أسطوانية كما في الوحدة الجنوبية. واستناداً إلى هذا الشكل المتماثل أعتقد بوجود صف من الأعمدة، يتجه من الشرق إلى الغرب، ويكون هذا الصف رأسياً على الضلع الغربي - البوابة الرئيسة - فيكون لدينا خمسة من صفوف الأعمدة، وتتقاطع معها أربعة من صفوف الأعمدة والمسافة بين كل عمود وآخر تبلغ بين ٦٠ , ٢م إلى ٦٠ , ٣م. وإذا افترضنا أن هناك جداراً قائماً بين الأعمدة الثلاثة المقابلة للمدخل، فإنه يتأكد لنا أن للقصر مدخلاً منكسراً حيث تبلغ المسافة بين البوابة إلى الجدار حوالي ٦م مما يضطر الداخل إما أن يتجه إلى الوحدة الشمالية أو إلى الوحدة الجنوبية دون الدخول مباشرة في الساحة.

العناصر المعمارية:

نتيجة لتهدم الأجزاء العلوية والوحدة الشرقية من قصر مارد، فلم نتعرف على جميع العناصر المعمارية، إلا أن متانة البناء قد حفظت لنا أنموذجاً من العقود في الوحدة الشمالية من القصر. (اللوحة رقم ١١ ب).

العقود والأقبية:

استخدمت العقود في قصر مارد لسقف الغرف ومداخل الأبواب وربط الجدران ببعضها، وهو أسلوب متبع في العمارة لجعل الجدران أكثر مقاومة

وتماسكاً وثباتاً، حيث يتوزع الثقل بشكل هندسي على الجدران والأكتاف، والجدران التي تخلو من العقود تكون هشة ومعرضة أكثر من غيرها للانهيار والسقوط.

والعقود المستخدمة في عمارة قصر مارد هي:

١ ـ عقد من النوع المدبب ويظهر هذا الشكل في استعمال قوسين لدائرتين، فيكون له مركزان وارتفاع العقد أكبر من نصف سعة الفتحة[(١)]. وظهور العقد المدبب في الفترة الإسلامية في قصير عمرة وحمام الصرح. ويعتقد أن ظهوره قد سبق الإسلام حيث قد ظهر في قصر ابن وردان (شمال شرق حمص) والذي يؤرخ إلى عام ٥٦١ ـ ٥٦٤م[(٢)].

٢ ـ عقد من النوع نصف الدائري يصل عمق العقد إلى مترين وتساوي سعة الفتحة قطر الدائرة وارتفاعها هو نصف القطر. وتكون أقبية هذا العقد نصف أسطوانية، وهذا الشكل يعد أبسط أنواع العقود والأقبية، فهو أسهل هندسة بحكم أنه يرتكز على مركز الدائرة، أي أنه ذو مركز واحد، وهو كذلك يسمح بتوزيع الضغط والثقل بالتساوي على الكتفين، وقد استخدمته العمارة الرومانية ويظهر ذلك في أقواس النصر وقناطر المياه، وأيضاً عرفته عمارة وادي الرافدين والعمارة الساسانية، ويظهر ذلك في مدينة الحضر وقصر فيروزأباد وقصر شرين والمدائن. ويستخدم القبو في بناء الغرف والمداخل والممرات وفي الفترة الإسلامية كان ظهوره في عقود قبة الصخرة والجامع الأموي[(٣)] في بلاد الشام في القرن الأول الهجري.

---

(١) كريزويل، المرجع السابق، ص: ١٤٣.

(٢) كريزويل. المرجع السابق، ص ص: ١٤٣ ـ ١٤٤.

(٣) العزاوي ، عبدالستار جبار، مزايا العقود والقبو في العمارة العربية في العراق، الآثار الإسلامية =

والأنموذج في قصر مارد هو العقد المدبب والنصف أسطواني، ويظهر ذلك واضحاً في الغرفة رقم (١) بالوحدة المعمارية الشمالية، وقد استخدم العقد المدبب في قصر مارد للاستفادة من ارتفاع العقد في إضافة المزيد من الضوء والتهوية، إضافة إلى تميزه في تحمل الضغط والثقل وتوزيعهما، والعقد المدبب أول ما ظهر في العراق بالعصر الإسلامي في حصن الأخيضر في الصحراء العراقية [١]، يعود تاريخ بناء القصر إلى القرن الثاني الهجري، ويساهم العقد في تحمل السقف مع الأقبية. (اللوحة رقم ١٢ أ).

وقد بني العقد نصف الأسطواني في الغرفة رقم (١) في الوحدة الشمالية من قصر مارد، مستنداً على سور القصر وبذلك يكون عقداً مغلقاً من طرف واحد، ويمتد بشكل أفقي ليكون جدار الغرفة الغربي، ويأخذ هذا العقد الأسطواني شكل الدخلات الجدارية والذي استخدمه المعماري لوظيفة إنشائية حيث استطاع من خلال الدخلات رفع جدران المبنى، واستخدمت العقود التي تعلو الدخلات لحمل ثقل الجدار.

وعقود مارد نصف الأسطوانية مغلقة من أحد طرفيها إلا أن واقع حالها الآن يكشف عن انهيار السور الغربي (اللوحة رقم ١٢ ب) أما المواد المستخدمة في بناء العقود فهي ذات المواد المستخدمة في بناء قصر مارد وجميعها متوفرة من البيئة المحلية، وقد شملت الحجارة الرملية الرسوبية والحجارة السوداء الصخرية الصلبة، وقد استخدمت المونة الجصية في ربط وتماسك هذه الحجارة. وأقدم أنموذج في العقد المدبب قبة الصخرة، وحصن الأخيضر،

= في الوطن العربي، تصدرها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المؤتمر التاسع، صنعاء ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، تونس.

(١) العزاوي، عبدالستار، «مزايا العقد والقبو»، الآثار الإسلامية في الوطن العربي»، ص: ٩٤. =

(اللوحة رقم ١٣ أ) وكذلك في قصر عكاظ في منطقة الطائف (اللوحة رقم ١٣ ب) يعود تاريخ القصر إلى القرن الأول الهجري[١].

عرفت عدة طرق لبناء العقود والأقبية في الفترة الإسلامية فقد استخدم المسند الخشبي الذي يأخذ شكل العقد أو القبو ثم تُرصَف عليه الحجارة ومواد البناء الأخرى، وهذا هو النوع الأكثر شيوعاً وغالباً ما تكون العقود والأقبية المنفذة على هذا الطراز هي الأقوى والأمتن. ونعتقد أن بناء العقود في قصر مارد نفذ بواسطة المسند الخشبي.

ويلاحظ أن العقود الباقية حالياً محصورة في الوحدة المعمارية الشمالية قرب الدرج، (اللوحة رقم ١٤ أ) ولعل تفسير تلك الظاهرة يتلخص في توفر إمكانية بناء دور علوي يؤدي إليه الدرج المجاور. إن هذه العقود والأقبية وإن كانت لا تعطينا تاريخاً محدداً لقصر مارد، إلا أن طرازها يحصر القصر في إطار الفترة التي ازدهر فيها الطريق بين القرنين الأول والثالث الهجريين.

مواد البناء في قصر مارد:

لقد تم جمع نماذج عشوائية من مواد بناء قصر مارد، عبارة عن قطع من حجارة الأسوار والأجزاء الداخلية، كما اشتملت على حجارة متنوعة من حيث اللون والصلابة. وبعد تحليل تلك العينات في المختبرات العلمية[٢] والمعاينة الجيولوجية توصلنا إلى التالي:

= انظر العزاوي، عبدالستار جبار، «العقود والأقبية العراقية في العصور الإسلامية»، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، رسالة ماجستير، ص: ١٦١. انظر العزاوي، عبدالستار، جبار، «العقود والأقبية في العمارة الإسلامية»، بحث مقدم لوزارة الإسكان والتعمير العراقية ١٩٨١، ص ص: ١ ـ ٨.

Greswell, An Account of Early Muslim, Architecture 1958, P 102 - 4.

(١) المعيقل، خليل بن إبراهيم، «دراسة لآثار موقع عكاظ»، ص: ١٠، بحث تحت النشر، مجلة الدارة.

(٢) تمت معاينتها في المختبر الجيولوجي لوزارة الأشغال العامة والإسكان بالرياض.

- أن مواد البناء أخذت من البيئة[1] نفسها وهي منطقة صحراوية، وأحجارها من النوع الرسوبي، وتشتمل على حجر رملي وأحجار جيرية. وجاءت طبقة الملاط اللاصقة للحجارة هي الأخرى من المنطقة نفسها، وهناك احتمال أن بعضها منقول من منطقة مرتفعة من الهضاب القريبة. ويوجد في المنطقة بعض الهضاب العالية، وأيضا كومات من الحجارة السوداء. (اللوحة رقم ١٤ ب) وربما أن بعض الحجارة منقولة من منطقة الدرع العربي عبر أحد فروع وادي الرمة الذي يمر في منطقة الأسياح.

- تكوينات الحجارة المستخدمة في بناء القصر من الحجر الرملي، شديدة الصلابة بسبب مكونات المادة اللاحمة مثل: أكسيد الحديد والكوارتز السليكا اللاحمة وتأثير عوامل التعرية قليل جدا، ويعود هذا لقوة المادة اللاحمة وعدم وجود مادة طينية داخلها.

أما من حيث تأثر الحجارة بالحرارة فإن في تركيب الحجارة مادة (الحديد) ويمكن أن تكون عازلة للحرارة، خاصة مع وجود طبقة الملاط الطينية والجصية بسماكة حوالي ٥سم من الداخل والخارج.

كما يوجد من بين هذه الأحجار الرسوبية مسحوق الجص، والذي استخدم كطبقة ملاط وتمت الاستفادة منه في ربط الحجارة بعضها ببعض.

ونظرا لوقوع منطقة الأسياح في المنطقة الرسوبية والجافة، فإن صحاريها تساعد على تركيز المواد اللاحمة بين المواد الرسوبية الصخرية، بسبب ارتفاع درجة الحرارة. ويلاحظ ذلك في تركيز الحديد، كما يغلب الحجر الرملي في

(١) سبق لوزارة الأشغال العامة والإسكان أن فحصت التربة في مدينة العين عند إنشاء مسجد حديث بالمنطقة.

المنطقة والحاوي على نسبة عالية من إكسيد الحديد، وهو الذي زاد أيضاً في صلابة الحجارة فأكسبها اللون الداكن. ويبدو أن وجود الجص مؤشر على معدلات تبخر عالية[1]، وخاصة أننا لاحظنا مساحة شاسعة من الأرض «السبخة». أما ارتفاع منسوب المياه في المنطقة ـ والتي اشتهرت (بعيون الماء)ـ فيتمثل بمستويات الماء لتصل إلى أعماق تتراوح بين ٤ ـ ٦م عن السطح. وربما يعود ذلك إلى وجود طبقة صخرية على ارتفاع قريب جدا ساعدت على بقاء الماء، أو وجود طبقة صخرية مثل الجص أو طبقة طينية جافة تشكل طبقة مانعة لتسرب المياه ولذا يبقى قريباً من السطح. وقد لوحظ ذلك من خلال التجول في المنطقة، وتتبع قنوات المياه الممتدة من أعلى الوادي في الغرب إلى منخفضات الوادي في الشرق حتى وصوله المزارع قرب قصر مارد. ويمكن مشاهدة الطبقات الصخرية من خلال فتحات القنوات، وكذلك المادة الجصية يمكن مشاهدة انكشافها على السطح، وأيضاً انتشارها فوق الرديم الناتج عن مخلفات حفر القنوات.

والأسياح واقعة في تكوين منطقة الجلة بالقصيم التي تتكون من حجر الرمل، وحجر الطمي، وحجر الطفل الحديدي، والجص، ومن حجري الكلس والدولومايت، الرمليين اللذين يتراوح لونهما بين الأصفر والبني الذهبي، وفي منطقة الأسياح يتألف في الأجزاء العلوية من الجص الطبقي ومن الأوولايت الرملي ومن حجرالرمل الاوولايتي يتراوح لونها بين الأحمر والبني إضافة إلى الطمي وما يقترن به من الرواسب الناعمة بما في ذلك الوضائع الشبيهة بكربونات الكلس والحاملة للجص في المنخفضات العديمة

---

(١) النتائج التي توصلت إليها من المهندس الجيولوجي طلال الأحمدي، رئيس قسم المختبرات في وزارة الأشغال العامة والإسكان بالرياض.

التصريف. [1] يتأكد لنا أن حجارة قصر مارد قد جاءت من البيئة المحلية، وإن كانت منقولة بوساطة الأمطار أو الإنسان، فهي منقولة من منطقة قريبة جدا. كما أن الأتربة والأحجار الناتجة عن حفر القنوات المائية في «عيون الماء» الواقعة غرب مارد هي من نوع تكوين منطقة الجلة. ونلاحظ أيضا بالقرب من القنوات المائية بقعاً جصية متناثرة على السطح، مما يدل على أنها جاءت من طبقة الملاط التي استخدمت في بناء قصر مارد.

بني قصر مارد بطريقة العروق أو «الحطات»، وتتم هذه الطريقة بخلط كمية من الحجارة الصغيرة والمتوسطة[2] مع المادة الجصية شديدة التماسك، بمساحة يصل طولها إلى حوالي ١م وارتفاعها ١م وتبنى الجدران بطريقة أفقية بطول البناء، ثم تغطى بطبقة سميكة من الملاط الجصي من الداخل والخارج وعلى سطح البناء. وبعد ذلك ينتقل إلى مستوى آخر من البناء. ويمكن مشاهدة مربعات العروق واضحة كأنها قوالب [3]. (اللوحة رقم ١٥ أب).

وكشأن معظم المواقع الأثرية، فإن العمل الميداني في قصر مارد قد سلط الضوء على الكثير من جوانب هذا الموقع، وكشف لنا الكثير من القضايا المتعلقة بعمارة القصور والقلاع ووظيفتها، إضافة إلى نشاطات السكان الأخرى من إعداد للمادة وجلب للحجارة وحرفة البناء.. الخ.

---

(١) خريطة جيولوجية لمربع وادي الرمة ج م - ١٢٠٦أ، ريتشارد برامكامب وليون راميرز وآخرون وزارة البترول والثروة المعدنية، جدة، ١٩٨٢م.

(٢) الحجم المتوسط يتراوح طوله ما بين ٤٠ إلى ٦٠سم، وعرضه من ٢٠ إلى ٣٠سم. والارتفاع من ١٠ إلى ١٥سم.

(٣) تعد هذه الطريقة إحدى الطرق السائدة في منطقة نجد في بناء أسوار المباني، والتي كانت تستخدم إلى وقت قريب، وهذه الطريقة تتماشى مع طبيعة المادة الطينية التي يتطلب إحكامها داخل قوالب حتى لا تتفكك أو تنزلق في أثناء صبها على السور.

السد :

يقع سد الأسياح على بعد ٥كم من قصر مارد في الشمال الشرقي بين روضة عين ابن فهيد وبين مطارق الشمالية، ملاصقاً للسد الإسمنتي الحديث والواقع شرقه. (اللوحة رقم ١٦ أ) ويمتد من الغرب إلى الشرق لحجز المياه القادمة من الجهة الشمالية، من شعاب وجداول: الجارمة وطريف والبرود. ويبلغ طوله الحالي حوالي ٢٥٠م، ومتوسط ارتفاعه ٣م، وسمك جداره حوالي ٢,٥٠م. ويعتقد أن له امتداداً من الجهة الغربية لإغلاق ذلك الجزء، المفتوح في الوقت الحالي وبذلك يكون السد واقعاً بين الهضبة الشرقية والغربية، مما يضطره إلى حجز المياه القادمة شمالا باتجاه المنطقة الأثرية في عين ابن فهيد، جنوباً خاصة أن هناك إلى الجنوب من السد منطقة رعوية، ورياضاً تكون معشبة بعد سقوط الأمطار. وللسد فتحات أرضية لتسريب بعض المياه ولكنها غير واضحة حالياً بسبب الرديم وجرف السيول لجزء من السد.

طريقة البناء : السد مبني من الحجارة متوسطة الحجم، والمرصوصة فوق بعضها البعض يربط كل صف بالآخر طبقة مونة. (اللوحة رقم ١٦ ب) ويتكون السد من صفين من الحجارة، والفراغ الذي بينهما مملوء بحشوة خليط ما بين المونة والحجارة الصغيرة، وتغطيه طبقة من اللياسة. وتجدر الإشارة إلى أن مواد وطريقة البناء في السد، مماثلة لمواد وطريقة البناء في قصر مارد، مع بعض الاختلاف في نوعية الحجارة.

القنوات :

وهي قنوات مائية بطول ٣كم تقريباً وتقع في المنطقة الغربية من عين ابن فهيد التي تعرف بصفراء الأسياح، وهي هضبة صخرية مرتفعة، تميل باتجاه

الشرق حيث توجد المزارع، والبلدة الأثرية في العين، وتشتمل على قصر مارد والبركة، والأساسات الحجرية والآبار. ويمكن مشاهدة حوالي ٧ محاور أو خطوط من القنوات متباعدة عن بعضها ومتوازية إلى حد ما في الجهة الغربية وتأخذ بالانحناء لتصب في المزارع والحي القديم للعين.

والقنوات الحالية التي نحن بصددها ليست هي العيون التي ذكرتها المصادر التاريخية، ولكنها حفرت على نمطها وفي الموقع نفسه وإلى الشمال منها، أما عيون النباج القديمة، فإنها تمثل حاليا أحد الأحياء السكنية الحديثة في مدينة عين ابن فهيد، وضاعت ملامحها بعد أن أقيمت عليهاالمباني. أما القنوات الشاخصة في الأجزاء الشمالية الغربية من مدينة العين، فيعود تاريخ حفرها إلى ٢٠٠ سنة تقريبا عندما أعاد حفر عيون النباج وإحياءها محمد ابن فهيد خلال الفترة الواقعة بين ١٢٠١ ـ ١٢١٨هـ. ومدت القنوات على غرار عيون النباج القديمة.

طريقة حفر القنوات :

تتكون القنوات من جزءين، أحدهما علوي، في أعلى الهضبة الصخرية، والآخر أسفل الهضبة وحفر بطريقة التدرج، وهذا أسلوب متبع في العمارة الإسلامية ويعرف بطريقة وزن الأرض. وتتم بحفر الأرض بتدرج[1]، فالجزء العلوي يمثل مصدر الماء حيث تم إيجاده عن طريق حفر طبقة رسوبية خليط من الرمل والجير، ثم طبقة صخرية صلبة التي بعد اختراقها ينبع الماء. وتبعد كل فتحة عن الأخرى مسافة تتراوح ما بين ٣م و٥م إلا أنها متصلة

(١) لمزيد من المعلومات عن طريقة وزن الأرض، راجع الكحلاوي، محمد محمد، عرفاء البناء في المغرب والأندلس وأهم أعمالهم المعمارية، ١٤١٤هـ ص ص: ٤ ـ ٥.

ببعضها بواسطة قنوات أرضية مغطاة. وهي بذلك تمثل سلسلة من الفتحات المكشوفة، تمتد بشكل شريط طويل ينحدر باتجاه الشرق ويميل حسب طبيعة الأرض الصخرية. (اللوحة رقم ١٧ أب).

أما الجزء السفلي من القنوات، فيقع في منحدر الهضبة باتجاه الشرق، حيث يمكن للمياه أن تتدفق من أعلى بشكل انسيابي على مستوى عمق مجرى القناة.

وقد استخدمت في هذا الجزء طريقة إنشائية جمعت ما بين الفتحات أي القنوات الأرضية، والقنوات السطحية المكشوفة التي تُعرف «بالقنطرة» المنخفضة أو الساقية تجري فيها المياه حتى تصل المزارع. والجزء السفلي أقل تقنية وإنشائية من الأجزاء العلوية. وهذا يعود إلى الميل الشديد للهضبة باتجاه الشرق.

والغرض من إيجاد تلك القنوات، جلب المياه من الأجزاء الغربية، حيث تنبع المياه إلى الأجزاء الشرقية عند مقر البلدة. واتخذ نظام القنوات المغطاة لكي لا تتبخر المياه من تعرضها الطويل للشمس، أما الفتحات فقُصد منها المساعدة في حفر القناة وتسهيل أعمال الصيانة، والتنظيف ولتهوية القنوات. بالتالي تقلل أيضاً من الجهد المبذول في حالة حفر الأجزاء العلوية والسفلية، فيكتفى بحفر قناة صغيرة على حيز محدود يؤدي الغرض ويضمن وصول الماء من أقرب مستوى لتدفق المياه. ونلاحظ تعدد مستويات مجرى القناة وتدرج انخفاضه، يبدو أنه بسبب انخفاض منسوب الماء عن معدل المجرى الأول، مما يضطرهم إلى تعميق الحفر الأول وفي فترات لاحقة تحفر قناة مائية أخرى أدنى من الأولى.

الآبـــار:

تقع الآبار إلى الجهة الجنوبية الشرقية من قصر مارد، وتبعد عنه حوالي

١٨٠٠م تقريبا. وهي مجموعة من الآبار المتناثرة والقريبة من بعضها، وتحيط بها من الجهة الشرقية هضبة مرتفعة، أما الجهة الغربية حيث يقوم قصر مارد فإنها أرض منبسطة، وهي مورد ماء قديم أعيد استعماله بعد ترميم بعضها، وعمق وحفر البعض الآخر عندما نضب الماء أو قل منسوبه. (اللوحة رقم ١٨أ).

تختلف الآبار في أشكالها، ولكن يغلب عليها الشكل شبه الدائري، وهي على مستوى السطح ومحفورة بالصخر، ويمكن مشاهدة الطبقة الصخرية فيها قريبة جدا من السطح. وقد طويت الأجزاء العلوية من بعض الآبار بالحجارة من الحجم المتوسط وغير المنتظمة. وظلت تستخدم تلك الآبار كمورد ماء للبادية، وأهل عين ابن فهيد إلى وقت قريب. (اللوحة رقم ١٨ ب).

وهناك بئر مدفونة وتقع بالقرب من قصر مارد وإلى الشرق منه بمسافة قدرها ٣٠٠م تقريباً. وهي حاليا مدفونة بالرمال والرديم ويعتقد أنها أحد مصادر المياه بالنسبة للقصر.

تاريخ الموقع:

على الرغم من الانقطاع التاريخي للمنطقة الذي أشرنا اليه سابقا، إلا أننا نلمس استمرار الاستيطان في الأسياح بسبب موقعه الجغرافي المتميز والواقع في ممر مهم ذي موارد اقتصادية زراعية، مثل المياه التي أخذت التسمية من عيونه الجارية (السائحة) والمتدفقة على سطحه، وأيضا تربته الزراعية الخصبة، وكذلك مناطقه الرعوية، ومنخفضاته الزراعية والربيعية، مثل روضة الأسياح التي يستمر العشب و(الربيع) فيها أشهراً عديدة وكذلك قرى الأسياح التي ذكرناها سابقا، ومن جانب آخر فإن ما يلاحظ من بقايا المنشآت المعمارية

مثل قصر مارد، والبركة، والسد، والقنوات المائية، والآبار، والعيون الجارية، وأساسات المباني المدفونة، وانتشار كسر الفخار، والخزف والمخربشات والكتابات القديمة، (اللوحة رقم ١٩ أ)، على مساحات كبيرة في منطقة العين، وارتباطها بقرى زراعية عبر شبكة المواصلات المحلية، يشير إلى أن الأسياح قد استمر فيها الاستيطان وظلت تخضع كغيرها إلى تلك الحالات التي تعيشها مدن وقرى وأرياف الجزيرة العربية، فتنحسر وتتضاءل، وتنتعش فيها حركة السكان والمعيشة، وفقاً للمؤثرات الأمنية والطبيعية من حروب وجفاف وكوارث بيئية.

وبلاشك أن الآراء التي أوردها العبودي، والنقيدان وما يتناقله الأهالي من حكايات سلطان مارد ليست آراء قاطعة، إنما هي روايات متناقلة، حاول من خلالها العبودي والنقيدان أن يضعا تاريخاً تقريبياً لزمن سلطان مارد، ولكن يجب علينا أن نفصل بين تاريخ سلطان مارد وتاريخ بناء قصر مارد، فقد يعود بناء القصر إلى فترات تاريخية سابقة لزمن سلطان مارد، وأنه استفاد من القصر كحصن يحتمي به فأعاد ترميمه وتحصينه ثم سكنه وأصبح يعرف باسمه، كما هو الحال بالنسبة لعيون ابن عامر في النباج الذي أعاد حفرها سلطان مارد. ومن بعده محمد بن فهيد فأصبحت الآن تعرف باسم ابن فهيد. وأيضاً موقع القريتين حيث ذكرت المصادر أنهما يعودان لطسم وجديس، ثم أعاد عبدالله بن عامر إحياء القرية وأصبحت تعرف باسمه، وأحيا جعفر ابن سليمان في الفترة العباسية العسكرة وعرفت باسمه وحاليا أصبح اسمها العيارية.

أما الأشعار الشعبية التي أوردت ذكر سلطان مارد، فهي الأخرى ليست دليلاً قاطعاً تساعد في تاريخ قصر مارد. فربما أنها قيلت في فترة تاريخية لاحقة

بعد فترة سلطان مارد، على غرار الأشعار التي تورد ذكر الرموز التاريخيين أو الأبطال الذين دارت حولهم الحكايات والأساطير، أو لتمجيد الشخصيات والرموز الوطنية، وإن كانت غير معاصرة وتنتمي في زمنها إلى فترات تاريخية بعيدة، ومع تناقلها فسدت لغتها.

ونستنتج من حكايات سلطان مارد ما يلي:

١ ـ إن تأريخ سلطان مارد نفسه قد لا يعود بالضرورة إلى الفترة ٨٥٠هـ، وقد يعود لفترة تاريخية سابقة.

٢ ـ إن الاعتماد على الأشعار العامية التي قيلت في مارد، قدلا تكون معاصرة، فربما استشهد بها لاحقاً، كما أنه ليس بالضرورة ربط زمن سلطان مارد تحديداً بالقرن التاسع الهجري وهي الفترة التي بدأت تفسد فيها اللغة العربية.

٣ ـ هناك إشارة من الهمداني، المتوفى سنة ٣٤٤هـ كما ذكرنا سابقاً إلى قف مارد، وقال : قف مارد معترض بين الثنايا، ثنايا الأودية: حنيظلة، ونعام، وبرك، وبين بطن حائل.

٤ ـ إن الاستيطان مستمر بالنباج، وإن كان هناك انقطاع تاريخي بالمعلومات، إلا أن حكايات مارد تمدنا بحلقة وصل لم تحدد طرفيها، فربما كانت بُعَيد فترة الأخيضريين والقرامطة، إذا لم يكن بينهم تداخل في القرن الخامس الهجري.

٥ ـ ونعتقد أن وظيفة هذا القصر من الناحية الإدارية والأمنية إلى جانب القوة البشرية التي يتطلبها مثل هذا البناء مضافاً إلى طراز البناء نفسه، تشير كلها

إلى تاريخ في إطار الفترة التي ازدهر فيها طريق الحج البصري مكة، أي من القرن الأول إلى القرن الثالث الهجري.

٦ - إن بناء قصر مارد والسد والبركة والعيون يعود لزمن عبدالله بن عامر وإن كان هو الآخر أحدث تعميراً لمستوطنة كانت قائمة، وتعاقب على تعمير النباج شعوب وشخصيات تاريخية، كان منهم سلطان مارد.

ثانياً: الصريف

يقع الصريف عند خط العرض ٣٥, ٢٦ وخط طول ١٢, ٤٤ درجة وفي وضعه الحالي يتكون من روضة تحيط أطرافها الرمال، وحدوده الغربية مرتفعات صخرية والشرقية رمال. ويخلو تماماً من المنشآت المعمارية القديمة والحديثة باستثناء بعض البيوت الطينية القليلة جداً، والمقابر التي يعتقد أنها قبور للبادية أو قتلى وقعة الصريف[١] (١٣١٨هـ)، والبعض يشير إلى أنها قبور قاتلي سلطان مارد. ورأي آخر يقول: إن القبور قد تكون أقدم من ذلك[٢].

وجاء ذكر الصريف عند الحربي: «... إن على عشرة أميال من النباج بلد لبني أسيد، قف يعترض الطريق مرتفع به نخل يقال له الصَّريف، للعرب أشعار فيه»[٣]. أما ياقوت فقد ذكر الصريف بعد أن تعرّض لأصل الكلمة، فقد نقل ما أورده الحربي وأضاف أن فيه أخلاط حنظلة. وأن النباج: بين قَوّ والصريف• والمشرق: جبل من جبال

---

(١) عن وقعة الصريف انظر: الريحاني، أمين، نجد وملحقاته، منشورات الفخارية، الرياض- ط٥، ١٩٨١م ص ص: ١١٦ - ١١٩.

(٢) العبودي، بلاد القصيم، الرياض، جـ٤، ص ص: ١٣٤٦ - ١٣٤٧.

(٣) الحربي، المناسك، ص: ٥٨٧.

الأعراف بين الصريف والقصيم من أرض ضبّة[1]. وذكره ابن بشر[2] في حوادث ١٢٥٢هـ. والرحالة لوريمر[3] ذكر الصريف بأنه ماء شرقي القصيم ومرتع ترده البادية.

ويبدو أن ذكر ياقوت بأن النباج بين «قو» والصريف، نابع من شهرة الصريف في ذلك الزمن.

وأشهر الأحداث التاريخية التي حدثت في القرون المتأخرة فيها، هي وقعة الصريف عام ١٣١٨هـ والتي حدثت بين ابن صباح حاكم الكويت ومن معه من أهل القصيم، وبين عبدالعزيز بن متعب بن رشيد أمير الجبل «حائل»، التي انتصر فيها ابن رشيد.

الوصف العام :

تُعدّ الصريف استراحة صغيرة، ما بين النباج والعوسجة ويمر قربها وادي الرمة وتبعد عن الأسياح حوالي ١٧كم. وقد تعرَّفنا على المحطة عند الموقع الذي يعرف الآن بالاسم نفسه والذي لا يحوي أياً من الآثار والمباني أو المنشآت المائية، كما أن المصادر والمراجع لم تشر إلى استيطان، ماعدا الحربي الذي أشار إلى أن الصريف بلد. وبعد أن أكملنا مسحنا الميداني على الصريف توصلنا إلى أن الصريف منطقة رعوية غنية بالأعشاب تضم بعض الآبار، والمباني الطينية الحديثة نسبياً، وبعض القبور التي أشرنا إليها سابقاً، لكن لم نتوصل إلى أي دلائل استيطانية، أو مؤشر أثري يوصلنا إلى أن الصريف سُكِنَ في فترة من

(١) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، جـ٣، ص: ٤٠٣.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، عنوان المجد في تاريخ نجد؛ تحقيق عبدالرحمن آل الشيخ، جـ٢، ٢٧ مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.- ط٤، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ص ص: ١٤٠، ١٤١.

(٣) لوريمر/ دليل الخليج، جـ٥، ص ص: ١٨٧٢، ١٨٧٣.

الفترات التاريخية كموطن استقرار، وربما أنه بقي استراحة صغيرة لقوافل الحجاج والتجار ومعبراً تسلكه القوافل إلى العوسجة والقريتين، التي لا تبعد عنه العوسجة كثيراً.

وإذا تفحصنا خريطة الحج البصري إلى مكة. نلاحظ أن الطريق يتفرع عند الصريف إلى فرعين أحدهما يتجه إلى القُرَيَّة عبر قاع بولان، وآخر يتجه إلى قرية العسكرة عبر نفود بريدة، وهنا نرى أن القوافل تنصرف في الصريف إلى إحدى القريتين. ولا نستبعد أن اسم الصريف جاء من انصراف الناس من ذلك الموقع إلى إحدى القريتين، ثم يلتقيان في قرية العسكرة ليواصلا سيرهما إلى رامة حتى الوصول إلى مكة.

ثالثاً: العوسجة (البويكة):

تقع العوسجة قرب خط عرض٢٢ , ٢٦درجة وخط طول١٠ , ٤٤ درجة تقريباً في مجرى وادي الرمة، ومحصورة ما بين نفود الربيعة التي تقع إلى الشرق منها، ونفود بريدة غربها. والركية والرويضة والصريف إلى شمالها، والجهة الغربية من الموقع عبارة عن رمال نفود بريدة والغميس التي تشكل الضفة الغربية لأحد فروع وادي الرمة. وتُعدّ العوسجة الامتداد الشمالي الشرقي لقاع الأبيض والذي عُرف قديما باسم قاع بولان. (اللوحة رقم ١٩ب).

وجاء ذكرها عند الحربي: «ومن النباج إلى العوسجة تسعة عشر ميلاً، وبها آبار قريبة الماء. ثم القريتين»[١]. أما أرجوزة الجهضمي فإنه لم يذكر فيها

(١) الحربي، المناسك، ص: ٥٨٨.

العوسجة، وإنما ذكر النباج والصريف ثم القصيم حيث يقول :

حتى إذا أوفت على القصيم　　　وخلفت أرض بني تميم

قلت لها : جدي ولا تقيمي

فاختلفت تنحط في رماله　　　مثل انحطاط الوعل في أجباله

تحذو إذا انحطت على مثاله

حتى إذا مرت بقاع بولان　　　مزهوة، تخدي أمام الركبان[1]

كما ورد ذكرها عند أبي علي الهجري فقال : «فإن خرج من ضرية يريد البصرة: شرب بطخفة، ثم إمرة، ثم رامة، ثم الفريش[2]، وبين الفريش والنباج أربعون ميلاً في المنزلين جميعاً، ثم العوسجة ثم النباج»[3].

وذكرها الأصفهاني بقوله: «ولبني أسيّد ماءة عظيمة من النباج يقال لها الجعلة، قريبة من الطريق. ولهم ماءة على الطريق يقال لها العوسجة»[4].

وهناك خلاف حول ربط هذا الموقع الذي يقع غرب الربيعية، وجنوب الركية والرويضة في مجرى وادي الرمة بالمحطة التي عرفت باسم العوسجة، حيث جاء ذكر الموقع مرة باسم البريكة ومرة باسم العفجة ومرة أخرى أشير إلى أن موقع العوسجة هو العوشزية شرق عنيزة وخب العوشز جنوب غرب بريدة[5]، وبالتالي تعددت الآراء حوله. إلا أننا نرى أن الموقع الذي سيأتي وصفه، هو موقع العوسجة لأسباب نلخصها بالتالي :

---

(١) الحربي، المناسك، ص: ٦٣١.

(٢) الفريش يقصد القريتين. أبوعلي الهجري، ص: ٣٣٤.

(٣) أبو علي الهجري، وأبحاثه في تحديد المواضع، ص: ٣٣٤.

(٤) الأصفهاني، بلاد العرب، ص: ٣٥٦.

(٥) راجع المواقع على طريق الحج البصري إلى مكة داخل منطقة القصيم في الفصل الثاني من هذا الكتاب..

١ ـ ذكر الحربي أن موقع العوسجة يبعد عن النباج ١٩ ميلاً وهو ما يقارب البعد الحالي بين هذا الموقع والنباج، إذ بُعده عن الأسياح حوالي ٣٨كم.

٢ ـ تقع هذه المحطة على المسار الطبيعي لطريق الحج بين محطتي النباج والقريتين «قرية ابن عامر» عبر قاع بولان «الأبيض» متتبعاً بذلك مجرى وادي الرمة. (الخريطة رقم ٦).

٣ ـ أما ما ذكر من أن محطة العوسجة ليست بهذا الموقع، وإنما هو موقع العوشزية كما جاء عند حمد الجاسر[1]، فإن موقع العوشزية الأخير لا يتفق والمسافة التي أشار إليها البلدانيون، إذ أنها تبعد ٨٠كم تقريباً عن النباج. كما أنها تقع باتجاه الجنوب، وبعيداً عن مسار الطريق، وليس هناك ما يدعو لانحراف الطريق إليه.

٤ ـ أما ما ذكره الوشمي والعبودي[2] من أن العوسجة هي خب العوشز، فينطبق عليه بعض مما سبق ذكره عن الجاسر، فخب العوشز على الرغم من كونه يقع في مسار الطريق، إلا أنه يبعد حوالي ٧٠كم عن النباج، وليس ١٩ ميلاً كما ذكر الحربي، وليس فيها مخلفات حضارية دالة على كونها محطة رئيسة على الخط. خلافاً عن كونها تفتقر إلى المنشآت المعمارية ولاتحوي على بقايا ومخلفات آثارية ظاهرة على السطح تجعل منها محطة في طريق الحج، مثل ماهو في موقع البريكة.

---

(١) الحربي، المناسك، الجاسر هامش ص: ٥٨٨.

(٢) راجع آراء العبودي والوشمي في الفصل الثاني من هذا الكتاب، راجع (الخريطة رقم ٩)، وكذلك الوشمي طريق الحج العراقي، ص ص: ١٣٥ ـ ١٤١ وتبقى آراء العبودي، والوشمي في موقع العوسجة لها أهميتها العلمية والبحثية، خاصة إذا عرفنا أن قاع بولان (الأبيض) يصعب السير فيه وقت المطر.

٥ ـ ذكر البلدانيون محطة رئيسة واحدة بين النباج والقريتين، فإن كانت المحطة المشار إليها، هي العوشزية الحالية، أو خب العوشز فبماذا نفسر وجود موقع البريكة المهم الذي يضم منشآت معمارية ضخمة.

٦ ـ إن موقع البريكة يشكل تجانسا من ناحية موقعه الجغرافي على امتداد مسار وادي الرمة بين موقعي النباج والقريتين اللذين يقعان أيضا على مسار الوادي، علماً بأن خب العوشز والعوشزية، لا يسايران ذلك النمط بحكم موقعهما بعيدا عن المجرى الرئيس لوادي الرمة[1].

فلو أعدنا قراءة ما قاله الحربي: «ومن النباج إلى العوسجة تسعة عشر ميلاً وبها آبار قريبة الماء». وكذلك ما قاله الأصفهاني: «وأماكن يقال لها الحناظل» ويضيف: «ولبني أسيد ماءة عظيمة من النباج يقال لها الجعلة قريبة من الطريق ولهم ماءة على الطريق يقال لها العوسجة».

فالحربي حدد المسافة بـ١٩ ميلاً وهو ما يعادل ٣٨كم تقريباً، وهذا واقع المسافة ما بين عين ابن فهيد والموقع الذي يعرف بالبريكة شمال غرب الربيعية، وذكر أن مياه الآبار قريبة، وهو بلاشك لأن البريكة تقع في (بطن) وادي الرمة وفي منطقة تكثر فيها الكثبان الرملية أو هي محصورة بين الرمال، وبالتالي فإن الرمال تتميز بمساميتها وامتصاصها لمياه الأمطار، ويتوفر تحت سطحها خزانات مياه تكون عادة قريبة من السطح[2].

وأشار الأصفهاني إلى الحناظل، المعروفة حالياً باسم حنيظل، والجعلة وهي الأخرى تعرف بالاسم نفسه، وكلاهما من قرى الأسياح. والجعلة لا يمر بها الطريق مباشرة وإنما يمر بقربها لعدم وقوعها على المسار نفسه، وهذا يتفق

(١) راجع جداول المحطات في الفصل الثاني من هذا الكتاب.
(٢) راجع: التضاريس ومصادر المياه في الفصل الأول من هذا الكتاب.

تماماً مع ما ذكره الأصفهاني، فكما ذكر أن الجعلة قريبة من الطريق وهذا واقع حالها الفعلي، فإنه يؤكد أن العوسجة على الطريق، وهذا يتفق وينسجم تماماً مع واقع العوسجة الواقعة في بطن وادي الرمة.

الوصف العام :

موقع العوسجة محصور في منطقة رملية، ويكاد يكون موقعاً معزولاً حيث يفصله عن القرى سالفة الذكر نفود الربيعية، ونعتقد أن طبوغرافية الموقع كانت مختلفة عند إنشاء تلك المحطة، والشكل الطبوغرافي الذي نتصور أنه كان قائما يتمثل في التالي :

١ ـ إن قاع الأبيض يمتد في مسار واحد من شرق عنيزة والأجزاء الجنوبية الشرقية من بريدة بمحاذاة نفود صعافيق ونفود الربيعية، كما يشاهد حاليا في أجزائه الجنوبية ليشمل بذلك الموقع دون وجود فروع لمجرى الوادي.

٢ ـ إن الكثبان الرملية لنفود بريدة، التي تقسم وادي الرمة والقاع إلى جزء شرقي حيث العوسجة، وجزء غربي قرب مزارع خاصة نشأت حديثاً بالمنطقة، لم تكن هذه الرمال موجودة أو على أقل تقدير لم تكن بهذا الحجم ولا بالكثافة التي هي عليها الآن.

٣ ـ إن هذه الرمال المذكورة في فقرة (٢) قد تجمعت في القاع الأبيض نتيجة تربته الطينية، وانحسار مياه الأمطار داخل ذلك الجزء. وقد تحدث عن ذلك الحربي حيث قال عن قاع بولان: إنما سمي بذلك لأنهم إذا صاروا إليه في المطر زلقت فيه الإبل ووحلت[١]. وأن الرمال زحفت بفعل حركة

---

(١) الحربي، المناسك، ص: ٥٨٦.

راجع (الخريطة رقم ٦) تلاحظ بعد المسافة ما بين النباج والعوشزية.

الرياح من الأجزاء الشرقية والجنوبية من مدينة بريدة، ومن رمال صعافيق، واستقرت بتلك المساحة (قاع بولان) نتيجة رطوبة الأرض الناتجة عن المياه والمستنقعات الطينية، بسبب قرب المياه من السطح، والتي جعلت من القاع أرضا (سبخة)، ونتيجة بعض الحواف الصخرية التي ساعدت في تثبيت وتراكم الرمال. ويلاحظ ذلك في الجزء الجنوبي من القاع الأبيض (بولان) (اللوحة رقم ٣).

وإذا كان هذا التصور صحيحاً، فإنه يكشف لنا الغموض الذي دار حول موقع العوسجة، من كونه محطة تضم منشآت مائية، وسكنية، وقصراً ومسجداً واقعة في وسط مجرى وادي الرمة، وحتى إن كان هذا الوادي ليس المجرى الرئيس للرمة، فهو كاف في حالة جريانه لتدمير المنشآت المعمارية وخاصة السكنية منها، علماً بأن موقع العوسجة استمر مدفوناً تحت الرمال، حتى كشفت عنه مياه الأمطار في السنوات الأخيرة عندما جرى وادي الرمة، وجرف طبقة الرمال التي كانت تغطيه.

وبذلك نصل إلى أن الموقع عند إنشائه كان واقعا في طرف الضفة الشرقية من وادي الرمة ـ قاع بولان ـ، بحيث يكون على أطراف الوادي، ومحاذياً لامتداد نفود صعافيق. فيكون مسار الطريق من النباج إلى الصريف ثم العوسجة ثم القريتين متتبعاً وادي الرمة، ومحاذياً لامتدادات نفود صعافيق الشمالية باتجاه الجنوب الشرقي حتى يصل قرية ابن عامر، وهي إحدى القريتين أو لنقل إنه أحد المسارات إذا افترضنا أن ما بين الصريف والقريتين أكثر من مسار.

والموقع الحالي للعوسجة يعرف بعدة أسماء وهي: العفجة، البريكة،

العمار. وتقع في منطقة تتجمع فيها الكثبان الرملية ويخترقها فرع من وادي الرمة الرئيس. وقبل أن يصل هذا الفرع إلى الموقع الأثري، تعترضه تلال رملية تجعله يتخذ مسارين، أحدهما شرقي والآخر غربي، فالمسار الغربي يستمر في مجراه مخترقا الأطراف الغربية للموقع. أما المسار الشرقي فإنه يلتف على التلال ليصب في الموقع. حيث تعترضه المنشآت المعمارية ليتحول إلى اتجاهين، الأول يتجه في مساره ممتدا شمالاً فيكون الحد الشرقي للموقع، والاتجاه الثاني يأخذ جهة الغرب ماراً بالمنشآت المائية، وهي الأحواض والقنوات والسد المائي مكوناً حدّ الموقع الجنوبي، ويستمر حتى يلتقي بالفرع الغربي سابق الذكر. وبذلك يكون الموقع في دائرة نصف قطرها ٣٠٠م. وتأخذ شكل جزيرة يحيط بها مجرى الوادي والكثبان الرملية.

ويظهر الموقع بهيئة مثلث، رأسه القصر، وقاعدته السد والأساسات الحجرية والأحواض، ويتوسطه تقريباً المسجد الذي تحيط به المنشآت السكنية والآبار والأبراج. (الشكل رقم ٣)، والموقع برمته تغطيه الكثبان الرملية، ويعد القصر أعلى نقطة ارتفاع في الموقع يصل إلى ٢م. ويشتمل الموقع على المنشآت التالية :

١ ـ القصر. ٢ ـ السد، أو (الحاجز). ٣ ـ الأحواض. ٤ ـ المسجد. ٥ ـ المباني الأخرى.

القصر :

يقع القصر في الجهة الشمالية من الموقع، وتكاد جهاته الثلاث المحيطة به، الشرقية، والشمالية، والغربية، تخلو تماما من المباني أو أي بقايا عمرانية مجاورة، باستثناء جهته الجنوبية حيث تظهر فيها المنشآت العمرانية والوحدات

السكنيـة، وهو مـسـتطيل الشكل وتبلغ أطواله من الجنوب إلى الشـمـال ٤٠×١٤م، ويتكـون من ثلاث وحدات معـمارية تشتمل على سبع عشرة غرفة. ولأن القصر تغمره الرمال، فإننا لا نستطيع تعرّف عناصره المعمارية وتفاصيله الأخرى، إلا انه باستطاعتنا تعرف مخططه، وبعض طرزه المعمارية العامة، ومادة بنائه، خاصة بعد أن تمكنا من تحديد أركانه الداخلية والخارجية والكشف عن بعض التفاصيل العلوية للقواعد والدعامات وجدرانه الداخلية. (الشكل رقم ٣).

البوابة والأسوار :

وعلى الرغم من أن الأجزاء العلوية للقصر متهدمة، والرمال تغطي سطحه، إلاَّ أننا نستطيع أن نتبين بوابة للقصر في ضلعه الجنوبي، وبذلك يكون القصر مشرفاً على جميع المباني والمنشآت المائية. ويلاحظ تساقط كميات كبيرة من الحجارة في هذا الضلع مما يجعلنا نعتقد أن بوابة القصر كانت بارزة.

ويحيط بالقصر أربعة عشر برجاً نصف دائرية يبلغ قطر الواحد منها ٢,٥٠م ويبلغ سمك الأسوار ٧٥سم تقريباً، والجدران الداخلية ٤٠سم. وتمثل الأجزاء الظاهرة من الأسوار والأبراج والجدران الداخلية الأجزاء المتبقية من القصر، وليست أساسات الجدران الأرضية. (اللوحة رقم ٢٠ أ).

الوحدة الشرقية :

تتكون الوحدة الشرقية من القصر من سبع غرف مربعة الشكل أعطيت الأرقام (١ ـ ٧) وأطوالها حوالي ٥×٥م، وتفتح أبوابها غرباً تجاه الساحة، وجدران هذه الوحدة متهدمة من أعلى، وباقيها مدفون تحت الرمال.

الوحدة الشمالية :

تتكون الوحدة الشمالية من ثلاث غرف أعطيت الأرقام (٨ ـ ١٠)، وتبلغ أطوالها ٥×٥م تقريباً، وتشكل الغرفة (٨) الزاوية الشمالية الشرقية للقصر، ويعتقد أن الوصول إليها يتم عبر ممر واقع فيما بين الغرفتين (٨ ـ ٩)، أما الغرفة (١٠) فهي واقعة في الزاوية الشمالية الغربية، ويتم الدخول إليها عبر الساحة، ومن المرجح أن تكون الغرفة (٩) عبارة عن بوابة أخرى للقصر، وتقابل تماما البوابة الرئيسة الواقعة في الضلع الجنوبي، وعليه يكون للقصر مدخلان، أحدهما جنوبي، والآخر شمالي.

الوحدة الغربية :

تشكل الوحدة الغربية سبع غرف تشغل الجهة الغربية من القصر، وأعطيت الأرقام (١١ ـ ١٧)، وتماثل الوحدة الشرقية حيث تبلغ أطوال الغرف ٥×٥م تقريباً، والغرف متقابلة وبينها ساحة تفتح الأبواب اتجاهها. ويشغل الركن الجنوبي الغربي بناء، يعتقد أنه الدرج الذي يصعد إلى الدور الثاني، حيث يرّجح أن القصر يتكون من دورين، ويبلغ طول ساحة القصر ٤٠م بينما عرضها ٥م، وهي خالية من المباني، وتقوم بمهمة الرّبط بين الوحدات والغرف، ولأغراض الإضاءة والتهوية في حالة افترضنا أن الدور الثاني يقوم على مباني الدور الأول وأن الساحة مكشوفة:

ويمثل القصر في وضعه الراهن هضبة مرتفعة، وحاجزاً للرمال المتحركة التي غطته بأكمله. ولا تمثل الأجزاء الشاخصة من القصر ووحداته وعناصره المعمارية التي تتبعناها، الأساسات، إنما تمثل أجزاءً علوية من البناء، وأن له عمقاً مدفوناً إلى مستوى سطح الأرض، الذي عليه تقوم المنشآت الأخرى في الموقع

مثل السد المائي الذي تمثل أجزاؤه الشاخصة أجزاءه العلوية. ونعتقد أن الأجزاء المدفونة من القصر يصل عمقها إلى أكثر من ١,٨٠م. (اللوحة رقم ٢٠ ب).

الأحــواض :

مجموعة من الأحواض مستطيلة الشكل، وتظهر بمساحة متقاربة تبلغ كل منها ٢٠×٧م. وتقع على بعد مائتي متر إلى الجنوب من القصر، مشكّلة الطرف الجنوبي الشرقي للموقع. ترتبط تلك الأحواض بعضها ببعض بوساطة قنوات أو ساقية صغيرة، مكونة سلسلة من ثلاثة أحواض، تمتد من الجنوب إلى الشمال وتفرغ بعضها في بعض، بحيث إذا امتلأ الأول، انتقل الماء إلى الآخر وهكذا. ويجدر بنا أن نشير إلى أن طول القناة يصل إلى أكثر من عشرة أمتار، بينما يبلغ عرض مجرى الماء أربعين سنتيمتراً.

وفي الجهة الغربية لمجمع الأحواض، وفي طرف مجرى الوادي تقريباً، يوجد الحوض الرئيس الذي ذكرته بعض المراجع على أنه حوض البركة[1]. وتصله المياه إما من الوادي مباشرة نظراً لموقعه على طرفه، وإما من التلال الرملية المرتفعة والواقعة إلى الشمال منه، وبالنسبة لمصدر الماء الرئيس الذي يغذي الأحواض فهي الآبار الواقعة في المنطقة السكنية وإلى الشمال من الأحواض، وتتم تغذية المياه عبر القنوات الصغيرة بحيث يتم تدرج الماء من أعلى إلى أسفل، فبعد أن تمتلىء الأحواض الأكثر ارتفاعا ينتقل الماء عبر القناتين الشرقية والغربية إلى الحوض المنخفض. (اللوحة رقم ٢١ أ. ب).

طريقة بناء أحواض المياه :

استخدمت قطع من الحجارة متوسطة الحجم في بناء الأحواض، بحيث يتم وضع صفين منها بشكل منتظم فوق بعضها البعض، ومن ثم تُملأ

(١) راجع العبودي، بلاد القصيم، جـ٢، ص ص : ٥٨٠-٥٨٣ راجع الوشمي، طريق الحج العراقي، ص ص : ٢١٤-٢١٥.

الفراغات الواقعة فيما بينها بالمونة الجصية، وكسر الحجارة الصغيرة وتكون الأركان الأربعة للحوض مقواة بدعامات من الخارج مربعة الشكل بضلع طوله ستون سنتيمتراً، ومبنية بالحجارة بطريقة بناء مماثلة لتلك المستخدمة في بناء الأحواض. (اللوحة رقم ٢٢ أ، ب).

وقد تم إجراء مجس بمساحة ١×١م في الركن الجنوبي الغربي من الحوض الرئيس. وبلغ عمق الحفر ٦٠سم، وتم الكشف عن الدعامة الخارجية، واتضح أن جدرانها الداخلية والخارجية تغطيها طبقة جصية ذات لون رمادي قوية التماسك، وأن الأحواض جميعها عليها طبقة من الداخل والخارج، حيث أن وظيفته تتطلب ذلك. (اللوحة رقم ٢٢ ب).

القنوات :

فيما يخص القنوات، فالقناة عبارة عن ساقية لنقل الماء بين حوضين أو أكثر، ممثلة شبكة اتصال بين الأحواض، كما قد تكون مهمتها توجيه مياه الأمطار نحو الأحواض. والقناة مبنية بالحجارة متوسطة الحجم والمرصوصة بشكل منتظم على طول استقامة مجرى القناة. والقنوات بشكل عام تأخذ شكلاً منحدراً يبدأ من المناطق العالية في الناحية الشمالية حيث توجد الآبار، إلى أن يصل إلى المناطق السفلية حيث مكان الأحواض. أما المجرى المائي فهو مبني بالجص، وعليه طبقة ناعمة تسهل مرور الماء. (اللوحة رقم ٢٣أ).

السد (الحاجز) :

عبارة عن حاجز للماء يتجه من الجنوب إلى الشمال، ولكنه غير محكم في طرفيه، ـ على الأقل في وضعه الراهن ـ إذ أنه لا يستند إلى مانع طبيعي يساهم في حجز الماء. ويقع السد في الجهة الجنوبية الغربية بالنسبة للموقع، وحيث يبعد عن القصر حوالي ٢٦٠م، حيث تكون أخفض أجزاء الموقع.

ومن موقعه الحالي يعترض أحد فروع الوادي والمتجه إلى جهة الغرب، حيث تتجمع المياه عنده قبل أن تعبر إلى المسار الغربي من الوادي، ويقع السد في مجرى الوادي المنخفض بحيث تحده من جهة الجنوب كثبان رملية، ومن الشمال منشآت الموقع المعمارية، ومن الشرق والغرب مجرى الوادي وكثبان رملية. ويمتد من الشمال إلى الجنوب وطوله الظاهر يبلغ ٥٩م. (اللوحة رقم ٢٣ ب) مع انكسار جهة الغرب، وقد أجرينا في طرفيه الشمالي والجنوبي مجسين مساحة كل واحد منهما ٢×٢م، وحفرناهما حتى عمق ٥٠ر١م للتأكد من امتداداته الجانبية، وللكشف عن طرز بنائه، (اللوحة رقم ٢٤ أ ب، الشكل رقم ٤) وجاءت النتائج على النحو التالي :

١ - تبيّن أن السد ليس له امتدادات في طرفيه الشمالي والجنوبي.

٢ - اتضح أن البناء يتكون من جزءين، الأول جزء سفلي، عبارة عن قاعدة وتمثل بدن البناء، وعرضه ١٤٠سم ويقوم عليه بناء أسطواني قطره ١م، يمثل أعلى السد بمثابة غطاء واق من المياه المتساقطة عليه والمتدفقة ويسمح بتسريب المياه الفائضة بسلاسة دون تعرضه للهدم والتآكل. والثاني الأجزاء الشاخصة للعيان التي تمثل أجزاءه العلوية.

٣ - نتبيّن أن له امتداداً تحت السطح الحالي، قد يصل إلى أكثر من مترين إلى الأسفل من العمق الذي كشف عنه المجسان سابقا الذكر، وعليه نعتقد أن ارتفاع السد يصل إلى خمسة أمتار تقريباً.

٤ - أصبح واضحاً لنا أن أوجه جدران السد مغطاة بطبقة جصية سميكة، وقوية التماسك لحمايته من المياه المتدفقة من مجرى الوادي شرقا والمياه الفائضة والمتسربة من أعلى، ثم الراكدة في محيطه الخلفي في جهة الغرب.

المسجد :

يقع المبنى الذي يعتقد أنه المسجد عند الضلع الغربي للموقع، ووسط المنشآت السكنية والملاحق المعمارية الأخرى، ويمثل ما بين القصر والمنشآت المائية وسط الموقع. وتظهر على السطح بعض امتداداته الجدارية، وقد تهدمت أجزاؤه العلوية، وأكثر الأجزاء وضوحاً الضلع الذي يقع فيه ما ذُكر أنه المحراب، حيث يمكننا مشاهدة حنية تشبه حنية المحراب واقعة بين كتلتين بنائيتين يعتقد أنهما دعامة للمحراب. وهذا المحراب هو ما أشار اليه كل من العبودي والوشمي[١] بأنه محراب المسجد. وبعد أن تتبعنا جدران المسجد وكتلته البنائية اتضح أنه عبارة عن بناء مستطيل الشكل طوله من الجنوب إلى الشمال سبعة وعشرون متراً، وعرضه تسعة أمتار، وسمك جدرانه خمسون سنتيمتراً، وقطر حنية المحراب متر ونصف المتر.

وتقع الحنية في منتصف الجدار الغربي، داخل كتلة بنائية مستطيلة الشكل، يبلغ طولها من الجنوب إلى الشمال خمسة أمتار وعرضها مترين ونصف المتر. ويقوم على جانبي المحراب باتجاه الشمال والجنوب، بناء نصف أسطواني بني بشكل جيد ودقيق، قطره ٧٥سم. (اللوحة رقم ٢٥ أ ب).

وللمبنى بابان، أحدهما يقع في منتصف الجدار الشمالي ومواجهاً للقصر، ويقع الآخر في الجدار الشرقي ومقابلاً للمباني السكنية، ويبلغ عرض فتحة الباب متراً واحداً تقريباً.

وبجوار الباب الشرقي وفي منتصف الجدار تقريباً، توجد كتلة بنائية مستطيلة الشكل طولها من الشرق إلى الغرب ٢,٣٠م، وعرضها ١,٥٠م،

---

(١) العبودي، بلاد القصيم، جـ٢، ص : ٨٥٠. راجع الوشمي، طريق الحج العراقي، ص : ٢١٥.

يعتقد أنها القاعدة التي تقوم عليها المئذنة. وملحق بالمبنى بناء مستطيل الشكل، تبلغ أبعاده ٥٠,٥٠×٧,٥٠م، ويقع في الركن الجنوبي الشرقي، وله فتحة باب في جداره الشرقي يبلغ عرضها متراً واحداً، وليس له باب أو نافذة تفتح إلى داخل المبنى. (الشكل رقم ٥).

ويمكن الاستدلال على وظيفة المبنى بأنه مسجد من خلال بعض الشواهد التي استقيناها من خلال قيامنا بتتبع الجدران، والكشف عن بعض التفاصيل المعمارية في منطقة المحراب بعد أن أزلنا الرمال والرديم المتراكم حوله. كما أن هناك أسباباً أخرى نجملها بالتالي:

١ - إنه يقع في وسط الموقع وقرب المنشآت السكنية مثل القصر والمباني الأخرى وبعيداً عن فروع مجرى الوادي.

٢ - وجود الحنية التي تتجه إلى الغرب وهي جهة القبلة بمنطقة القصيم، وإحاطتها بقاعدة تضم أعمدة يقوم عليها المحراب.

٣ - ظهور كتلة بنائية مستطيلة الشكل في الجدار الشرقي، بجوار الباب ومقابلة تماماً للجدار الغربي، يعتقد أنها قاعدة المئذنة.

٤ - وجود بابين بالجدارين الشمالي والشرقي، يفتحان باتجاه القصر، والمباني السكنية على التوالي.

٥ - تأكيد العبودي والوشمي عند زيارتهما للموقع قبل ١٥ سنة أنه مسجد، حيث يبدو أنه كان على حال أحسن من حاله اليوم.

وقد تكون هناك رؤية أخرى حول الكتلة البنائية الموجودة بالجدار الغربي، التي يعتقد أنها المحراب. فقد تكون آبار مياه، أو أكتافًا لمنشآت معمارية غير محددة. وحيث أن الأمر لم يكن مؤكداً، رأينا أنه من الضروري

أن نحفر مجساً من الداخل في محيط الضلع الغربي الذي يعتقد أنه المحراب من الداخل بمساحة ٢م٢، وحفرنا مجساً حتى عمق ١م. كما حفرنا مجساً آخر على الكتف الشمالي بمساحة ١×١م وحتى عمق ١م، وقد تبين التالي :

١ - عندما أزحنا الرمال الواقعة في حنية الضلع الغربي اتضح أنها تحوي على رديم من الحجارة المتساقطة، وفي الأجزاء السفلية منه نلمس أنه بناء منتظم يأخذ شكل جدار ليصل بين الكتفين.

٢ - إن البناء بأكمله مغمور بالتراب، وأن مستوى سطح البناء على عمق لا يقل عن ١,٨٠م.

٣ - إن الأجزاء الظاهرة من البناء ليست الأساسات الأرضية، كما أنها ليست الأجزاء العلوية، وإنما هي المستوى الثاني من المبنى.

٤ - إن هذه الأكتاف عبارة عن قاعدة مستطيلة الشكل، تعلوها كتلة تكون جهة المحراب بشكل حجارة متراكمة، أما من الخارج فإنها عبارة عن بناء نصف دائري مفرغ من الداخل، وهذان التكوينان متناظران في التخطيط، وطراز البناء، وطريقة تنفيذ العمل. (اللوحة رقم ٢٥ب).

والنتائج التي توصلنا إليها بعد إجراء المجس، لم تكن بتلك القوة التي تجعلنا نجزم بأن هذا البناء هو المسجد، ويعود ذلك إلى تهدم الأجزاء العلوية منه، وزحف الرمال عليه، وتغطيتها الموقع بحيث لا تتبين إلاَّ الأجزاء العلوية، وحتى نصل إلى نتيجة أحسن لابد أن نجري حفرية للمبنى ولمحيطه، فهناك جدران وأساسات مبانٍ بالجهة الغربية والشرقية من المسجد، يعتقد أن لها علاقة مباشرة به. كما تظهر بعض التشكيلات، والتكوينات المعمارية في محيط

المبنى، التي لم نستطع أن نميزها، وعلى أي حال، وحتى القيام بحفرية موسعة في موقع العوسجة، فإننا نرجِّح أن هذا البناء هو مسجد محطة العوسجة.

المباني الأخرى:

تقع في الجزء المحصور ما بين القصر شمالاً، والسد جنوباً، ومن الأحواض شرقاً، حتى الطرف الغربي الجنوبي، وتتوزع هذه الوحدات على شكل تكوينات متباعدة. ويمكن تقسيمها إلى قسمين، الأول منها يقع في محيط الأحواض، بينما يقع الثاني في محيط المسجد.

وهي بشكل عام، عبارة عن كومات وتلال أثرية تمثل آباراً وأفراناً لحرق الحجر الجيري، ثم يستخدم في إعداد مادة اللياسة الجصية، وأبراج للمراقبة، وأعلام الطريق، وبعض الوحدات السكنية الأخرى، والمنشآت المائية.

ويلاحظ على السطح وعند محيط المسجد، أساسات لجدران تشكل تكويناً معمارياً يعتقد أنه وحدات سكنية. وتمتد إلى الغرب منها، جدران أرضية باتجاه الفرع الغربي للوادي وبعرضه وتكون متعاقبة باتجاه الشمال بثلاثة أو أربعة خطوط، يعتقد أنها بقايا سدود صغيرة كانت قائمة في مجرى الوادي. أو ربما كانت إنشاءات لها علاقة بالمسجد والوحدات المعمارية المجاورة له.

وتشكل الجهة الشرقية من الموقع، الواقعة في محيط الأحواض تلالاً أثرية، وتكوينات منفصلة، يعتقد أنها الآبار والأبراج والأعلام والأفران. وتختلف عن الجهة الغربية من حيث أنها ترتفع عن سطح الأرض، ولها من الأعلى فوهات دائرية، وأشكال هندسية أخرى. وتغطي تلك التكوينات

والوحدات الرمال أكثر من غيرها، ولذا يصعب تحديد هويتها إلاَّ بإجراء حفريات أثرية واسعة النطاق. (اللوحة رقم ٢٦أ).

طريقة البناء:

استخدم في بناء منشآت محطة العوسجة أسلوبان، وقد تكون وظيفة المنشآت المعمارية هي السبب في استخدامهما.

يظهر الأسلوب الأول في المنشآت المائية، حيث استخدم أسلوب قريب جداً من الأسلوب المتبع في البناء الخرساني، حيث يوضع صفان من الحجارة، ذات الحجم المتوسط و يوضع بينهما حجر صغير، ومادة الجبس الجيرية الناعمة والذائبة لكي تنساب بين الحجارة الكبيرة، فتصبح مماثلة «للصبة» الإسمنتية المستخدمة حالياً، وبعد ذلك يغطى البناء بأكمله من الداخل والخارج، بطبقة سميكة ومتينة من اللياسة الجصية المستخلصة من الحجر الجيري. ومنطقة الأسياح القريبة من العوسجة غنية جدا بتلك المادة، ويمكن مشاهدتها حاليا في الرديم، الناتج عن حفر القنوات المائية في عين ابن فهيد. وباستخدام ذلك الأسلوب التقني العالي، أصبحت المنشآت الخاصة بالمياه، متماسكة وقوية، بحيث لا تستطيع المياه أن تضعفها، أو تتسرب منها سواء في الأحواض أو السد. (اللوحة رقم ٢٤ أ).

ويظهر الأسلوب الثاني في المنشآت الأخرى، التي استخدم في طريقة بنائها الأسلوب التقليدي في بناء القصور والمسجد والمباني السكنية. حيث ترص الحجارة فوق بعضها، وتسد الفراغات بالمونة الجصية، أو الحجارة الصغيرة. والتعشيق بين كل صفين من الحجارة، ليزيد من ترابطها ويبرز ذلك واضحا في أسوار القصر. (اللوحة رقم ٢٢ أ ب).

ويعد التخطيط وطريقة وهندسة البناء والتنفيذ في محطة العوسجة من الخصائص المميزة لها، ومن أقوى المباني وأجودها التي تم مسحها والكشف عنها، فالمنشآت المائية تكشف عن مهارة البنائين، وأسلوب البناء والدفع السخي الذي كان وراء هذا البناء الضخم. (اللوحة رقم ٢٣ب).

رابعاً: القريتان:

تقع القريتان في موقعين متباعدين بحوالي ٦كم عن بعضهما، فالموقع الأول القرية، ويقع شرق مدينة عنيزة، ويبعد عنها حوالي ٥كم وينتهي حدًّاها الجنوبي والشرقي في بلدة الزغيبية، وهي واقعة على الضفة الجنوبية من مجرى وادي الرمة، عندما يتجه الوادي شرقاً ليمر من جنوب مدينة بريدة. أما الموقع الثاني فهو العسكرة، ويقع في الجهة الشمالية من مدينة عنيزة، ويبعد حوالي ٣كم في منطقة تعرف باسم العيارية. يقسم وادي الرمة هذا الموقع إلى قسمين: شمال الوادي وجنوبه.

وجاء ذكر القريتين عند الحربي بعد العوسجة فقال: «ومن النباج إلى العوسجة، تسعة عشر ميلاً وبها آبار قريبة الماء. ثم القريتين: أخبرني الشمالي عن التوزي عن الأصمعي، قال: القريتان كانتا لطسم وجديس».

ويضيف: «أخبرني الشمالي عن التوزي عن أبي عمرو قال: أصيبت بالقريتين دراهم، وزن الدرهم منها تسعة دراهم وثلثان، من بقايا طسم وجديس، قال: فسألتهم أن يدفعوا إلي، ويأخذوا وزنها فقالوا: نخاف السلطان. ومن العوسجة إلى القريتين اثنان وعشرون ميلاً». ويضيف: «القريتان، الدنيا منهما قرية ابن عامر، والأخرى قرية بناها جعفر ابن

سليمان،[1] وبها حصن، والقرية يقال لها العسفر، وهي بلد نخل، تطرد بين أضعافها عيون في مائها غلظ، وأهلها يستعذبون ماء عنيزة، وهي على ميلين من القريتين»[2].

وأشار الأصفهاني إلى القريتين بأنهما إحدى قرى القصيم، ويعرفان بقريتي ابن عامر وهما اليوم لولد جعفر بن سليمان. إحداهما يقال لها العسكرة[3].

وابن خرداذبة ذكر القريتين إحدى محطات طريق الحج البصري إلى مكة ومحطة يلتقي عندها طريقا البصرة ـ مكة، وطريق اليمامة ـ مكة بعد محطة شريفة من طريق اليمامة ـ مكة[4].

والإدريسي أشار إلى أن القريتين تقع على طريق البصرة ـ مكة، وأشار أن بها حصناً، ويلتقي عندها طريق مكة ـ اليمامة، وطريق البصرة ـ مكة، حيث يقول: «... ثم إلى حصن القريتين الذي في طريق البصرة مرحلة وبالقريتين تجتمع الطرق ومن القريتين إلى رامة»[5].

أما ياقوت الحموي، فذكر أنها قريبة من النباج في طريق مكة من البصرة[6].

---

(١) جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس، ولاه أبوجعفر المنصور المدينة المنورة، ثم عزله سنة ١٤٩هـ. وولاه المهدي سنة ١٦٠هـ البصرة ومكة والمدينة، وعزله من المدينة سنة ١٦٦هـ.
راجع: خليفة بن خياط، ص: ٤٤٠، راجع ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص: ٣٤.

(٢) العربي، المناسك، ص ص: ٥٨٨ ـ ٥٨٩.

(٣) الأصفهاني، بلاد العرب، ص ص: ٣٣٩ – ٣٤٠.

(٤) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ص: ١٢٥ ـ ١٢٦.

(٥) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص: ١٦٠.

(٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص:٣٣٦. وعن القريتين راجع الفصل الثاني والجداول: ١، ٢، ٣ من هذا الكتاب.

هذا بعض ما أورده البلدانيون. أما القريتان فإنهما تضمان ثلاثة مواقع أثرية وهي، القرية، والعيارية وزبيدة.

القرّيــة :

القرّية بالتصغير، تقع في الجهة الجنوبية لوادي الرمة شرق مدينة عنيزة، وهي أرض متسعة واقعة على حافة صخرية، وطبيعتها رملية، وتخترقها بعض الأودية الصغيرة التي تصب في مجرى وادي الرمة، وتمتد حدودها الجنوبية الشرقية إلى بلدة الزغيبية.

وتتميز القرية بقرب مائها من سطح الأرض، على الرغم من ملوحته، وتُعدّ امتداداً طبيعياً لمسار طريق الحج البصري إلى مكة، خاصة الذي يتتبع وادي الرمة ويسلك قاع بولان «القاع الأبيض». قادما من محطة النباج والصريف والعوسجة.

وقد شوهدت بعض أساسات مبانٍ حجرية، وبقايا بركة زبيدة بين القريتين التي أُزيلت عندما عُبِّدَ الطريق ما بينَ مدينتي بريدة وعنيزة. كما شاهد بعض الأهالي من الذين يمارسون الزراعة الموسمية، بعض أساسات المباني الضخمة في القرية. هذا ما كان بالماضي القريب، أما اليوم فإنها خالية تماماً من المخلفات الأثرية العمرانية، وطمست جميع أساساتها القديمة بسبب الزراعة، وإقامة المنشآت الصناعية التجارية، مثل «الكسارات» لسحق الصخور، والجرافات لاقتلاع تلك الصخور مما أدى إلى تدمير ما تبقى من القرية[١]. لذا لم نتمكن أثناءَ مسحنا للموقع من التعرف على مخلفات القرية الأثرية، وإن

---

(١) عن القريتين راجع العبودي، بلاد القصيم، جـ٥، الرياض، ص ص: ١٩٦٠ ـ ١٩٨٥. راجع الوشمي، طريق الحج العراقي، ص ص: ٢٢١ ـ ٢٢٨.

كنا قد تحققنا وتأكدنا من موقعها الفعلي، وربما أن القرية دفنتها الرمال والتلال والكومات الترابية وأخذت ونبشت تربتها الصالحة للزراعة.

العيارية / العسكرة :

ثانية القريتين وتقع إلى الشمال الغربي من مدينة عنيزة، وعلى الجهة الجنوبية من وادي الرمة، وتبعد عن القرية حوالي ٦كم. وتمثل حاليًا الامتداد الشمالي الغربي لمدينة عنيزة، حيث تكثر المزارع والنخيل، ويعتقد أن موقعها يصل إلى الضفة الشمالية لوادي الرمة، وأن الرمة يفصلها عن جزئها الثاني الواقع شمال الوادي، والذي يعرف بموقع زبيدة (العمارة)، ويعود للفترة الهلينستية، وقد اشتهرت بعيونها السارحة.

الوصف العام :

تتكون العيارية من الموقع الحالي للعيارية وموقع زبيدة، الذي يفصله عن الأول وادي الرمة. وزبيدة موقع على الطرف السفلي لنفود رمال الغميس، وعلى الضفة الشمالية من وادي الرمة، وتنتشر على سطحه الفخار، والتلال الأثرية، وتحيط به المزارع وبعض المشاريع التجارية.

والعيارية في الوقت الحاضر عبارة عن تل أثري كبير، تشاهد على سطحه أساسات مبانٍ وكسر الفخار والخزف. ويعرف عند الأهالي باسم الملقطة، لكثرة ما يوجَد وما يلتقط من على سطحه من قطع أثرية. ومنطقة الموقع حالياً، منطقة تكثر فيها المزارع، وغطت الرمال الزاحفة والمنشآت الزراعية معظم ملامحه المعمارية، واختفت من سطحه اللقى الأثرية نتيجة ما التقطه الأهالي، لكن نستطيع أن نتبين أساسات المباني ونشاهد كسر الفخار في الموقع.

موقع زبيدة

الوصف العام :

يعد موقع زبيدة واحداً من الأماكن الخصبة في منطقة القصيم، لأنه يجمع ما بين الرمال والطمي الذي يحمله وادي الرمة معه في حالة جريانه، وكما يشاهد حالياً وجود مزارع وأشجار نخيل وأثل، حتى أن بطن الوادي نفسه غرست فيه أشجار النخيل، (اللوحة رقم ٢٦ ب) ويشكل موقع زبيدة أحد كثبان الغميس التي تنحدر بتدرج جهة الجنوب ووادي الرمة، وفي ضوء ذلك يمكن تقسيم الموقع إلى قسمين :

(١) الجزء السفلي كثيب ويمثله رمال الغميس، وهي بالتالي الضفة الشمالية من الوادي، وهي أخصب الأجزاء، فهي خليط مابين الطمي والرمال، ولم ينقطع فيها النشاط الزراعي، فهي إلى وقت قريب جداً تستخدم كمزرعة ويمكن مشاهدة بقايا المنشآت الزراعية. والبيوت الطينية، وهذه هي المنطقة التي أشارت إليها المراجع بوفرة الموجودات واللقى الأثرية، (اللوحة رقم ٢٧ أ) وفي جزئها العلوي أجرت به الإدارة العامة للآثار والمتاحف حفرية عام ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م،[(١)] . وجاءت نتائج تحليل

---

(١) بيتربار وأخرون، «حفرية موقع زبيدة (العمارة)» أطلال، العدد الرابع، ص ص: ١١٧ ـ ١٢٥.
أما خراب العيارية فينسبه الأهالي في رواياتهم التي ذكرها بعض الكتاب المتأخرين، إلى زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عندما تم القضاء على حروب الردة وفتح العراق وأمر المقاتلة العرب وعائلاتهم، وخاصة من نجد شاملا، بما في ذلك القصيم والمناطق القريبة من العراق، إلى الرحيل إليه ليعمروا الأقاليم المفتوحة، بعد أن تأسست مدن جديدة مثل البصرة والكوفة. ولكننا لم نعثر على مصادر تاريخية تتحدث بالتحديد عن انتقال أهالي تلك البلدات، أو أن خراب القريتين كان بسبب الفتوحات ولكن من الواضح أن المراكز الجديدة كالكوفة، والبصرة، قد عملت على جذب المستوطنين من جزيرة العرب. انظر العبودي، بلاد القصيم، الرياض، جـ٤ ص ص: ١٧٦٣ ـ ١٧٦٨، الوشمي طريق الحج العراقي، ص ص: ٢٢١ ـ ٢٢٨.

الفخار إلى أن الموقع يعود تاريخه للفترة الهلينستية، وأشار التقرير أن هذا التاريخ لايتناسب مع تاريخ المنطقة الوسطى.

(٢) الجزء العلوي، وهو امتداد طبيعي للجزء السفلي، ويمثل منتصف (النفود) والسفح، وفي هذا الجزء ينتشر الفخار، والتلال، والكومات الأثرية، كما أن التربة في موقع زبيدة تختلف عما جاورها، وقد يكون هذا بسبب طمي الوادي والمباني والمخلفات الأثرية المدفونة، أما الأجزاء المحيطة بالموقع فهي رملية متحركة. ويعد موقع زبيدة أحد المواقع الغنية بالملتقطات السطحية الفخارية.

يتضح من هذا العرض أن أمامنا ثلاثة مواقع وهي: زبيدة (الموقع الذي يعود للفترة الهلينستية، وربما أقدم حسب حفرية إدارة الآثار والمتاحف عام ١٩٧٩م)، وموقع العيارية وموقع القُرَيَّة «بالتصغير». وقد جمعت المصادر الإسلامية تلك المواقع تحت اسم القريتين، قاصدة بذلك قرية ابن عامر وقرية العسكرة المعروفة حاليا باسم العيارية.

يعتقد بعض البلدانيين أن قدم هذا الاستيطان في موقع القريتين، يشير إلى أنهما قريتا طسم وجديس، وأن تسمية القريتين إسلامية، وكان يطلق عليها اسم «ذات أبواب» واسم آخر هو «أبْوىَ»[١]. وقد وجد في القرية تمثال من الصخر، يعتقد أن له علاقة بالعبادة قبل البعثة النبوية. أما في زبيدة فقد عثر على آنية فخارية وكسر فخار تعود للعصر الهلينستي، كما يتوافر من الموقع قائمة بتواريخ «كربون ١٤» التي تشير إلى وجود استيطان أقدم من الفترة الهلينستية[٢].

---

(١) راجع ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ١، ص: ٨٠، جـ٣، ص: ٣٠.

(٢) الوشمي، صالح سليمان، طريق الحج العراقي، ص ص: ٢٢١ ـ ٢٢٢، راجع بيتربار وآخرون، حفرية زبيدة، أطلال، العدد الرابع، ص ص: ١١٧ ـ ١٢٥.

وقد تكون إعادة إعمار القرية «قرية ابن عامر»، بدأت منذ عام ٢٩هـ، وهي بداية ولاية عبدالله بن عامر بن كريز للبصرة، واهتمامه بتعمير وإعادة ترميم منشآت درب الحج البصري إلى مكة. وقد شمل التعمير قرية بني عامر.

أما القرية الثانية والمعروفة بالعسكرة - حاليا العيارية -، فتعود إعادة إعمارها إلى منتصف القرن الثاني الهجري، عندما تولى جعفر بن سليمان ابن علي بن عبدالله بن عباس ولاية البصرة والمدينة المنورة ومكة. فأعاد عبدالله ابن عامر وجعفر بن سليمان إعمار القريتين، وبنياها على أطلال عمارة سابقة لهما. واستمرت العيارية مستوطنة بسبب عيونها الجارية، مثل عين «المبرك»، وهي محطة كانت تمر بها قوافل الحجيج إلى وقت قريب، ومازال بعض الأهالي هناك يتذكرها كمورد ماء للحجاج. والقريتان أخذت الموقع الوسط في طريق الحج البصري، وأصبحت محطة تلتقي عندها الطرق مثل طريق أضاخ واليمامة والبحرين[1].

وإذا عدنا إلى ما أوردته المصادر الجغرافية والتاريخية الإسلامية عن القريتين، يتأكد لنا أن الاستيطان في المواقع الثلاثة (القرية والعيارية وزبيدة)، سابق للفترة الإسلامية، وأن إعمارهما من قبل عبدالله بن عامر وجعفر ابن سليمان، إنما كان إعادة إعمار لقرى كانت عامرة في فترة تاريخية سابقة، ثم أهملت وأعيد إعمارها مرة أخرى بعد تأسيس الكوفة وتأسيس البصرة لتكون ميناء تجاريا وقاعدة للفتوح الإسلامية، وأصبحت بلدات وقرى تخدم طريق الحج والتجارة الذي يربط إقليم العراق بالمدينتين المقدستين مكة والمدينة المنورة، الذي يعرف بطريق البصرة.

---

(١) الخياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص:٤٤٠.

خامساً: رامَــة :

تقع رامــة قــرب خط عــرض ٢٥,٥٠ درجــة وخط طول ٤٣,٤٥ درجة، في الجهة الغربية من مدينة عنيزة وغرب قرية الأحمدية، وهي إلى الجنوب من البدائع، وإلى الجنوب الشرقي من الرس، في منطقة متوسطة بين الأماكن المذكورة، ونشأت حديثاً بقربها هجرة صغيرة تعرف باسم الأحمدية. وتتميز رامة بأنها منطقة رعوية يمر بها أحد فروع وادي الرمة. (اللوحة رقم ٢٧ ب).

وسميت برامة نسبة إلى الزبارتين، والواحد منهما كثيب من الرمل المرتفع يتمكن من يعلوهما أن يشرف على المنطقة، كما أن الرامتين يمكن أن تشاهدا من بعد.

وجاء ذكر رامة عند الحربي بعد محطة القريتين حيث يقول: «ومن القريتين إلى رامة أربعة وعشرون ميلاً، وبرامة آبار كثيرة. وعلى أحد عشر ميلاً من رامة بطن يقال له بطن عاقل، وبه آبار كثيرة. وفي رامة شعر كثير، لا يحصى»(١)، وهي عند الحربي «المنزل الخامس عشر على طريق الحج البصري».

ويقول الأصفهاني: «وتنظر من رامة إلى أبانين وقطن، وساق الفروين وهو جبل دقيق طويل، كأنه قُنَّة، وهو لبني أسد وغطفان» وفي موضع آخر قال: وتنظر إذا أشرقت رامة إلى خزاز والأنعمين، وقال أيضًا: وتنظر من رامة إلى القنان وهو أبعدها(٢).

قال الهجري: «حليت: جبل بين ضريّة والحزيز، حزيز رامة، أسهب

---

(١) الحربي، المناسك، ص: ٥٩٢.

(٢) الأصفهاني، بلاد العرب، ص: ٣٨٦ – ٣٨٨.

يخرج من الحزيز، وينشب في حمى ضريّة»[1] .

وذكر ياقوت رامة، بقوله: «. . . منزل بينه وبين الرمادة ليلة في طريق البصرة إلى مكة ومنه إلى إمَّرة، وهي آخر بلاد بني تميم، وبين رامة وبين البصرة اثنتا عشرة مرحلة» . وجاء المثل: «تسألني برامتين سَلْجَما»[2] .

ورامة واحدة من المحطات المهمة على طريق الحج البصري إلى مكة، وطبيعة أرضها رملية. وتقع على حد رمال الشقيقة قبل الوصول إلى وادي «النساء» الذي يعرف قديما بـ«عاقل».

وتسمى رامتان، نسبة إلى كثيب رامة الذي يعرف بـ«رامة أم حنو» والكثيب الثاني. ويعرفان عند العامة باسم رامات. والسهل الواقع بينهما، هو الموقع الأثري الذي يحتوي على المنشآت المعمارية التي تشمل القصر، وقنوات الماء، والهضبة الصخرية التي عثر على كتابة ونقوش ثمودية على إحدى صخورها، (اللوحة رقم ٨ أ) والآبار والأحواض، ومنطقة الزراعة التي أوردتها المصادر التاريخية وذكرها الشعراء. أما الرمال الواقعة قرب رامة من جهة عنيزة التي تعرف بالوهزن، فهي الرمال التي ذكرتها المصادر برمال عجلز. ويعتقد العبودي أن آبار رامة الواقعة في الجنوب الغربي منها، هي التي اكتشفت قبل حوالي عشرين سنة، وهي مطوية بحجر أحمر، وحسب ما أوردته المصادر التاريخية من قصائد تعود للفترة الجاهلية والفترة الإسلامية المبكرة، فإن رامة كانت مرتعاً خصباً لأنواع من الحيوانات[3] .

---

(١) أبوعلي الهجري، ص: ٢٣٧.

(٢) ياقوت، جـ٣، ص١٨ والسلجم: «نبت، وقيل ضرب من البقول»، لسان العرب، مجلد ص: ١٧٩.

(٣) العبودي، بلاد القصيم، جـ٣، ص: ٩٨٥.

وعن رامة راجع: ابن بليهد، صحيح الأخبار، جـ١، ص: ١٥٠، والعبودي، بلاد القصيم، ص ص: ٩٨١ ـ ٩٩٨. راجع الشايع، نظرات في معاجم البلدان؛ تحقيق مواضع هامة في نجد، ص ص : ٢٥٨ ـ ٢٦٠.

الوصف العام للموقع :

يحتل الموقع الأثري الحالي، المنحدر الغربي للهضبة وجزءاً من السهل الممتد إلى الغرب. وتطل الهضبة على فرع وادي رامة، وقاعها الممتد بامتداد الوادي من الغرب إلى الشرق. ويغطي الموقع دائرة نصف قطرها حوالي ٥٠٠م. وبحكم مرور فرع الوادي في منتصف الموقع، فإنه يرتبط به ويجزئ الموقع إلى جزءين، شرقي وغربي. فالجزء الشرقي يضم القصر، والنقوش القديمة، والآبار المتجاورة، وهي على حافة الهضبة الغربية. أما الجزء الغربي فيضم الآبار المنفردة، والآبار الملحقة بها أحواض، وبقايا الأفران الصغيرة، التي استخدمت إما لصنع الفخار أو طبخ الجص الذي استعمل في البناء.

وهناك المنشآت المعمارية السكنية تتوزع بين الأجزاء الشرقية والغربية.

أما المعثورات، خاصة الكسر الفخارية، فإنها تنتشر على سطح الموقع في مواضع متفرقة ولكنها تشاهد قرب القصر من جهته الجنوبية الغربية وأيضا قرب الأفران، إضافة إلى كتابة إسلامية عثر عليها بجوار إحدى المنشآت السكنية وهي مكتوبة على صخرة فقدت معظم أجزائها ويعتقد أنها شاهد قبر.

وفي الجزء الغربي من الموقع، تغطي التلال الرملية المنشآت ولا يظهر منها إلا أشكال وجدران المباني. فمثلاً تظهر الآبار المنفردة كاملة في بعض الأحيان ومغمورة بالرمال أحياناً أخرى. أما الآبار الملحقة بها أحواض، فيشاهد فوهاتها وجدرانها العلوية بحكم هندسة بنائها وتخطيطها، اللذين يتطلبان بأن تكونا على مستوى السطح. وبالنسبة للمنشآت الأخرى فهي متهدمة ولم تبق منها إلاّ أساساتها، وتتناثر على سطح الموقع أحجار كثيرة يعتقد أنها تخص وحدات سكنية.

أما الجزء الشرقي من الموقع، والمستند على الحافة الصخرية، فهو يضم القصر والآبار والمباني. ويلاحظ أن بنيان الآبار يرتفع عن السطح، أما القصر والمباني الأخري فإنها متهدمة.

ويمكن تقسيم آثار الموقع على النحو التالي:

١ ـ القصر ٢ ـ الآبار والأحواض ٣ ـ الآبار المتجاورة ٤ ـ المباني الأخرى.

القصـــر :

يقع القصر في الحافة الغربية من الهضبة، ويقوم على أرض صخرية صلبة. ولقد تهدمت معظم أجزائه العلوية، ولم يتبق إلا أساساته موضحة بذلك تخطيطه، (اللوحة رقم ٢٨ ب) وهو مستطيل الشكل طوله ٣٩م وعرضه ٣٠م، ويحيط به اثنا عشر برجاً سمك جدرها يبلغ ١م تقريباً، أربعة منها رئيسة وتقوم في الأركان الأربعة للقصر، أما الثمانية الأخرى فهي موزعة بواقع برجين لكل ضلع تقومان في منتصفه. والأبراج بشكل عام نصف أسطوانية، ويبلغ قطر الأبراج الركنية ٣,٥٠م، أما الأبراج الأخرى فيبلغ قطرها ٢,٥٠م. (الشكل رقم ٦).

البوابة والأسوار :

تقع البوابة الرئيسة في الضلع الغربي، وقد اختفت معالمها ولم تكن واضحة، وذلك لتساقط الأسوار وتراكم الحجارة في منتصف هذا الضلع بين برجين أوسطين، أي في منتصف المسافة، وهناك بعض الامتدادات إلى الخارج، وبالمقابل فإننا لم نعثر على فتحات أو كومات حجرية بهذا الشكل، كما أن الجهة الغربية من القصر تطل على ملاحق معمارية مجاورة لها، وكذلك تمتد بقربها آبار وقنوات مائية، إضافة إلى أن جميع المنشآت المعمارية

والآبار والأحواض والأفران والوادي والسهل الزراعي، تقع جميعها في الجهة الغربية من القصر. وعليه فإن القصر يطل ويشرف على تلك المنشآت، مما يستوجب بوابة في تلك الجهة.

هذا من حيث الموقع، أما من حيث التخطيط، فإننا نرى الأضلاع الثلاثة الأخرى تشغلها وحدات معمارية تمثل حجرات، وامتدادات لجدران. (اللوحة رقم ٢٨ ب) ويبقى الضلع الغربي الذي يخلو من المباني وتنكشف أمامه ساحة (صحن) القصر، وإن كانت هناك مبانٍ وجدران، فإنها ستبدأ كامتدادات للجدران الغربية للغرف رقم ١٢، ١٨.

وتبقى الأضلاع الثلاثة، الشمالية والجنوبية والشرقية، التي تُعدُّ أقل أهمية واستراتيجية بالنسبة لبوابة القصر، فالجهة الجنوبية تأتي في منحدر الهضبة، وكذلك الحال في الجهة الشرقية بالإضافة إلى أنها تُعدُّ منطقة صخرية وانحداراً للهضبة، والجهة الشمالية قد تكون في وضع أفضل من ناحية الموقع، حيث إنها تشرف على نطاق محدد من المنشآت المعمارية، ولكن سورها الخارجي يمتد بدون انقطاع، وليست هنالك أي دلائل على فتحة البوابة، كما أن مباني وغرف الوحدة المعمارية الشمالية، أكدت أن موقع البوابة في الضلع الغربي من القصر، فليس منطقياً أن تكون البوابة داخل الوحدات. ويعتقد أن البوابة بارزة ولها مدخل منكسر، حيث تكون الفتحة الرئيسة بضلعها الشمالي، أما فتحة البوابة الداخلية فباتجاه الغرب.

الوحدات المعمارية:

ومن خلال أساسات القصر - ووضعه الراهن - فإنه يتبين لنا أن مخطط القصر ينقسم إلى ثلاث وحدات معمارية، جنوبية وشرقية وشمالية،

وتتوسطها ساحة. أما في الجهة الغربية فلم نتبين امتدادات أو قواعد أو أي تشكيل معماري، كما أن الحجارة المتساقطة من المبنى لم تمكنّا من تحديد القواعد بدقة واتجاهاتها. (اللوحة رقم ٢٩ أ).

الوحدة الجنوبية :

تقع في الجهة الجنوبية من القصر مشتملة على ست غرف أعطيت الأرقام (١ ـ ٦)، وممر. ولم يتبق من جدرانها سوى ثلاثة، إنما يمكننا أن نشاهد امتداداتها على الرغم من تهدمها. ويبلغ متوسط أطوالها ٤م عرضاً. ٦م طولاً. وسمك جدرانها الداخلية نصف متر، وتفتح الأبواب باتجاه الشمال ومتوسط فتحة الباب ١,٥٠م، ويفصل الوحدة الجنوبية عن الشرقية ممر بعرض ٣م.

الوحدة الشرقية :

وتتكون هذه الوحدة من سبع غرف أعطيت الأرقام (٧ـ ١٣) ويفصلها عن الوحدتين الجنوبية والشمالية ممر. وقد تهدمت معظم جدرانها الداخلية باستثناء ثلاثة جدران مازالت باقية، إضافة إلى قواعد الأعمدة بالجهة الغربية منها، وكذلك الجدران الملتصقة بالسور الشرقي. وتقل أطوال غرف هذه الوحدة عن الوحدة الجنوبية، حيث يبلغ متوسط أطوالها ٥×٣,٥٠م.

الوحدة الشمالية :

تماثل الوحدة الشمالية الوحدتين الجنوبية والشرقية، ويبلغ عدد غرفها خمسا أعطيت الأرقام (١٤ ـ ١٨)، وأطوالها متشابهة يبلغ متوسطها ٤×٦م. والجدران الداخلية لتلك الغرف متهدمة ماعدا القواعد الأرضية وامتدادات في السور الشمالي، وقواعد بضلع الوحدة الجنوبي. ويلاحظ أن الزاوية الشمالية

الغربية قد تهدمت تماماً مخلفة تراكماً من الحجارة ملحوظاً، ربما أنه كان ناتجاً عن تساقط مصعد يؤدي إلى السطح أو دور علوي.

ونلاحظ أن جدران الغرف المطلة على الساحة في الوحدات الثلاث لها امتدادات على الساحة والتي تبلغ أطوالها ٣٢×١٦م. وهذا ما يعزز بأن هناك ممراً مسقوفاً على شكل رواق يحيط بالوحدات الثلاث، بحيث يتم الدخول إلى الغرف من خلاله وليس مباشرة وبذلك تكون أطوال الساحة ٢٤×٩م.

مادة البناء :

مادة بناء القصر الحجارة المتوسطة الحجم والمرصوصة بشكل غير منتظم. وقد استخدمت المونة الجصية على نطاق ضيق، واكتفي بملء الفراغات بالحجارة الصغيرة. كما أن الحجارة لم يراع فيها التهذيب بسبب الطريقة التي تم بها البناء بطريقة الصف العشوائي.

ومصدر الحجارة المستعملة في بناء القصر الأكمة والهضاب الصخرية القريبة من الموقع والمنتشرة في محيطه، فمنطقة رامة خليط ما بين الرمال والهضاب الصخرية التي تعرف بالصفروات.

الآبار والأحواض :

تقع هذه المنشآت في الجهة الغربية من موقع رامة، وهي عبارة عن آبار منفردة وآبار ملحقة بها أحواض تربط بينهما قنوات سطحية صغيرة ومكشوفة.

أ-الآبار : وهي آبارغير ملحقة بها أحواض ومحفورة في طبقة رسوبية خليط بين الرمل والجير قوية التماسك، وغير تلك الطبقة التي تتكون من الصخور الصماء، وهي سهلة الحفر وتقع في الجهة الجنوبية لمنطقة الآبار والأحواض. ويعتقد أنها حفرت في فترة زمنية متأخرة عن الآبار والأحواض التي في الجهة

الشـمـاليـة من الموقع، وهـذا يعـود إلى طرازهـا وطريقـة حـفـرها. ويمكن أن تستخدم كمصائد للماء، خاصة وأنها على مستوى السطح وقريبة من مجرى الوادي، فتتجمع فيها مياه الأمطار إما المتساقطة مباشرة وإما الآتية من مجرى الوادي. (اللوحة رقم ٢٩ ب).

ب ـ الآبار والأحـواض: تقع في الجـزء الشـمـالي الغـربي من الموقع، وهي مدفونة بالرمـال، ولكن يمكننا مشاهدة بعض ملامحهـا وأجزائها العلوية، وهي تأخذ شكل المحاور، بحيث يمتد المحـور من الشرق إلى الغرب مـشكلاً ثلاثة خطوط وتتـعاقب الآبار والأحـواض فيـمـا بينها حـيث ترتبط بالبـئـر عبـر قناة سطحية مكشوفة ويمكن أن يغذي الحوض الواحد بئرين. والمحاور متجاورة بحيث يكون المحور الأول شـمـال غـرب القصـر، وتمتد المحاور الأخـرى في الاتجـاه نفسـه. ويمكننا ملاحظة تخطيط الآبار والأحـواض وطريقة توزيعـهـا ونستنتج من ذلك أن توزيعـها كان يهـدف إلى إعطاء هذه المنشآت المائية مسـاحة كـافيـة لحـركـة السقيـا واسـتيـعـاب القـوافل الواردة إلى الماء. أمـا سـبب ربط الأحـواض بأكـثـر من بئر فـقـد يكون عـائداً إلى جـفـاف الآبار أو انخـفـاض منسوبهـا، هذا من جانب، أو لتوفير أكبر كمية من المياه للحوض من جانب آخر. (اللوحة رقم ٣٠ ب أ).

الآبار المتجاورة :

عبارة عن آبار متجاورة على شكل شريط ممتد من الشرق إلى الغرب وبطول حوالي ١٠٠م. وتقع في منحـدر الهـضـبـة في الـركـن الجنوبي الغـربي للقـصـر وتبعـد عنه حـوالي ٤٧م، وينحـدر مسـتـوى الآبار حتى نهـاية سفـح الهـضـبـة، وعـددها ٧ آبار والجـزء العلوي يأخذ الشكل البـيـضـاوي وتبلغ أبعـاد الفـوهة ٦×٤م تقـريبـاً وترتفع الفـوهة عن سطح الأرض بمتـوسط ١,٥٠م ومـتـوسط

المسافة ما بين الآبار تبلغ ١٦م. (اللوحة رقم ٣١أ).

والآبار المتجاورة مدفونة بالتراب والرديم، ومن خلال أجزائها العلوية فهي آبار محفورة في الصخر ومطوية من أعلى بالحجارة. ووضعت بهذا الشكل حتى تغطي أكبر قطاع من الواردين على الماء من قوافل الحج والتجارة والرعاة.

وقد يكون هناك رأي آخر حول طريقة وطراز وضع الآبار المتجاورة، كأن ترتبط ببعضها بقنوات أرضية مغطاة ومحفورة بالصخر بحيث يكون المصدر الرئيس للماء البئر الشرقي، ثم ينحدر الماء مع القنوات، وتمثل الفوهات الباقية فتحات تهوية وتنظيف كما هو متبع في أنظمة القنوات.

لكننا لم نلاحظ أي مؤشر على ذلك فالمسافة بينهما بعيدة إلى حد ما وتصل إلى ١٦م. كما أن الأرض صخرية على سفح جبل، وهناك صعوبة في حفر قنوات بين الآبار، وكان من الأسهل حفر آبار مستقلة. وأيضاً لا نجد جدوى من حفر قنوات بطول ١٠٠م وهي مسافة تعد قصيرة، إضافة إلى أن الجهة الغربية تتوافر بها آبار وأحواض مائية. ولا نجد لها تفسيراً إلا أنها آبار متجاورة ومماثلة في عددها للكثير من آبار المواقع الأثرية في القصيم.

المنشآت الأخرى:

وتمثل بشكلها العام امتدادات جدارية ومباني وأحواضًا كبيرة واقعة في الجهة الجنوبية من الموقع، ويعتقد أن الأساسات الواقعة جنوب القصر لها علاقة بالقصر، أما الواقعة في الجنوب الغربي من الموقع فيعتقد أنها أحواض كبيرة للمياه، هذا فيما يخص الأساسات الكبيرة. أما الكومات التي تأخذ شكل الدوائر ذات الفوهات المرتفعة فإنه يعتقد أنها أفران لصناعة المادة الجصية المستخدمة في بناء القصر والأحواض والآبار وغيرها أو أنها أفران لصناعة

الفخار. فقد عثر حول الفوهة وفي محيطها انتشار كسر من الفخار المحترق وبعض المواد الجصية المحترقة (اللوحة رقم ٣١ ب). وهذه إحدى الدلائل على أن الكسر تمثل المادة الخام لصناعة الفخار و«المونة» الجصية. وحتى نصل إلى حقيقة موقع رامة وما تحويه من منشآت معمارية، لابد من إجراء حفرية موسعة في موقع رامة لأنها بلاشك تمثل منزلاً رئيساً على الطريق. (اللوحة رقم ٣٢أ، ب).

سادساً : إِمَّرَة :

تقع إمرة حالياً قرب قرية الدحلة جنوب غرب مدينة الرس بين بلدتي الخشيبي والشبيكية، قرب خط عرض ٢٠, ٢٥ درجة، وخط طول ٢٦, ٤٣ درجة، وهي تقع في المنطقة الصخرية من الدرع العربي، وتقطع أرضها عدد من الشعاب والجداول الصغيرة. وإمرة موقعان الأول: المنطقة الجبلية وهي جبال من الصخور النارية وتعرف بجبال إمرة، يمر وسطها واد يتجه من الجنوب إلى الشمال الشرقي، وفي إحدى جباله الشرقية ماء قديم، كما في شمال الجبل عين قديمة تعرف عند الأعراب باسم الشلالة. والموقع الثاني: بالمنطقة المستوية، وتقع جنوب قرية الدحلة وأيضاً جنوب المنطقة الصخرية. وهي أرض منبسطة يمر عبرها وادي إمرة، وتقع على ضفتي الوادي الشرقية والغربية المنشآت الأثرية.

وجاء ذكرها عند الحربي بعد محطة رامة: «. . . سميت إمرة بأكام فيها، شبهت بأولاد الضأن». . . وقال: «إنما سميت إمرة لنماء المال فيها». «ومن رامة إلى إمرة سبعة وعشرون ميلاً، وامَّرة بلاد قيس، بها آبار كثيرة». وفي موضع آخر: «ومن إمرة إلى طخفة ستة وعشرون ميلا»[١].

(١) الحربي، المناسك، ص ص: ٥٩٢ – ٥٩٣.

كما ذكرها الأصفهاني بأنها إحدى محطات طريق الحج من البصرة إلى مكة. حيث قال: «ثم إمرة، وهي على متن الطريق. والرايغة على متن الطريق أيضاً، وهي متعشّا بين إمرة وطخفة». وفي موضع آخر يقول: «وتنظر إذا أشرفت رامة إلى خزاز، والأنعمين. ومتالع، وهو جبل عظيم قريب من إمرة الحمى، وإمرة الحمى لغني، وأسد». وحول إمرة يورد الأصفهاني رأيًا آخر بأنها ليست من الحمى، إنما إمرة نجد وأضاخ. وإنما حد الحمى طخفة، وهي يطؤها الطريق، واقتتل عليها بنو جعفر والضباب أيام موت هارون الرشيد أمير المؤمنين(١).

وأبو علي الهجري عندما تحدث عن جبال حمى ضريّة ذكر إمرة، حيث قال: «فأدناها جبل على ظهر الطريق، يقال له الستار، وهو جبل أحمر مستطيل، ليس بالعالي، فيه ثنايا يسلكهاالناس، وطريق البصرة يأخذ ثنية من الستار، وبين الستار وإمرة من فوقها خمسة أميال وإمرة، في ديار غني، بلد كريم سهل، ينبت الطريفة، وهو بناحية هضب الأشيق. وبالأشيق سبعة أمواه». وفي موضع آخر يقول: «والنتاءة بين سواج ومتالع (ومتالع) عن يمين إمرة، بينه وبين إمرة ثلاثة أميال، وهو جبل أحمر عظيم». وقد كان ابن خليد العبسي، خال الوليد وسليمان نزلها في دولتهم، وأحفره سليمان حفيرة فحفرها في جوف النتأة في حق غنى، وكان ابن خليد عاملاً على ضريّة والحمى(٢).

وعند ياقوت: «إمّرة ماء لبني عميلة على متن الطريق، وقال أبو زياد: ومن مياه غني بن أعصر، إمرة، من مناهل حاج البصرة، قال نصر: إمرة

(١) الأصفهاني، بلاد العرب، ص ص: ٨٨، ٢٨٦ ، ٢٨٩، ٣٩٠.
(٢) أبو علي الهجري، ص ص: ٢٦٠ ـ ٢٦٢. راجع ابن الفقيه، ص: ٢٦.

الحمى لغني وأسد وهي أدنى حمى ضريّة، أحماه عثمان لإبل الصدقة، وهو اليوم لعامر بن صعصعة»[١].

وأشار إليها ابن خرداذبة بعد محطة رامة وقبل طخفة. وذكرها قدامة ابن جعفر بعد محطة رامة وبعدها ضريّة دون ذكر لمحطة طخفة[٢].

وشهرة إمَّرة جاءت من كونها أحد منازل طريق الحج البصري إلى مكة، حيث تأتي بعد محطة رامة، وبعدها طخفة، وتعد المنزل السادس، ومورد ماء ذكره البلدانيون المسلمون. والتسمية جاءت على جبل إمرة الذي يخترقه أحد روافد وادي الرمة الذي يصب في المجرى الرئيس للوادي.

الوصف العام :

تقع المنشآت الأثرية جنوب جبال إمرة في المنطقة السهلية التي يخترقها وادي إمرة، ويقسم الموقع على النحو التالي :

الجهة الشرقية: وهي المنشآت الواقعة شرق الوادي، وتمثل امتدادات لمبانٍ من الحجارة تظهر على السطح بعض أجزائها العلوية، ويبلغ متوسط سمك الجدار ما بين ٦٠ –٨٠سم، وهي مستطيلة الشكل ويعتقد أنها أحواض مياه أو منشآت أخرى، كما تنتشر كسر الفخار والخزف على سطح ذلك الجزء يماثل الفخار الذي عثر عليه في ضرية والنباج من نوع الخزف المطلي باللون الأزرق الذي يعود للفترة الزمنية نفسها.

الجهة الغربية: وهي عبارة عن تجمع آبار يزيد عددها على سبع آبار، مدفونة جميعها، ويمكن مشاهدة فوهاتها، وإحدى هذه الآبار السبع في حالة

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ١، ص: ٢٥٢.

(٢) ابن خرداذبة، المسالك، ص: ١٢٥.قدامة بن جعفر، الخراج، الملحق بكتاب المسالك لابن خرداذبة، ص:١٩٠.

جيدة، فأجزاؤها السفلية منقورة بالصخر والأجزاء العلوية مطوية بالحجارة، وتماثل لما شاهدناه في بعض آبار منطقة القصيم مثل الآبار في الأسياح (النباج) وضرية وطخفة وغيرها.

وما قيل عن إمرة، وبخاصة ما قاله أبوعلي الهجري، حين ذكر أنها بلد كريم، قد يختلف عن واقع مخلفات إمرة الأثرية التي اقتصر موقعها الحالي على آبار وبعض الأساسات الحجرية التي يمكن ملاحظتها، وكسر الخزف والفخار. وهذا بالطبع لا يتناسب مع ما أورده البلدانيون عنها. ويقول الشايع: «إن من المؤسف أن خط الزفت المتجه إلى قرية (الدحلة)... قد دمر كثيراً من معالم المنطقة المحيطة بالآبار[1].

إذاً موقع إمرة على الرغم أنه معزول في الصحراء، إلا أنه تعرض لتخريب مقصود وغير مقصود، كالذي سبق ذكره في موقع القريتين من تدمير بركة زبيدة، وتخريب وتدمير موقع: القرية، زبيدة، العيارية.

سابعاً: طخفة:

طخفة جبل يقع جنوب غرب القصيم بين منزلي إمرة وضريّة، قرب خط عرض ٢٤,٥٠ درجة وخط طول ٤٣,١٢ درجة، وتحديدا بالجهة الشرقية من ضريّة وشمال بلدة القرارة، وتحيط بالجبل هجرة بادية، وشهرتها تنطلق من كونها مستوطنة قديمة سكنها عدد من القبائل العربية في العصر الجاهلي، كما أنها منطقة رعوية تكثر فيها الأشجار الظليلة، وإحدى منازل طريق الحج البصري إلى مكة. وتاريخياً وقعت فيها وقعة في الزمن الجاهلي بين بني يربوع وقابوس بن المنذر بن ماء السماء، وفي الفترة الإسلامية وقعت عدة حروب بين الأعراب أنفسهم، ومنها يوم «هراميت». كما اشتهرت طخفة بعينها السائحة غربي طخفة قرب شاطئ الريان، التي يعتقد أن تاريخها يعود إلى أواخر القرن

(١) الشايع، عبدالله بن محمد، نظرات في معاجم البلدان ص: ٢٦٧.

الثالث الهجري[1]. أما في الوقت الحاضر فإن طخفة هجرة للبادية، فيها منازل قليلة، وتعيش على هامش البلدات المجاورة لها مثل القرارة وضريّة. وتقع هذه الهجرة في الغرب من جبل طخفة، (اللوحة رقم ٣٣ أ) بحيث يكون الموقع الأثري في الجهة الشرقية ويفصل بينهما جبل طخفة. وجاء ذكر طخفة عند الحربي بعد إمرة، حيث يقول: «أخبرني أبو محمد الوراق، عن علي ابن سليمان عن أبيه أن طخفة لبني كلاب، لبني جعفر خاصة». ويضيف: «ومن إمرة إلى طخفة ستة وعشرون ميلاً، وبها آبار كثيرة»[2] وذكر الأصفهاني: «ثم طخفة، وهو جبل أحمر طويل، حذاؤه بثار ومنهل»[3]. وأبو علي الهجري قال عن طخفة: «الخارج من ضريّة يريد مكة: يشرب بالجديلة، فإن خرج من ضريّة يريد البصرة: شرب بطخفة، ثم إمرة وفي موضع آخر يقول: وأما الرجام فإنه جبل آخر مستطيل في الأرض، بناحية طخفة ليس بينه وبينها إلا خريف يدعى العرج وهو خريف أهل أضاخ إلى ضرية»[4]. أما الهمداني فقد أشار إلى بركة طخفة عندما تحدث عن القصيم: «ثم ساق الفروين ثم أبانات الأسود وأبان الأبيض، . . . ودونهما عشيرة وهي طائية وبفراعة أجأ وسلمى جبلا طيئ ثم وراء ذلك القصيم وهو بلد واسع كثير النخل والرمل، والنخل في حواء الرمل، وهو كثير الماء كثير الحصون، ثم الخبراء عن يمين ذلك والينسوعة وهما من مياه الطريق البصري، وبركة طخفة دونها إلى بركة ضريّة، والقصيم تحته رمل الشقيق»[5] وفي موضع آخر قال: «ومنى منون من ديار غني قريب من طخفة وهو حمى ضريّة. .

---

(١) لمزيد من المعلومات عن طخفة، راجع العبودي، بلاد القصيم، جـ ٤، ص ص: ١٤٥٧ ـ ١٤٧١.

(٢) الحربي، المناسك، ص ص: ٥٩٣ ـ ٥٩٤.

(٣) الأصفهاني، بلاد العرب، ص: ١٠٣.

(٤) أبوعلي الهجري، ص ص: ٢٢٣ – ٢٢٧.

(٥) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص: ٢٨٩ – ٣٢٦.

ووصف ياقوت طخفة بالتالي: «إنه موضع بعد النباج وبعد إمرة في طريق البصرة إلى مكة. وفيه يوم لبني يربوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء»[1].

الوصف العام للموقع :

يحتل الموقع الأثري في طخفة الجهة الشرقية من جبل طخفة قرب هجرة بادية حديثة، وينحصر بين سلسلتين من الجبال، جبل طخفة من غربه والهضاب والجبال الشرقية لطخفة، ويكون بذلك سهلاً ممتداً من الجنوب إلى الشمال يمر من وسطه وادي طخفة أحد روافد وادي الرمة، الذي تتجه مياهه إلى الشمال، ثم يبدأ الوادي بالانحراف باتجاه الغرب، ليلتف على جبل طخفة أما فرعه الآخر فيستمر شمالاً مع ميل إلى الشرق، وهذا الفرع من الوادي يمر بالمنشآت المعمارية الأثرية. وتغطي أشجار كثيفة جزءه الجنوبي وتقل إلى حد ما كلما اتجهنا إلى الشمال، وتكاد تختفي عند الموقع الأثري تقريباً. (اللوحة رقم ٣٣ب).

وعلى الرغم من أن طخفة واقعة في المنطقة الصخرية من الدرع العربي، إلا أن سطح الموقع تغطيه الرمال على شكل تلال صغيرة، تنكشف في أجزائه الشرقية طبقة صخرية تمثل هضاباً مرتفعة، وتُعدُّ الحد الشرقي للموقع الأثري.

ويتكون الموقع من عدة وحدات معمارية في مساحة دائرة نصف قطرها ٤٠٠م، ويستثنى من تلك المساحة القصر الذي يظهر نائياً عن الموقع على بعد ثلاثة كيلومترات جهة الغرب، وعلى بعد مائة متر من جبل «العبد». ويغطي

(١) ياقوت الحموي ،معجم البلدان ، ص :٢٣. وانظر ابن الفقيه ، كتاب البلدان ، ص:٢٦.

الرديم أجزاء كبيرة من منشآت الموقع، وتُظهر بعضها التفاصيل، والبعض الآخر يظهر الوحدات شبه كاملة، مثلاً الآبار التي يمكن فيها مشاهدة أعماق قد تصل إلى ٥م. ومن بين الأجزاء الشاخصة في الموقع، بركة دائرية، وآبار ملحقة بها أحواض تصل بينها قنوات صغيرة، وبقايا قصر متهدم وجميعها مبنية من الحجارة إلى جانب أساسات حجرية لوحدات معمارية سكنية ومنشآت مائية. ويمكن تقسيم الموقع إلى المنشآت المعمارية التالية: ١ ـ البركة، ٢ ـ الآبار والأحواض، ٣ ـ القصر، ٤ ـ المباني الأخرى.

بركة طخفة :

تقع بركة طخفة في الفرع الشرقي الصغير من وادي طخفة في أحد المنخفضات التي تعلوها الهضاب، وهي بركة دائرية على بعد ٣٠٠م من مجرى الوادي الرئيسي باتجاه الشرق، يبلغ قطرها الخارجي ٤٠م، وعرض جدارها العلوي نصف متر، وهي غير مدعمة من الداخل. (اللوحة رقم ٣٤أ) ينزل إليها بدرج، يبلغ عرض الواحدة منها خمسين سنتيمتراً وارتفاعه يبلغ خمسين سنتيمتراً. (اللوحة رقم ٣٤ ب) ويبدو أن اختيار موقع الدرج في الجهة الشرقية المقابلة لفوهة القناة الغربية، ، هدفه حماية البركة من تيار الماء المتدفق لداخلها، وكذلك إمكانية تصريف المياه الزائدة عن منسوب البركة بشكل انسيابي من خلال قناة بعرض حوالي مترين في الجهة الشرقية قرب الدرج. والبركة حالياً مليئة بالطمي والرمال، ويبلغ عمقها الحالي متراً واحداً. وتتغذى بالمياه من الأمطار المتساقطة عليها مباشرة، والمياه المتدفقة في فرع الوادي الشرقي. وتأتيها المياه أيضاً من خلال قناتين، واحدة منهما تقع بالجهة الشرقية وهي عبارة عن قناة مكشوفة تتجمع فيها مياه الهضاب الكلسية

والجيرية القريبة فتنحدر إلى البركة، كما أنها تقوم في بعض الحالات بوظيفة تصريف مياه السيول القوية. وتقع الثانية في الجهة الغربية، وهي عبارة عن قناة طويلة تمتد إلى مجرى الوادي الرئيس، لتغذي البركة. ويبلغ عرضها حوالي ٣م. (اللوحة رقم ٣٥أ).

الآبار والأحواض :

تقع هذه الآبار والأحواض في الضفة الشرقية من وادي طخفة، في المنطقة المرتفعة والواقعة غرب المجرى الفرعي الشرقي لوادي طخفة، وفي الجهة الشمالية من البركة. وتنتشر تلك الآبار والأحواض بالمنطقة في منطقة مستوية تميل إلى جهة الشرق، وتأخذ شكل الخطوط المتقاطعة بحيث تغذي البئر الواحدة أكثر من حوض، وتبدأ من الغرب باتجاه الشرق في بئر منفردة، ثم بئر وحوض يتصلان بقناة، وعدد منشآت هذا الخط يبلغ خمس آبار، وثلاثة أحواض، ويُعدُّ المحور الرئيس للأحواض والآبار. أما في الجهة الشمالية فهناك بئران وحوضان، وتشكل هذه الوحدات البنائية مجمع الآبار والأحواض، ويضاف إليها آبار وأحواض متفرقة، مثل الحوض القريب جداً للبركة والواقع إلى الشمال منها، وكذلك الأحواض الواقعة إلى الشرق من البركة. (اللوحة رقم ٣٥ ب).

الآبــار :

هي آبار مياه يبلغ عددها أكثر من سبع آبار، بعضها مطمور بالتراب ويشاهد منها الفوهة، والبعض الآخر يصل عمقه إلى خمسة أمتار. وهي دائرية الشكل مبنية بالحجارة - متوسطة الحجم - بطريقة «الطوي»، وقد بنيت الأجزاء

العلوية من الفوهة بارتفاع قليل لحماية الآبار من الأتربة. ومتوسط قطر الفوهة حوالي مترين، وبعض الآبار يكون على مستوى سطح الأرض، والبعض الآخر يرتفع قليلاً. واجمالاً فإن حالة بعضها جيدة، وبنيت جميعها بأسلوب واحد، ومادة البناء اشتملت على الحجارة المتوسطة والصغيرة وسدت الفراغات بالمونة الجصية لتساعد على تماسك الحجارة، كما أن الحجارة قد رصت بطريقة منتظمة مما ساعد على تماسك البناء. ومقاسات الأحجار متساوية. أما مصدر الأحجار فهو بلا شك محلي. حيث يتضح أنها مجلوبة من الهضاب القريبة جدا من الموقع، أو من جبل طخفة والواقع جنوب المنشآت. (اللوحة رقم ٣٦ أ. ب).

الأحواض:

عبارة عن أحواض مائية مستطيلة الشكل يبلغ متوسط أطوالها ١٢×٣,٧٥م، وعمقها الحالي يصل إلى مترين، وسمك جدرانها الخارجية يساوي متراً ونصف المتر، والمسافة بين المنشأتين في الخط الرئيس حوالي ستة عشر متراً، أما طول القناة بين البئر والحوض فيبلغ خمسة أمتار.

وهي إما تأتي متجاورة وملحقة بالبئر، أو تأتي بشكل منفرد، كما يمكن أن تشاهد بالجهة الشرقية من البركة. وبنيت تلك الأحواض على مستوى السطح، ولذا فإنها تغذى بالمياه بطريقين، إما من الآبار عبر القنوات، وإما مباشرة من ضفة الوادي الشرقية في حالة هطول الأمطار، حيث وضعت الأحواض في الأماكن المنخفضة من التلال. ووظيفة هذه الأحواض حفظ الماء لشرب الإنسان والحيوانات وسقي المزروعات، ووزعت بهذه الطريقة المتباعدة لتستوعب أكبر عدد ممكن من المستفيدين من المياه. (اللوحة رقم ٣٧ أ. ب).

طريقة البناء:

بنيت الأحواض المذكورة بالطريقة ذاتها التي «طويت» بها الآبار، حيث رصت الحجارة المتوسطة بشكل جيد ومنظم، واستخدمت معها الحجارة الصغيرة والمونة الجصية لسد الفراغات، ولكن يلاحظ عدم استخدام اللياسة الجصية لمنع تسرب المياه منها. أما الأجزاء العلوية من الأحواض فقد تمت تغطيتها بمادة الجص حتى لا تتساقط. ويتوسط الحوض جدار داخلي يقسمه إلى قسمين، وقد بنيت أعلاه قناة صغيرة تتصل بالبئر، وهذه القناة عبارة عن ساقية مكشوفة تعمل على إيصال الماء من البئر إلى الحوض. (اللوحة رقم ٣٧ب).

القصر:

يقع القصر شرق جبل طخفة، ويبعد عن البركة حوالي ثلاثة كيلومترات تقريباً باتجاه الغرب. ويقوم على هضبة صخرية، ويحيط به جبل طخفة من الغرب والجنوب، أما الجهتان الشمالية والشرقية فينكشف أمامهما الوادي والبركة والمنشآت المائية الأخرى.

والقصر في وضعه الراهن متهدم، ولم تبق منه سوى الأساسات. ويتكون من وحدتين بنائيتين، وحدة جنوبية ووحدة شمالية. وتضم الوحدة الجنوبية حوالي ثلاث غرف كبيرة، أما الشمالية فتضم حوالي أربع غرف، وبين الوحدتين مساحة خالية من المباني. والقصر مبني من الحجارة المتوسطة من نوع «الدبش» غير المهذبة، وملحق بالقصر منشأة صغيرة في ضلعه الجنوبي، جاءت على شكل منحنى كبير. (اللوحة رقم ٣٨أ).

المباني الأخرى:

تقع المباني المعمارية الأخرى إلى الغرب من البركة في منطقة رملية

مستوية، حيث تشاهد أساسات المباني الحجرية عبر مساحة واسعة واقعة بين القصر والبركة، ويعتقد أنها مبان سكنية وتجمع آبار أو مبان لها علاقة بالزراعة والمنشآت المائية، خاصة وأن مجرى البركة الرئيس الطويلَ، والممتد بعرض مترين من الوادي إلى البركة قريب جداً منها.

ثامناً: ضرِيَّة:

ضرية أرض رملية تنكشف في بعض أجزائها الكتل الصخرية، وتتخللها بعض الهضاب والمرتفعات، وتربتها رملية وطينية خصبة للزراعة والرعي، ويزيد من خصوبة الأرض مرور وادي ضريّة وفروعه في تلك المنطقة... وضريّة القديمة أو «ضروة»، واقعة ما بين مدينة ضريّة الحديثة وهي قرب خط عرض ٤٢ و٢٤، وخط طول ٥٥, ٤٢ درجة، التي تبعد عنها إلى الغرب حوالي خمسمائة متر وسلسلة من الهضاب والمرتفعات الجبلية وجبل سناف شرقاً. (اللوحة رقم ٣٨ ب).

أما شمالاً فتحدها حدود ضريّة الحديثة، وجنوباً فهي امتداد لما يعرف بـ«ربع ضريّة» وهي منطقة زراعية مستوية، واقعة بين هضاب ومرتفعات جبلية من الشرق والغرب. ويخترق وادي ضريّة الموقع ليتجه إلى الشرق حيث تنخفض الأرض باتجاه طخفة. والوادي يقسم ضريّة إلى قسمين شمالي وجنوبي. (اللوحة رقم ٣٩ أب).

وجاء ذكرها عند الحربي بعد طخفة، سميت ضريّة ببئرها، أو نسبة إلى ضريّة بنت ربيعة. ومن طخفة إلى ضريّة ثمانية عشر ميلاً. وفي موضع آخر يقول: ضريّة بلد قديم، وقرية عامرة، على طول الدهر، فيها جبلان يشرفان عليها، أحدهما عن يمين المصعد يقال له وسط، وبحضرة هذا الجبل قاع يزدرع

فيه، والآخر عن يساره يقال له الأحسن، به معدن الفضة، وحماها عمر ابن الخطاب لإبل الصدقة، فلما ولي عثمان أرعاه إبل الصدقة، وإبل بني أمية. وبضرية بركة وآبار كثيرة ونخل، وبها بئر يقال لها الطهمانية طيبة[1].

وأشار الأصفهاني إلى ضريّة بعد أن حدد موقعها وجبالها، قال: ولجاة جبل عن يمين الطريق، قرب ضريّة، وماؤها ضري بئر من حفر عاد، ويمر بها طريق اليمامة. وفي موقع آخر قال: «ضريّة سرة الحمى، وهي قرية عظيمة غناء يطؤها الطريق، فيها بنو عامر والتجار، وعامتها لآل جعفر ابن سليمان. وماء من وراء ضريّة يقال له ضري»[2].

ويذكر الهجري أن مروان بن الحكم احتفر حفيرة في ناحية الحمى، يقال لها الصفوة. ولبني الأدرم بطن من قريش، ماء قديم جاهلي بناحية الحمى، على طريق ضريّة إلى المدينة، على ثمانية عشر ميلاً، يسمى حفر بني الأدرم. وكان سعيد بن سليمان بن نوفل بن مساحق احتفر عينا على ميل من حفر بني الأدرم، وأبحرها، وغرس عليها نخلا كثيرا وازدرع، وبنى هناك بدارة تدعى بدارة الأسود لأنها بين جبل عظيم أسود ورملة. فجميع ما في الحمى من المياه المذكورة عشرة أمواه. وقد دخل في الحمى من مياه بني عبس ستة أمواه ومن مياه بني أسد مثلها. وكانت ضريّة في الجاهلية من مياه الضباب. ولما ولي أبو العباس السفاح، أقطع ضريّة وما سقت إلى معروف بن عبدالله بن حيان، من بني جعفر. وباعها للسري بن عبدالله الهاشمي، عامل اليمامة بألفي دينار، وغلتها تنتهي في العام ثمانية آلاف درهم وأزيد. وذكر مشايخ من أهل ضريّة أن الإسلام جاء وكل ماء من الحمضتين لغنى، والحمضتان حمضة التسرير

---

(١) الحربي، المناسك، ص ص: ٥٩٤ - ٥٩٧.

(٢) الأصفهاني، بلاد العرب، ص ص: ٩٢، ٩٨، ١١٣، ١٥٩، ٣٩١ ـ ٣٩٣.

وحمضة الجريب. فجميع مياه فزارة الداخلة في الحمى أحد عشر منهلا، أكثرها فيها قرى ونخل. وسد ضريّة في برقة العيرات. والداءات: واد جلوخ، بين أعلاه وبين ضريّة ثمانية أميال، وعلى طريق ضريّة إلى الكوفة[1].

وذكر ياقوت أنها قرية عامرة قديمة على وجه الدهر في طريق مكة من البصرة من نجد، قال الأصمعي يعدد مياه نجد: الشرف كبد نجد. وفيها حمى ضرية، وقيل ضرية قرية لبني كلاب على طريق البصرة[2].

وذكر السمهودي نقلاً عن الهجري أن عين ضرية حفرها عثمان ابن عنبسة واغترس النخل وضفر بها ضفيرة بالصخر ليحبس الماء، وهو سد يعترض الوادي فيقطع ماءه وينحبس زماناً ليكون أغزر للعين. ويضيف السمهودي: إن جعفر بن سليمان أحدث بسوق ضرية حوانيت جعلها سماطين داخلين في سماطي ضرية الأولين فيهما نيف وثمانون حانوتاً[3].

يتضح مما ذكره البلدانيون، أن ضريّة كانت معمورة قبل ظهور الإسلام، وحظيت في القرون الأولى للإسلام بشهرة عندما جعل منها الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه مركزاً لحمى إبل الصدقة، وأيضا أصبحت إحدى المحطات الرئيسة على طريق الحج البصري إلى مكة، وملتقى طريقي اليمامة ودرب زبيدة، كما أنها كانت ممراً لإحدى السرايا الإسلامية التي انطلقت من المدينة المنورة إلى جنوب القصيم وشماله الغربي.

وعلى الرغم من أن ضرّية كانت إحدى المنازل على طريق البصرة، إلا أن

(١) أبوعلي الهجري، ص ص: ٢٥٠ ـ ٢٧٥. ، وقد فصل وأسهب في ذكر ضرية، راجع حمى ضرية ص ص: ٢٤٦ ـ ٢٧٨. انظر ابن الفقيه، ص: ٢٦.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٣، ص: ٤٥٧.

(٣) السمهودي، نور الدين علي بن أحمد، وفاء الوفاء، بيروت، دار التراث العربي، جـ٣ ص ص: ١٠٩٢ ـ ١١٠٢. وانظر الهجري، ص ص: ٢٤٦ ـ ٢٧٨.

أهميتها تنبع من كونها قاعدة لحمى الصدقة إضافة إلى توفر الماء، وخصوبة أرضها الزراعية والرعوية. ونتيجة لهذه المرتكزات المعيشية أصبحت ضريّة مقصداً لبعض الجماعات، ومكان استيطان للقبائل المجاورة لها. وهي أحد المراكز التجارية الثلاثة في القصيم، فإلى جانب ضريّة هناك النباج والقريتان.

ويفهم من كلام السمهودي[1] أن جعفر بن سليمان بن علي صاحب القريتين قد أضاف نيفاً وثمانين حانوتاً على ما كان في سوق ضريّة، وقد ذكر العبودي[2] نحو مائة وسبعين، مفترضاً أن سماطي ضريّة الأولين بحجم زيادة جعفر بن سليمان، هذا من حيث الحوانيت والحركة التجارية، أما الاستقرار والزراعة فقد ذكرت المصادر السابقة، أن ضريّة بلد زراعي كثير القرى والنخل والآبار والبساتين، وحدد النشاط الزراعي في برقة العيرات، وهي منطقة زراعية وقريبة جداً من مدينة ضريّة الحديثة.

الوصف العام للموقع :

يقسم الموقع الأثري في ضرية إلى قسمين، الشمالي والجنوبي، فالقسم الشمالي يتكون من الآتي :

الآبـار:

وهي آبار مياه ذات فوهات واسعة مطوية في جزئها العلوي بالحجارة، وتقوم على أرض صخرية بحيث يحفر الجزء السفلي بالصخر، ثم تطوى الأجزاء العلوية بالحجارة. والآبار شبه دائرية تتصل بها من أسفل

(١) السمهودي، وفاء الوفاء، ص: ١٠٩٩

(٢) العبودي. بلاد القصيم، جـ٤، ص: ١٤٢٤.

قنوات مائية محفورة بالصخر بشكل دائري، وتمتد على مسافة كيلومتر واحد تقريباً إلى جهة الجنوب، حيث توجد منطقة المزارع وأساسات المباني الحجرية جنوباً. والفرع الآخر من القنوات معاكس للفرع الأول، يتجه شمالاً إلى ما يعرف بضروة. وقد كشف عن القناة مؤخراً، عندما انهارت أجزاؤها العلوية بفعل السيول ومرور المركبات عليها. (اللوحة رقم ٤٠ أب).

المباني:

عبارة عن أساسات مبان مبنية من الحجارة على شكل غرف وأسوار ومنشآت زراعية، يعتقد أنها البلدة القديمة لضريّة التي ذكرتها المصادر. ويبلغ متوسط سمك الجدران حوالي ٤٠سم، حيث أن الجزء الشمالي قد زحفت عليه المباني وبعض المزارع وحفرت أجزاء منه بواسطة الجرافات والأمطار، ويشاهد على سطحه كمية كبيرة من اللقى الأثرية مثل: الفخار والخزف والزجاج. كما أن الموقع قد تم استيطان بعض أجزائه في فترة سكنية متأخرة عن فترة استيطانه الأولى. ومما لا شك فيه أن الموقع غني بالمعثورات، حيث ينتشر الفخار والخزف على سطحه بكميات كبيرة، كما أنه قريب جدا من جبل «خشم الغار» الواقع على بعد مائتي متر عنه، والذي عثر فيه على عدد كبير من الكتابات. (اللوحة رقم ٤١ أ).

أما القسم الجنوبي فيتكون من:

السد: يقع في وسط وادي ضرية ليحجز المياه القادمة من الغرب إلى الشرق، وقد اختير موقع السد في أضيق منطقة تقريباً، حيث يمتد من الشمال إلى الجنوب يتكىء طرفه الجنوبي على جبل كويكب وطرفه الشمالي

على الهضبة الصخرية المرتفعة، فمجرى الوادي في هذا الجزء منخفض عما حوله، كما أن الامتدادات الغربية له من تلك الجهة الغربية تتجمع المياه فيها من أكثر من رافد لتصب في مجرى واحد ضيق الذي يستمر حتى يصل منطقة السد، وبعد السد تنكشف له الأرض، ويتخذ له عدة مجارٍ عبر منطقة واسعة.

وقد كان لضلع ضرية الجبلي والهضبة الشمالية دور في حجز المياه وتوجيه مسار الماء إلى جهة السد، كما ذكرت المصادر السابقة من أن السد يعترض الوادي وينحبس الماء ليكون أغزر للعين، فهو إلى وقت قريب يقوم بهذه الوظيفة لتغذية الآبار القديمة والآبار الحديثة، التي حفرت في مواقع الآبار القديمة نفسها (اللوحة رقم ٤١ ب). ويخترق الوادي القادم من غرب مدينة ضريّة الحديثة باتجاه السد ومنطقة المزارع، واضعاً جبل خشم الغار يساره، وضلعي ضريّة يمينه منحدراً باتجاه الشرق.

والسد مبني من الحجارة الصخرية الكبيرة القوية، والمصفوفة فوق بعضها البعض ومحشو بالكسر الصغيرة لملء الفراغات. ومبني بشكل منحنٍ والهدف من بنائه، حجز مياه الوادي القادمة من الغرب لغرض ري المزارع عن طريق حجز المياه التي تغذي الآبار والعيون القريبة منه كما ذكرنا سابقاً. (اللوحة رقم ٤٢ أ).

المباني الحجرية :

وتقع تلك المباني في القسم الجنوبي، بين ضلعين في منطقة واسعة ومستوية وهي أرض خصبة وزراعية يوجد بها بعض المزارع، ويمر بقربها

مجرى الوادي دون الدخول إليها مباشرة، وهذه أكسبتها ميزة قربها من مجرى الوادي ووقوعها بين ضلعين في منطقة منبسطة وخصبة. (اللوحة رقم ٤٢ ب)

والجدران والأسوار المبنية من الحجارة يشكل جزؤها الجنوبي مستطيلاً تبلغ أطواله ٣٠٠×٩٠م، وتختفي داخله الجدران الداخلية، وسمك السور، حوالي ٩٠سم. ويرتبط هذا الجزء بمنشآت واقعة شماله، حيث تأخذ أشكال أحواض مستطيلة أقل بقليل من المساحة السابقة، وتظهر فيها أساسات مبانٍ داخلية، يعتقد أنها أساسات لغرف ومنشآت معمارية سكنية بوحدات صغيرة. وفي وسط الموقع توجد بئر ماء مدفونة تظهر فوهتها. (اللوحة رقم ٤٣ أ، ب).

الفصل الرابع

دراسة العمارة والمعثورات

أولاً : الدراسة المعمارية :

أ - المنشآت الدفاعية : القلاع (القصور).

ب - المنشآت الدينية : المساجد.

جـ - المنشآت المدنية.

د - المنشآت المائية : القنوات، الآبار والعيون، البرك، السدود.

هـ - منشآت أخرى، أعلام، أبراج، أفران.

ثانياً : الملتقطات السطحية :

مصادر دراسة المعثورات الأثرية :

أ - الفخار والخزف.

ب - الحجر الصابوني.

جـ - الكسر الزجاجية.

د - الكسر البرونزية.

ثالثًا : النقوش الكتابية :

الفصل الرابع

دراسة العمارة والمعثورات

أولاً: الدراسة المعمارية:

قمنا من خلال عملنا الميداني بحصر عدد من المواقع وما عليها من منشآت معمارية، وملتقطات سطحية، ونقوش كتابية. وفي هذا الفصل سوف نقوم بدراسة تلك الجوانب استكمالاً لما ذكرناه في الفصول السابقة محاولين الخروج بمعلومات تساعد في تحديد تاريخ المواقع الأثرية وتحليل الظواهر المعماريَّة وتصنيف ودراسة الكسر الفخارية والخزفية المختارة، بالإضافة إلى قراءة الكتابات المكتشفة وتحليلها.

وعلى الرغم من أن القصيم تقع في منطقة شبه صحراوية، ذات غطاء نباتي محدود، إلا أن موقعها الوسطي المتفرد جعل منها معبراً وملتقى للطرق بين الكثير من أجزاء العالم الإسلامي. ومن الملاحظ أن توزيع المستوطنات في منطقة الدراسة وخطوط سير الطرق قد ارتبطا ارتباطاً وثيقاً، فالكثير من المستوطنات والمحطات قد نمت وازدهرت، على الأقل، على مسار الطرق، كما أن الطرق قد عرجت في بعض الحالات على بعض تلك المستوطنات لتوفير حاجيات التجار الغذائية والأمنية. كما أنها في الوقت ذاته أدت دوراً، ضمن عوامل أخرى، في تحديد أماكن تلك المحطات حيث كان لابد أن تكون الأبعاد والمسافات بين محطة وأخرى في مقدور مسيرة القافلة دون توقف. غير

أن الأمرين معاً، أي الطرق والمحطات، قد ارتبطا بدورهما بمصادر المياه الدائمة، وما يمكن أن تتيحه من زراعة ومرعى وماتوفره من بيئة غنية، ولو نسبياً بإنتاجها النباتي والحيواني، كمصادر أساسية للحياة.

ويشير العرض السابق إلى الارتباط بين المستوطنات والطرق من ناحية، وبينهما ووادي الرمة وفروعه كمصدر مائي من ناحية أخرى، وبين كل ذلك والتباين الجيولوجي بين الطبقات الرسوبية الحاملة للمياه في شرق القصيم ومنطقة الدرع العربي ذات الصخور القاعدية الصلبة في غرب القصيم. وهذا النسيج الجيولوجي والجيومورفولوجي البيئي، الذي يجمع عوامل طبيعية وبشرية، هو مفتاح فهمنا لطبيعة الاستيطان والتكيف في منطقة الدراسة، ولحركة المجتمع وطبقاته ونموها الاقتصادي وعلاقتها الاجتماعية. غير أن الفهم الأدق لهذا الأمر يتطلب دراسة أثارية مفصلة للمواقع المشار إليها وهو أمر فوق إمكانية هذا البحث.

وتجدر الإشارة إلى أن المواقع التي شملتها الدراسة والتي استعرضنا عينة منها في الصفحات السابقة هي في مجملها عبارة عن قرى ومحطات على الطرق التجارية، أسهمت عوامل متباينة في تطور بعضها إلى بلدات بينما بقيت بعضها محطات صغيرة ومحدودة. (اللوحة رقم ٤٤ أ ب).

أ- المنشآت الدفاعية:

القلاع (القصور)

من خلال دراستنا للمواقع الأثرية في منطقة القصيم، تبين لنا وجود عدد من المباني المحصنة بالأبراج والتي تتميز بسماكة جدرانها. وظهور هذه المباني المحصنة لم يأت من فراغ، فقد كانت المنازل والدور والقصور تبنى

لمقاومة الهجمات العدائية المفاجئة خاصة أن المحطات والمنازل كانت في كثير من الأحيان عرضة لهجمات القبائل وقطاع الطرق، لأن في تلك المنازل كان يستريح الحجاج وقوافل التجارة، بالإضافة إلى ما تحتويه من أسواق عامرة وأملاك وتجارة. ولذا فقد أخذت المباني الكبيرة الخاصة بعلية القوم والتجار أو الولاة أنماطاً معمارية ذات عناصر دفاعية. والأمثلة التي تمّ الكشف عنها لهذه القلاع أوالقصور تجيء من مواقع: النباج، والعوسجة، ورامة، في منطقة الدراسة (الأشكال ١، ٣، ٦). ونلاحظ الشبه في التخطيط المعماري بين هذه القلاع التي تبدو كأنها متطابقة في عمارتها من حيث الحجم، وطريقة البناء، والتخطيط العمراني، واحتوائها على غرف من الجوانب تطل على ساحة وسطية، ثم الباب الرئيس الذي يطل على المحطة والأبراج التي تحميها. كما يلاحظ أن هذه القلاع أو القصور تحتل أحياناً أفضل مكان في الموقع، مما يرجح أن يكون بناؤها، في تلك الحالات، سابقاً للمحطة بشكلها الحالي، وبالتالي يمكن أن تصبح مثل هذه الظاهرة مؤشراً للإجابة عن السؤال الصعب: أيهما أسبق الطريق أم المحطة؟.

والقصور في منطقة القصيم لا تخرج، في تخطيطها وعمارتها ووظيفتها، عن النمط العام للحصون الإسلامية على الطرق التجارية خارج منطقة القصيم.

فعلى طريق درب زبيدة، يذكر الدكتور سعد الراشد وجود أساسات لقلاع وحصون من أبرزها قلاع محطات: القاع، وزبالة، والشيحيات، وفيد (قصر خراش)، وكراع، والعقيق، والبرود. وكذلك قلعة أم الضميران،

والعلوية، وقلعة الرقة، والعقيق، والمسلح، وكزاع، ومعدن بني سليم، والثعلبية، وسميرا[1]. وهذه القلاع لم تتم فيها تنقيبات مفصلة، لذا يصعب الحديث عن تفاصيل أوجه الشبه والاختلاف بينها، إلا أن الأجزاء الظاهرة منها على السطح تظهر تشابهاً بينها وبين مثيلاتها على طريق الحج البصري من نواحي التخطيط العمراني العام، ومواد البناء. وقد أظهرت حفريات الرّبذة أمثلة معمارية على درجة كبيرة من الأهمية تمثل العناصر المعمارية الإسلامية المبكرة في الجزيرة العربية، فقد تم الكشف عن قصر عربي محصن ومنازل كبيرة محصنة في إحدى ضواحي الربذة في الجهة الجنوبية منها، حيث كشفت الحفريات عن سور ضخم مدعم بأبراج، وحوله خندق محفور، وتتوزع داخل السور الوحدات المعمارية المستخدمة للسكن ومرافق أخرى للمعيشة والصناعة وخلاف ذلك.

وعلى طريق الحج الشامي المصري في منطقة الحجاز يذكر الدكتور علي غبان، وجود قلاع أطلق عليها مسمى «القصور الصحراوية»، وقد تمركزت هذه القصور قرب الأودية[2]، غير أن التفاصيل المعمارية لهذه المباني تنتظر إجراء حفريات تفصيلية فيها، إلا أن التخطيط العام وبعض التفاصيل التي تبرز على السطح تظهر أنها تسير على نفس نمط القلاع والقصور على طريقي الحج الكوفي والبصري.

---

(١) الراشد، سعد، درب زبيدة، ١٩٩٣م، ص ص: ٣٩٢ ـ ٣٩٨. الدايل، خالد، وصلاح الحلوة، مشروع درب زبيدة، ١٩٧٧م، ص ص: ٥٩ ـ ٧٤.

. AL - Rashid, S. Darb Zubaydah, Riyadh 1980, pp78 - 19.

الدايل، خالد وآخرون، درب زبيدة، أطلال ، العدد ٣، ١٩٧٩م، ص ص: ٤٩ ـ ٦٢. الحلوة، صلاح، ونيل ماكنزي، درب زبيدة، أطلال ٤، ١٩٨٠م ص: ٤٥. الحلوة، صلاح، وكراج مورجان، درب زبيدة، أطلال ٥، ١٩٨١م، ص ص: ٩٢ ـ ٩٣.

(٢) غبان، علي إبراهيم، الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، ، ص ص: ٧٥ ـ ١٠٤.

وفي خارج الجزيرة العربية نلاحظ بعض الشبه في طرز التخطيط والبناء والوحدات والعناصر المعمارية بين قصر مارد وبين حصن أم القرون إحدى محطات درب زبيدة والواقعة في الأراضي العراقية(١) وكذلك حصن الأخيضر في العراق(٢) (الشكل رقم ٧). وقصر عشطان(٣) في العراق، وقصر المنيا، وقصر الحيرة، وقصر عمرة في الشام(٤). وعند اختيار موقع البناء عادة ما يلجأ إلى التحصينات الطبيعية فيكون البناء على التلال الصخرية وقرب الأودية الطبيعية. وفي الأماكن غير المحصنة طبيعياً تزداد تحصينات الأسوار والأبراج لتعيق أي محاولة لاقتحامها. ويلاحظ أن جميع هذه القصور تخلو من النوافذ في الجدران الخارجية والداخلية، عدا ثقوب صغيرة للتهوية والإضاءة أو ذات أغراض إنشائية (اللوحة رقم ٤٥ أ ب). كما يلاحظ أن سقف الغرف تمَّ بإنشاء أقبية وعقود لربط فتحات الأبواب. وهذه القصور لا تخرج أيضاً عن دائرة العمارة المدنية والحربية الإسلامية، سوى أن الحاجة لإنشاء أسوار حول هذه المحطات لم تكن ملحة.

ولا شك أن تحوّل طرق التجارة عن هذه المحطات أو ضعف السلطة المركزية وعدم اهتمامها بشئونها الأمنية والإدارية، قد قاد إلى تقلّص دورها.

---

(١) العزاوي، عبدالستار، طريق الحج القديم، درب زبيدة، محطة أم القرون. سومر جـ ١+٢، المجلد ٤٤، ١٩٨٥ ـ ١٩٨٦م، ص ص: ١٩٩ ـ ١١٢.

(٢) Jairazbhoy, R. An Outline of Islamic Architecture, 1972, Fig. 12.

(٣) العزاوي، عبدالستار، العقود والأقبية العراقية في العصور الإسلامية، ١٩٦٩، الشكل رقم ١٠، رسالة، ماجستير.

(٤) Creswell, K. A, Short Account of Early Muslim Architecture, 1968, pp. 82- 123
Grabar, O, Islamic Art, 1973, pp 141 - 165.

ب ـ المنشآت الدينية :

تشمل المنشآت الدينية بوجه عام المساجد، والمساجد الجامعة، والمدارس الدينية، والخلاوي، والزوايا. إلا أن منطقة الدراسة وحتى تجرى حفريات مفصلة فيها، شملت المساجد فقط، وهذه عادة ما تتوسط المحطة ولا تبعد كثيراً عن القلعة أو القصر، لضرورة عملية وأمنية، وتكون مكان تجمع لسكان المحطة والحجاج ورجال القوافل في أوقات الصلاة. ونتوقع أن تكون كذلك قريبة من السوق أو الساحة التي يتم فيها التبادل والبيع والشراء. ويعد مسجد العوسجة الأنموذج لمساجد مواقع منطقة الدراسة، حيث يتضح من أساساته أنه يتألف من أروقة لبيت الصلاة ومحراب وساحة مكشوفة ومئذنة بالضلع الشرقي، ومداخل بالجدارين الشمالي والشرقي. وقد عثر على مساجد مشابهة في درب زبيدة مثل مسجد محطة الضربية، وهو عبارة عن مبنى مستطيل مساحته ١٨,٢٠×١٣م. وتخطيط المسجد يتكون من صحن مكشوف، وبيت الصلاة الذي يتكون من رواقين وجدار القبلة. وفي محطة الخرابة عثر على آثار مسجد صغير مساحته ١٠×١٠م، وكذلك عثر على آثار مسجد في موقع كراع، وموقع الصقعة، وموقع الجفنية. ومواقع: الحسنة، والمخروقة، وأبورروادف.

وعلى الرغم من التأثيرات المعمارية التي شملت العالم الإسلامي بعد توحيده تحت مركز إداري واحد، والتي نتوقع أن تشاهد في مثل هذه المواقع على طرق الحج والتجارة بحكم اتصالها بمناطق عديدة ذات تقاليد معمارية، إلا أن عينة المساجد في منطقة المسح سارت في عمارتها فيما يبدو على النمط المحلي حيث تغيب فيها تلك الطرز المعمارية والفنية التي نشاهدها في مساجد الحواضر الإسلامية. ولعل السبب في ذلك يعود إلى

أن وظيفة المساجد في هذه المواقع قد اقتصرت على كونها مباني بسيطة في محطات صغيرة ذات تجمعات بشرية محدودة يؤدي فيها الحاضرون صلاتهم، ولذا جاءت مشابهة لمثيلاتها في محطات طريق الحج الكوفي كتلك التي كشف عنها في موقع الربذة(١)، هذا بالإضافة إلى أن عمارة المساجد في وسط الجزيرة قد شهدت تطوراً بطيئاً للغاية خلال العهود الإسلامية الأولى(٢).

جـ - المنشآت المدنية:

تشمل المنشآت المدنية الأسواق، والمباني العامة غير الدينية، والمساكن الخاصة، وخلافها. ونسبة لعدم تمكننا من إجراء حفريات مفصلة، تبقى تفاصيل هذه المنشآت تحت الرمال لحين إجراء الحفريات في مرحلة لاحقة، غير أن المسح الذي أجريناه أوضح بعضاً من هذه المنشآت. فهناك تلال أثرية في المواقع، مثل: رامة، والنباج، وطخفة، لا شك أنها تحوي مباني من هذا النوع. فالسوق في موقع ضريّة يضم حوانيت متراصة، ولذا لا نشك أن المواقع تحتوي أيضاً على مبانٍ عامة. وقد كشفت مواقع درب زبيدة عن تلال أثرية مشابهة مثل تلك التي عُثر عليها في الثعلبية، والبدع، وفيد، ومواقع أخرى على هذا الدرب(٣).

---

(١) الراشد، الربذة، ١٩٨٥، ص ص: ٤٦ - ٤٧. عثر في الربذة على آثار لمسجد جامع كبير ذي محراب نصف دائري ومسجد آخر صغير الحجم ذي محراب نصف مربع. الحلوة، صلاح، ونيل ماكنزي، درب زبيدة، أطلال ، ٤، ١٩٨٠م، ص ص: ٣٥ - ٦١. الدايل، خالد، وصلاح الحلوة، مشروع درب زبيدة، أطلال ، العدد ٢، ١٩٧٨م، ص ص: ٥٩- ٧٤. خالد الدايل وآخرون، درب زبيدة، أطلال ٣، ١٩٧٩م، ص ص: ٤٩ - ٦٣.

(٢) King, G.,the Historical Mosques of Arabia, 1986, P. 189.

(٣) AL - Rashid, S, Darb Zubaydah, 1980, pp. 86 - 91.

الحلوة، صلاح ونيل ماكنزي، التقرير المبدئي لمسح درب زبيدة،أطلال ٤، ١٩٨٠م، ص ص: ٣٥ - ٧٩.

د ـ المنشآت المائية :

تغلب هذه الظاهرة على العمارة الإسلامية في منطقة الدراسة، فوجود المياه كان شرطاً أساساً لاختيار أي موقع. وكان توفير المياه أحد اهتمامات الحكام على امتداد العالم الإسلامي، فالخليفة المنصور شق مجرى للمياه إلى داخل بغداد، وكذلك فعل المتوكل في سامراء. أما المواقع البعيدة عن الأنهار والتي تغذيها الأمطار، فقد اعتمدت على البرك والخزانات لحفظ الماء كما هو الحال في الربذة. وفي منطقة الدراسة شملت هذه المنشآت :

القنوات :

وهي أخاديد محفورة في الصخر تتباين في طولها وتوصل المياه من مصادرها إلى المستوطنات مثل قنوات ضريّة والنباج، وهناك أيضاً قنوات توصل ما بين مجرى الوادي أو الهضاب المرتفعة والبرك مثل قنوات بركة طخفة، بالإضافة إلى قنوات صغيرة تشبه الجداول أو الساقية توصل ما بين البرك والآبار والأحواض مثل قنوات العوسجة ورامة. وقد عرفت هذه الأنواع من عدة مواقع في درب زبيدة، منها على سبيل المثال: القنوات في خرائب أبو نواس، والبرود، وموقع حصن، وموقع أم سليم، والرشيدي، وموقع مكة الرقة، والخرابة[1]، وهذه الأنواع من القنوات استخدمت في الجزيرة العربية حيث كشف عنها في درب زبيدة في مواقع الشيحيات وسميرا، وأرنبة[2]، وكذلك في الخرج[3]،

(٣) الدايل، خالد، وصلاح الحلوة، مشروع استكشاف درب زبيدة، أطلال، العدد ٢، ١٩٧٨م، ص ص: ٦٦، ٧٣ كنود ستاد، يمس، مشروع درب زبيدة، أطلال، العدد ١، ١٩٧٧م، ص ص:٥٢ ـ٧٢.

(٢) al - Rashid, S, Darb Zubaydah, 1980, pp. 83 - 96.

(٣) الغزي، عبدالعزيز، التحول الاستيطاني في واحة الخرج في العصور القديمة، (بحث تحت الطبع) ص ص: ٦٦ ـ ٧١.

والعلا[١] ، ودومة الجندل[٢] ، والأفلاج[٣] . وكذلك في مدن إسلامية مثل : بغداد، وسامراء، والبصرة وغيرها[٤] . ومع الفارق في مستوى التقنية فإن القنوات في مواقع القصيم قد صممت على نمط مشابه وللغاية ذاتها، ولا شك أن الأعمال الميدانية القادمة ستكشف المزيد من أوجه الشبه والاختلاف والخصوصية لهذه المنطقة.

الآبار والعيون :

يعتمد عمق البئر ووجود العيون المائية قرب المواقع على طبيعة المنطقة . وقد تباينت هذه من موقع إلى آخر وعرفت هذه أيضاً في مواقع إسلامية كثيرة وانتشرت ظاهرة حفر الآبار من أقدم العصور وعرف الإنسان الكيفية التي يتعرف بها على الطبقات القريبة التي تحمل الماء . وتكثر الآبار في مواقع محطات طرق الحج ، فقد عرفتها مواقع درب زبيدة[٥] ، كما عثر على عدد منها في طريق الحج الشامي ، إلا أن الأخيرة تعود إلى فترات متأخرة[٦] .

---

(١) نصيف عبدالله، القنوات والنظام الزراعي في المدينة المنورة، العصور، المجلد الأول الجزء الثاني، لندن يوليو ١٩٨٦م، شوال ١٤٠٦هـ، ص ص: ١٩٩ ـ ٢١٢.

(٢) Nasif, A. The Ancient qanat System in Dumat al, Jandal; Ages 2 (2) pp 16 - 70.

(٣) أطلس المياه، وزارة الزراعة، ص ص: ١٤ ـ ١٦.

(٤) أيوب، محمد ساهر وآخرين، القنوات الباطنية والكواظم، الندوة القطرية الخامسة، مركز إحياء التراث العلمي، بغداد، ١٩٨٩م، جـ١، ص ص: ٥٦٧ ـ ٥٧٩. سوسة، أحمد، تاريخ حضارة وادي الرافدين، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٦م، جـ٢، ص ص: ٢٠٣ ـ ٢١٦.

(٥) الراشد، درب زبيدة، ص ص: ١٣٩، ١٥٥، ١٦٢، ١٧٩، ١٨٧، ٢٠٣

(٦) غبان، علي إبراهيم، شمال غرب المملكة العربية السعودية، بحوث في التاريخ والآثار، الكتاب الأول، الرياض، ١٩٩٣م، ص ص: ٣٢ ـ ٣٣.

حفرت الآبار في مواقع القصيم الإسلامية لإمداد المحطات بالماء، خاصة تلك التي تفتقر إلى المياه طوال العام، أو التي يشح فيها الماء في مواسم الجفاف، إذ أن قدوم قوافل الحجاج والتجارة لا يرتبطان بالطبع بالدورة المناخية. ولا ندري على وجه الدقة إن كانت الآبار قد حفرت بواسطة أفراد أو قامت بها السلطة، ولا كيفية إدارة المياه في هذه المواقع، ولا الجهة المسئولة عن صيانة هذه الآبار وتعميقها إذ اقتضى الأمر. غير أن الراجح أنها كانت في البداية تقع على عاتق السلطة كجزء من الخدمات العامة.

البـرك :

تعد البرك خزانات مياه في الصحراء، حيث يُعتمد عليها كمصدر للمياه. وقد احتلت مواقع استراتيجية عادة ما تكون في الأماكن المنخفضة قرب الأودية أو في بطون الأودية، بحيث تنجرف المياه إليها بسهولة، وتعتمد في مصادرها المائية على الأمطار، كما يحدد حجم الموقع وطبيعته حجم البركة الموجودة فيه. وكما يتضح من المسح الذي أجريناه، فإن بعض المواقع تحتفظ ببرك (النباج، طخفة) تمثل شريان الحياة فيها ويتباين حجم هذه البرك على الرغم من أنها تتبع نمطاً واحداً في بنائها يتكون من الحجارة التي تبلط بالجص وبناء قنوات للماء توصل إليها، وأحياناً منافذ للماء منها. وهي لا تختلف في طرز بنائها عن تلك التي عرفت من درب زبيدة والتي صنفت إلى ثلاث مجموعات حسب أشكالها: (دائرية، مستطيلة، مربعة) تظهر تشابهاً مع مثيلاتها في الحجاز والشام واليمن[1]، إلا أن البرك في منطقة المسح انحصرت

(١) الراشد، درب زبيدة، ١٩٩٣م، ص ص: ٣٥٧ ـ ٣٨٦. انظر توني ويلكنسون، مصادر المياه في محطات درب زبيدة، أطلال، العدد ٤

Al - Dayel, K, Historical and Archaeological Land marks of Darb Zabaydah, (unpublished M. A. Theses California State Universiliy, 1984, p 62

العزاوي، عبدالستار، سومر ١ ـ ٢ ـ٤٤، ١٩٨٥/١٩٨٦، ص ص: ٢٠٢ ـ ٢٠٣.

في الشكل الدائري مثل بركة طخفة ولم نجد أمثلة للنوع المستطيل، أو المربع في المواقع التي شملتها الدراسة الميدانية، وتكثر البرك الدائرية في مواقع درب زبيدة، حيث نجدها في الظفيري، والحمرا، والحميمة، والبرود، والضريبة، والخرابة، وشعر، وكراع، وكذلك في الأجفر، والقنعة، وقروري[1].

وقد عرفت أيضاً هذه الظاهرة المعمارية في عدد من المستوطنات الإسلامية على امتداد العالم الإسلامي، حيث كشف عن عدد منها في طرق الحج الأخرى.

السدود:

السدود عبارة عن حواجز أو خزانات توضع في مسار الأودية، إما لحجز المياه ومنع تدفقها في مجرى الوادي كما في سد النباج، أو لتحويل مسارها نحو مجرى فرعي، أو لتغذية الآبار كما في سد ضرية، وذلك لكامل الاستفادة ومنع المياه من أن تهدر. وإلى جانب السدود تفتح قنوات لتحويل المياه إلى البرك، والأحواض، والآبار، تُعدُّ إحدى نظم الري والسقاية المعروفة منذ عهود قديمة. وقد لاحظنا وجود هذه السدود والخزانات في عدد من مواقع المسح وأنها تظهر تشابها عاماً وان اختلفت في بعض التفاصيل. كما

---

(١) al - Rashid, S, Darb Zubaydah, 1980, pp. 77 - 98.
كنويستاد، جيمس، مشروع درب زبيدة، أطلال، ١٩٧٦م، ص ص: ٥٦، ٦٣. الدايل، خالد، وصلاح الحلوة، درب زبيدة، أطلال ٢، ص ص: ٧١ ـ ٧٢. خالد الدايل وآخرون، درب زبيدة، أطلال ٣، ١٩٧٩م، ص ص: ٥٢ ـ ٥٤. الحلوة، صلاح، وكرواج مورجان، درب زبيدة، أطلال ٥، ١٩٨١م، ص ص: ٧٧ ـ ٩٩. الحلوة، صلاح، نيل ماكنزي، درب زبيدة، أطلال ٤، ١٩٨٠م، ص:٣٨.

تم العثور عليها في مواقع درب زبيدة مثل موقع البرود، ووادي حرض، وموقع مكة الرقة، وموقع شعر[1].

هـ- منشآت أخرى:

لاحظنا وجود منشآت معمارية أخرى لا نستطيع أن نجزم في هذه المرحلة عن ماهيتها أو وظيفتها غير أننا نستطيع تصنيفها مبدئياً إلى:

أعلام: وهذه علامات للقوافل تدل على مسار الطريق وترشد المسافرين، كما في العوسجة ورامة.

أبراج: وهي إن صحت فإنها تدخل في إطار العمارة الحربية وهي أبراج للمراقبة، وتشمل مراقبة القوافل وربما الجيوش أو جماعات البدو التي تغير على المحطات كما في العوسجة.

الأفران: وهذه تتجمع حولها قطع فخارية بكثافة، الشيء الذي يدعم أنها كانت أفراناً لحرق الفخار والجص الذي استخدم في بناء المنشآت المعمارية كما في العوسجة ورامة.

تاريخ المواقع:

على ضوء المسح السالف الذكر للمواقع الأثرية في منطقة القصيم وما تحويه من منشآت معمارية، لم يكشف عن تفاصيلها بعد، وفي إطار المقارنات الأولية التي أجريناها، يطرح سؤال مهم عن تحديد الفترة التي ازدهرت فيها

---

(٢) كنويستاد، جيمس، مشروع درب زبيدة، أطلال، ١٩٧٦م، ص ص: ٥٦ - ٦٣، الدايل، خالد، وصلاح الحلوة، درب زبيدة، أطلال، ص: ٦٦، خالد الدايل وآخرون، درب زبيدة، أطلال ٢، ١٩٧٩م، ص ص: ٥٢ - ٥٣.

هذه المواقع، حسب ما تشير إليه هذه المنشآت المعمارية. لا شك أن الإجابة ليست سهلة ومباشرة، إلا أننا نغلِّب الظن أن هذه المنشآت المعمارية في المنطقة لابدً وأن تعود إلى فترة ازدهرت فيها تلك المحطات على الطريق البصري خلال القرون الثلاثة الأولى من الهجرة، ويدعم هذا الاعتقاد ما يلي:

١ - إن الفترة التي شهدت انقطاع الطريق - سواء بإنشاء درب زبيدة أو الأحوال السياسية والأمنية المتقلبة - لم تشهد ما يستدعي إنشاء منشآت معمارية ضخمة مثل هذه.

٢ - الحركة السكانية التي صاحبت فترات انقطاع الطريق لم تكن لتسمح بوجود سكاني بالحجم الذي يُمكن من بناء هذه المنشآت.

٣ - بنهاية العصر العباسي الأول خرجت المنطقة عن دائرة اهتمام المركز السياسي إضافة إلى أن ضعف الدولة السياسي والمالي لم يسمحا بإقامة أية منشآت معمارية ضخمة في هذه المنطقة.

٤ - تركز جهد بعض الخلفاء والأمراء والمحسنين في صيانة وترميم محطات درب زبيدة، ولم تذكر المصادر أية نشاطات مشابهة في طريق البصرة.

٥ - بدأت البصرة في الضمور مع بداية العصر العباسي الثاني، ولم يعد بمقدورها تغذية الحركة التجارية للطريق والحفاظ على أهميته وانتعاشه.

٦ - إن وجود القصور والبرك والسدود والآبار في هذه المواقع لابد أن يكون مصاحباً لتلك الفترة التي ازدهرت فيها تلك البلدات، وبالتالي نشطت فيها حركة الطريق، إذ لا جدوى لوجودها في تلك المنطقة دون وجود حركة تجارة وحج نشط.

٧ـ المعثورات المصاحبة من فخار وكتابات، لا تتجاوز في تاريخها القرنين الثاني والثالث، لذا فإننا نُغلب الظن أن تاريخ المواقع يعود إلى الفترة السالفة الذكر.

ثانياً: الملتقطات السطحية:

ومن خلال منهج المسح الذي أوضحناه في مقدمة الفصل الثالث، تم التقاط مجموعات من اللقى الأثرية التي تمثلت في كسر من الأواني الفخارية، وكسر من الأواني الزجاجية، وبعض كسر آنية من الحجر الصابوني. وتجدر الإشارة إلى أن ما التقط جاء من بعض المواقع علاوة على أن كثافة اللقى الأثرية تتباين من موقع إلى آخر.

مصادر دراسة المعثورات الأثرية «الفخار»:

إن أول الأعمال الأثرية التي أوردت تصنيفاً للفخار الإسلامي في المملكة العربية السعودية هي أعمال بعثة جامعة لندن التي أشرف عليها الأستاذ بيتر بار عام ١٩٦٨م في شمال غرب المملكة، والتي نُشر بخصوصها عدد من المقالات، ومنها مقال نشر عام ١٩٧٠م احتوى على مناقشة لمجموعة فخارية من موقع المابيات الإسلامي الواقع بالقرب من واحة العلا. جاء فيها استناداً إلى المقارنة مع مواقع في فلسطين والأردن، أن فخار الموقع يعود إلى الفترة الأموية والقرن الثامن الميلادي[١]، وأن فخاراً مزججاً باللون الأبيض وجد في موقع المابيات قد يؤرخ إلى القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين إلا أنهم

(١) الفزي، عبدالعزيز بن سعود، أنماط الفخار الإسلامي في المملكة العربية السعودية، بحث غير منشور، ص ص: ١ ـ ١٦.

ذكروا إمكانية تاريخ بعض القطع إلى تاريخ أسبق بثلاثة قرون[١]. ومن أقدم الدراسات ذات الصلة بالفخار الإسلامي في المملكة العربية السعودية دراسة دونالد ويتكومب التي نشرها عام ١٩٧٨م وخصصها لدراسة مجموعة فخارية جاءت من عدد من المواقع في الجزء الجنوبي للإقليم الشرقي[٢]، التي جمعها فريق موسم المسح الأول عام ١٩٧٦م[٣]. ولقد انتهج في تأريخها وسيلة تعرف باسم التتابع "Seriation"، وقسمها إلى مجموعات إسلامية مبكرة ومتوسطة ومتأخرة اعتماداً على دراسة نشرها عام ١٩٧٥م عن فخار الفترة الإسلامية في عمان[٤]. ومن عدد من المواقع في الجزء الشمالي للمنطقة الشرقية نشر علي المغنم ودانيال بوتس وآخرون مجموعة فخارية اعتمدوا في دراستها على نتائج دراسة دونالد ويتكومب سالفة الذكر[٥]. وفي عام ١٩٧٩م نشر يوريس زارينس وآخرون بعض الكسر الفخارية العائدة لفترات متعددة والتي جاءت من عدد من المواقع الإسلامية الواقعة في الأفلاج وليلى وحوطة بني تميم والخرج في الإقليم الأوسط[٦]. كما نُشرت مجموعتان من الكسر الفخارية العائدة للفترة الإسلامية من عدد من المواقع في الإقليم الجنوبي

(١) Parr, P. J., G. L. Harding, and J. E. Dayton, Preliminary Survey in Northwest Arabia. Bulletin of the Institute of Archaeology, nos. 8 - 9, 1970, pp. 201 - 203.

(٢) ويتكومب، دونالد، آثار واحات الأحساء في العصر الإسلامي، الأطلال، العدد الثاني، ١٣٩٨هـ/١٩٨٧م، ص ص: ١٠٩ ـ ١٢١.

(٣) آدامز، روبرت وآخرون، الاستكشاف الأثري للمملكة العربية السعودية ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٦م، الأطلال، العدد الأول، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ص ص: ٢١ ـ ٤٧.

(٤) Whitcomb, D. S.(The Archaeology of Oman; Preliminary Discussion of the Islamic Periods). Journal of Oman Studies, 1, 1975, pp. 123-175.

(٥) المغنم، علي ودانيال بوتس وآخرون، التقرير المبدئي عن الموسم الثاني لمسح المنطقة الشرقية ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، الأطلال، العدد الثاني، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ص ص: ١٤ ـ ١٦.

(٦) زارينس، يوريس وآخرون، التقرير المبدئي لمسح المنطقة الوسطى ١٣٩٨هـ/ ١٩٨٧م، الأطلال، العدد الثالث، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ص: ٣٦ ـ ٣٧، ٤٦ ـ ٤٨.

الغربي، وكانتا نتيجة لموسمين مسحيين، نشرت أولاهما عام ١٩٨٠م[١]، وثانيتهما عام ١٩٨١م[٢]. ومن الإقليم الشمالي الغربي جاءت مجموعتان من الكسر نشرتا نتيجة لموسمين مسحيين، أولاهما ظهرت عام ١٩٨١م[٣] والأخرى نشرت عام ١٩٨٢م[٤].

وفي عام ١٩٨٠م نشر الأستاذ الدكتور سعد بن عبدالعزيز الراشد أطروحته لدرجة الدكتوراه الخاصة بطريق الحج الكوفي وضمنها مجموعة فخارية مختارة من المواقع التي مسحها على طول الطريق[٥]. وأتبعها بعدد من المقالات نشرها في مجلة جامعة الملك سعود تخللها ذكر للمادة الفخارية من موقع الربذة الإسلامي الذي كان أحد محطات طريق الحج الكوفي موضوع رسالته لدرجة الدكتواره والذي بدأ أعمال تنقيب فيه ابتداءً من عام ١٩٧٩م[٦]. وفي عام ١٩٨٦م نشر كتاباً عن الربذة خصص جزءاً منه لدراسة

(١) زارينس، يوريس وأخرون، التقرير المبدئي عن مسح المنطقتين الوسطى والجنوبية الغربية ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، الأطلال، العدد الرابع، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ص: ٣٠ ـ ٣١.

(٢) زارينس، يوريس وأخرون، التقرير المبدئي الثاني عن مسح المنطقة الجنوبية الغربية، الأطلال، العدد الخامس، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ص: ٣٢ ـ ٣٤.

(٣) إنجراهام، مايكل وأخرون، التقرير المبدئي عن مسح المنطقة الشمالية الغربية (مع لمحة موجزة عن مسح المنطقة الشمالية)، الأطلال، العدد الخامس، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ص: ٧٣ ـ ٧٤.

(٤) جيلمور، مايكل وأخرون، «تقرير مبدئي عن استكمال مسح المنطقتين الشمالية الغربية والشمالية ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م»، الأطلال، العدد السادس، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ص: ١٨ ـ ١٩.

(٥) al-Rashid, S. A. Darb Zubaydah; The Pilgrim Road from Kufa to Mecca, Riyadh: Riyadh University Libvaries, pp. 253 - 264. 1980

(٦) الراشد، سعد بن عبدالعزيز، «تقرير موجز لنتائج الموسم الأول للحفائر الأثرية في موقع الربذة الإسلامي»، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، العدد السابع، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ص: ٢٥٩ ـ ٢٧١؛ «تقرير موجز لنتائج الموسم الثاني لحفائر الربذة»، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، العدد الثامن، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ص: ٣٦٧ ـ ٣٨١؛ «تقرير موجز لنتائج الموسم الثالث لحفائر الربذة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م»، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، العدد التاسع، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ص: ٣٣٩ ـ ٣٥٩.

مادة الفخار[١] . وفي عام ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م نشر مقالاً عن الآثار الإسلامية في شبه الجزيرة العربية أورد فيه نبذة عن الفخار العائد للفترة نفسها[٢] . وفي عام ١٩٩٤م نشر كتاباً عن درب زبيدة وضمنه فصلاً خاصاً عن الفخار والخزف الإسلامي[٣] الذي جمعه من اثني عشر موقعًا على امتداد طريق الحج .

أما بالنسبة للتنقيبات الأثرية في المواقع الإسلامية التي نتجت عنها مادة فخارية فهي قليلة . وكانت أولى الحفريات التي نتجت عنها مادة فخارية منشورة هي تلك الحفرية التي نفذها يوريس زارينس وآخرون عام ١٩٨٢م في موقع الأخدود في مدينة نجران ونشروا نتائجها عام ١٩٨٣م، والتي أفادت عن اكتشاف فخار يعود للحقبة الأموية، والحقبة العباسية، وحقب تالية . وقد اعتمد في الدراسة منهج التصنيف والمقارنة بمقتضى ماهو معروف من أنماط فخارية عائدة للفترة الإسلامية من مواقع سبق وأن دُرست مادتها الفخارية[٤] . وفي عام ١٩٨٤م نُفذت حفريتان في موقعين يعودان للفترة الإسلامية، واحدة منهما نفذها يوريس زارينس وآخرون في موقع في الإقليم الجنوبي الغربي للمملكة العربية السعودية بالقرب من مدينة جيزان، ونشروا نتائجها عام ١٩٨٥م، والتي دلت على اكتشاف كمية كبيرة من الفخار الإسلامي تعود في تاريخها إلى حقب متعددة، منها : الحقبة الأموية والعباسية والفاطمية[٥] .

---

(١) الراشد، الربذة،ص ص: ١٠٣ - ١١٣.

(٢) الراشد، سعد بن عبدالعزيز، الآثار الإسلامية في الجزيرة العربية في عهد الرسول والخلفاء الراشدين، العصور، ٣ (٢)، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ص: ١٩٩ - ٢٣٦.

(٣) الراشد درب زبيدة،، ص ص: ٤٣١ - ٤٤٤.

(٤) زارينس، يوريس وآخرون، «تقرير مبدئي عن مسح وتنقيب نجران/ الاخدود ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م»، الأطلال، العدد السابع، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٣م، ص ص: ٢٥ - ٣٨.

(٥) زارينس، يوريس ، الاستكشافات الأثرية الحديثة في سهل تهامة الجنوبي موقعي «عثر» و«سهى» ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. الأطلال، العدد التاسع، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ص: ٨٢ - ٩١.

وثانية الحفريتين نفذها محمد البراهيم وآخرون في موقع المابيات الواقع بالقرب من واحة العلا، ونشروا نتائجها عام ١٩٨٥م، ومما ورد فيما نشر يستدل على اكتشاف فخار إسلامي يعود إلى الحقب الأموية، والعباسية، والفاطمية، وحقب متأخرة[١]. وفي عام ١٩٨٥م نفذت حفريتان في موقعين إسلاميين، نفذ محمد البراهيم وآخرون واحدة منهما في موقع المابيات استكمالاً لما سبق تنفيذه في الموسم المشار إليه آنفاً، ونشروا نتائجها عام ١٩٨٦م والتي شملت مجموعة فخارية[٢]. ونفذ الحفرية الأخرى يوريس زارينس وآخرون في موقع الشرجة الواقع في الإقليم الجنوبي الغربي بالقرب من موقع عثّر، وليس بعيداً عن مدينة جيزان. ونشروا نتائجها عام ١٩٨٦م محتوية على مناقشة مادة الفخار من الموقع، والتي أرخت إلى ما بعد تاريخ فخار موقع عثّر القريب منه[٣]. وفي عام ١٩٨٨م أعد الدكتور علي غبان رسالته لدرجة الدكتوراه عن طريق الحج المصري الشامي، وضمنها كمية كبيرة من الفخار الإسلامي أتت من مواقع متعددة تقع على الطريق[٤]. وبعد ذلك، وفي عام ١٩٨٩م، أعد الدكتور خليل بن إبراهيم المعيقل رسالته لدرجة الدكتوراه عن الاستيطان في منطقة الجوف نشرها عام ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، وضمنها مجموعة فخارية من

(١) إبراهيم، محمد وآخرون، تقرير مبدئي عن نتائج الاستكشافات الأثرية في موقع المابيات الإسلامي- الموسم الأول ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، الأطلال، العدد التاسع، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ص: ١١٧ - ١٢١.

(٢) البراهيم، محمد وآخرون، تقرير حفرية الموسم الثاني ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، الأطلال، العدد العاشر، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ص: ٧٦ - ٧٨.

(٣) زارينس، يوريس، التنقيبات الأثرية جنوب تهامة الموسم الثاني ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. الأطلال، العدد العاشر، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ص: ٦٧ - ٦٩.

(٤) Ghabban, A. I. H. Introduction A L'etude Archeologique des deux Routes Syrienne et Egypytienne de Pelerinage. Universite de Provence Aix Marseillel Centre D'Aix Faculte des Lettres, 1988.

بعض المواقع الإسلامية[1]. وفي عام ١٩٩١م قدم الدكتور عبدالله ابن عبدالرحمن الدوسري رسالته لدرجة الدكتوراه تناولت دراسة الاستيطان الإسلامي في الإقليم الشرقي للمملكة العربية السعودية، وأورد فيها مجموعة من الفخار الإسلامي مختارة من عدد من المواقع ضمن دراسته[2].

ويمثل هذاالعرض دراسة مجموعات قليلة ومتفرقة من الفخار الإسلامي في المملكة لم تفض إلى وجود صورة واضحة لطبيعة وتطور الفخار الإسلامي، مما يجعل مهمة دراسة الفخار الإسلامي في المملكة مهمة لاتزال صعبة.

أ - الفخار والخزف:

قمنا خلال الدراسة الميدانية بجمع مجموعة من الكسر الفخارية والخزفية وفي هذا الفصل سنقوم بدراسة المجموعة المختارة آخذين في الاعتبار لون العجينة الفخارية وشكل الإناء ومعالجة السطح والزخرفة. وتتكون الكسر الفخارية من مجموعتين رئيستين، هما: الفخار غير المزجج (غير المطلي) والفخار المزجج (الخزف).

أ-١-مجموعة الفخار غير المزجج "Unglazed Ware":

وهي المجموعة السائدة في معظم مجموعات مواقع المسح بمنطقة القصيم، وتشتمل على نوعين، أحدهما يظهر بعجينة خشنة تكثر فيها كسر الحصى وذرات الرمل وبعض المواد العضوية، وينتشر هذا النوع في فخاريات

(١) Al - Muaikel, K. I. Study of the Archaeology of the Jawf Region. Riyadh: King Fahd National Library Publications, 1414/1994, pp. 205 - 293.

(٢) Al - Dosary, A. A. F., Carte Arch`eologigue Mdi`evale De La Region D'Al - Sharqiyya, En Arabie Seoudite. Unpublished Ph. D. Thesis, Lyon, - 1991,

الجرار وأواني الطبخ (القدور) وجرار التخزين. أما الزخرفة فإن غالبيتها في هذا النوع تتكون من زخارف دولابية محززة غائرة (ر٦)[١] (اللوحة رقم ٤٩ب، الشكل رقم ١٩)[٢] أو خطوط متوازية وغير عميقة منفذة بطريقة التمشيط (ض٩) (اللوحة رقم ٥٠أ، الشكل رقم ٢٣).

ويتمثل النوع الآخر بالفخار الذي تظهر عجينته نقية وتمتزج فيها شوائب قليلة من ذرات الرمل والحصى والمواد العضوية، ويتمثل في أغلب الأحيان في الأواني الصغيرة ذات السماكة الرفيعة، مثل: الأطباق، والزبديات، والأكواب، والقناني. ويكون هذا النوع ذا حرق جيد. أمّا الزخرفة فهندسية الطابع تمثلها عناصر على شكل خطوط رقيقة إلى جانب أقراص دائرية ومعينات أو خطوط متوازية منفذة بطريقة الحز، أو نقاط غائرة منفذة بطريقة القطع (ض ١٥ ـ أ س ٤)، (اللوحة رقم ٥٠ب، ٤٦أ، الشكل رقم ٢٤، ٨). كما يبدو أن الكتابة قد استخدمت على هذا النوع حيث يوجد كسرة من موقع ضرية تحمل كتابة كوفية بارزة (ض ١٠) (اللوحة رقم ٥٠ب، الشكل رقم ٢٤).

وعند مقارنة نوعي الفخار غير المزجج يظهر لنا التركيز على العناصر الزخرفية المتواجدة، التي تظهر على مجموعة فخار موقع الربذة[٣]، وموقع الدربحانية في الإمارات العربية المتحدة[٤]، والمواقع الإسلامية الأخرى في فلسطين[٥].

---

(١) (ر) رمز لموقع رامة، (أس) الأسياح، النباج، (ع) العوسجة، (ض) ضرية.

(٢) تم ترقيم اللوحات والأشكال حسب تصنيف وتسلسل أرقامها في الكشاف.

(٣) الراشد، درب زبيدة، ص: ٤٤٤.

(٤) طه، منير يوسف، «تنقيبات البعثة الآثارية العراقية مستوطنة الدريحانية بإمارة رأس الخيمة» «دولة الإمارات العربية المتحدة» تنقيبات الموسم الأول ١٩٧٣م ـ ١٩٧٤م»، سومر، العدد الحادي والثلاثون، ص ص: ٢٨٨ ـ ٢٨٩، اللوحة رقم ٣٦.

(٥) أبوخلف، مروان، «الحفريات الأثرية في المواقع الإسلامية في فلسطين: تاريخ وتقييم»، نشرة أبحاث بيرزيت، العدد الرابع، ١٩٨٧، ص ص: ٣٠ ـ ٤٥، ص ٩٣، الشكل ٨، أرقام ١ ـ ٤.

أ ـ ٢ ـ مجموعة الفخار المزجج "Glazed Ware" (الخزف) :

تم تصنيف مجموعة الفخار المزجج إلى أربعة أنواع، هي : أ ـ ٢ ـ ١ الخزف المطلي بلون واحد، وأ ـ ٢ ـ ٢ الخزف المطلي بألوان متعددة، وأ ـ ٢ ـ ٣ الخزف ذو الطلاء الزجاجي القصديري، وأ ـ ٢ ـ ٤ الخزف ذو البريق المعدني.

أ ـ ٢ ـ ١ – الخزف المزجج بلون واحد "Monochrome Glazed Ware" :

عثر في مواقع المسح على عدد من الكسر الفخارية المزججة بلون واحد. وتظهر عجينة هذا النوع باللون البني الباهت الذي يميل أحياناً إلى الإصفرار. وتظهر في العجينة كمية من ذرات بيضاء اللون وصغيرة الحجم.

أمّا الأشكال فإنها لا تخرج في الغالب عن الجرار الصغيرة، التي قد تكون كروية أو بيضاوية، ولها رقاب طويلة، وقصيرة أحياناً. كما يوجد كسر من أباريق، وقدور، وأكواب، وأطباق. وتكون القواعد عادية ومستوية، إلا أن من بينها ما يظهر بهيئة حلقية. وبالنسبة للمقابض فإنها قليلة وتقتصر على العرى الأفقية (Loop) من بينها ما هو مزخرف، وتستخدم العرى لإحكام غلق جرار التخزين (اس ٩) (اللوحة رقم ٤٦ ب، الشكل رقم ٩).

وبالنظر لمعالجة السطح يتضح أنها تقتصر على طبقة التزجيج التي تخرج إما باللون الفيروزي، أو باللون الأخضر. وتكون طبقة التزجيج سميكة نسبياً، كما يلاحظ وجود بقع بارزة منها حول حواف وقواعد الآنية، ربما أنها تكونت عند انصهار سائل التزجيج وتراكمه بكثافة في تلك الأماكن على أسطح الآنية، كما يلاحظ أن طبقة التزجيج قد تلاشت وتحللت من على أسطح بعض أجزاء الآنية. وقد يكون سبب ذلك إما عوامل التربة مثل الأملاح والتعرية، أو عدم إعداد التزجيج إعداداً جيداً.

أمّا الزخرفة فيلاحظ أن معظم كسر الآنية من النوع المعني هنا لا تحمل عناصر زخرفية، ويظهر عنصر زخرفي عبارة عن حزوز غائرة نسبياً تحت الطلاء تتركز على حواف وأعناق وأكتاف الآنية. وأحياناً تكون الزخارف بارزة وتتكون من شرائط وضفائر وأقراص تم تشكيلها قبل عملية التزجيج. وتلك العناصر الزخرفية تمت ملاحظتها في مجموعة فخار ضريّة والأسياح بصورة واضحة.

وفي محاولة للبحث عن مقارنات، وعند اتخاذ لون العجينة وطبيعتها، وكذلك طبقة التزجيج وحالتها، والعناصر الزخرفية المتوافرة، معايير لتحديد تاريخ مادته؛ فإن بداية إنتاج النوع الفخاري المعني هنا تعود إلى ما قبل الإسلام، فقد وجد ما يمكن أن يعتبر مشابهًا في قرية الفاو[1] وفي الأخدود في نجران[2]، وفي ثاج في المنطقة الشرقية[3]. وبالمثل وجد ما يشبه النوع الحالي في مواقع إسلامية. مبكرة كما هو الحال في الربذة[4]، وعدد من المواقع التي مسحها الدكتور سعد الراشد على امتداد طريق الحج الكوفي «درب زبيدة»[5]. وبالإضافة إلى ذلك فقد اعتبره دونالد ويتكومب من مجموعات

---

(١) الأنصاري، عبدالرحمن ، قرية الفاو. الرياض: مطابع جامعة الملك سعود، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٣٠:.

(٢) زارينس وآخرون، تقرير مبدئي عن مسح وتنقيب، نجران/ الاخدود، العدد ٧، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ص ص: ٣٥ ـ ٣٦.

(٣) قزدر ـ محمد صالح وآخرون، تقرير عن أعمال ونتائج الموسم الأول لحفرية ثاج ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، الأطلال، العدد الثامن، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. ص ص: ٧٦ ـ ٧٧.

(٤) الراشد، الربذة،ص ص: ١٠٤ ـ ١٠٥.

(٥) الراشد، الآثار الإسلامية، ص ص: ٢١٩ ـ ٢٢٠.

الفخاز الإسلامي المبكر في مواقع شرق المملكة العربية السعودية[1]. كما اعتبره فهر فاري Feher vari من أقدم أنواع الفخار الإسلامي[2].

ومن خارج المملكة العربية السعودية نجد هذا النوع بعجينته وعناصره الزخرفية مادة شائعة في الحيرة[3]، وسامراء[4]، وسوسة[5]، وسيراف[6]. ويعتقد البعض أن الفخار المزجج باللون الأخضر يؤرخ إلى الفترة مابين القرن الثامن والتاسع الميلاديين وربما أقدم[7]. واستناداً إلى ما ذكر آنفاً، فإننا نميل إلى تاريخ مادتنا من هذا النوع إلى ما بين القرنين الثامن والتاسع الميلاديين، أي القرنين الثاني والثالث الهجريين، إن لم تكن أقدم. ونميل إلى ذلك التاريخ اعتماداً على طبيعة وتاريخ المواقع ذات العلاقة، وكون المادة موضع الدراسة سطحية، تعقب ما تحتها زمنياً في غالب الظن، إضافة إلى وجود مادة فخارية مشابهة في مواقع أخرى.

أ-٢-٢-الخزف المطلي بألوان متعددة "Splashed Ware" :

تم العثور على كسرتين من الخزف المطلي بألوان متعددة "Polychrome Ware" جمعت من موقعي العوسجة (ع-٩) (اللوحة رقم ٤٨ب، الشكل رقم

(١) ويتكوم، أطلال، الآثار الإسلامية في الاحساء، ص: ١١٤.

(٢) Feher Vari, G. Islamic Pottery London: Faber and Faber Limited, 1973, P. 34.

(٣) Rice, D.T. The Oxford Excavations at Hira, 1931. Antiquity, no. 6(23), 1932, P.291.

(٤) فريد ريش زرة وايرنست هرتسفلد، تنقيبات سامراء ص: ٣٨.

(٥) Koechlin, R. Chinese Influence in the Musulamn Pottery of Susa. Eastern Art, July 1928, PP. 3 - 12.

(٦) White house, Excavations at Siraf, First Interim Report. Iran, no. 6, 1968, PP. 1 - 22.

(٧) Grube, E.J. Islamic Pottery of the Eighth to the Fifteenth, Century in the Keir Collection. London: Faber and Faber Limited, 1976, PP. 25 - 26.

١٦) والأسياح. وهذا النمط من الخزف يعد من أقدم أنماط الفخار في الشرق الأدنى ويعتقد البعض بأنه قد تأثر بالخزف الصيني المستورد من عهد الأسرة التنجية، وهذا النمط من الفخار كان معروفاً في العصر العباسي إذ وجد في كثير من المواقع الإسلامية مثل درب زبيدة(١)، وسامراء، وسيراف، والمينا، ونيسابور، وخربة المفجر(٢). وبشكل عام، يذكر الدكتور فهرفاري أن البعض يعتقد أنه يعود إلى الفترة الأموية بتاريخ منتصف القرن الثامن الميلادي(٣).

وقد وجد على إحدى القطع التي عثر عليها تزجيج قصديري فضي عليه خطوط سوداء (Stripes) على أرضية مخضرة من الداخل، بينما تحمل الكسرة الثانية زخرفة مكونة من عناصر من زخارف نباتية زرقاء كوبالتية تحيط بها بقع خضراء (Splashes) (اس-١٩) (اللوحة رقم ٤٧ أ، الشكل رقم ١١)، وهي جزء من طبق. وعلى ضوء الملاحظات والمقارنات الأولية يمكن أن نقول: إن هذه القطع ربما وردت من بلاد ما بين النهرين أو بلاد فارس، وأنها ربما تعود للقرن الثامن أو التاسع الميلادي، إذ أن حفريات سوسة وغيرها تشير إلى ازدهار هذه الزخارف المبقعة في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي(٤).

أ-٢-٣-الخزف ذو الطلاء الزجاجي القصديري "Tin Glazed Pottery":

ضمت مجموعة الخزف الذي عثر عليه في موقع ضريّة والعوسجة ثلاث كسر لأطباق وزبديات ذات تزجيج أبيض قصديري خال من الزخارف

---

(١) سعد بن عبدالعزيز الراشد، درب زبيدة، ص: ٤٣٩.

(٢) Baramki, D.C. The Pottery from Kh. El - Mefijer. Quarterly of the Department of Antiquities in Palestine, vols. 9 - 10, 1939 - 1943, PP. 65 - 103; Whitcomb, D.S. Khirbet al - Mafjar Reconsidered; the Ceramic Evidence. Bulletin of the American School of Oriental Research, no. 271, 1988, PP. 15 - 67.

(٣) Fehe`rva`ri, Islamic Pottery, PP. 35 - 36.

(٤) Feh`erv`ari, Islamic Pottery, P.36

في أغلب الأحوال (ض ١٦، ١٧، ١٨،) (اللوحة رقم ٥١أ، الشكل رقم ٢٥) (ع ١٠) (اللوحة رقم ٤٨ ب، الشكل رقم ١٦). وهذه الكسر في شكل قواعدها وحوافها تشابه ماعثر عليه في مواقع درب زبيدة وسامراء من حيث الحواف المائلة للخارج والقواعد الحلقية السميكة وغير المرتفعة، كما أنها تشابه ما عثر عليه في الربذة والذي يعود تاريخه التقريبي للقرن التاسع الميلادي[١].
وتضم مجموعة هذا الفخار المزجج بعض الكسر القليلة المزخرفة باللون الأزرق الكوبالتي أو الأخضر الأرجواني (ض١٩) (اللوحة رقم ٥١ب، الشكل رقم ٢٦).

وهذا النمط من الخزف القصديري تعود صناعته إلى أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الميلادي، أي في العصر العباسي. ويعتقد أنه ربما كان تقليداً للبورسلين الصيني الأبيض الذي كان معروفا في عهد الأسرة التنجية. وعرف لأول مرة ببلاد المسلمين في بلاد الرافدين. وقد سبق أن عثر على هذه الأنماط من الخزف في عدة مواقع من درب زبيدة مثل الربذة[٢]، والبدع وفيد ومعدن النقرة، كما عثر عليها في سامراء. ويبدوأن تقنية هذا النوع من الخزف قد انتشرت من العراق إلى بقية أقاليم العالم الإسلامي إذ عثر على أنواع خزفية قصديرية في الرقة في سوريا[٣]، والفسطاط بمصر ومواقع أخرى في بلاد فارس مثل سوسة، وسيراف[٤].

---

(١) الراشد، الربذة، ص ص: ١٠٦ ـ ١٠٨

(٢) الراشد، الربذة:، ص ص: ١٠٥ ـ ١٠٦، ١٠٨، ١٧٤

(٣) Lane, A. Medievail Finds at al Mina in North Syria. Archaeologia, no. Lxxxv, 1938, PP. 19 - 78.

(٤) Fehervari , Islamic Pottery , PP. 24 - 34.

أ-٢-٤-الخزف ذو البريق المعدني "Lustre Ware" :

تم العثور في مواقع المسح على كسرة واحدة من بدن طبق في موقع ضريّة (ض ٢٢) (اللوحة رقم ٥٢ أ) من الخزف ذو البريق المعدني، وهي من النمط المبكر المتعددة الألوان، إذ أن الكسرة عليها رسوم مزججة معدنية لامعة نباتية بلون عسلي وبنفسجي على أرضية بيضاء قصديرية. وأقرب ما يماثل زخارف هذه الكسرة هو ما عثر عليه في موقع البدع[١]، وسامراء[٢]. ويعتقد أن هذا النمط من الخزف من الأنواع المبكرة المعروفة في العراق[٣] ويؤرخ للقرن التاسع الميلادي. إلا أن هناك من يعتقد أنه مستمد جذوره من صناعات سابقة للإسلام، خاصة في العصر الفرعوني وكذلك أيضاً فيما بعد في العصر القبطي في مصر، ويعتقد أن صناعة هذا الخزف ظهرت بعد اختراع واستخدام الخزف القصديري حيث كانت الألوان المعدنية ترسم على سطح أبيض وتثبت الألوان بعد ذلك بواسطة حرقها مرة أخرى حيث تعطي ألوانها بريقا معدنيا لامعا[٤].

استخدم البريق المعدني في صناعة الخزف بصورة واسعة في بغداد وسامراء في العصر العباسي وانتشر بعد ذلك في عدة بلدان مثل: إيران، ومصر، وسوريا، والجزائر، وبلاد الأندلس، ومناطق في شبه الجزيرة العربية[٥]. كما عثر على كسر من الخزف ذي البريق المعدني في بعض

(١) الراشد، درب زبيدة، ص: ٤٣٦.

(٢) فريد ريش زره وارنست هرتسفلد. فخاريات سامراء المزججة. ترجمة علي يحيى منصور. بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٥، ص ص: ٣٩ - ٤٠.

(٣) الراشد، درب زبيدة، ص: ٤٣٦

(٤) سعاد ماهر، الفنون الإسلامية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦، ص ص: ٢٦ - ٢٨.

(٥) زارينس، الاستكشافات الأثرية، أطلال، ص: ٨٤، لوحات ٩١ - ٩٢. إبراهيم وآخرون، تقرير مبدئي، ص ص ١١٧ - ١١٨، لوحات ١١٠ - ١١١، البراهيم وآخرون، تقرير حفرية، ص٧٧، اللوحة رقم ٧١ب.

مواقع درب زبيدة مثل: زبالة، وفيد، ومعدن النقرة، في حفائر الربذة[١].

ب ـ الحجر الصابوني:

خلال المسح الأثري للمنطقة تم جمع بعض الكسر المصنوعة من الحجر الصابوني في موقع ضريّة، وهي أجزاء من قدور طبخ، وأطباق، ومسارج. وتميل مادتها إلى اللون الرمادي المسود، وتظهر على قليل منها زخارف منقوشة ومنحوتة. وتضم المجموعة حوالي اثنتي عشرة قطعة من حواف، وقواعد مختلفة الأشكال والأحجام. وتوجد في بعضها ثقوب وبقايا معدنية مما يدل على أنها قد رممت. كما تضم المجموعة حوالي ثلاثًا وعشرين كسرة من بدن، يظهر على بعضها آثار الترميم متمثلة بقطع المعادن والثقوب الباقية بعد أن تآكلت قطع المعادن وأصابها الصدأ (اللوحة رقم ٥٥أ، الشكل رقم ٤١، الشكل رقم ٤٧).

وغالبية هذه القطع تماثل في بنيتها وزخارفها وأشكالها ما عثر عليه في المواقع الإسلامية الأخرى الواقعة على درب زبيدة، مثل: مواقع الربذة، وزبالة، وسميرا، ومعدن النقرة. وقد عثر بالقرب من الربذة على محجر قديم للحجر الصابوني[٢]. وتماثل هذه الكسر، أيضًا، ما عثر عليه في مواقع إسلامية أخرى، مثل: الحيرة، وسامراء، وسيراف. ولا شك أن معرفة تأريخ أواني الحجر الصابوني غير يسيرة إلا إذا وجدت ضمن تسلسل طبقي[٣]. ودراسة منشأ وتطور أواني الحجر الصابوني في المواقع الإسلامية لاتزال في المهد.

---

(١) الراشد، الربذة، ص ص: ١٠٥ ـ ١٠٧.

(٢) الراشد، الربذة، ص ص: ٨٥ ـ ٨٦.

(٣) al - Gailani, L., Steatite Stone Vessels from Mesopotamia and Elsewhere. Sumer, no. XXI (1 - 2), 1957, pp. 14 - 48.

ولاشك أن دراستها بتعمق ربما تفيد كثيرا في تحديد فتراتها التاريخية بالمقارنة مع المعثورات الأخرى، وبالتالي معرفة الأنماط وتطورها في كل حقبة ومنطقة.

جـ - الكسر الزجاجية:

تم جمع عينات من الكسر الزجاجية أثناء المسح من مواقع: الأسياح، والعوسجة، وضريّة. وهي عبارة عن أجزاء من أوان وقوارير ودوارق. ولون العجينة الزجاجية في أغلب هذه الكسر معتم ومائل للخضرة. كما تضم المجموعة ثلاث كسر لون عجينتها مائل للسواد، وكسرة ذات عجينة زرقاء شفافة، وأخرى ذات عجينة بنّية قاتمة وشفافة. وأغلب تلك الكسر هي أجزاء صغيرة تعرض بعضها لعوامل التعرية، مما أدى إلى تغيير ألوانها. وقليل منها عليه زخارف عبارة عن حزوز غائرة، متوازية، ومستقيمة، أو في شكل أفريز بارز. (اللوحة رقم ٤٧ب، الشكل رقم ١٣، اللوحة رقم ٤٩أ، الشكل رقم ١٧، اللوحة رقم ٥٥ب، الشكل رقم ٤٨) ولندرة الزخارف المميزة، وقلة الكسر، فمن الصعب دراستها وتحديد معالم تاريخها.

وبمقارنة الكسر المعنية مع ما يشابهها في درب زبيدة[١]، والعراق[٢]، يمكن تحديد فترتها التاريخية فيما بين القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، أي الفترة العباسية. واستناداً إلى المقال الذي كتبته هناء عبدالخالق، يمكن أن يكون التاريخ أقدم قليلاً[٣] - كما يؤيد ذلك ما كتبه كولباس عن تاريخ الزجاج الإسلامي طبقاً للون مادته[٤]، وتجدر الإشارة إلى أن الزجاج في شبه الجزيرة العربية قد

(١) الراشد، درب زبيدة، ص ص: ٤٤٧ - ٤٤٩.

(٢) عبدالخالق، هناء، ميزات الزجاج العراقي في العصور الإسلامية، سومر، العدد التاسع والعشرون، ١٩٧٣م، ص ص: ٢٠٧ - ٢٢١.

(٣) عبدالخالق، هناء - كيف نؤرخ باستخدام الزجاج. في: النقائش والكتابات القديمة في الوطن العربي، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ص: ١٦٧ - ١٧٠.

(٤) Kolbas, J.G., (A Colour Chronology of Islamic Glass.) Journal of Glas Studies, no. 25, 1983, pp. 95 - 100.

كان شائعاً قبل الإسلام، وهناك الكثير من الأبحاث التي تدل على وجوده في مواقع إسلامية مبكرة جداً[1]. ويدل على معرفة مكان المنطقة به وروده في معلقة عنترة بن شداد العبسي حيث يقول :

بزُجاجَةٍ صَفْراءَ ذاتِ أسِرَّةٍ قُرِنَتْ بأزْهَرَ في الشّمال مُفَدَّمِ[2]

د ـ الكسر البرونزية :

وتضم هذه المجموعة كسرتين من البرونز (اللوحة رقم ٥٦أ، الشكل رقم ٤٩) التقطتا من موقع ضريّة، إحداهما تبدو كأنها جزء من ملعقة، والثانية جزء من أداة عليها زخارف محززة مستقيمة ومتوازية. والقطع المعدنية البرونزية وتطورها وأشكالها وزخارفها في العصور الإسلامية المختلفة في المملكة العربية السعودية وشبه الجزيرة العربية لم يتطرق لها الباحثون بالتفصيل حتى الآن. ولعل ما عثر عليه في تنقيبات موقع الربذة من معادن بعد نشره بشكل مفصل يميط الكثير من الغموض الذي يكتنف هذا النمط من المعثورات. وقلة المعثورات البرونزية التي تم العثور عليها في مواقع المسح جعل من الصعوبة مقارنتها مع المواقع الأخرى. ويمكن تأريخها نسبيا إلى تاريخ المواد الأخرى المرتبطة معها على السطح مثل الفخاريات والخزف التي سبق أن أشرنا إليها أعلاه.

الاستنتاجات :

على الرغم من أن مادة المعثورات الأثرية التي تعاملنا معها قد التقطت من

---

(١) عن الزجاج القديم، انظر الانصاري، الفاو، ص ص: ٢٨ ـ ٢٩.

Lane, A., and R. B. Serjeant, Pottery and Glass from the Aden Littoral with Historical Notes. Journal of the Royal Asiatic Society, 1947 - 1948, PP. 108 - 133.

(٢) الزوزني، أبوعبدالله الحسين بن أحمد بن الحسين، شرح المعلقات السبع، بيروت: دارصادر، بدون تاريخ، ص: ١٤٦.

أسطح المواقع، إلا أن دراستها المقارنة جاءت مفيدة بخصوص معرفة الفترة الزمنية الرئيسة. ويتبين من الدراسة أن مادة الفخار من المواقع ذات العلاقة تشير إلى تطورها عن الفخار السابق للفترة الإسلامية، وذلك خلال العصر الإسلامي المبكر، وعلى وجه التقريب حتى انتهاء الحقبة العباسية المبكرة، أي أواخر القرن الثالث الهجري.

فنلاحظ أن الفخار غير المزجج بنوعيه يمثل الغالبية العظمى في جميع المواقع التي شملها المسح. ثم يأتي الفخار المزجج بلون واحد، إما أن يكون أخضر، أو أزرق غامقا. وكلاهما من الأنواع التي كانت معروفة خلال العصر السابق للإسلام، واستمرا خلال العصر الإسلامي مع اختلاف في أسلوب التلوين وتنوع صناعة الأواني المزججة. ثم يأتي الفخار المزجج بألوان متعددة والذي لم نعثر منه إلا على كسر قليلة من موقعين، هما: النباج، والعوسجة، والذي يعتقد الدارسون أنه استمرار لصناعات قديمة، ولكنه أتقن خلال العصر العباسي المبكر. وبعد ذلك نجد الخزف ذا الطلاء القصديري الذي عثر منه على كسر قليلة في موقعي ضريّة والعوسجة، وهو أيضاً من أنواع الخزف الإسلامي المبكر. وأخيراً يأتي الخزف ذو البريق المعدني الذي يندر وجوده في مواقع المسح، واقتصر ما عثرنا عليه على كسر قليلة وجدناها في موقع ضريّة فقط.

وبالنسبة للزجاج فيبدو أنه من الصناعات القديمة أيضاً وماعثرنا عليه يعود إلى أوائل العصر الإسلامي، فلم نعثر على الأنواع المتطورة ذات الرسوم، أو الأنواع المتقنة الصناعة التي ظهرت بعد ذلك.

وبخصوص كسر أواني الحجر الصابوني فإنها من الأنواع الإسلامية المبكرة حيث أنها تفتقر إلى العناصر الزخرفية التي تميز الأواني السابقة للعصر الإسلامي.

أما فيما يتصل بالمعثورات البرونزية فهي قليلة، ولا تسمح طبيعتها بمعرفة عصرها، إلا أن وجودها مع المعثورات السالفة الذكر يوحي بأنها تعود إلى العصر الإسلامي المبكر.

وخلاصة ما تقدم تدعونا إلى الاعتقاد بأن مواقع الدراسة قد ازدهرت خلال الفترتين، الأموية والعباسية المبكرة، ثم أخذ الاستيطان بالتدهور التدريجي نتيجة لظروف سبقت الإشارة لها في الفصلين الأول والثالث.

ثالثاً : النقوش الكتابية :

تم العثور على مجموعة من النقوش الكتابية خلال الدراسة الميدانية في موقع ضرية في جنوب غرب منطقة القصيم. وقد تركزت هذه النقوش في موقع ضرية، حيث لم نعثر على كتابات إسلامية أخرى في المواقع التي شملت عينة الدراسة، غير أن ذلك لا يعني غياب الكتابات الإسلامية في المواقع التي لم تدخل في إطار الدراسة التفصيلية.

وتوجد نقوش أخرى في منطقة القصيم منها النقوش على جبل النصلة في النباج، وهي عبارة عن نقوش وكتابات ثمودية ووسوم وبعض الأحرف العربية التي لا تكون كلمات واضحة وهذا ما يضعها خارج إطار الفترة الزمنية لهذه الدراسة.

وكذلك الحال بالنسبة للنقوش على هضبة رامة، وهي نقوش ثمودية ووسوم بادية.

أما النقوش على جبل الكويفر بالقرب من النبهانية فقد شملت نقوشاً إسلامية أشار إليها صالح الوشمي إلى جانب أنها تقع خارج المنطقة التي اختيرت عينة للدراسة المفصلة.

وسنعرض هنا لمجموعة النقوش التي عثرنا عليها في موقع ضرية. وقدتم تصوير كل نقش وتفريغه، ثم محاولة قراءته وفهم مدلوله.

١- نقش في طلب المغفرة (القرن الثالث الهجري) :

يقع هذا النقش في وسط جبل سناف، ويتكون من ثلاثة أسطر نقشت بالحفر على واجهة صخرية خشنة. ويقرأ النقش على النحو التالي :

١ ـ اللهم اغفر

٢ ـ لحكيم بن ابراهيم

٣ ـ ذنبه ونور له في قبره

ويتضح من النص أنه نقش لطلب المغفرة لحكيم بن إبراهيم الذي يحتمل أنه توفي ودفن في ضرية. والنقش خال من النقط، ومن أسلوب الكتابة يمكن تحديد تاريخه إلى القرن الثالث الهجري.

أما صاحب النقش فلم نعثر له على ترجمة فيما توفر لدينا من مصادر وإن كان من الأسماء الشائعة في العصور الإسلامية المبكرة.

ويلاحظ على النص أنه كتب بخط غير متقن ربما بسبب خشونة الواجهة الصخرية. كما يلاحظ أن المسافة بين الكلمات والأسطر غير متناسقة، وأيضا بداية الأسطر ونهايتها غير متساوية، إلا أن الأسطر تبدو مستقيمة مع ميل من جهة اليمين، والأحرف تبدو في الحجم نفسه، ولغة النقش سليمة.

بعض كلمات النقش غير واضحة، فالسطر الثاني يبدأ بالاسم (لحكيم) والتي قد تُقرأ (لجهم)، كما أن الألف في (إبراهيم) بعد حرف الراء ناقصة. وفي السطر الثالث تبدو عبارة (قبره) غير واضحة، استدل عليها من خلال

السياق، ويمكن تاريخ النقش إلى القرن الثالث الهجري. (اللوحة رقم ٥٧أ الشكل رقم ٥٠).

٢ - نقش في طلب المغفرة (القرن الثاني ـ الثالث الهجري) :

١ ـ اللهم اغفر

٢ ـ لجحيش بن محمد

ويتضح من النص أنه عبارة عن دعاء للمغفرة، ولا يحمل تاريخاً، ومكتوب بالخط الكوفي وخال من التنقيط، ويشير إلى اسم جحيش بن محمد، وقد يقرأ للحسن.

ويصعب معرفة صاحب النقش، أما الاسم (جحيش) فهو من الأسماء غير المتداولة بشكل واسع. وأما اسم الحسن فإنه من الأسماء الشائعة.

هذا وقد كُتبَ النص بخط جيد، ويدل على تمكن ومهارة صاحبه، فالحروف متناسقةَ في حجمها، والأسطر في بدايتها ونهايتها متوازية. وربما ساعدت نعومة اللوح الصخري، كاتب النقش على جودة الخط، ويلاحظ أن الألف في (اللهم) (اغفر) قد كتبت قائمة ولها ذنب معقوف نحو اليمين، كما يُلاحظ ميل في كتابة الميم والراء في الكلمتين ذاتهما، ولا يبدو النقش مائلاً من أي اتجاه، كما أن لغة النقش سليمة. (اللوحة رقم ٥٧ ب).

٣أ - نقش في إثبات الثقة بالله (القرن الثاني ـ الثالث الهجري) :

على واجهة صخرية قليلة الخشونة كتب نقش يتكون من سطرين ويقرأ كالتالي:

١ ـ الله ثقة محمد

٢ ـ بن أحمد وولده.

يمثل هذا النص دعاء في طلب الثقة بالله ، ولا يحمل تاريخاً، وهو مكتوب بالخط الكوفي خالٍ من التنقيط ، ويحمل اسم محمد بن أحمد، الذي يطلب ثقة الله له ولولده. والدعاء لا يحمل البسملة ويصعب تحديد هوية صاحب النقش ، أما الأسماء ذاتها فهي أسماء شائعة (محمد، أحمد) .

والنص مكتوب بخط جيد وواضح ، حيث الحروف والكلمات منسجمة ومتناسقة ، والمسافات بينها متساوية ، والأسطر متوازية . وهناك ميل من جهة اليمين ، ويلاحظ الاتفاق في كتابة الحرفين الميم والدال في كلا الاسمين محمد، وأحمد .

يلاحظ أن كلمة (ابن) في بداية السطر الثاني ينقصها الألف ، ولكن هذا الأسلوب في كثير من النقوش الإسلامية كما أن كتابة الدال في (ولده) غير واضحة . ويمكن قراءة هذه الكلمة على أنها (وليه) حيث أن حرف (الدال) في (وولده) لا تبدو مشابهة لحرف (الدال) في (محمد، وأحمد) . ولكن من ناحية الصياغة في أسلوب الدعاء تكون قراءتنا الأولى هي الأقرب للصواب . (اللوحة رقم ٥٨ أ الشكل رقم ٥١) .

٣ ب - نقش في الإيمان بالله (القرن الثاني ـ الثالث الهجري) :

يتكون هذا النقش من سطرين وقد كتب على واجهة صخرية خشنة، ويقرأ كالتالي :

١ ـ الله إله محمد

٢ ـ بن علي ووليه

هذا النص يمثل إحدى العبارات الدعائية الإيمانية ولا يحمل تاريخاً، وهو مكتوب بالخط الكوفي وخال من النقط ويشير إلى اسم محمد بن علي. والاسم المشار إليه (محمد بن علي) شخص غير معروف.

وحروف النص واضحة بالرغم من خشونة السطح الذي حفرت فيه، والأسطر مائلة من جهة اليمين، ويلاحظ أن حرف الألف في كلمة (ابن) في بداية السطر الثاني غير مكتوبة، ويلاحظ أن حرف الياء في اسم علي قد رسمت بطريقة زخرفية حيث ينتهي طرف الحرف على شكل نصف دائرة في قلب الياء.

هذان النقشان (أ، ب) متجاوران وربما كانت هنالك علاقة فيما بينهما رغم أن النقش (أ) مكتوب بخط أكبر من نقش (ب)، إلا أن رسم بعض الحروف كحرف (الدال) و(الميم) متشابه. فكلاهما يبدأ بلفظ الجلالة (الله) ويتكرر فيهما محمد في الكلمة الثالثة. وفي الحالتين يغيب (الألف) في (ابن). وفي الحالتين ترد في نهاية السطر الثاني عبارة (ووليه) أو(وولده) وهي في الحالتين لا تخل بالمعنى، وأغلب الظن أن كاتب النقشين شخص واحد، واسمه محمد. (اللوحة رقم ٥٨ أ الشكل رقم ٥١).

٤ أ- نقش في الشهادة (القرن الثاني-الثالث الهجري):

على واجهة صخرية خشنة كتب نقش يتكون من ثلاثة أسطر ويقرأ كالتالي:

١-محمد بن أبي السلم

٢-يشهد أن لا إله إلا الله

٣-وحده

النص عبارة إيمانية لإثبات وحدانية الله، وهو مكتوب بالخط الكوفي غير المنقوط، ويحمل اسم محمد بن أبي السلم، والنقش يحمل عبارة التوحيد والنصف الأول من الشهادة (يشهد أن لا إله إلا الله)، أما صاحبه محمد بن أبي السلم، فلا نعرف له إشارة في المصادر، غير أنه من الأسماء المتداولة. والنص مكتوب بخط جيد يدل على تمكن ومهارة الناقش، والحروف والكلمات واضحة ومتناسقة، والأسطر مستقيمة ومتوازية. غير أن اسم (محمد) في بداية السطر الأول كتبت بخط أصغر، وكذلك الحال بالنسبة لعبارة (يشهد) في بداية السطر الثاني. كما نلاحظ أن عبارة وحده في السطر الثالث لم تكتب في بداية السطر كما يتوقع، والكتابة تحمل سمة زخرفية تظهر في حروف الألف، واللام أكثر من غيرها، حيث تكتب الألف قائمة بذنب في أسفلها بميل إلى اليمين. ويُكتب الجزء العلوي من الألف واللام على هيئة شراع. وقد أشار الوشمي لهذا النقش دون إعطاء قراءة كاملة ولم يقم بتحليل فحواه[1]. (اللوحة رقم ٥٨ ب الشكل رقم ٥٢).

٤ ب - نقش في طلب المغفرة (القرن الثاني ـ الثالث الهجري) :

كتب هذا النقش على واجهة صخرية خشنة ويتكون من سطرين:

١ ـ اللهم اغفر لحسن

٢ ـ بن أيوب

هذا النقش عبارة عن نص دعائي، وطلب المغفرة، ولا يحمل تاريخاً.

(١) الوشمي، طريق الحج العراقي . اللوحة رقم (٢) ص: ٢٧١.

وهو مكتوب بالخط الكوفي، الخالي من النقط، ويشير إلى اسم الحسن ابن أيوب، وهو اسم لشخص غير معروف[1].

وأحرف النقش واضحة وكلماته متناسقة، إلا أننا نلاحظ أن بداية السطر الثاني لا تتفق مع بداية السطر الأول ربما لصعوبة الكتابة في ذلك الجزء من اللوح الصخري، كما أن (الألف) في كلمة (ابن) في بداية السطر الثاني غير موجودة، وكتبت الحروف القائمة بذنب في أسفلها يميل إلى الجهة اليمنى. ولا نلمس ميلاناً في خط النقش. (اللوحة رقم ٥٨ ب، الشكل رقم ٥٢).

والنقش (ب) يأتي مباشرة أسفل النقش (أ). وقد يبدو النقش (ب) للوهلة الأولى جزءاً من النقش (أ)، إلا أنه نقش قائم بذاته للأسباب التالية:

١ ـ الخط في النقشين مختلف، فرسم الحروف في نقش (أ) أكثر إتقاناً.

٢ ـ الطابع الزخرفي الذي يميز النقش (أ) لا يشاهد في النقش (ب).

٣ ـ الأسماء التي ترد في النقشين مختلفة.

٥ – نقش في التوكل على الله (القرن الثاني ـ الثالث الهجري):

يتكون هذا النقش من سطرين كتبا على واجهة صخرية خشنة ويقرأ كالتالي:

١ ـ حسن بن أحمد يتوكل.

٢ ـ على الله.

هذا النص عبارة عن نقش إيماني لإثبات التوكل على الله وقد كتب بالخط

---

(١) شيحة مصطفى عبدالله، شواهد قبور إسلامية من جبانة صعدة باليمن، القاهرة، مكتب مدبولي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، جـ١، ص: ٥٦. وللمزيد انظر نفس المرجع، ص ص: ٥٣ ـ ٦٨.

الكوفي الخالي من الزخرفة والنقط . وصاحب النقش هو حسن بن أحمد، لم نعثر له على ترجمة وإن كان من الأسماء المألوفة .

يُلاحظ رداءة الخط وعدم وضوح بعض الحروف مثل : (اللام) في يتوكل، و(العين) في على. وكذلك الحال بالنسبة لبعض الكلمات مثل (بن). والحروف غير منقوطة.

وفي بداية السطر الثاني نلاحظ آثار كتابة لكلمة غير مقروءة وإن كانت لا تؤثر على سياق النص. والمسافات بين الكلمات غير متناسقة. (اللوحة رقم ٥٩ ب، الشكل رقم ٥٣).

٦ - نقش في طلب المغفرة (القرن الثاني - الثالث الهجري) :

كتب هذا النقش على واجهة صخرية خشنة، ويتكون من ثلاثة أسطر تقرأ كالتالي :

١ - بسم الله الرحمن الرحيم

٢ - اللهم اغفر لمحمد

٣ - بن حسين (ذنبه)

ونلاحظ أن هذا النص قد كتب لطلب المغفرة لشخص يدعى : محمد ابن حسين، وهو من الأسماء المألوفة في العصور الإسلامية المبكرة، غير أنه يصعب تحديد هويته. وهذا النقش يكاد يكون الوحيد من بين مجموعة ضرية الذي كتبت فيه البسملة، وحروف النقش خالية من النقط، والنص بصفة عامة غير متقن التنفيذ حيث يظهر عدم الالتزام بحجم الحروف والمسافات بين الأسطر، وبعدد الكلمات في كل سطر، ونلاحظ في كلمة (الرحمن) التوافق

مع الرسم القرآني في المصحف. ويلاحظ على النقش انحرافه نحو اليسار. بعض الكلمات غير واضحة مثل عبارة (لمحمد) في آخر السطر الثاني، و(ذنبه) في آخر السطر الثالث، كما أن كلمة (ابن) في بداية السطر الثالث ينقصها (الألف). (اللوحة رقم ٥٩ أ، الشكل رقم ١٢).

٧ - نص قرآني (القرن الثالث الهجري):

يتكون هذا النقش من أربعة أسطر كتبت على واجهة صخرية ملساء تقرأ كما يلي:

١ـ وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا

٢ـ الحزن إن ربنا لغفور شكور الذي أ

٣ـ حلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا

٤ـ فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب

هذا النص عبارة عن نص قرآني للآيتين الكريمتين: ٣٤، ٣٥[١] من سورة فاطر. ﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن إن ربنا لغفور شكور ۞ الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب﴾.

والنقش غير مؤرخ، ولا يبدأ بالبسملة، ويبدو أن كاتبه استشهد به بعد أن وصل إلى هذا المكان الآمن بعد رحلة عناء وتعب وخوف من مجهول، والآيات هذه يستشهد بها في مثل هذه المواقف، خاصة وأن مضمون «الحزن» هو الخوف، ومضمون «النصب» و«اللغوب» هو التعب[٢].

---

(١) القرآن الكريم، سورة فاطر، الآيتان رقم: ٣٤، ٣٥.

(٢) الصابوني، محمد علي، مختصر تفسير ابن كثير، بيروت، ١٤٠٢/ ١٩٨١م، جـ٣، ص ص: ٤٩ ـ ٥٠.

والنقش خالٍ من النقط وكتب بخط كوفي جيد ومتقن، ربما يعود ذلك إلى تأثير صنعة الكتابة على النقاش المتمكن، حيث نلاحظ وضوح الخط وتناسقه وجماله، فالحروف متساوية في رسمها والمسافات بين الكلمات وبين الأسطر متناسبة ومتوازية. أما الحروف فلم تنقط. ويلاحظ أن (الألف) في كلمة أحلنا قد انفصل عن باقي الكلمة فجاء في آخر السطر الثاني، بينما جاءت تتمة الكلمة في بداية السطر الثالث، والسبب في ذلك يعود إلى وجود فراغ لابد من ملئه ليتناسب مع السطرالأول.

ويلاحظ كذلك أن الألف كُتبت قائمة بذنب مائل نحو اليمين، والميم تكتب أحياناً مثلثة ومدورة أحياناً، وتلك من السمات التي ميزت القرنين الأول والثاني الهجريين، ونلاحظ أن النقش يجمع ما بين الكتابة الحجرية بخط يابس قائم مثل الألف القائمة بذنب في أسفلها يميل إلى اليمين في (الحمد) و(أذهب)، وبين الخط الدائري اللين كما في الزاي، والنون، والراء مثل: «الحزن، إن ربنا لغفور شكور». ويمكن تحديد تاريخ كتابة النقش بالقرن الثالث الهجري. (اللوحة رقم٦٠ أ، الشكل رقم ٥٥).

٨ - نقش في طلب الجنة (القرن الثالث الهجري):

على واجهة صخرية خشنة كتب نص في الدعاء يتكون من خمسة أسطر تقرأ على النحو التالي:

١ ـ اللهم اذ

٢ ـ اجمعت الأولين والآ

٣ ـ خرين لميقات يوم معلوم

٤ ـ فاجعل يحيى بن ذئيب (ذييب)

٥ ـ من رفقاء محمد في الجنة

هذا النص دعاء لشخص يدعى يحيى بن ذييب، لعله نفس الشخص الذي سيأتي ذكره في النقش رقم (١٠) والذي سنوضح فيه صحة الاسم. ويبدأ النقش بلفظ الدعاء «اللهم» ثم يلحقه بالعبارة «إذا جمعت الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم»، وهذه الصيغة مقتبسة من عدد من الآيات القرآنية، ومن ذلك قوله تعالي: (قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم) «الواقعة آية ٤٩». ويطلب صاحب النقش أن يجعله الله من رفقاء محمد صلى الله عليه وسلم في الجنة. وهذه الصيغة في الدعاء نجدها دائماً على الكتابات الشاهدية في القرن الثالث الهجري في الجزيرة العربية[١]. (اللوحة رقم ٦٠ ب).

النقش مكتوب بخط كوفي جيد ومتقن، فالحروف متسقة في شكلها، والأسطر متوازية تقريباً، ونلاحظ الوحدة في كتابة الأحرف مثل الألف والهاء والميم واللام. ونلاحظ أن الكتابة قد اتخذت منحى فنياً زخرفياً. حيث يظهر في أعلى حرف الألف واللام ونهاية معظم الحروف على هيئة شراع، والحروف هنا خالية من النقط أيضاً، وهناك تفاوت في طول الأسطر كما أن كلمة الآخرين قد شُطرت بين السطرين الثاني والثالث. وفي ضوء أسلوب الكتابة فإنه يمكن تحديد تاريخ النقش إلى القرن الثالث الهجري. كما يجب التنويه بأن الوشمي أشار لهذا النقش وأعطى قراءة صحيحة للنقش دون دراسة تحليلية[٢].

---

(١) انظر على سبيل المثال: سعد عبدالعزيز الراشد، «نقشان إسلاميان من مجموعة العلوم الإنسانية»، م٤، ص ص: ٥٩ ـ ٩١ (١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

(٢) الوشمي، الآثار الاجتماعية، اللوحة رقم (٣)، ص: ٣٧٢.

٩ - نقش في إثبات الثقة بالله (القرن الثاني ـ الثالث الهجري):

كتب هذا النقش على واجهة صخرية خشنة، ويتكون من ثلاثة أسطر تقرأ كما يلي:

١ ـ اللهم إن إبراهيم

٢ ـ بن زياد بك واثق فلا

٣ ـ تخذله

هذا النص دُعاء لا يحمل تاريخاً، يحمل اسم إبراهيم بن زياد، وهو من الأسماء المألوفة في العصر الإسلامي المبكر، وورد ذكره في المصادر التاريخية.

وهناك نقش غير مؤرخ عثر عليه في درب زبيدة جنوب سميراء يحمل اسم إبراهيم بن زياد وقد أرخه سعد الراشد بالقرن الأول الهجري[1]. وعلى أي حال فإنه يصعب تحديد هوية هذه الشخصية وصلتها ببلدة ضرية.

أما النقش فمكتوب بخط كوفي جيد متقن، حيث نلاحظ وضوح الحروف وتناسقها حجماً وكتابة، وكذلك المسافة بين الكلمات وبين الأسطر، واستقامة الأسطر وتناسقها، ونلاحظ الوحدة في كتابة الحروف، فالألف تكتب قائمة بميل إلى اليمين في (اللهم ان ابراهيم). كذلك نلاحظ الوحدة في كتابة الهاء والميم في العبارة ذاتها. وهناك جانب فني زخرفي كما في النقش (٨) نلاحظه في كتابة الألف، والهاء، واللام، والكاف، والميم.

الحروف خالية من النقط وكلمة (ابن) في بداية السطر الثاني ينقصها الألف. وكذلك تلتصق الكاف في (بك) مع الواو في (واثق).

---

(١) سعد الراشد، درب زبيدة، ص ص: ٤٠٢ ـ ٤٠٣.

ويحتمل أن يكون هذا النقش قد كتب في الفترة ما بين نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجري. (اللوحة رقم ٦١ أ، الشكل رقم ٥٦).

١٠- نقش في طلب المغفرة (القرن الثالث الهجري):

على واجهة صخرية خشنة كتب نقش من سطرين ويقرأ كالتالي:

١ ـ اللهم اغفر

٢ ـ ليحيى بن ذئيب

والشخصية الواردة في النقش هي باسم: يحيى بن (ذوئيب). وحروف الاسم الثاني واضحة حيث يظهر حرف الذال بشكل واضح، وحسب تركيبة الاسم لا تكتب الهمزة في النقوش الصخرية، ومن الأسماء التي عرفت: ذؤاب وذؤيب(١)، والاسمان من أسماءالأعلام الشائعة. والنقش لايتضمن البسملة أو آيات قرآنية، بل يكتفي بدعاء: اللهم اغفر. وعلى الرغم من أن الخط مكتوب على لوح صخري خشن وغير متساوٍ، إلا أنه كتب بشكل هندسي يحمل سمات فنية، تنم عن مهارة وصنعة كاتبه. فالأحرف متناسقة في حجمها ، المسافات بين الكلمات متساوية. والأسطر متوازية.

ويلاحظ أن حرف الألف قائم بذنب مائل إلى جهة اليمين، كما أن حرفي اللام والراء ينتهيان على هيئة شراع. والنقش يجمع بين الخط القائم اليابس كما في «الألفات» والخط المائل كما في حروف الراء والنون. وهذا النقش له صلة واضحة من حيث تركيبة الاسم وأسلوب الخط بالنقش السابق رقم (٨)، (اللوحة رقم ٦١ب، الشكل رقم ٥٧).

---

(١) انظر ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ص: ١٩٤ ـ ١٩٥، ص: ٢٣٩ ابن ماكولا، الإكمال، جـ٤ (دار الكتب العلمية ـ بيروت) ص: ٢٣٨.

التحليل العام للنقوش :

يلاحظ من استعراض النقوش الإسلامية المختارة، أنها جاءت من منطقة واحدة هي ضرية، حيث نقشت على أحد صخور جبال ضرية. ولا يعني هذا بالطبع أن ضرية تنفرد دون مناطق القصيم الأخرى بتلك النقوش، فذلك أمر يتطلب مسحاً أكثر تفصيلاً، إلا أن ثمة عوامل محلية ربما ساعدت ضرية على تواجد تلك النقوش فيها، فهي أولاً تقع في منطقة تنتشر فيها الصخور النارية والقاعدية. كذلك فإن الموقع معزول نسبياً، فالواصل إليه لابد وأن يحمد الله كثيراً ويطلب المغفرة بعد أن أعانه على اجتياز عقبات الطريق وقفار المنطقة.

ومن ناحية أخرى فإن عزلة الموقع الحالية ربما ساعدت كذلك في بقاء تلك النقوش دون أن تمسها يد التخريب.

وعلى أية حال فإنه باستعراض هذه النقوش أمكن معرفة مضمون كل نص وأسلوب الكتابة والصيغ اللفظية، فقد لاحظنا أن النقوش تشمل نصوصها أدعية لطلب المغفرة وإثبات الإيمان بالله وطلب الجنة وهي أدعية مأثورة.

والنقوش تبدأ بعبارة «اللهم» أو «بسم الله» مثل النقوش (١، ٢، ٤ب، ٦، ٨، ٩، ١٠) ثم يشتمل النص على طلب المغفرة لصاحب النقش أو أن «ينور قبره» أو «يجعله من أصحاب محمد في الجنة».

والنقوش (٣أ، ٣ب، ٤أ، ٥، ٩) تمثل النقوش الإيمانية لأنها تؤكد إيمان صاحبها بالله وثقته فيه وتوكله عليه، ويشهد بوحدانيته، وتبدأ بعبارات مثل «يثق»، و«يتوكل»، و«يشهد». كما تبدأ أحياناً بـ لفظ الجلالة «الله» أو باسم صاحب النقش.

وهناك صيغ تتضمن عبارات الحمد، كما هو في النقش رقم (٧).

وهنا يستشهد الكاتب بآيات قرآنية دالة على الحمد والشكر لله الذي أذهب عنهم الخوف وهم يجتازون القفار وأوصلهم سالمين إلى هذا المكان الآمن.

وتتفاوت النقوش في أسلوب الخط من حيث الجودة في تنفيذ الحروف، وفي تناسب الكلمات والأسطر فبعض النقوش بدائية وبسيطة والخط غير متقن لا تحكمه مقاييس محددة، فالحروف تتباين في أحجامها وتنعدم فيها الوحدة ولا تتبع لنمط محدد في رسمها. والكلمات غير متناسبة حجماً والمسافات بين الأسطر وبدايات الأسطر ونهاياتها غير متناسقة. وهذا نلاحظه في النقوش (١-٢-٥).

أما النقوش: (٣أ-٣ب-٦-٧) فتمثل الكتابة المتقنة وأنها نفذت بواسطة كتاب أو نقاشين محترفين فالحروف تظهر وحدة في طريقة رسمها والكلمات بذات الحجم والأسطر متوازية والمسافات بينها متساوية. كما أن الأسطر تبدو وتنتهي في خطوط متوازية تقريباً، حتى وإن أدى ذلك إلى شطر الكلمة بين سطرين. ونلاحظ أن حرف الألف يكتب قائماً بذنب إلى اليمين، كما نلاحظ تدويراً في كتابة بعض الحروف مثل الراء والنون.

أما النقوش: (٤أ، ٤ب، ٨، ٩، ١٠) فهي تمثل نصوصاً ذات سمات فنية تميل إلى النواحي الهندسية التي تُضفي على الكتابة بُعداً فنياً جمالياً. ونلاحظ ذلك في حروف الألف، والكاف، واللام، والميم.

ورغم اختلاف موضوعات هذه النقوش وطرزها، إلا أنها تلتقي في بعض الأمور منها:

١ ـ أن النقش الواحد منها لا يعالج سوى موضوع واحد.

٢ ـ ليس بينها نقش يحمل اسم شخص معروف في التاريخ الإسلامي.

٣ ـ ليس بينها نقش يحمل تاريخاً محدداً.

فالعبارات القرآنية والصيغة الدعائية الواردة فيها وغياب النقط، بالإضافة إلى الشواهد التاريخية والآثار المشاهدة في الموقع تجعلنا نحدد تاريخ هذه النقوش بالفترة ما بين القرن الثاني ـ الثالث الهجري، مع الأخذ في الحسبان أن المرحلة الانتقالية للخط العربي تبدأ من القرن الأول الهجري حيث نلاحظ أن الألف القائمة ذات الذنب المائل إلى اليمين التي وسمت معظم هذه النقوش إلى جانب الميم المثلثة والمدورة أحياناً تؤرخ إلى القرنين الهجريين الأول والثاني[1]، كما أن التدوير في كتابة بعض الحروف والخط المتناسق قد سادا في الفترة الأموية[2].

وأخيراً يمكن الإشارة إلى أن هذه النقوش قد يكون كُتابها سكان ضرية أو الحجاج والمسافرون الذين كانوا يمرون بها في مواسم الحج.

---

(١) المنجد، صلاح الدين، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، بيروت، ١٩٧٩، جـ١، ص: ١١٠.

(٢) المصدر السابق، ص: ١١٤. انظر الفعر، محمد فهد عبدالله، تطور الكتابات والنقوش في الحجاز منذ فجر الإسلام وحتى منتصف القرن السابع الهجري، جدة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، ص: ١٥٩ وما بعدها، انظر الراشد، سعد، درب زبيدة، ص ص: ٤٠٢ ـ ٤٢٨.

الخاتمة

الاستنتاجات والتوصيات

على الرغم من موقعها المتميز بالنسبة للجزيرة العربية والمناطق المجاورة، فقد ظلت منطقة القصيم إلى حد كبير خارج الخارطة الآثارية للمنطقة. وكان إجراء أعمال ميدانية آثارية فيها أمراً تتطلبه ضرورة الكشف عن طبيعة الاستيطان فيها من ناحية، وتسليط الضوء على الدور الذي قامت به في حضارة الجزيرة العربية وعلاقاتها بجاراتها من ناحية أخري.

وكانت دراسة المنطقة والمسح الآثاري اللذان أجريناهما مساهمة نحو تلك الغاية. وقد تم الكشف عن عدد من المواقع وتوثيق مواقع أخرى داخل العينة المختارة لمنطقة الدراسة، حيث أمكن تحديد المواقع التالية:

النباج، الصريف، العوسجة، القرية، العيارية، زبيدة، العوشزية، الغاف، أثال، عيون الجواء، ضارج، الشقة، التغيرة، خب العوشز، قصيباء، الفوارة، الحنادر، الناجية، المذنب، الخرماء الشمالية، أضاخ، رامة، إمّرة، طخفة، سواج، التكروني، ضرية، المطيوي، الجفنية، النقرة.

وكان لابد من انتقاء بعض هذه المواقع لدراسة أنماط الاستيطان في تلك الفترة وإجراء دراسة مفصلة لتلك المواقع. وقد تمَّ اختيار المواقع التالية:

النباج، الصريف، العوسجة، القريتين، رامة، طخفة، إمّرة، ضرية، لتكون ممثلة للمواقع المكتشفة من حيث توزيعها وموقعها الجغرافي وطبيعتها، وقد درست عينات من المنشآت المعمارية فيها كما أجرينا دراسات ومقارنات على المعثورات من فخار وخزف وزجاج وقمنا بدراسة الكتابات الملحقة بها، وخرجنا من كل ذلك بالاستنتاجات التالية:

أولا :

يشكل التكوين الجيولوجي لمنطقة الدراسة تباينًا وتناقضاً واضحاً بين الجزء الغربي للمنطقة في مقابل الجزء الشرقي منها حيث تنشطر المنطقة بين الدرع العربي الصخري والمنطقة الرسوبية. وقد انعكس هذا بدوره على البنية السطحية حيث جاءت تضاريس منطقة الدرع العربي حافلة بالتكوينات الصخرية التي تتخللها جبال ومرتفعات في الوقت الذي تنبسط فيه السهول ومجاري الأودية الرملية والكثبان وما يتخللها من منخفضات وسبخات في المنطقة الرسوبية.

وكما انعكس التكوين الجيولوجي على مظاهر السطح تحكم أيضاً في تركيب مادون السطح. فالصخور النارية التي تسيطر على منطقة الدرع العربي حالت دون تسرب المياه إلى الطبقات السفلى من الأودية. أما المنطقة الرسوبية فقد سمحت بترسب المياه عبر طبقاتها لتصطدم بالصخور القاعدية وتكوّن خزانات مائية جوفية.

كان لابد لهذا الوضع من تأثير مباشر على بيئة المنطقة. فعلى الرغم من سيادة المناخ الصحراوي فقد وجدت وفرة نسبية في المياه والتربة الطمية في المنطقة الرسوبية مما ساعد على وجود بيئة غنية بغطاء نباتي طبيعي وزراعي

أحياناً، وفرت هذه بدورها إمكانات للمرعى والزراعة في مقابل شح في منطقة الدرع العربي الصخرية فيما عدا بعض المناطق مثل ضرية وطخفة والنقرة والتي تميزت بأنها مناطق رعوية ولعل هذا ما يفسر لنا بشكل واضح نمط الاستيطان الذي ساد وقتها حيث يلاحظ وجود تجمعات سكانية ومستوطنات قديمة وحديثة في المنطقة الرسوبية في مقابل قلتها في المنطقة الصخرية. وبحكم أن وادي الرمة هو المعلم الرئيس في تضاريس المنطقة فقد كان في اعتقادنا أنه سيحكم وجود وتوزيع المواقع بشكل نهائي لأن المواقع كثيرا ما توجد على ضفاف الأودية. إلا أن المسح الذي أجريناه أثبت وجود مواقع بعيدا عن مجرى الوادي وإن كانت مرتبطة بروافد أو شعاب أخرى. كما يلاحظ أن كثافة المواقع في المنطقة الرسوبية تتركز في منطقة يغيب فيها تقريبا مجرى الوادي تحت الغطاء الرملي.

ثانياً:

إن البناء الجيولوجي لمنطقة القصيم حيث ترتكز الطبقات الرسوبية العليا على الطبقات الصخرية غير المسامية، ساهم في ترسيب كميات من الأمطار إلى الطبقات الصخرية. وهي التي هيأت إلى وجود الأحواض المغلقة مثل منطقة الساق، وفي بعض طبقات خف، وتبوك. وساهم ذلك في وجود ظواهر من أبرزها السبخات «الملحية» وهي بقعة ذات تربة رسوبية يتوافر الماء قريباً جدا منها، أو أنها ترتكز على حوض مائي أو بحيرة صغيرة. وظاهرة السبخات والمنخفضات المحاطة بالكثبان الرملية تتميز بخصوبة الأرض وغناها بالمعادن وتعرف محلياً بأسماء عدة منها القاع، الروضة، الخب، الخبراء، التلع، الصباخ، النقرة، وغيرها وتشتهر بقرب الماء الصالح لشرب الإنسان والحيوان والزراعة من سطح الأرض. وتظهر هذه المياه إما

على شكل عيون سارحة كما في النباج «الأسياح» أو على شكل آبار. قدمت هذه إلى جانب وادي الرمة الذي يشق وسط القصيم دوراً رئيساً كمصدر من مصادر المياه ومصدر للطمي والتربة الزراعية.

كذلك أسهمت تركيبة ومكونات سطح القصيم الرسوبي بخصوبة الأرض المحيطة بوادي الرمة والأودية الأخرى، وانتشار الكثبان الرملية ذات المراتع وقلة التكوينات الجبلية والعوائق الطبيعية الأخرى. فجعلت من القصيم ممرا سهلا لتجارة القوافل والحج التي تعتمد في تنقلاتها على الجمال، ذات الخصائص المتناسبة والمنسجمة جدا مع رمال الصحراء. ففي داخل أرضها واحات يتوفر فيها الماء إلى جانب سهولة التنقل والحركة حيث يخترق القصيم درب الحج البصري الممتد من البصرة إلى المدينتين المقدستين (المدينة المنورة ومكة المكرمة). كما يمر عبر أطراف المنطقة الشمالية الغربية طريق زبيدة الممتد من الكوفة إلى مكة المكرمة.

ثالثاً :

لقد قادت عوامل محلية وعالمية إلى أن تؤدي منطقة القصيم أدواراً متباينة تأرجحت بين الريادة والتهميش على امتداد الفترات التاريخية. فقد كان لموقعها الجغرافي الوسطي في الجزيرة العربية وبعدها المتوازي من مراكز الثقل الحضاري في جنوب الجزيرة والشام وفي وادي الرافدين، وصلتها المباشرة وغير المباشرة بطرق التجارة البرية والبحرية إلى جانب توسطها بين الحواضر الإسلامية في الحجاز والشام والعراق، انعكاس واضح على مجرى الأمور في القصيم وعلى انتعاشها الاقتصادي والاجتماعي في فترات، واضمحلالها في فترات أخرى.

لقد أدت الجزيرة العربية دورا في التجارة الدولية في الفترة التي سبقت الإسلام، كما تمتعت بشبكة طرق تجارية محلية ربطت بين أجزائها ومناطقها. وبعد مجيء الإسلام قادت الظروف الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية الجديدة إلى تطوير تلك الشبكة بشق طرق جديدة وتحسين وصيانة الطرق القديمة وقيام محطات ومنشآت ونقاط أمنية وبالتالي تحولت تلك المراكز إلى مستوطنات سكانية كبيرة. وأصبحت هذه الشبكة المحلية جزءا من نسيج عالمي يغطي شرق العالم الإسلامي وغربه يوصل تجارة الهند إلى غرب إفريقيا وتسلكه قوافل الحج من مختلف بقاع العالم الإسلامي إلى الأماكن المقدسة. وكان نصيب منطقة الدراسة من هذه الشبكة كبيرا إذ انتظمت طرق محلية بين مستوطناتها كما شقتها الطرق الموصلة من بلاد الرافدين والتي كانت بدورها امتدادا للطرق القادمة من فارس وخراسان وأواسط آسيا إلى مكة والمدينة. فكان طريق الحج البصري بفرعيه المكي والمدني وطريق الحج الكوفي يمثلان شريان الحياة الاقتصادية والتجارية في المنطقة. حيث ازدهرت مستوطنات ونشأت أخرى على مسار الطريق.

هذه الطرق تطلبت وجود عوامل معينة عبر مساراتها فكانت تتوخى المسالك السهلة غير الوعرة في تضاريسها، وكانت تسلك المناطق الآمنة بعيدا عن مكامن الخطورة، وكانت تقترب من مصادر المياه والمرعى لحاجة الإنسان والحيوان، لذا فقد كانت تنحرف أحيانا لتفي بهذه المتطلبات وتعرج لتمر ببعض المستوطنات المأهولة بالسكان لتبادل السلع والتزود بالماء والغذاء. في الوقت ذاته وجدت بعض الجماعات البدوية المترحلة ضالتها في طريق القوافل فاستوطنت حوله وربطت اقتصادها به وأصبحت تمد القوافل بحاجياتها. وأضحت أهم المرتكزات الاقتصادية لتلك الجماعات،

فنمت بعض المحطات الصغيرة على شكل قرى وبلدات، وتحول بعضها إلى أسواق.

رابعـاً :

غير أن مسار الطريق ومحطاته لم يكن بالأمر الواضح تماماً والمتفق عليه. فقد تباينت الآراء حول المسار وحول المحطات والمسافات بينها وترتيبها. وقد ظهر هذا الخلاف بين البلدانيين من ناحية، وبين البلدانيين والمحدثين من ناحية أخرى. والسبب في ذلك يعود فيما يبدو إلي أن بعضهم قد سمع ببعض المحطات ولكنه لم يشاهدها واكتفى بالرواية الشفهية. كما أن الظروف المناخية من شح الأمطار وجفاف الآبار إلى جانب تراكم الرمال قد غير من مسار الطريق أحياناً فأدى إلى اختلاف في المسار وفي المسافات بين المحطات. كذلك كان الانقطاع التاريخي بين عهد البلدانيين والمحدثين عاملاً في اختلال أسماء المحطات والمسافة بينها.

ويلاحظ من المسح الذي أجريناه على كتابات البلدانيين أن هناك اختلافًا في مواقع المحطات وأسمائها والمسافات التي تفصل بينها. ولعل ذلك قد نتج عن عدم مرور بعضهم ببعض تلك المحطات أو أن بعضها قد تقلص دورها أو أن الطريق قد تجاوز المحطة ليسلك مسارا آخر. وبما أن هؤلاء الكُتاب الأقدمين ليسوا معاصرين لتلك المحطات فإننا لا نستبعد هذه الدرجة من الاختلاف على الرغم من أن بعضهم قد أخذ عمن سبقوه.

وكذلك الحال بالنسبة للمتأخرين حيث يبدو الاختلاف أيضا في أسماء ومواقع بعض تلك المحطات وهنا نذكر عاملاً مهمًا إلى جانب العوامل الأخرى التي سبقت الإشارة إليها وهو أن زحف الرمال كان كثيرا ما يسد

الطريق ويفرض مساراً جديداً، ومع مرور الزمن تعدلت مسارات الطرق الرئيسة في أجزاء منها. وهذا ما قاد ربما إلى ذلك الاختلاف في المسارات وخاصة في المسافات بين المحطات.

خامساً:

لقد أوضح المسح الذي أجريناه في منطقة الدراسة، أن المواقع الأثرية الإسلامية تتركز بشكل واضح في المنطقة الرسوبية مقارنة بالمنطقة الصخرية. ولعل ذلك أمر طبيعي، فطبيعة المنطقة الرسوبية والوفرة النسبية للمياه السطحية والجوفية فيها وإمكانية حفر الآبار وسهولة شق القنوات وتجمع الطمي وتوفر المناطق الخصبة للزراعة ووفرة المرعى، كلها أمور ساعدت في خلق بيئة غنية بعطائها مما مهد لقيام مستوطنات وإبراز نمط استيطاني خاص بها.

ومن منطلق وظائفها المحدودة جاءت مكونات هذه المستوطنات محدودة أيضاً: قلعة، أو قصر تمارس منه السلطة الإدارية ويقيم فيه الجند ويتولى حراسة الطريق، ومسجد للصلاة، وسدود، وحواجز، وقنوات، وأبار، وأحواض، وبرك لتوفير المياه للمستوطن على مدار السنة، وسد الحاجة في فصل الجفاف وسوق صغير أو ربما ساحة في الوسط يتم فيها القليل من البيع والشراء، ثم مبانٍ بسيطة لأهل المحطة.

غير أن التباين في حجم هذه المواقع دعمته فيما يبدو المنطقة المحيطة بها من ناحية، إن كانت منطقة زراعية خصبة مثلاً، أو كون الموقع ملتقى طرق تأتي وتذهب إلى أكثر من جهة، من ناحية أخرى.

وهناك بالطبع عامل ثالث أدى دوره، تمثل في التحولات السياسية والاقتصادية التي شهدتها حواضر العالم الإسلامي، فانتقال مراكز الثقل

السياسي والإداري من إقليم إلى آخر، كان له أثره المباشر على الطرق والمستوطنات كانتقال العاصمة من المدينة إلى دمشق ومنها إلى بغداد، ثم انهيار بغداد. وكذلك نمو الكوفة على حساب البصرة، ثم اضمحلال الكوفة، وهكذا.

سادساً:

إن عينة المواقع التي وقع عليها الاختيار للدراسة أوضحت أولاً توافقاً بين ما ذكره البلدانيون عنها من ناحية، وبين موقعها الحالي وما حولها من معالم سطحية وما تحويه من معالم أثرية، مستندين إلى هذه العينة من المواقع: نرى أن المواقع التي تم اكتشافها هي ذات المنازل أو البلدات التي ذكرها البلدانيون.

إن الظواهر المعمارية في هذه المواقع تكشف الدور الذي قدمته المواقع في تلك الفترة كمحطات في طريق الحج والتجارة بما تحويه من محلات تجارية وبرك للمياه وقلاع أو قصور لإدارة المنطقة وحمايتها، من ناحية، وكمراكز للمناطق من حولها بما يتفرع منها من طرق فرعية ومحلية وما يجلب لها من المناطق المجاورة من منتجات وما تؤديه من دور في إدارة المناطق من حولها من الناحية الأخرى.

وتكشف الدراسة المعمارية بوضوح وجود نمط معماري متحد ومتناسق في معظم هذه المواقع حيث تشترك في وحداتها المعمارية والتي تشمل: ١ـ القصر الذي اضطلع بوظيفة إدارية وأمنية. ٢ـ الوحدات السكنية لعامة الناس. ٣ـ المسجد، كدار للعبادة ٤ـ البركة التي تمد السكان والوافدين بالمياه ٥ـ القنوات والسدود والحواجز لجلب المياه إلى البركة وتصريفها ولأغراض الزراعة.

إن هذا النمط المتحد يوحي أن هذه المواقع قد قامت إذن لتخدم هدفًا أو أهدافًا مشتركة، وهي تجمعات السكان في المنطقة في مراكز استيطان تتوفر فيها متطلباتهم الأساسية، ثم خدمة طريق الحج والتجارة الذي يمر عبرها. ولاشك أن الهدف الأخير قاد إلى منافع متبادلة بين سكان المواقع وقوافل التجارة والحج. ولا نشك أن النمط المعماري يتجاوز حدود منطقة الدراسة إلى ما بعده. وأن أية دراسات معمارية آثارية أو حتى مسوحات آثارية مستقبلة لمواقع أو محطات درب الحج خارج القصيم، ستدعم هذا الرأي.

سابعاً :

إن الدراسة التي أجريت على المجموعات الفخارية والخزفية في مواقع المسح تشير إلى سيادة بعض الأنواع خلال الفترة الممتدة من القرن الثاني وحتى الثالث الهجري، خلال الفترة العباسية الأولى. وبحكم أن العينات في مجملها قد جمعت من على أسطح المواقع، فهي تؤرخ فترات الاستيطان المتأخرة في تلك المواقع. إن تكرار تلك الأنواع في مواقع المسح وإن اختلفت في نسبتها من موقع إلى آخر فإنه يربط بعضها ببعض حضارياً. كما أن التشابه بين هذه الأنواع ومثيلاتها في بلاد الرافدين وإيران يربط هذه المواقع بالحواضر العباسية في الشرق الإسلامي حضارياً وتجارياً. وقد كان طريق الحج البصري المكي هو المعبر الذي عبرت عليه تلك الأنواع، وبالتالي قاد إلى ربط تلك المناطق.

أما عن التباين والاختلاف في كميات تلك الأنواع بين موقع وآخر، فلابد من التذكير أن العينة التي قمنا بدراستها جاءت من السطح، وبالتالي ربما لا تعكس تماماً ماهو تحت السطح. وفي ناحية أخرى، حتى وإن عكست

واقع ماتحت السطح، فإن المواقع التي تقل فيها المعثورات ربما تكون محطات موسمية يتركز فيها الاستيطان في مواسم الحج ومواسم المرعى ونمو الكلأ، وبالتالي لم تكن مستوطنات دائمة. هذه الاستفسارات وغيرها تبقى في انتظار أعمال آثارية أكبر حجما وأكثر تفصيلاً.

ثامناً :

جاءت النقوش الكتابية تحمل سمات مشتركة في بعض جوانبها، وتظهر اختلافات في أخرى. جاءت هذه النقوش من منطقة محدودة وجميعها نقوش إسلامية كما يشير مضمونها، كما أن النقش فيها لا يعالج سوى موضوع واحد، ولا يحمل تاريخاً ولا اسماً معروفاً. قام بنقشها فيما يبدو بعض المارة من الحجيج، أو التجار، أو سكان المستوطنات. وقد تباينت في موضوعاتها وطرزها. فالموضوعات شملت الأدعية، والعبارات الإيمانية، وعبارات الحمد والثناء لله عز وجل. أما الطرز فقد شملت أنواعاً من الخطوط اختلفت في رسم الحروف والكلمات، وفي نسق الكتابة. فشملت ما أسميناه بالخط البسيط، والمتقن، والهندسي. وبناء على المقارنات التي أجريناها أمكن الرجوع بها للقرون الهجرية الثلاثة الأولى. ويتوافق هذا التاريخ مع التاريخ الناتج عن دراسة الفخار والمصادر الأخرى مما يرجع هذه المواقع لتلك الفترة.

تاسعاً :

وخلاصة ما توصلنا إليه من دراستنا للمصادر، والمراجع التاريخية، والجغرافية وغيرها، ومن العمل الميداني الذي أنجزناه في سبيل إعداد الدراسة الحالية؛ نستطيع القول: إن منطقة القصيم بشكل عام تتميز بعدد من

عوامل الجذب الاستيطاني المتمثلة في موقعها ووفرة مياهها، وجودة تربتها، وعليه فهي منطقة استيطان منذ عصور قديمة حيث تم العثور على عدد كبير من مواطن الكتابات السابقة للعصر الإسلامي، وكذلك مواقع أثرية لم تدرس بعد.

وعند ظهور الإسلام لم تكن المنطقة خالية من السكان حيث كانت جزءاً من أراضي مملكة كندة، وكانت تستوطنها لفترة من الزمن تجمعات بشرية عرفها الأخباريون والمؤرخون المبكرون باسم القبائل العربية، كبني أسد، وعبس، وذبيان، وبني عامر بن صعصعة.. إلخ، وهو أمر لا خلاف عليه حيث إن بدايته تؤيدها الأخبار المروية، ونهايته تثبتها الأحداث والأخبار الإسلامية المبكرة.

وبعد انضواء المنطقة تحت لواء الإسلام حتم عليها الوضع الجديد تغيراً في نمطية الاستيطان كنتيجة للحروب والهجرات التي صاحبت ذلك التغير. ويبدو أن المنطقة بدأت تأخذ نمطية استيطانية جديدة اعتمدت في المقام الأول على الزراعة تماشياً مع حث الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام على ممارستها.

وبعد تثبيت دعائم الدولة الإسلامية وخلال عصر النبوة والخلفاء الراشدين، أصبحت المنطقة معبراً لاتصالات مكثفة بين المسلمين وحاضرتي العالم الإسلامي المدينة المنورة ومكة المكرمة. وبعد تأسيس حواضر العالم الإسلامي خارج نطاق الجزيرة العربية ازدادت الحركة البشرية عبر أراضيها كنتيجة لازدياد الأعداد البشرية المؤدية للحج والعمرة والراغبة بالاتصال بالصحابة والتابعين المقيمين في المدينة المنورة ومكة المكرمة.

وبعد قيام الدولة الأموية بقي الأمر على ما كان عليه، على الرغم من حدوث بعض الاضطرابات الأمنية التي لم تدم طويلاً كثورة عبدالله ابن الزبير ونجدة بن عامر الحنفي وغير ذلك. ولكن مما تجدر الإشارة إليه أن الاستيطان بشكل عام بدأ يزدهر كما تشهد الأحداث التي تفيد عن اهتمام الخلفاء الأمويين وولاتهم بالزراعة في المنطقة بشكل عام.

وعندما بدأ عصر العباسيين الذهبي بالانصراف في أواخر القرن الثالث الهجري وكثرت الفتن والثورات التي تأسست على أثرها دولة القرامطة في شرقي الجزيرة العربية والتي دامت أكثر من قرنين من الزمن، وظهرت الدولة الأخيضرية في اليمامة والتي استمرت قرابة ذلك الزمن وما أحدثته من اضطرابات واضطهادات لأهل المنطقة؛ بدأت كثافة الاستيطان تضمحل مما نتج عنه تغيب المنطقة عن مسرح الأحداث التاريخية وندرة الأخبار الواردة عنها حتى بدأت بالعودة من جديد ابتداءً من أواخر القرن السابع الهجري أو قُبيله بقليل، وهذا يتزامن تقريباً مع الزحف المغولي على بغداد في منتصف القرن السابع الهجري وسيطرة التتار والمغول على العراق وتدمير بغداد العاصمة العباسية، وبذلك انتهت الدولة العباسية، ونتيجة لذلك فرت من وجه المغول الشعوب التي كانت في بغداد أو محور الخطر، إلى المدن الإسلامية الآمنة مثل القاهرة، ودمشق، وأيضاً أطراف العراق، والأرياف البعيدة، وكذلك إلى القرى الصحراوية. وكان من تلك الفئات: التجار، والزعامات التقليدية العشائرية، والقبلية، لتؤسس قرى وبلدات جديدة في أواسط الجزيرة العربية وتعيد إحياء قرى وبلدات سبق أن هجرت، وهو ما يفسر ظهور القرى النجدية على سطح الأحداث المحلية بعد أن غابت سيطرة القرامطة والأخيضريين على وسط الجزيرة من القرن الثالث وحتى أوائل

السادس مثل بريدة وعنيزة والرس والأسياح، وكانت المنطقة قد هُجرت، فظهرت مراكز استيطان حضرية نمت وترعرعت حتى وصلت إلى الحجم الذي وجدناها عليه خلال ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في زمن الدولة السعودية الأولى في القرن الثاني عشر الهجري من خلال ما ورد في مصادر ومراجع دراسة تلك الفترة.

عاشــراً :

بقيت نمطية الاستيطان إلى حد كبير مستمرة في العصر الحديث حيث كانت ضرية قاعدة في القرون الإسلامية الأولى وهي اليوم قاعدة للقرى والهجر المجاورة لها، وكذلك الحال بالنسبة للأسياح حيث كانت النباج قاعدة للقرى والأرياف المحيطة بها فهي في الوقت الحاضر تمارس الوظيفة نفسها كقاعدة استيطانية، فيما تحولت مدينة بريدة عاصمة المنطقة إلى قاعدة للقرى والخبوب والواحات الزراعية المحيطة بها، واستمرت مدينة عنيزة قاعدة للقرى والأرياف، كذلك الحال بالنسبة لمدينة الرس استمرت هي الأخرى تؤدي الدور السابق نفسه، وأيضاً المذنب والنقرة والفوارة وقصيباء وعيون الجواء.

حادي عشر :

وتشهد دراسة آثار المنطقة ومستوطناتها الرئيسة على ما ذكرناه آنفاً فأغلب المواقع تحتوي على إنشاءات زراعية متنوعة من برك وخزانات مياه وسدود، ومبان دينية، وتحصينات مثل القلاع والقصور والتي تدل فيما تدل عليه على مرورِ المنطقة بفترات غير آمنة، وبالنسبة للمعثورات الأثرية الأخرى فجميعها تعود للفترة الإسلامية المبكرة والتي سبقت الإشارة إليها

أعلاه، فلم نتمكن من العثور على مواد أثرية متأخرة مثل الأساور الزجاجية أو الفخار الصيني.

لقد كانت منطقة القصيم وإلى حد كبير خارج الخارطة الآثارية للجزيرة العربية بشكل خاص، والشرق الأدنى بشكل عام. وقد نتج عن هذا المسح وجود مستوطنات تعود للفترة الإسلامية المبكرة تركزت على طرق الحج والتجارة وحول الأودية ومصادر المياه. وقد حوت هذه المواقع مع تباين أحجامها، وحدات معمارية وشملت معثورات، أثبتت دوراً للمنطقة خلال تلك الفترة.

لقد سلط هذا الكتاب الضوء على جوانب حضارية عديدة وأجاب على تساؤلات، إلا أنه ترك ـ شأن كل بحث على هذه الشاكلة ـ أموراً وأسئلة تستعجل الإجابة، يرجو المؤلف بعون من الله أن يتطرق لها في بحث قادم. غير أن الأمر يتطلب جهوداً تفوق مقدرة المؤلف الفرد إذ لابد من تكاتف جهات عدة تأخذ في الحسبان التوصيات التالية:

١- القيام بمسح مكثف ومخطط لمنطقة القصيم.

٢- يوجد في المنطقة أماكن استيطان سابقة للإسلام وإسلامية مبكرة ومتأخرة، وتختلف تلك الأماكن في نمطيتها، واستمرار الاستيطان فيها، وتمركزها الجغرافي. ولذا يجب مسحها وتشخيصها من خلال دراسات مكثفة.

٣- لاتزال جوانب كثيرة من الاستيطان في المنطقة مجهولة وما ورد عنها في كتب البلدانيين لا يمثل إلا ذكراً عابراً لمواقع معينة، وعليه فإننا بحاجة

ملحة لتكثيف الدراسات الأثرية فيها حيث إنها هي المصدر الأساس والباقي للحصول على مزيد من المعلومات.

٤- يوجد في المنطقة عدد من القرى الحديثة نسبياً والمهجورة، وإجراء دراسات اثنواركيولوجية Ethnoarchaeology عليها، يمكن تسليط الضوء على المستوطنات القديمة في المنطقة وسد بعض الثغرات التي تعجز المخلفات الأثرية وحدها عن ملئها.

٥-تحتوي المنطقة على ثروات ضخمة من الآثار الثابتة والمنقولة يجب المحافظة عليها وجمع ودراسة ما أمكن منها، حيث إن المنطقة لاتزال بكراً، ودرساتها سوف تسهم أيضاً في إلقاء الضوء على دراسة أماكن أخرى خارجها.



كشاف بوصف المعثورات السطحية

في بعض المواقع في منطقة القصيم

النبـاج :

تم العثور في هذا الموقع على عدد من الكسر الفخارية والخزفية وقطع معدنية وزجاجية، وقد احتوت العينة على ٣١ قطعة.

الفخــــار غير المزجج : اللوحة رقم : ٤٦ أ، الشكل رقم ٨ :

١ - كسرة من حافة وبدن جرة تخزين، الحافة سميكة وذات شفة منبسطة، البنية جيدة الحرق، والصناعة دولابية، ولون البنية والسطحين أحمر.

٢ - كسرة من قاعدة وبدن آنية صغيرة رقيقة ذات عجينة بيضاء. والقاعدة منبسطة، ولون البنية والسطحين أبيض.

٣ - كسرة من قاعدة وبدن قارورة صغيرة ودولابية الصنعة من عجينة نقية غير خشنة، وجيدة الحرق، والقاعدة منبسطة، ولون العجينة والسطحين قرنفلي.

٤ - كسرة من بدن إناء رقيق من عجينة بيضاء، ودولابية الصنعة، وعلى سطحها الخارجي زخارف طولية في شكل دوائر شكلت بأسلوب الوخز بأداة حادة صلبة، وكذلك زخارف عرضية من حز عريض غائر. تعلوه زخارف من حزوز مائلة غائرة، ولون البنية والسطحين أبيض.

٥ - كسرة خشنة من بدن جرة مسامية، دولابية الصنعة، جيدة الحرق. وعلى سطحها الخارجي زخارف عبارة عن حزوز عريضة متوازية ومستقيمة شكلت بالمشط، ولون السطحين والبنية أحمر.

الغخــار المزجــج :

الخــزف المطلي بلون أزرق : اللوحــة رقـم : ٤٦ ب، ٤٧ أ، الشكـل رقم : ٩، ١٠، ١١، ١٢ :

٦- إلى ٧ ـ كسرتان من مقبضين لإناءين مختلفين تزجيجهما أزرق قلوي، وأحد المقبضين سميك عليه زخارف في شكل حبيبات بارزة، ولون البنية أصفر باهت.

٨ إلى ١٢ ـ مجموعة كسر لحواف من أوان مختلفة كالمزهريات وجرار التخزين، مزججة السطحين بتزجيج أزرق سميك، ومعظم الحواف سميكة ذات شفاه مسطحة، وبعضها عليه زخارف غائرة على السطح الخارجي، والبنية صفراء باهتة.

١٣ إلى ١٤ ـ كسرتان من بدنيتين مزججتي السطحين بتزجيج أزرق، إحداهما لإبريق صغير، والأخرى جزء من جرة تخزين. وكسرة الإبريق عليها جزء من مقبض حلقي، والكسرة الأخرى والتي تعود لجرة التخزين عليها جزء من مقبض عروى مستعرض، وبنية الكسرتين صفراء باهتة.

١٥ ـ كسرة من قاعدة مزهرية أو جرة تخزين، والقاعدة منبسطة وذات تزجيج أزرق سميك على السطحين، والبنية ذات لون أصفر باهت.

١٦ إلى ٢٢ ـ مجموعة من الكسر البدنية السميكة لجرار تخزين ومزهريات. والتزجيج على سطوح الكسر أزرق وسميك، وبعضها عليه زخارف محززة غائرة متوازية، وبعضها الآخر عليه زخارف بارزة في شكل دوائر وأقراص وأفاريز. والبنية لمعظم هذه الكسر صفراء باهتة.

الخزف ذو الطلاء القصديري : اللوحة رقم : ٤٧ أ، الشكل رقم ١٢ :

٢٣ ـ كسر من بدن طبق ذات تزجيج أبيض قصديري مائل للإخضرار لاختلاطه جزئياً بطلاء قلوي مخضر، والبنية ذات لون أصفر باهت.

٢٤ ـ كسرة من بدن طبق عليها تزجيج قصديري أبيض على السطحين. السطح الداخلي عليه زخارف نباتية بلون أزرق كوبالتي، وتحيط بها زخارف نباتية أخرى مبقعة باللون الأخضر. ويمكن تصنيف هذه الكسرة ضمن مجموعة الخزف القصديري المتعدد الألوان. ولون البنية أصفر باهت.

الزجاج : اللوحة رقم : ٤٧ ب، الشكل رقم ١٣ :

١ ـ كسرة من فوهة كأس من عجينة زجاجية مخضرة شبه شفافة. والكسرة عليها من السطح الخارجي إفريز زخرفي بارز.

٢ ـ كسرة من فوهة كأس من عجينة زجاجية مخضرة شفافة.

٣ ـ كسرة من مقبض كأس أو آنية زجاجية من عجينة زرقاء داكنة معتمة.

٤ ـ جزء سميك من قاع قنينة من عجينة زجاجية خضراء شفافة.

٥ ـ جزء من قاع قارورة سميك من عجينة زجاجية شبه شفافة وغير ملونة، والقاعدة مسطحة.

٦ ـ جزء من بدن وقاع قنينة من عجينة زجاجية خضراء شفافة، والقاعدة سميكة دائرية الشكل.

٧ ـ جزء من بدن وقاع قنينة زجاجية من عجينة شفافة ذات لون أخضر خفيف مائل للإصفرار، والقاعدة مسطحة وسميكة.

العوسجة :

مجموعة القطع الفخارية والخزفية والزجاجية من موقع العوسجة حوت ست عشرة قطعة.

الفخار : اللوحة رقم : ٤٨ أ، الشكل رقم ١٤، ١٥ :

١ ـ كسرة من بدن إناء سميك خشن مسامي تكثر في بنيته ذرات الرمل والحصى

وتجاويف المواد العضوية. والكسرة متوسطة الحرق، وعليها بقايا جزء من مقبض سميك، والصناعة دولابية. ولون البنية أحمر باهت.

٢ ـ كسرة لجزء من قاعدة وبدن جرة أو إناء تخزين، والكسرة خشنة تكثر في بنيتها ذرات الحصى والرمل، والقاعدة منبسطة، والصناعة على الدولاب. ولون البنية أحمر.

٣ ـ كسرة من بدن وقاعدة آنية، دولابية الصنعة، وخشنة تكثر في بنيتها ذرات الحصى والرمل. والقاعدة منبسطة، والبنية حمراء، وجيدة الحرق.

٤ ـ كسرة من بدن آنية ذات عجينة بيضاء نقية ورقيقة، ودولابية الصنعة، وعليها بقايا مقبض صغير، ولون البنية والسطحين أبيض .

٥ ـ كسرة من بدن وقاعدة إناء، وذات عجينة بيضاء نقية.

٦ ـ كسرة من بدن إناء من عجينة متوسطة الخشونة، ودولابية الصنعة، والبنية ذات لون رمادي خفيف، والسطح الخارجي عليه زخرفة تتكون من حزين غائرين متوازيين.

٧ـ كسرة من جزء مقبض إناء، وبنيته متوسطة الخشونة، وذات لون بني باهت.

٨ ـ كسرة من بدن وجزء من مقبض سميك لجرة أو إبريق متوسط الخشونة، وتكثر في بنيته ذرات الرمل، والبنية ذات لون أصفر باهت.

الخـزف :

الخزف المتعدد الألوان : اللوحة رقم : ٤٨ ب، الشكل رقم ١٦ :

٩ ـ كسرة من بدن طبق، ومتوسطة الخشونة، وجيدة الحرق، والصناعة بالقالب، والبنية ذات عجينة قرنفلية، والسطح الداخلي عليه زخرفة من طلاء أسود على أرضية بيضاء قصديرية.

الخزف الصيني: اللوحة رقم : ٤٨ ب، الشكل رقم ١٦ :

١٠ ـ كسرة من حافة وبدن طبق، الحافة تميل للخارج ولها شفة شبه مدببة، والبنية من عجينة الكاولين الصيني، وصلبة، وجيدة الحرق، ونقية بيضاء، والسطحان عليهما طبقة تزجيج شفافة، ولذا أخذت لون البنية الأبيض.

الخزف ذو الطلاء القلوي الأزرق أو الأخضر : اللوحة رقم : ٤٨ ب، الشكل رقم ١٦ :

١١ ـ كسرة من بدن وقاعدة إبريق أو مزهرية مزججة السطحين بتزجيج أخضر فاقع، والقاعدة منبسطة، والصناعة على الدولاب، والبنية نقية بيضاء.

١٢ ـ كسرة سميكة من بدن جرة على سطحيها تزجيج أزرق قلوي سميك. والسطح الخارجي عليه زخرفة تتكون من حزّين عريضين غائرين تركز عليهما سائل التزجيج فأعطاهما لونا أكثر زرقة من باقي السطح، والعجينة نقية ذات لون بني باهت.

١٣ ـ كسرة من بدن جرة تخزين سميكة وعلى سطحيها تزجيج أخضر سميك، والبنية ذات لون بني باهت، والسطح الخارجي عليه زخرفة بارزة مضافة.

١٤ ـ كسرة من بدن جرة تخزين مزججة السطحين بتزجيج أزرق قلوي سميك، والسطح الخارجي عليه زخرفة بارزة غير واضحة المعالم، والبنية ذات لون بني فاتح.

الزجاج : اللوحة رقم : ٤٩ أ، الشكل رقم ١٧ :

١ ـ كسرة من بدن إناء زجاجي رقيق من عجينة سوداء داكنة معتمة.

٢ ـ كسرة من بدن قارورة أو طبق زجاجي من عجينة زرقاء شفافة.

رامة :

الفخار : اللوحة رقم : ٤٩ ب، الشكل رقم ١٨، ١٩ :

حوت عينة المعثورات من موقع رامة عشر قطع، وشملت فخاراً وخزفاً، وتفصيلها كما يلي:

١ ـ كسرة من حافة وبدن زبدية، ودولابية الصنعة، وجيدة الحرق، والحافة ممتدة للداخل ولها شفة منبسطة، والسطح الخارجي عليه زخرفة مضلعة البنية ذات لون أحمر.

٢ ـ كسرة من حافة وبدن زبدية، ودولابية الصنعة، وذات حافة ممتدة للداخل والخارج والشفة منبسطة عليها زخرفة مقصوصة، والبنية جيدة الحرق ولونها أحمر باهت.

٣ ـ كسرة من حافة وبدن قدر (إناء طبخ)، والحافة ممتدة للداخل والشفة منبسطة، والصناعة على الدولاب، والكسرة خشنة تكثر في بنيتها ذرات الحصى والرمل والمواد العضوية، والعجينة ذات لون رمادي محمر، ولون السطحين بني محمر.

٤ ـ كسرة من بدن إبريق، ودولابية الصنعة، وعليها جزء من مقبض، والعجينة متوسطة الخشونة، وجيدة الحرق، والسطح الخارجي لونه رمادي يميل إلى البني الخفيف، والبنية والسطح الداخلي لونهما بني محمر.

٥ ـ كسرة من بدن وقاعدة إناء، ودولابية الصنعة، ومتوسط الخشونة، والقاعدة منبسطة، والبدن عليه من الخارج آثار الكشط والتشذيب لتقليل سماكة الجدار، والسطحان لونهما أحمر، والبنية ذات لون أحمر رمادي.

٦ ـ كسرة من بدن جرة أو إبريق، ودولابية الصنعة، ومتوسطة الخشونة، وتكثر في بنيتها ذرات الرمل والحصى، وتقل فيها الشوائب العضوية، والسطح الخارجي عليه زخرفة محززة غائرة مكونة من ثلاثة خطوط شكلت بأداة صلبة حادة أثناء دوران الإناء على الدولاب، ولون البنية والسطحين بني خفيف.

٧ـ كسرة من بدن إناء جيد الحرق ذو عجينة نقية، وصلبة، وجيدة الحرق، وعليها زخارف مقصوصة طولية ومثلثات ودوائر وحز عرضي غائر، ولون البنية والسطحين رمادي خفيف.

الخــزف :

الخزف المطلي المتعدد الألوان : اللوحة رقم : ٤٩ ب، الشكل رقم ٢٠ :

٨ـ كسرة من بدن طبق ذو تزجيج أخضر على السطحين، والسطح الداخل عليه طلاء تزجيج أخضر خفيف وآخر أسود، والبنية ذات لون بني باهت.

الخزف ذو الطلاء القلوي الأزرق : اللوحة رقم : ٤٩ ب، الشكل رقم ٢٠ :

٩ـ كسرة من بدن جرة تخزين مزججة سميكة ذات تزجيج أزرق سميك على السطحين، والسطح الخارجي عليه حزوز عريضة غائرة عرضية متوازية، وتركز عليها سائل التزجيج فأعطاها لونا أكثر زرقة، والبنية ذات لون بني باهت.

١٠ـ كسرة من حافة وبدن مسرجة صغيرة مزججة السطحين بتزجيج أزرق سميك، والبنية ذات لون بني باهت جدا.

ضريّة :

تم جمع ما يزيد على المائة قطعة من فخار وخزف ومعثورات أخرى حجرية ومعدنية في موقع ضريَّة، وجميعها ملتقطات سطحية.

الفخــار غيــر المزجج : اللوحة رقم : ٥٠ أب، الأشكال رقم ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤ :

١ـ كسرة من حافة وبدن جرة، والحافة تميل قليلا للداخل، والكسرة خشنة، ومسامية، ودولابية الصنعة، والسطح الخارجي عليه زخارف دولابية عبارة عن حزوز عريضة وتقليصات العجينة، والسطحان الداخلي والخارجي ذوا لون أصفر باهت.

٢ ـ كسرة من حافة قدر متوسط الخشونة، ودولابية الصنعة، والحافة تمتد للداخل، ولها شفة منبسطة، ولون السطحين واللب أصفر باهت، والسطح الخارجي عليه زخرفة التضليع العريض.

٣ ـ كسرة من حافة وبدن جرة تخزين، ودولابية الصنعة، والحافة تميل للداخل قليلاً ولها شفة منبسطة، والبنية خشنة وتكثر فيها ذرات الحصى والرمل، ولون البنية والسطحين أحمر باهت .

٤ ـ كسرة من حافة وبدن قصعة كبيرة أو إناء تخزين، والحافة بسيطة تميل للخارج قليلاً، والعجينة خشنة تكثر في بنيتها ذرات الحصى والرمل، والصناعة على الدولاب، والسطح الخارجي عليه زخرفة تتكون من حزّين عريضين غائرين تتوسطهما زخرفة متعرجة غائرة، ولون السطحين والعجينة أحمر.

٥ ـ كسرة من حافة وبدن جرة ذات عنق، والحافة عمودية بسيطة على سطحها الخارجي زخرفة تتكون من أخدود عريض، ودولابية الصنعة، ومتوسطة الخشونة، وجيدة الحرق، ولون السطحين والعجينة أحمر باهت.

٦ ـ كسرة من حافة وبدن زبدية صغيرة، والحافة بسيطة عمودية ذات شفة مدببة، ويدوية الصناعة، ومصقولة السطحين، والكسرة عليها مقبض في شكل عروة مستعرضة. ، والعجينة خشنة تكثر بها تجاويف المواد العضوية، ولون السطحين والبنية رمادي داكن.

٧ـ كسرة من بدن زبدية صغيرة أو قدر، وعليها عروة مستعرضة، والبنية خشنة تكثر بها ذرات الحصى والرمل، وعلى سطحيها بقع سوداء كربونية نتيجة الحرق المختزل أو لوقوع الكسرة في وسط محترق، والسطحان متآكلان ولونهما ولون العجينة رمادي خفيف.

٨ ـ كسرة من جزء من مقبض إناء صغير ، والكسرة متوسطة الخشونة ، وذات لون بني باهت .

٩ ـ كسرة من بدن جرة خشنة تكثر في بنيتها ذرات الرمل وتقل فيها الشوائب العضوية ، وهي دولابية الصنعة ، وسطحها الداخلي متآكل ، والسطح الخارجي عليه زخرفة مكونة من خمسة خطوط متوازية ومستقيمة شُكلت بالمشط ، وفي أسفلها زخرفة أخرى متموجة الشكل رقمت أيضا بالمشط ، ولون السطحين والبنية قرنفلي رمادي .

١٠ ـ كسرة رقيقة من حافة وبدن إناء ذو عجينة بيضاء ناعمة ، والحافة بسيطة تميل للخارج قليلا وذات شفة مدببة ، والصناعة على الدولاب ، والسطح الخارجي عليه زخرفة بارزة شكلت فيما يبدو بالروليت ، والزخرفة مكونة من كتابة عربية كوفية (. . . هـ العظ . . . .) ، والكتابة يحدها خطان زخرفيان بارزان من أعلاها وأسفلها ، وتحت الخطين البارزين السفليين زخرفة بارزة عند أطرافها ، ولون السطحين والعجينة أبيض .

١١ ـ كسرة من حافة وبدن كوب صغير أو كأس من عجينة رقيقة بيضاء نقية ، الكسرة دولابية الصنعة ، حافتها بسيطة تميل للخارج قليلاً ، والحافة عليها زخرفة على السطح الخارجي عبارة عن ثلاثة حزوز عريضة ، ولون البنية والسطحين أبيض .

١٢ ـ كسرة من بدن وقاعدة مزهرية صغيرة من عجينة بيضاء نقية ، والبدن سميك في جزئه السفلي قرب القاعدة المنبسطة الشكل ، ولون البنية والسطحين أبيض .

١٣ ـ كسرة من جزء من بدن وقاعدة إناء صغيرة ذات عجينة بيضاء نقية ، ودولابية الصنعة ، وجدرانها سميكة في الجزء السفلي ، ولون البنية بالقرب من السطحين أبيض .

١٤ ـ كسرة من بدن وقاعدة إناء من عجينة بيضاء نقية، والقاعدة رقيقة ومنبسطة، ولون البنية والسطحين أبيض.

١٥ ـ كسرة من بدن إناء ذو عجينة بيضاء، والكسرة دولابية الصنعة، وعلى سطحها الخارجي زخرفة من نقاط غائرة موخوزة، وحزوز خفيفة ممشطة، وحزين غائرين ، ولون السطحين والبنية أبيض.

الخزف : اللوحة رقم : ٥١ أ، الشكل رقم ٢٥

١٦ ـ كسرة من قاعدة وبدن طبق من الخزف الصيني الأبيض المستورد ذو العجينة البيضاء النقية الصلبة التي شكلت من عجينة الكاولين، والتزجيج أبيض لامع وسميك على السطحين الداخلي والخارجي، والتزجيج قد يكون شفافا ولذا يأخذ لون السطحين أو العجينة، والقاعدة حَلَقية الشكل . ولون البنية أبيض، والصناعة على الدولاب.

١٧ ـ كسرة من حافة وبدن زبدية، ودولابية الصنعة، وذات حافة تميل للخارج، والكسرة ذات عجينة نقية صلبة البنية باهتة، والتزجيج على السطحين شفاف ولذا يأخذ لون البنية، والعجينة تبدو أنها شكلت من عجينة الكاولين الصلبة النقية.

الخزف القصديري المطلي المخطط والمبقع: اللوحة رقم : ٥١ أب، **الشكل رقم ٢٥، ٢٦ :**

١٨ ـ كسرة من بدن إناء ذات تزجيج قصديري أبيض على السطحين، ومزخرف بخطوط مطلية مائلة للخضرة، والكسرة دولابية الصنعة، والبنية ذات لون بني باهت.

١٩ ـ كسرة من بدن وقاعدة طبق ذات تزجيج مبقع متآكل نتيجة عوامل التعرية وتبقّى على السطحين لون أصفر خلفته أكاسيد التزجيج، والقاعدة حَلَقيّة غير مرتفعة، والعجينة قرنفلية اللون.

٢٠ ـ كسرة من جزء من بدن وقاعدة طبق من نمط الخزف ذو الطلاء المبقع، والطلاء متآكل وتبقى منه على سطحي الكسرة مادة أكسيدية صفراء سهلة الإزالة، والقاعدة حلقية غير مرتفعة ذات لون قرنفلي.

الخزف القصديري ذو الطلاء الكوبالتي: اللوحة رقم : ٥٢ أ، الشكل رقم ٢٧ :

٢١ ـ كسرة من بدن إناء مزججة السطحين، والسطح الداخلي عليه طلاء تزجيج أبيض خفيف (قصديري)، بينما تزجيج السطح الخارجي أبيض سميك عليه زخرفة من وريقات نباتية بلون أزرق كوبالتي، والعجينة ذات لون بني باهت.

٢٢ ـ كسرة من بدن طبق ذات بريق معدني لامع على السطحين، والسطح الداخلي عليه زخرفة نباتية من وريقات وأغصان بلون زيتي لامع، والسطح الخارجي متآكل ويبدو أنه كان مغطى بتزجيج ذي بريق معدني بنفسجي داكن اللون، والبنية ذات لون بني باهت.

الخزف ذو الطلاء الواحد : اللوحات أرقام ٥٢ب، ٥٣ أب، ٥٤أب، الأشكال من ٢٨ ـ ٤٠ :

٢٣ ـ كسرة من بدن مزهرية أو إبريق ذات تزجيج سميك أخضر اللون على السطح الخارجي، والسطح الداخلي عليه طبقة خفيفة من التزجيج ذات لون أخضر فاتح، والبنية جيدة الحرق وذات لون قرنفلي.

٢٤ ـ إلى ٣١ ـ مجموعة من الحواف لمزهريات وزبديات وقناني وأطباق من الخزف ذي التزجيج الأزرق القلوي مختلفة الأحجام والوظائف، وبعض هذه الكسر عليه زخارف محززة متموجة أو زخارف محززة مستقيمة ومتوازية، والبنية ذات لون أصفر باهت.

٣٢ ـ إلى ٣٤ ـ ثلاث كسر من أجزاء من قواعد سميكة لمزهريات أو جرار تخزين، والقواعد حَلَقيّة مزججة تزجيجاً سميكاً على السطح الخارجي وأقل سماكة على السطح الداخلي، والبنية ذات لون أصفر باهت.

٣٥ ـ إلى ٣٦ ـ كسرتان سميكتان من مزهريتين مزججتين بتزجيج أزرق سميك على السطح الخارجي وتزجيج أزرق خفيف وأقل سمكا على السطح الداخلي، وتوجد أجزاء من مقبض على كل من الكسرتين، والبنية ذات لون أصفر باهت.

٣٧ ـ إلى ٦٦ ـ مجموعة من كسر بدنية من مزهريات وجرار تخزين وأباريق ذات تزجيج قلوي أخضر، وعلى سطوحها الخارجية زخارف مكونة من حزوز دولابية متوازية وبعضها مضلعة وأخرى محززة غائرة متعرجة بحدة أو متموجة، كما تضم المجموعة بعض الكسر ذات الزخارف البارزة في أشكال دوائر وأنصاف دوائر وأقراص.

الحجر الصابوني : اللوحة رقم : ٥٥ أ، الشكل رقم ٤١ ـ ٤٧ :

٦٧ ـ إلى ٧٨ مجموعة من كسر بدنية من قدور طبخ، وأطباق، ومسارج، وتميل مادتها إلى اللون الرمادي المسود، وتظهر على بعضها زخارف منقوشة ومنحوتة.

الزجاج : اللوحة رقم : ٥٥ب، الشكل رقم ٥٦ :

١ ـ جزء من فوهة وبدن كأس زجاجي معتم مائل للسواد، والحافة عمودية ذات

شفة مسطحة، والسطح الخارجي عليه زخارف غائرة محززة متوازية ومستقيمة.

٢ ـ كسرة من فوهة ورقبة قنينة زجاجية صغيرة مخضرة شفافة، وحافة الفوهة تميل للخارج قليلاً.

٣ـ كسرة من فوهة وبدن قنينة متوسطة الحجم ذات لون أخضر خفيف شفاف، وحافة الفوهة تميل للخارج ولها شفة شبه مسطحة.

٤ ـ جزء من فوهة ورقبة قنينة من عجينة زجاجية خضراء شفافة، وأسطوانية الشكل ومستقيمة العنق، وعليها زخرفة عبارة عن حزوز غائرة متوازية ومستقيمة.

٥ ـ جزء من قاع قنينة سميكة، والقاعدة لها تقعير في أسفلها، والكسرة شبه شفافة، ويميل لونها للون الأزرق.

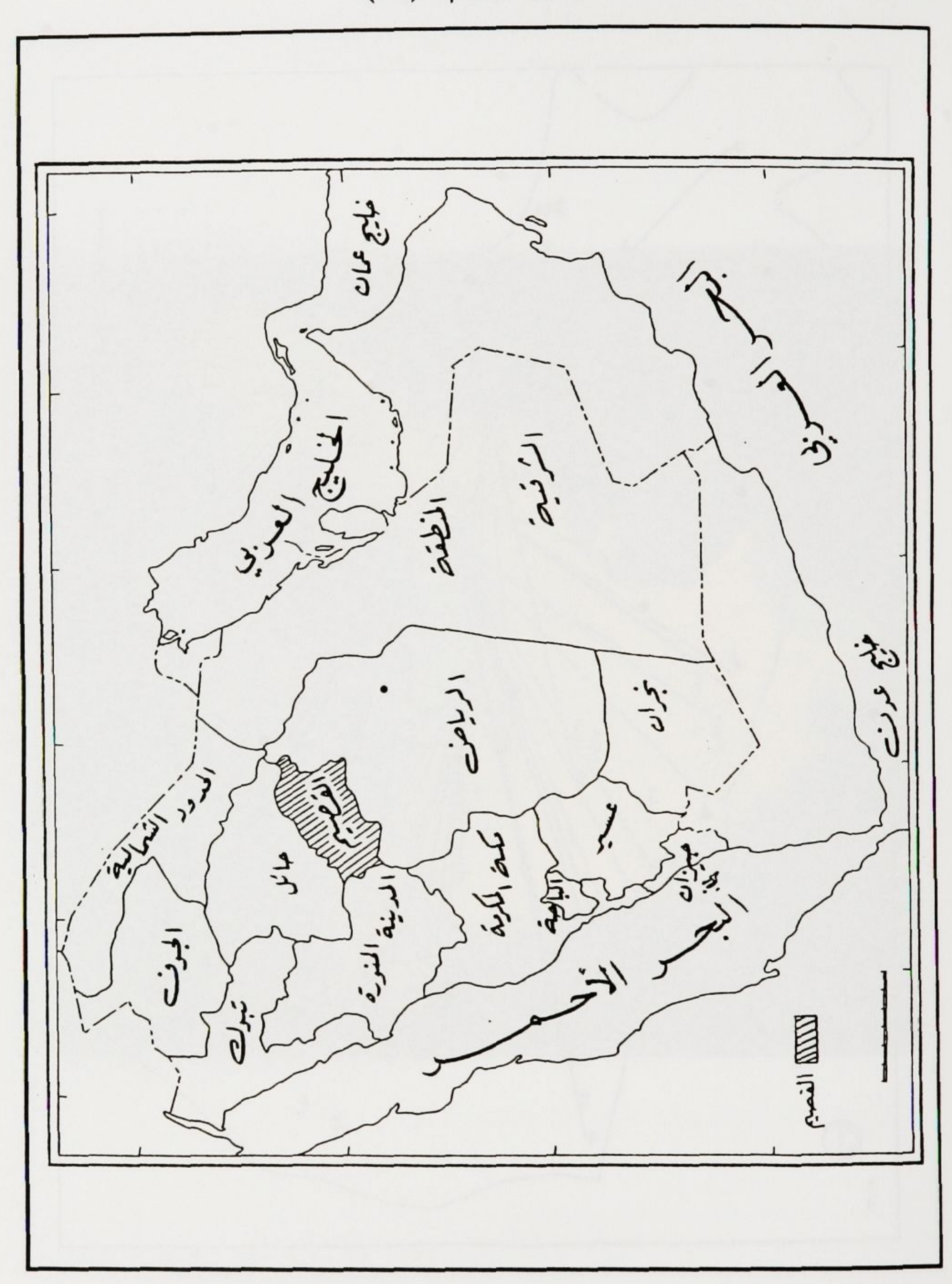
الكسر البرونزية : اللوحة رقم : ٥٦ أ، الشكل رقم ٤٩ :

١ ـ جزء من ملعقة.

٢ ـ جزء من أداة عليها زخارف محززة ومستقيمة ومتوازية.

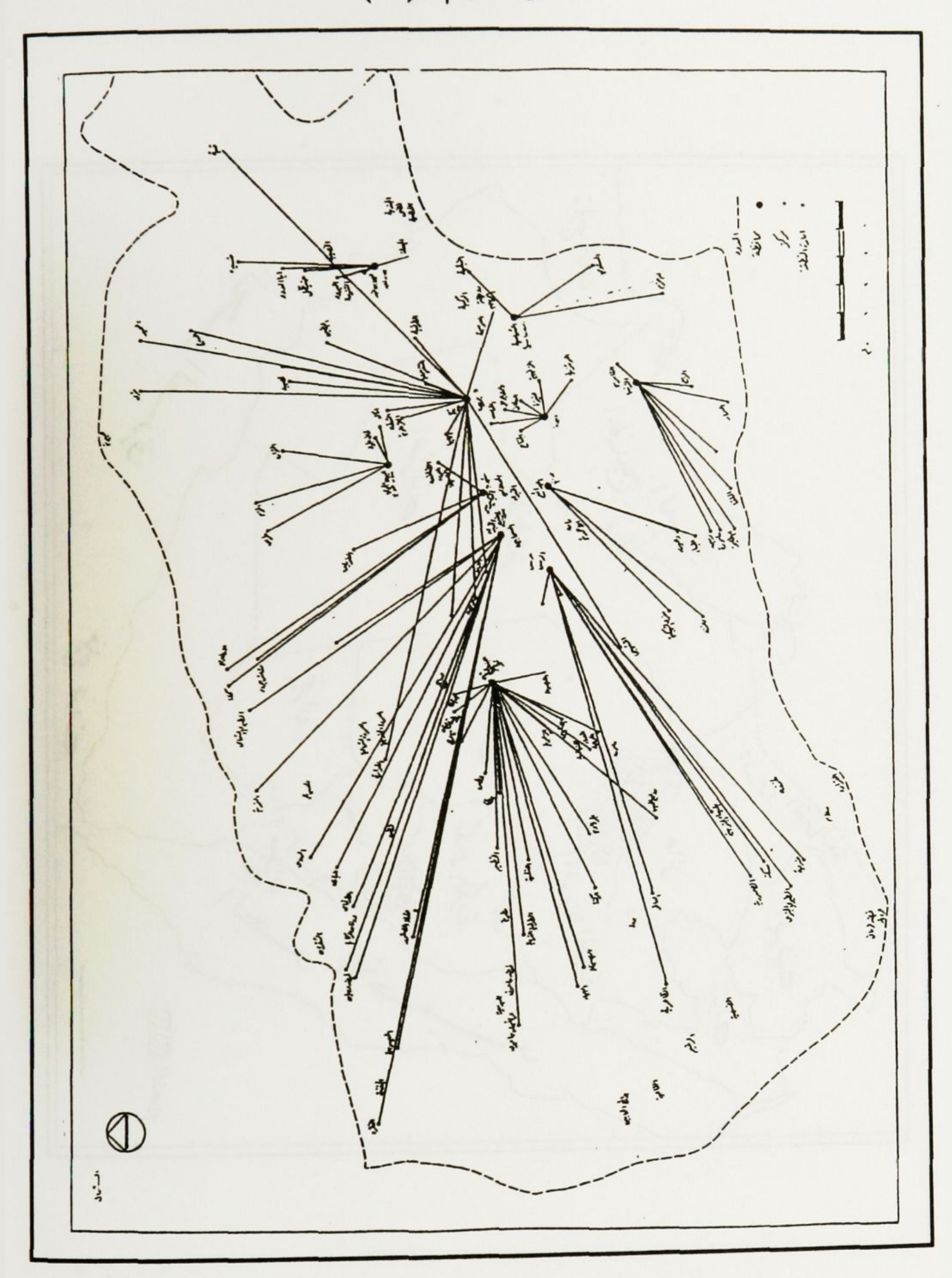
الخرائط

الخريطة رقم (١)



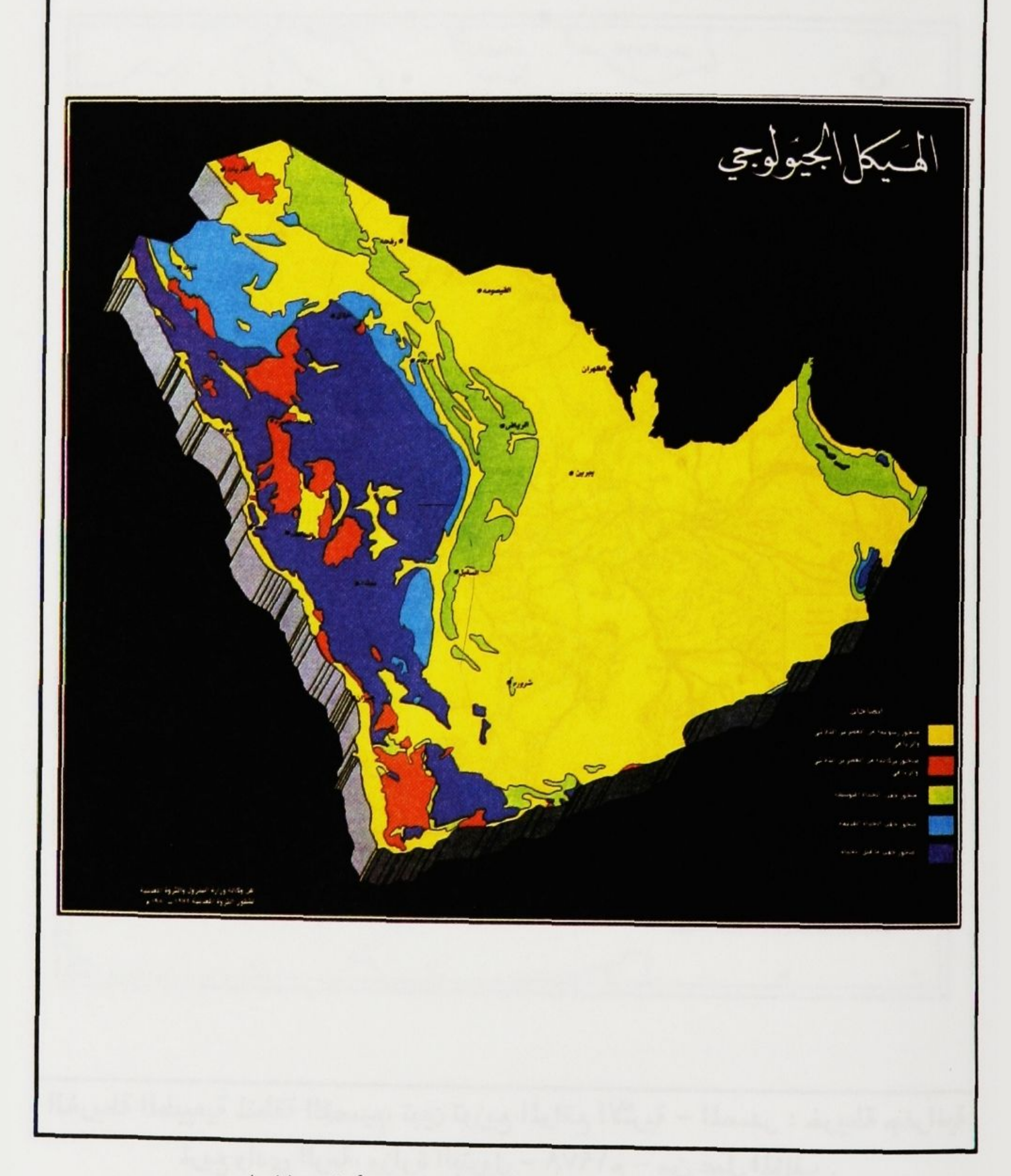
مربع القصيم داخل خريطة المملكة - من عمل المؤلف .

الخريطة رقم (٢)



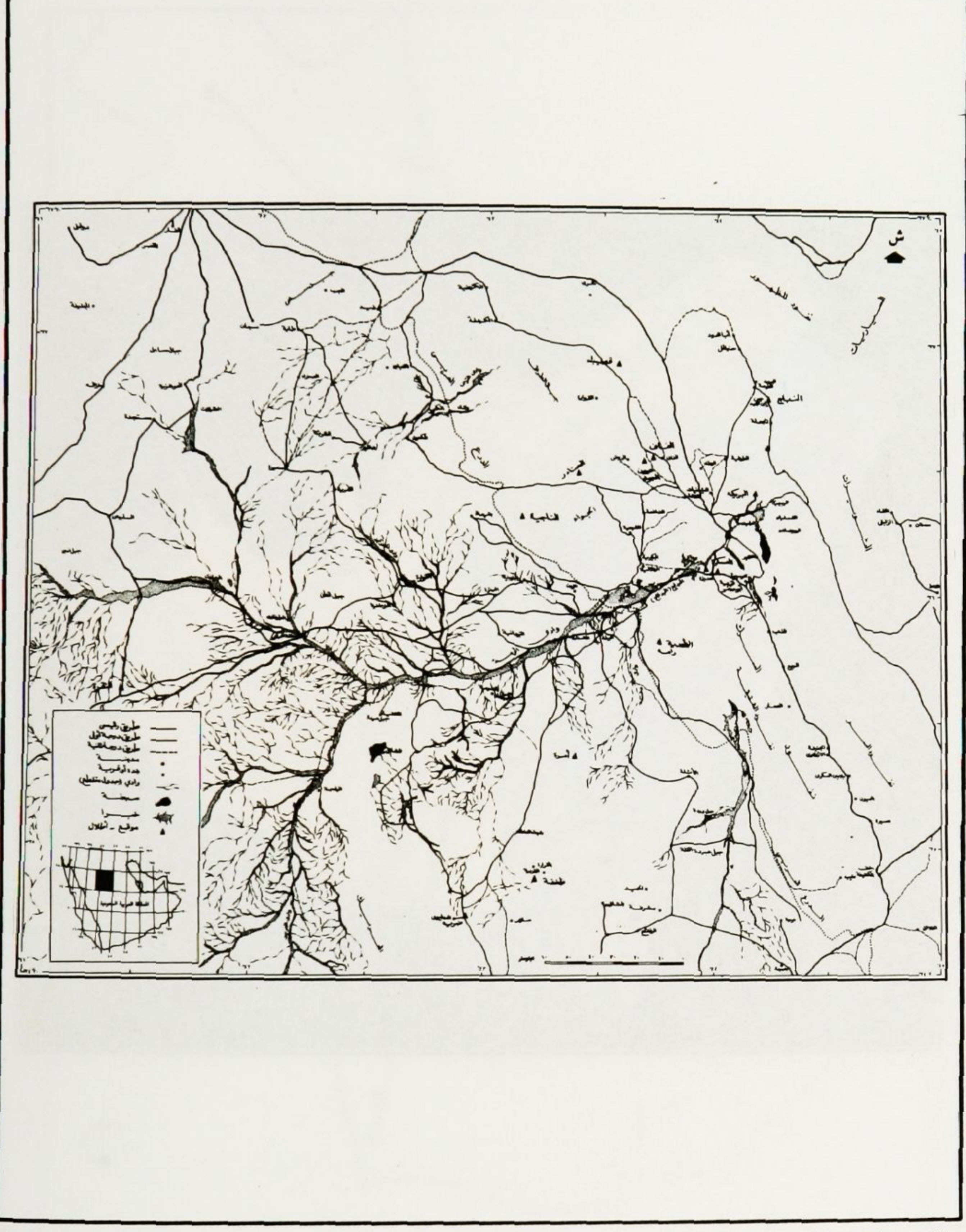
خريطة توزيع المحافظات والمراكز في القصيم - من عمل المؤلف .

الخريطة رقم (٣)



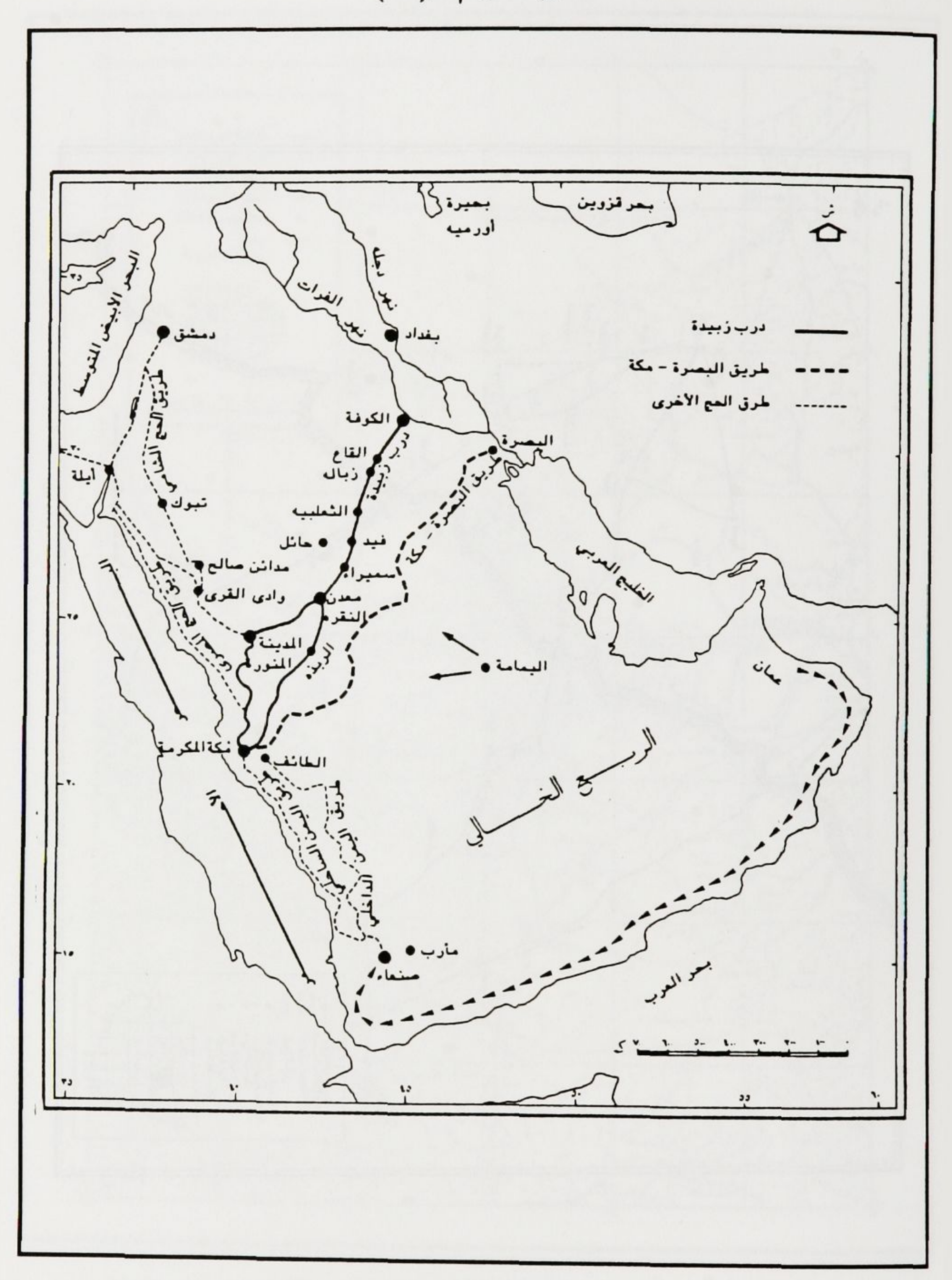
الخريطة الجيولوجية للمملكة – المصدر : أطلس المياه .

الخريطة رقم (٤)



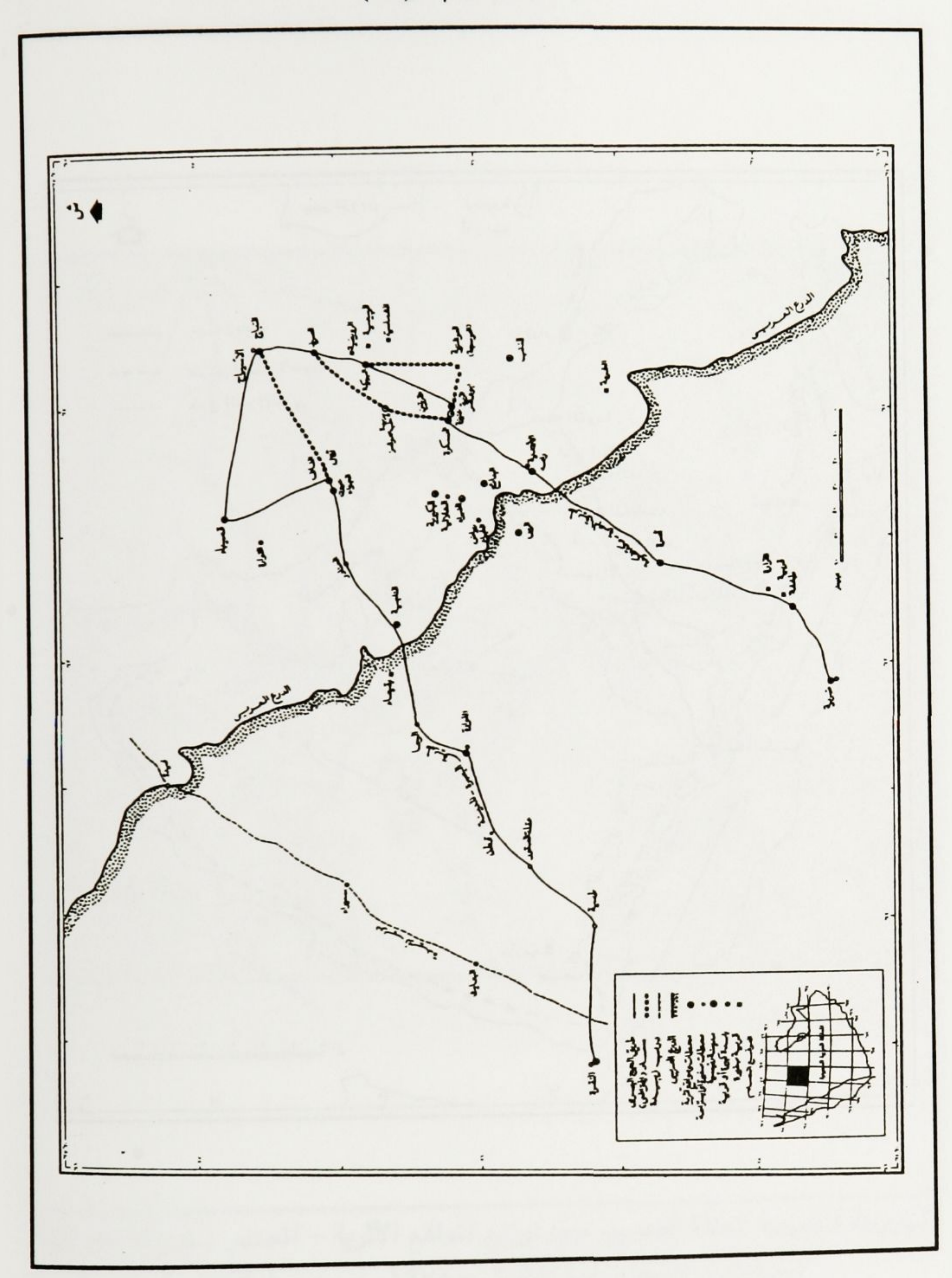
الخريطة الطبيعية لمنطقة القصيم، تبين توزيع المواقع الأثرية - المصدر : خريطة جغرافية لمربع وادي الرمة، وزارة البترول - ١٩٧٨م - من عمل المؤلف .

الخريطة رقم (٥)



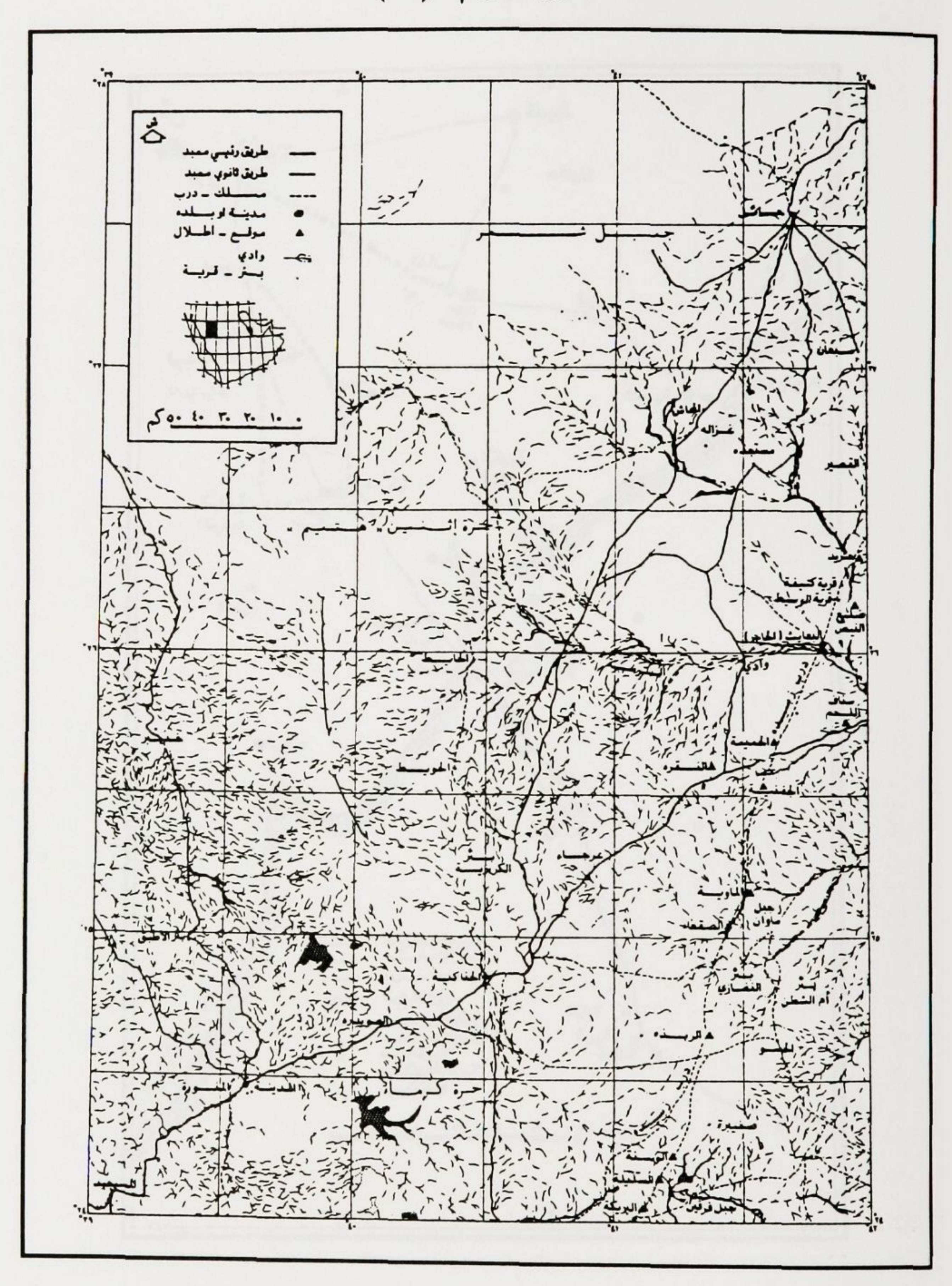
طرق الحج والتجارة في الجزيرة العربية المصدر : الراشد ، درب زبيدة .

الخريطة رقم (٦)



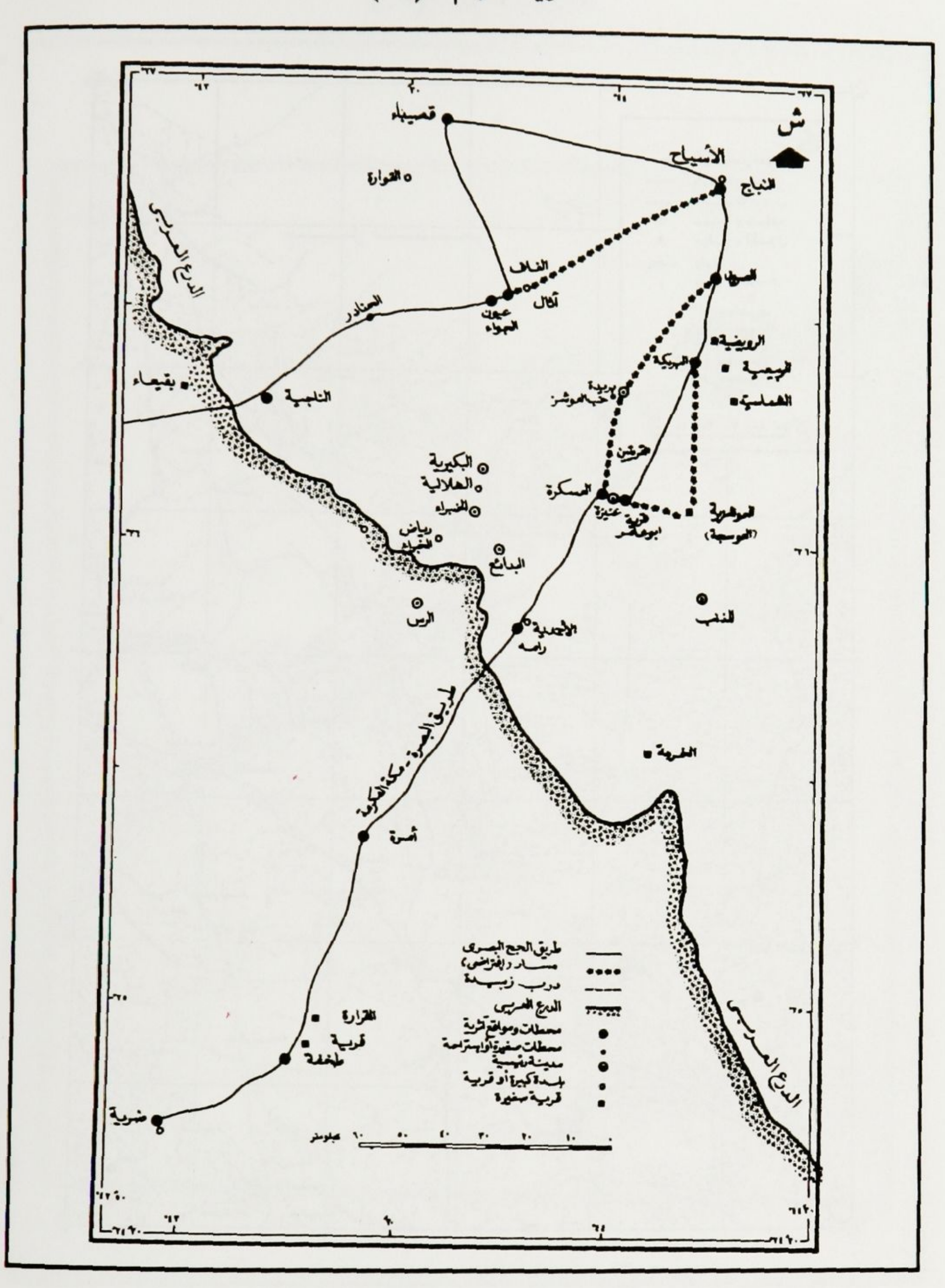
أهم مسارات طرق الحج والتجارة داخل منطقة القصيم - من عمل المؤلف .

الخريطة رقم (٧)



مسار طريق الحج الكوفي في منطقة القصيم المصدر : الراشد، درب زبيدة .

الخريطة رقم (٨)

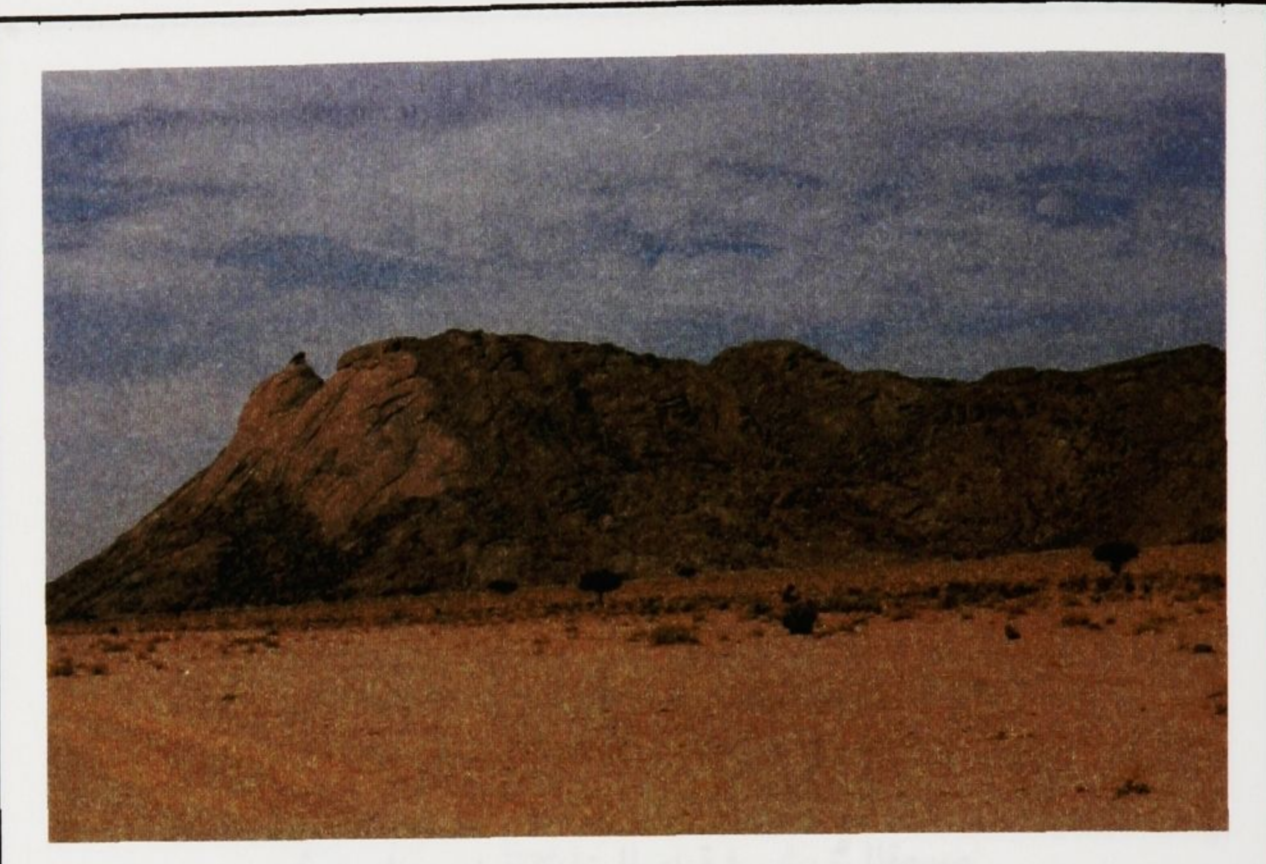


خريطة للعينة المختارة للمسح في منطقة القصيم - من عمل المؤلف .


اللوحات



اللوحة رقم (١)



أ - أحد الجبال في جنوب غرب القصيم



ب - إحدى الهضاب الصخرية في غرب القصيم .

اللوحة رقم (٢)



أ - جانب من الكثبان الرملية في شرق القصيم

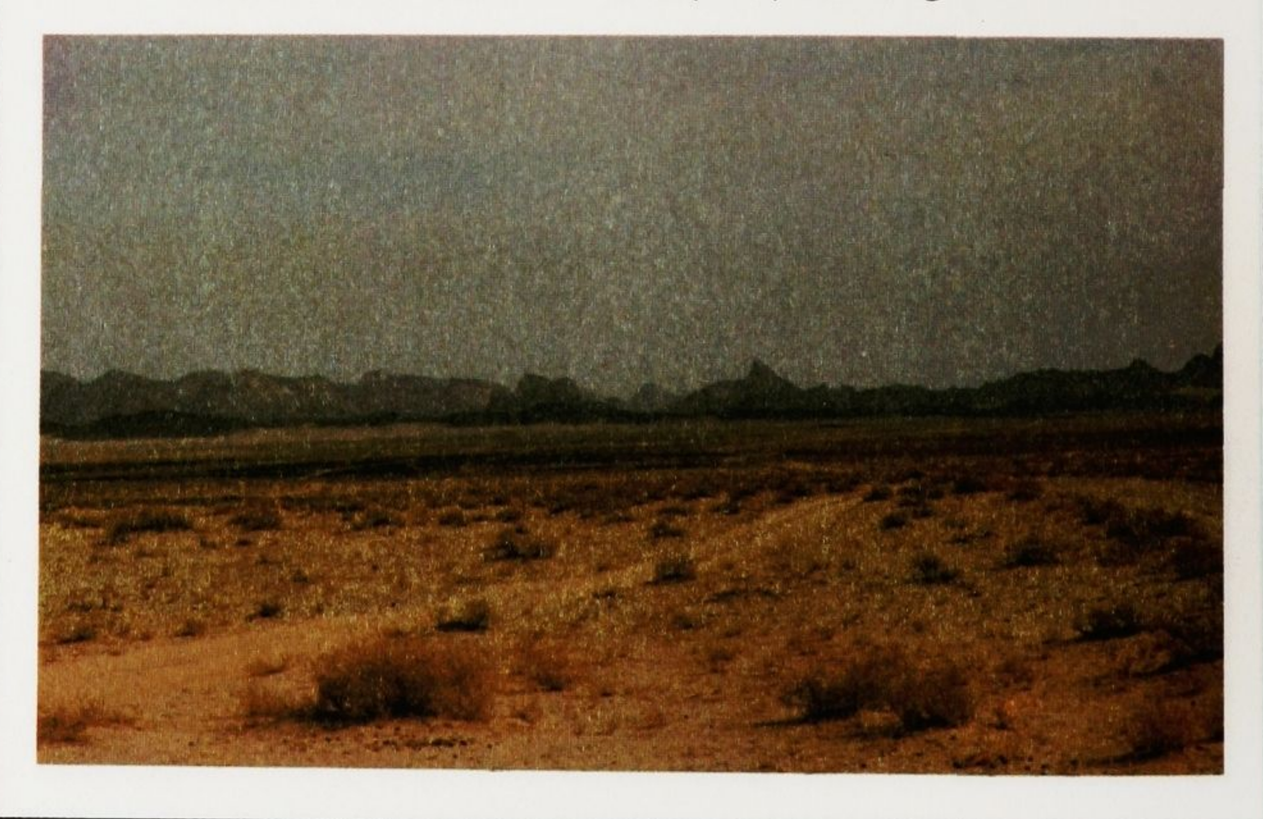


ب - قصيباء، أحد المنخفضات الزراعية .

اللوحة رقم (٣)

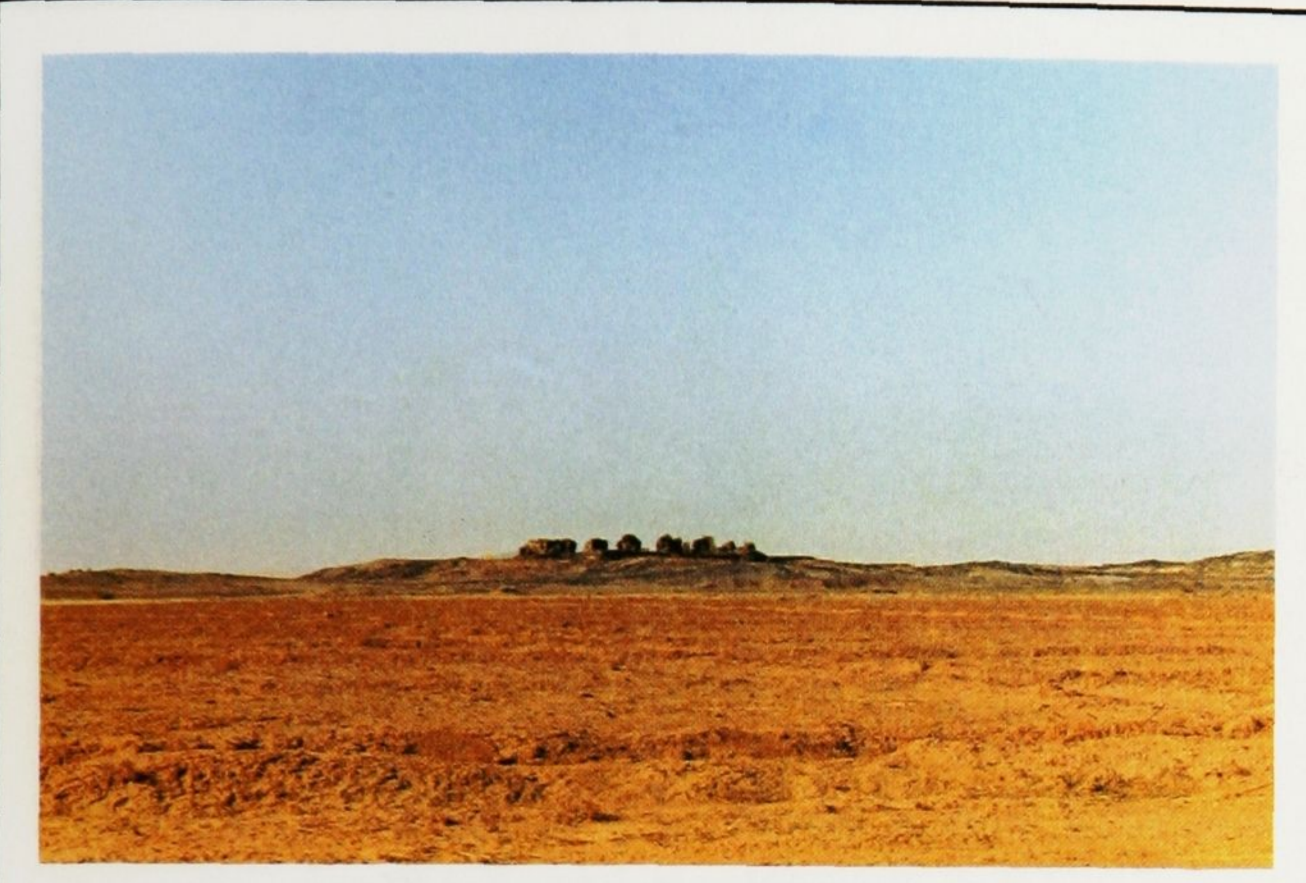


أ - قاع الأبيض (بولان) وتلاحظ الأرض الموحلة بالطين



ب - أحد مجاري وادي الرمة في جنوب غرب القصيم مبينًا اتساع الوادي .

اللوحة رقم (٤)



أ - قصر مارد بالنباج، يقوم على هضبة صخرية



ب - السور الشمالي في قصر مارد بالنباج .

اللوحة رقم (٥)



أ - البوابة الرئيسية لقصر مارد وتظهر أجزاء من ساحة القصر



ب - الركن الشمالي الغربي لقصر مارد .

اللوحة رقم (٦)



أ - طريقة البناء في قصر مارد (الحطات)



ب - السور الجنوبي لقصر مارد، وتظهر أبراج القصر .

اللوحة رقم (٧)

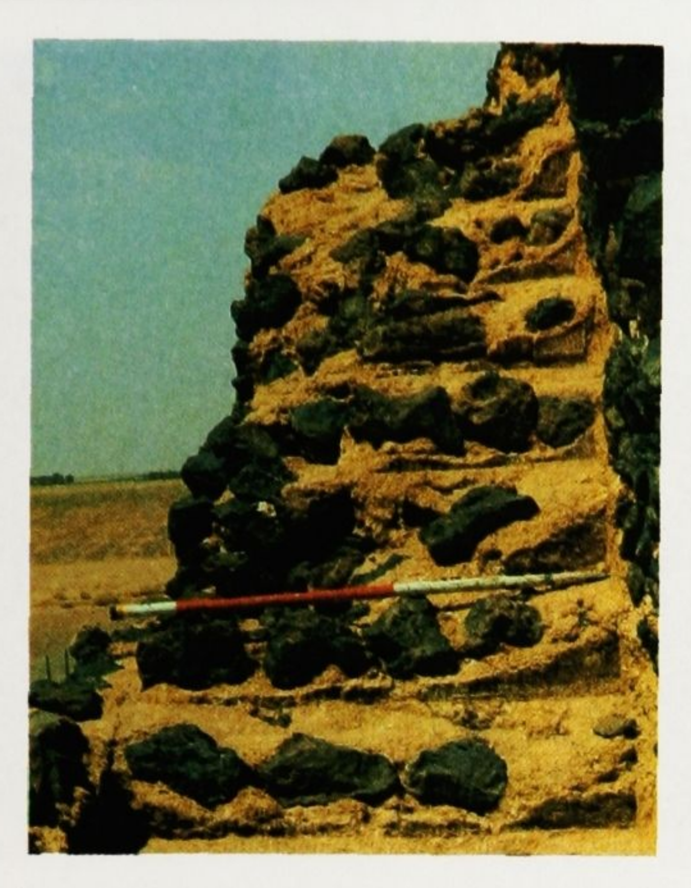


أ - عقد مدبب في الوحدة المعمارية الشمالية في قصر مارد

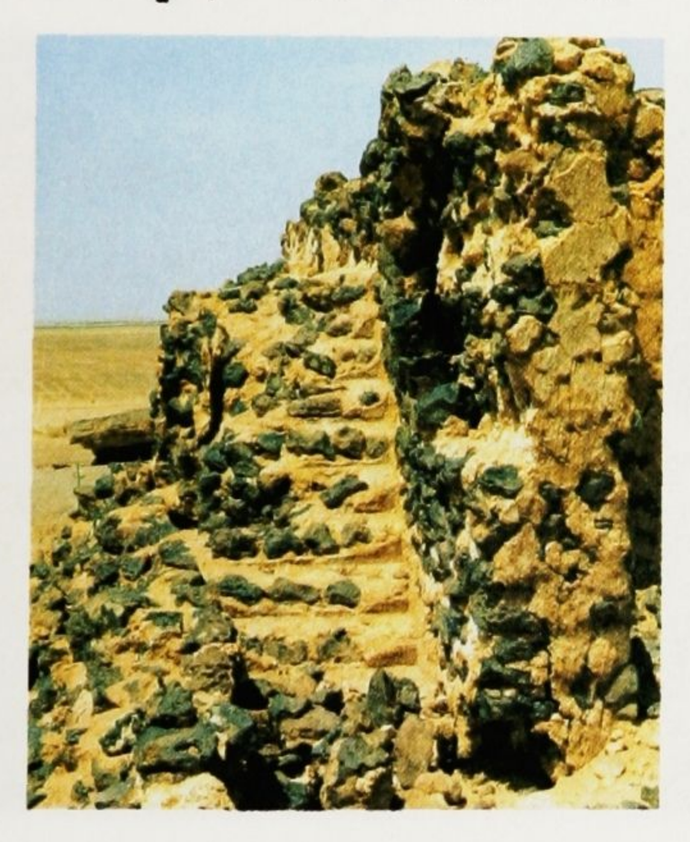


ب - عقود نصف أسطوانية في الوحدة المعمارية الشمالية بقصر مارد .

اللوحة رقم (٨)



أ - الأجزاء المتبقية من درج السلم في قصر مارد

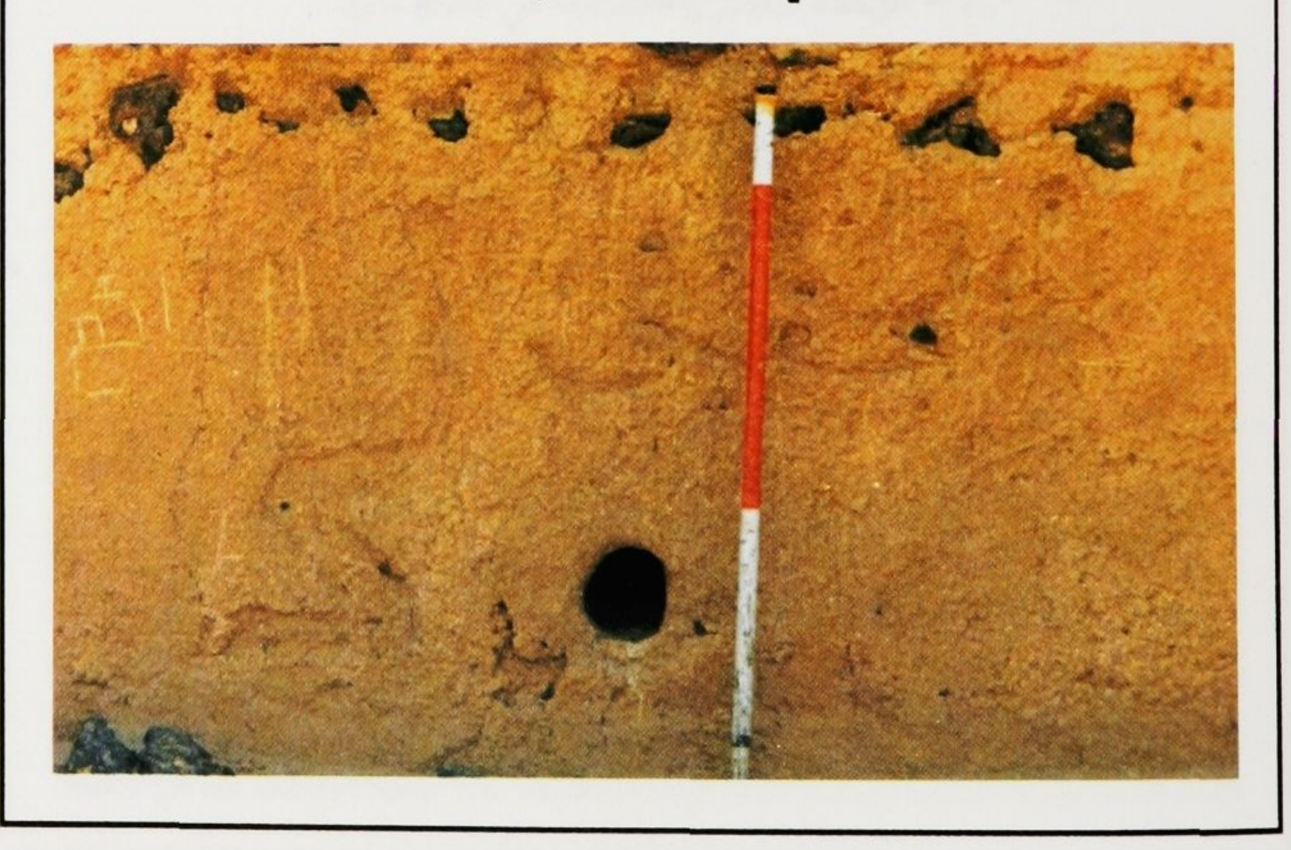


ب - الدرج في قصر مارد يقوم على عقود نصف أسطوانية .

اللوحة رقم (٩)



أ - كتف في وسط الغرفة رقم ٨ بقصر مارد

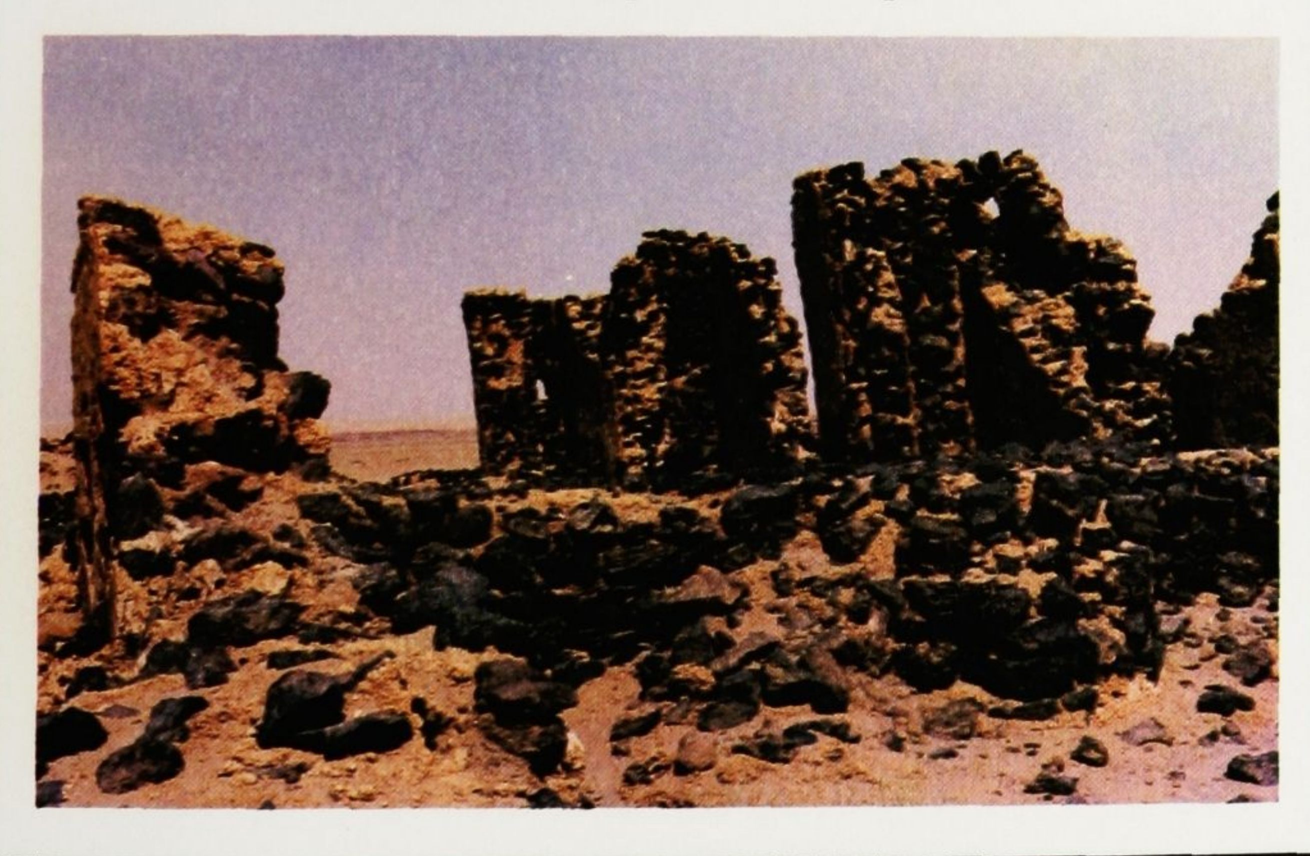


ب - فتحة مجرى الماء في السور الشرقي لقصر مارد .

اللوحة رقم (١٠)

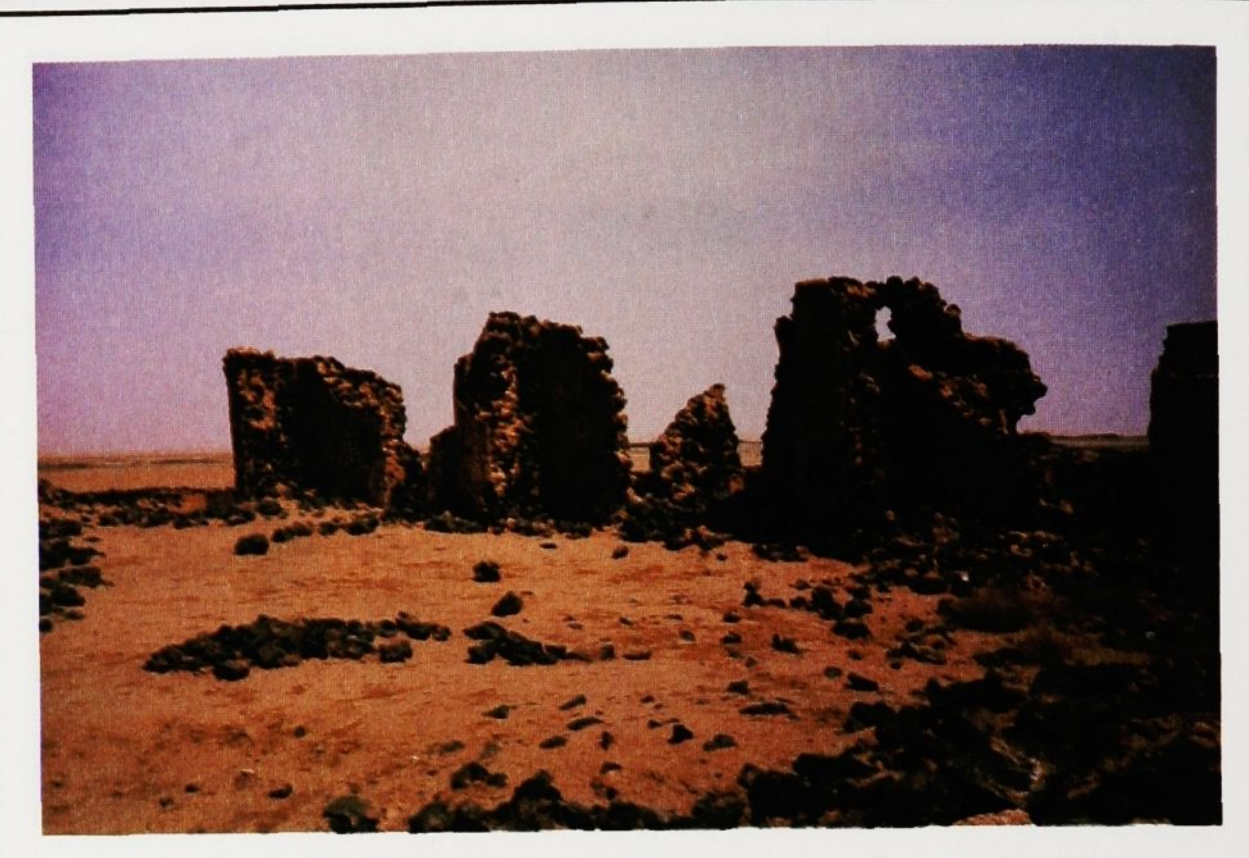


أ - الأعمدة التي تحمل العقود في الوحدة الجنوبية بقصر مارد



ب - الوحدة الجنوبية في قصر مارد .

اللوحة رقم (١١)

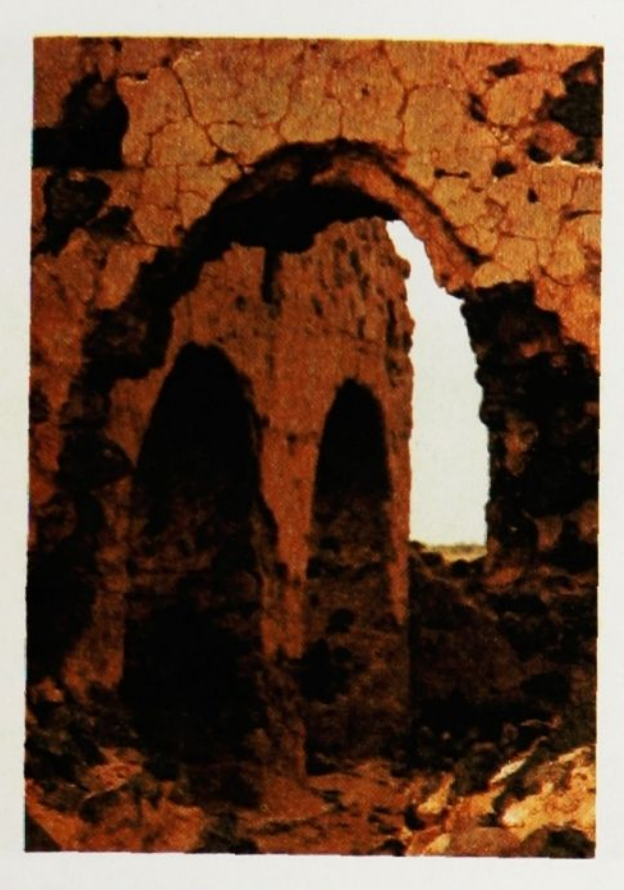


أ - الوحدة المعمارية الشرقية في قصر مارد

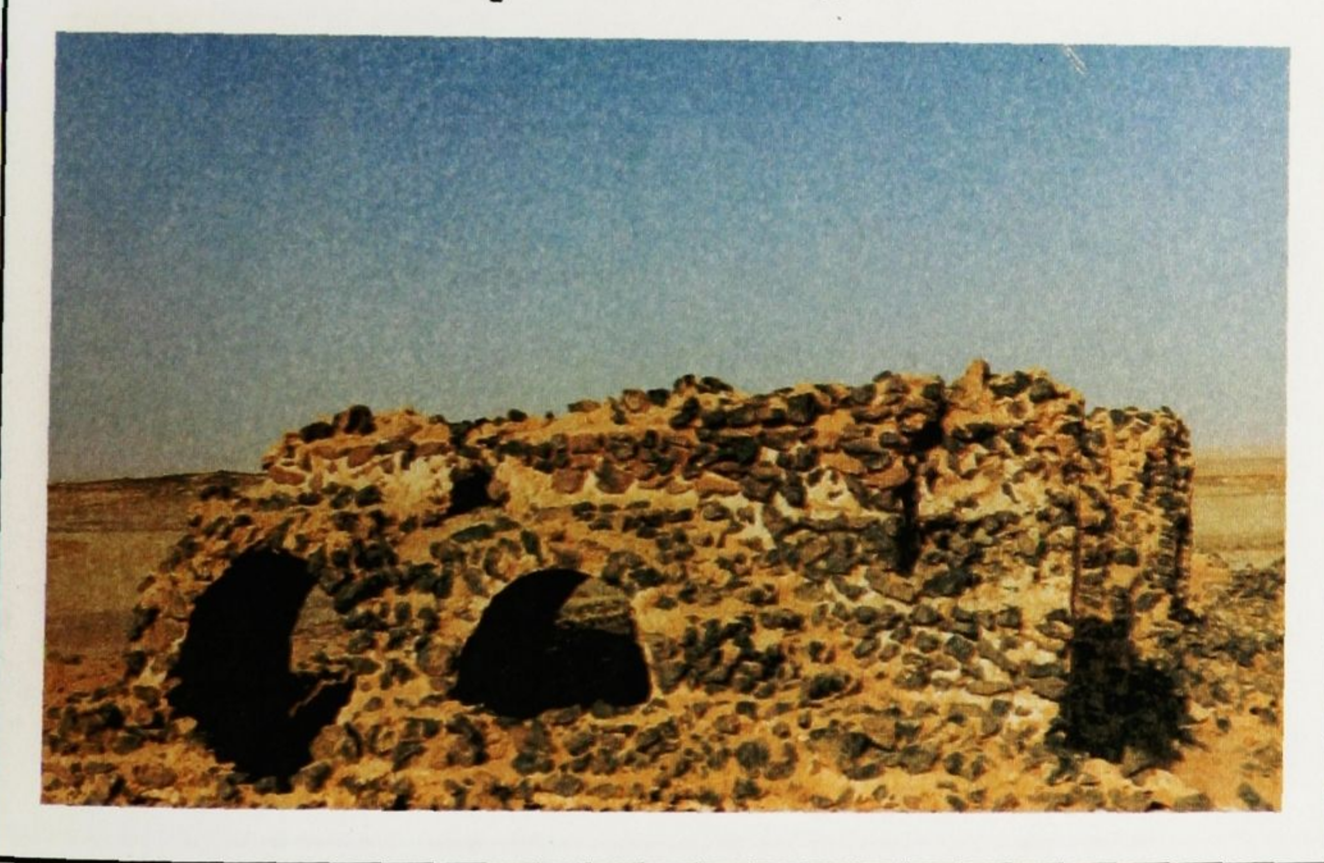


ب - عقود متهدمة في الوحدة الشرقية من قصر مارد .

اللوحة رقم (١٢)

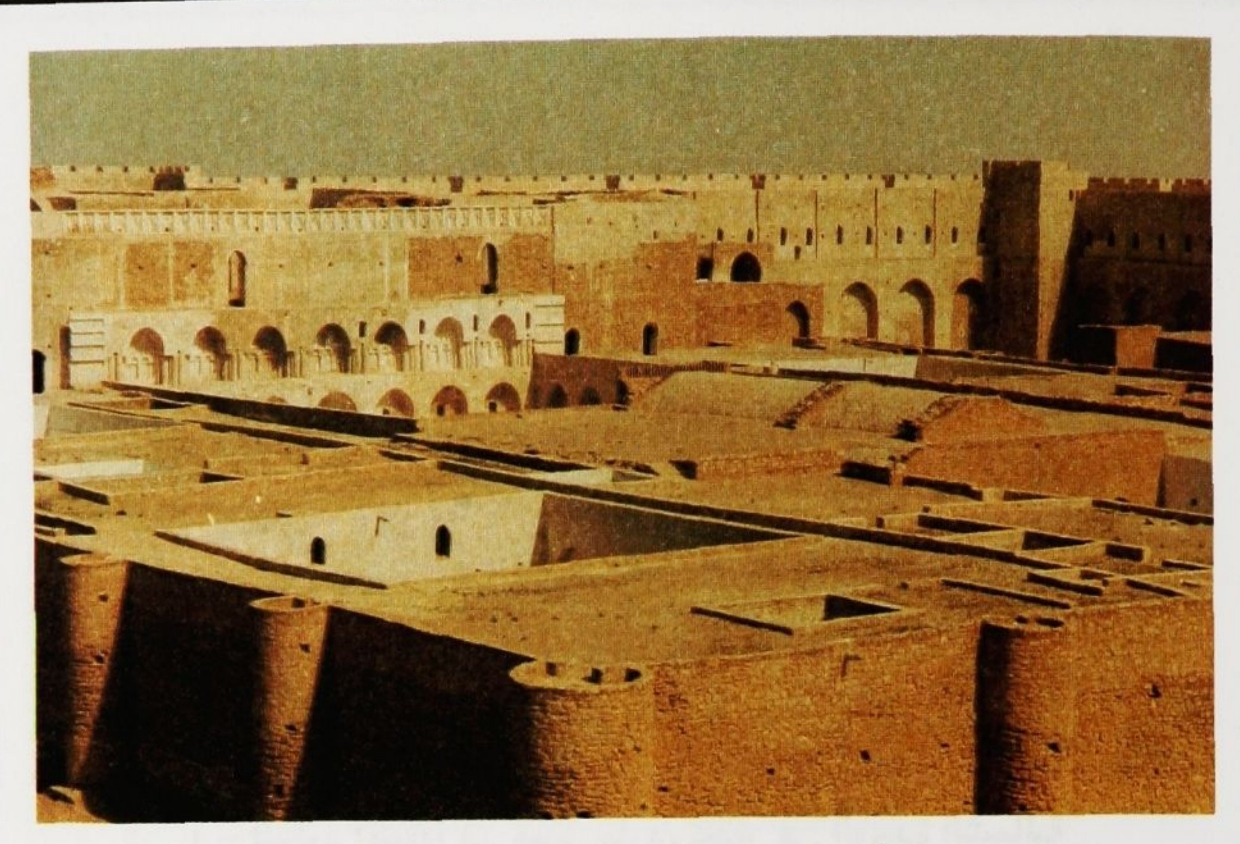


أ - عقود مدببة نصف أسطوانية في قصر مارد

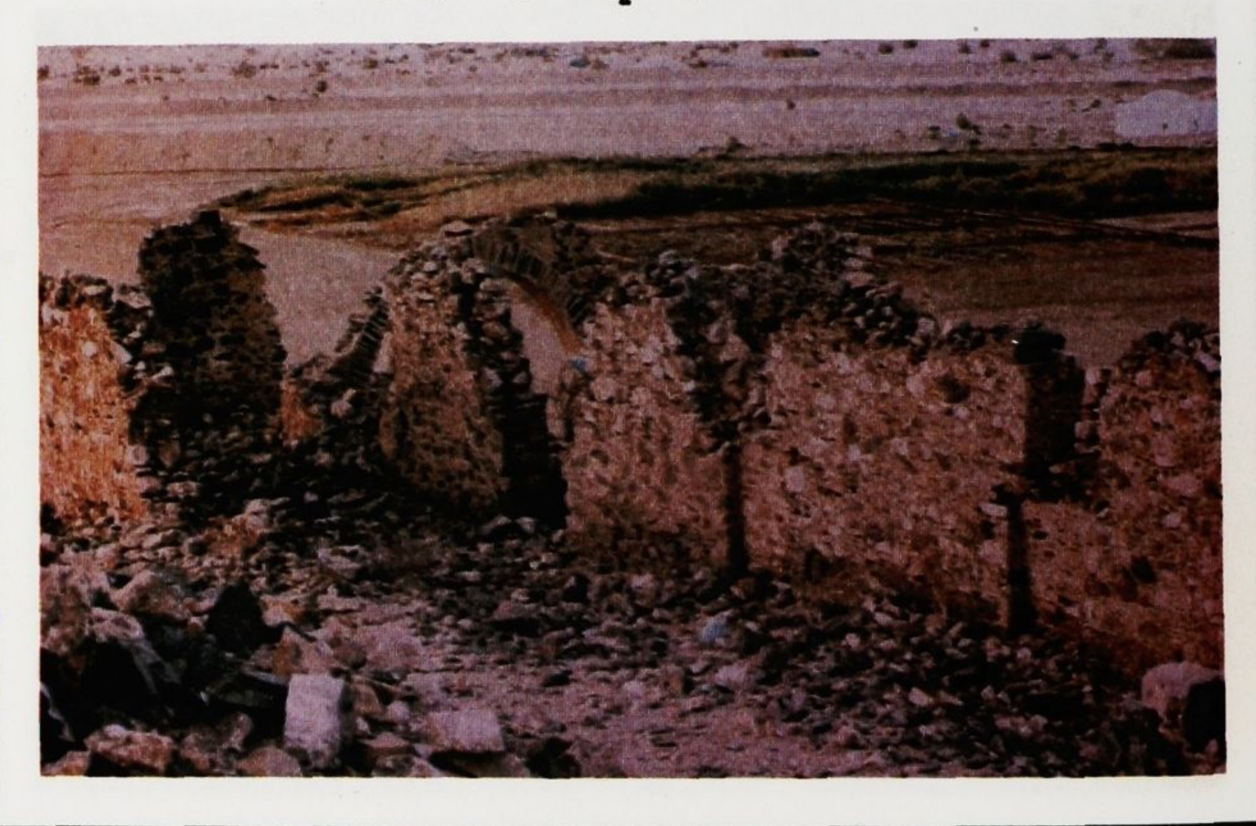


ب - عقود نصف أسطوانية في قصر مارد .

اللوحة رقم (١٣)



أ - عقود مدببة في حصن الأخيضر

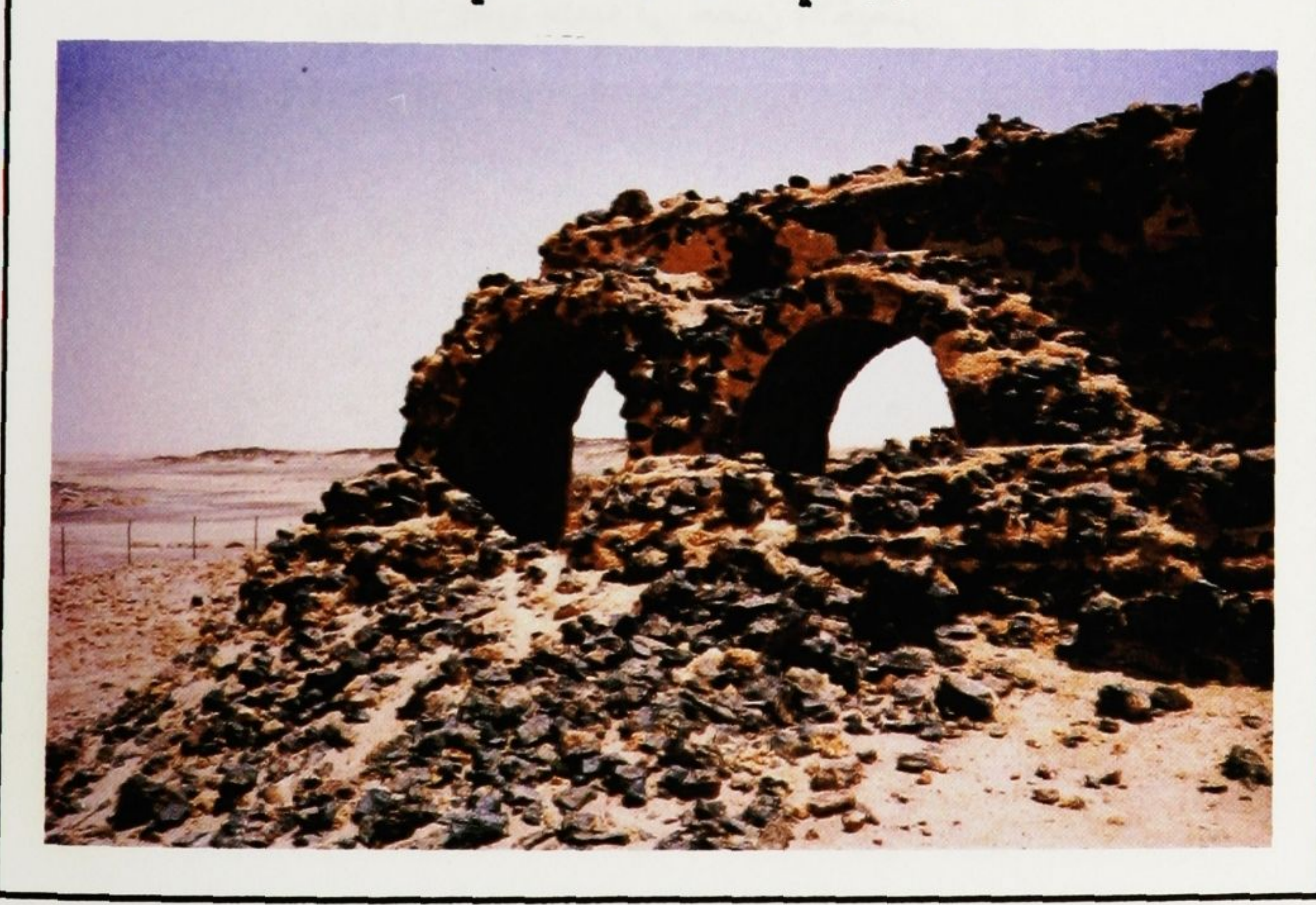


ب - عقد مدبب في قصر عكاظ - الطائف .

اللوحة رقم (١٤)



أ - العقود المتبقية في قصر مارد، تظهر في الوحدة الشمالية



ب - تشكل الحجارة عنصراً رئيساً في بناء قصر مارد .

اللوحة رقم (١٥)

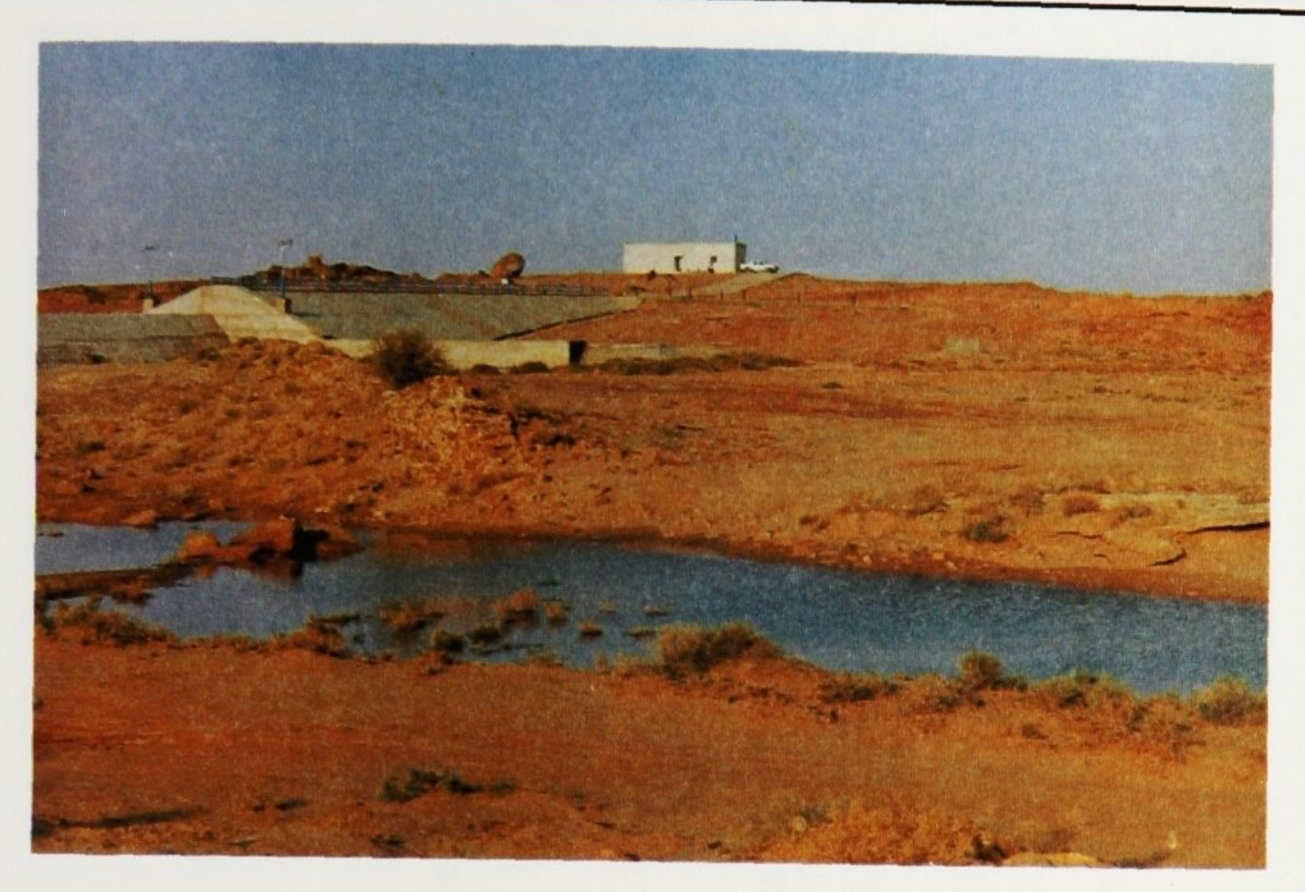


أ - طريقة البناء المستخدمة في قصر مارد

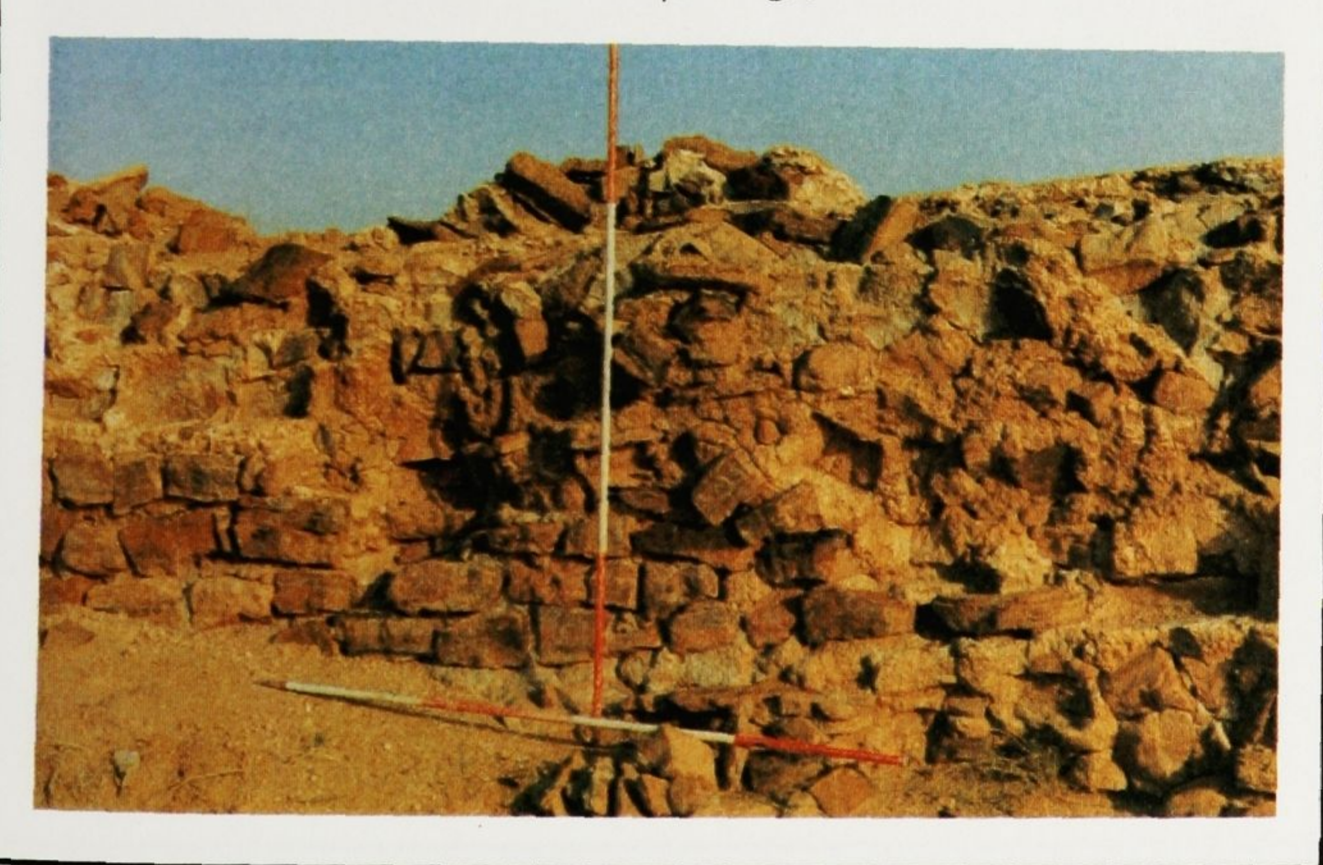


ب - خلط كمية من الحجارة مع المادة الجصية (قصر مارد) .

اللوحة رقم (١٦)

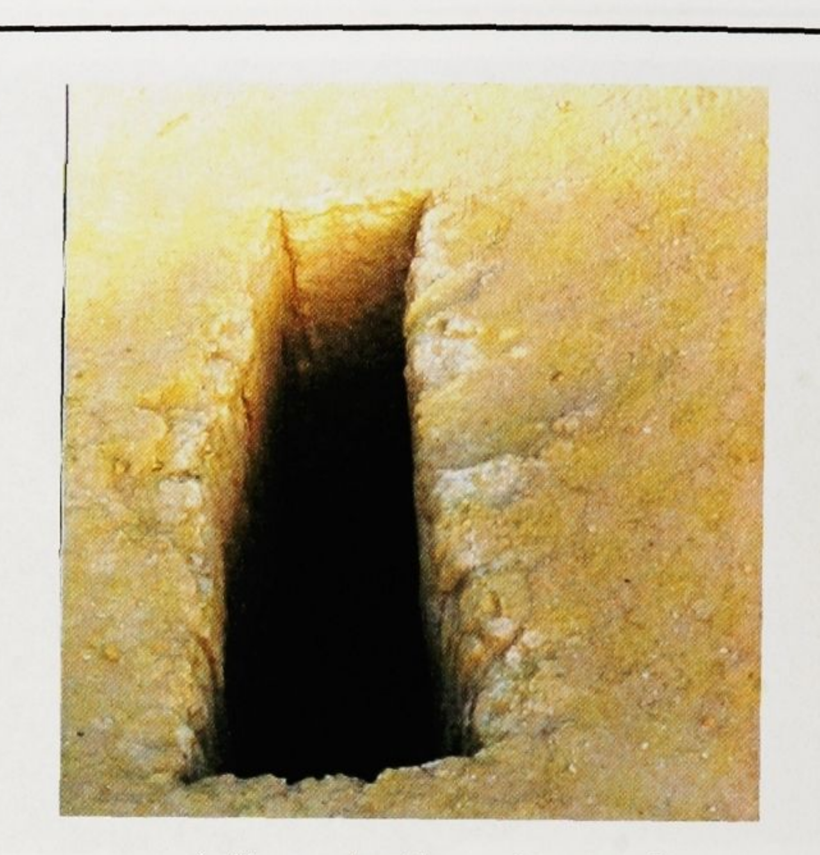


أ - سد النباج القديم بجوار السد الحديث

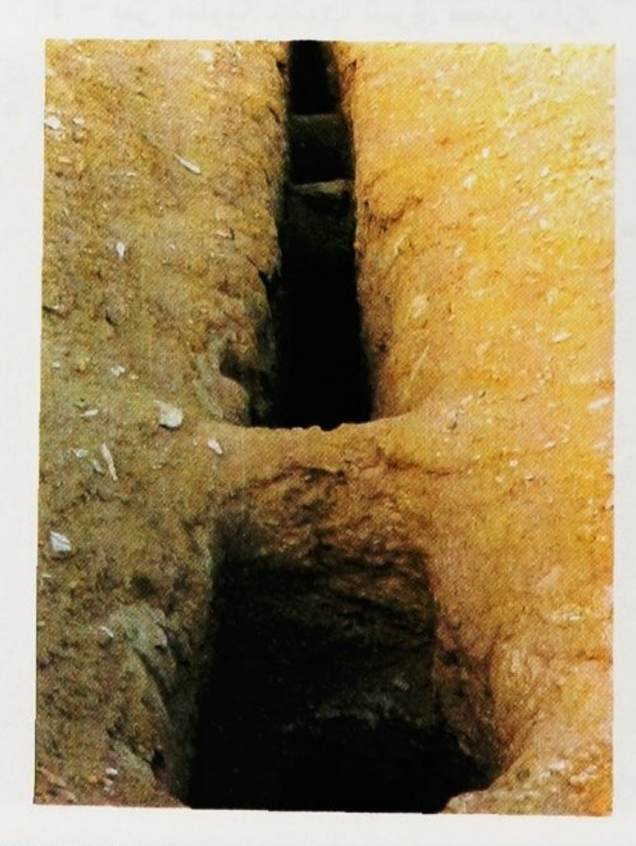


ب - طريقة بناء سد النباج .

اللوحة رقم (١٧)



أ - فتحة إحدى القنوات في النباج



ب - الجزء الشرقي من إحدى قنوات النباج .

اللوحة رقم (١٨)

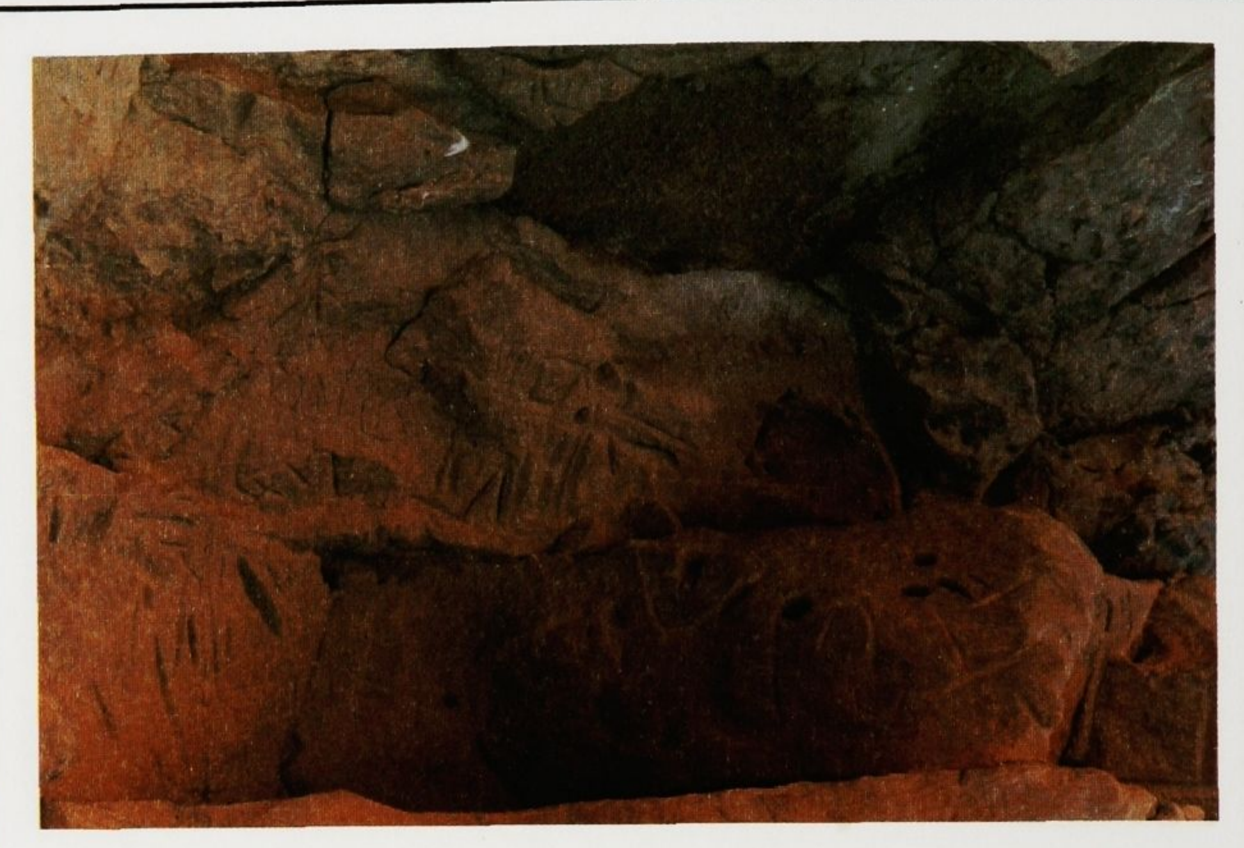


أ - بئر مطوية جنوب شرق قصر مارد

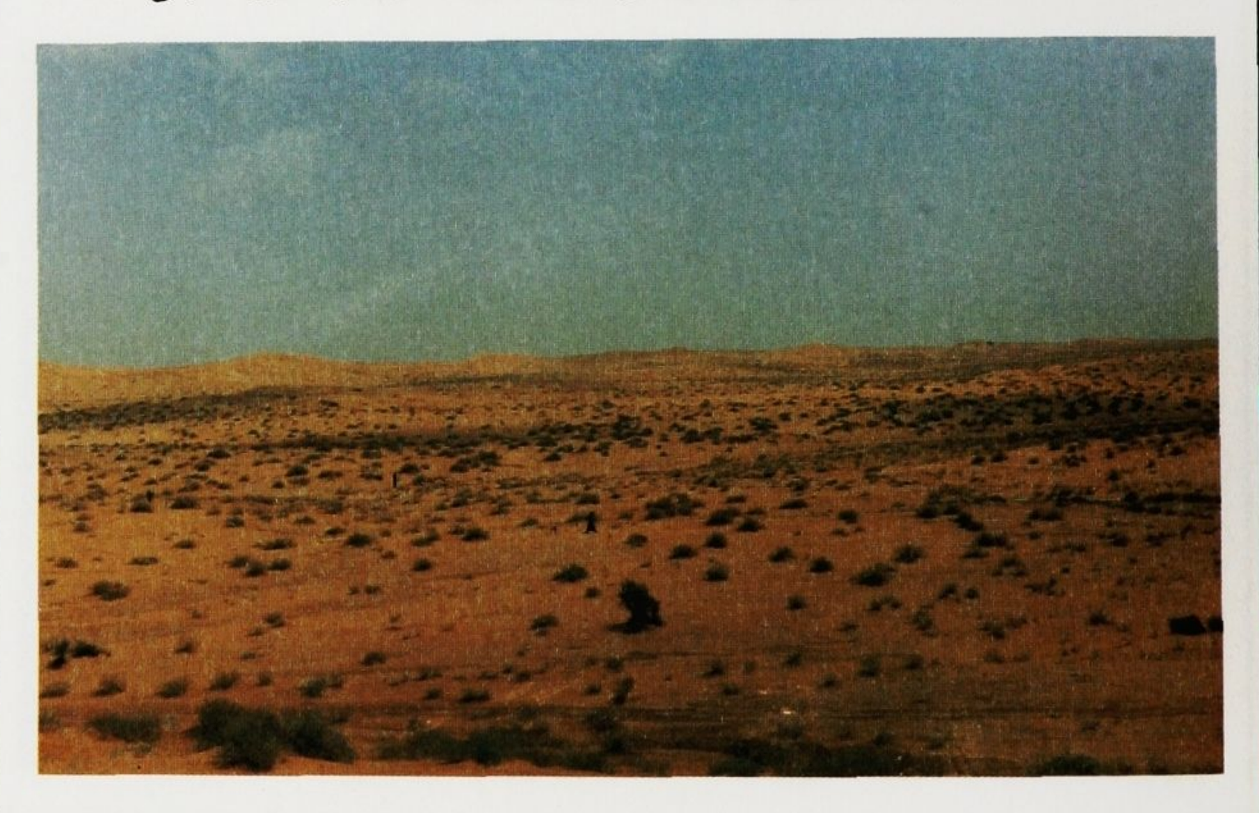


ب - بئر محفورة في الصخر جنوب شرق قصر مارد .

اللوحة رقم (١٩)



أ - مخربشات وكتابات قديمة على جبال النصلة جنوب شرق النباج

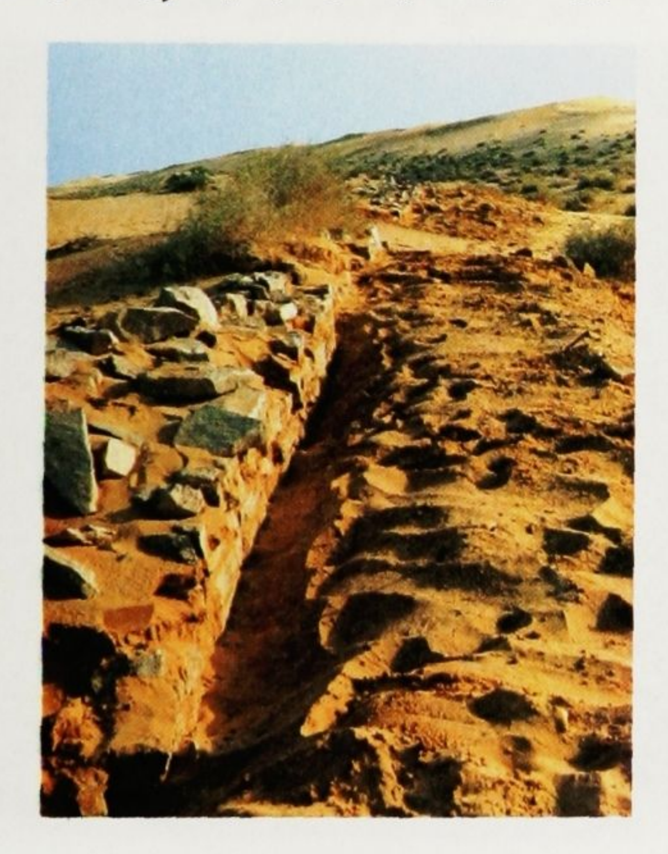


ب - منظر عام لموقع العوسجة .

اللوحة رقم (٢٠)



أ - أجزاء من قصر العوسجة بعد إزالة الرمال

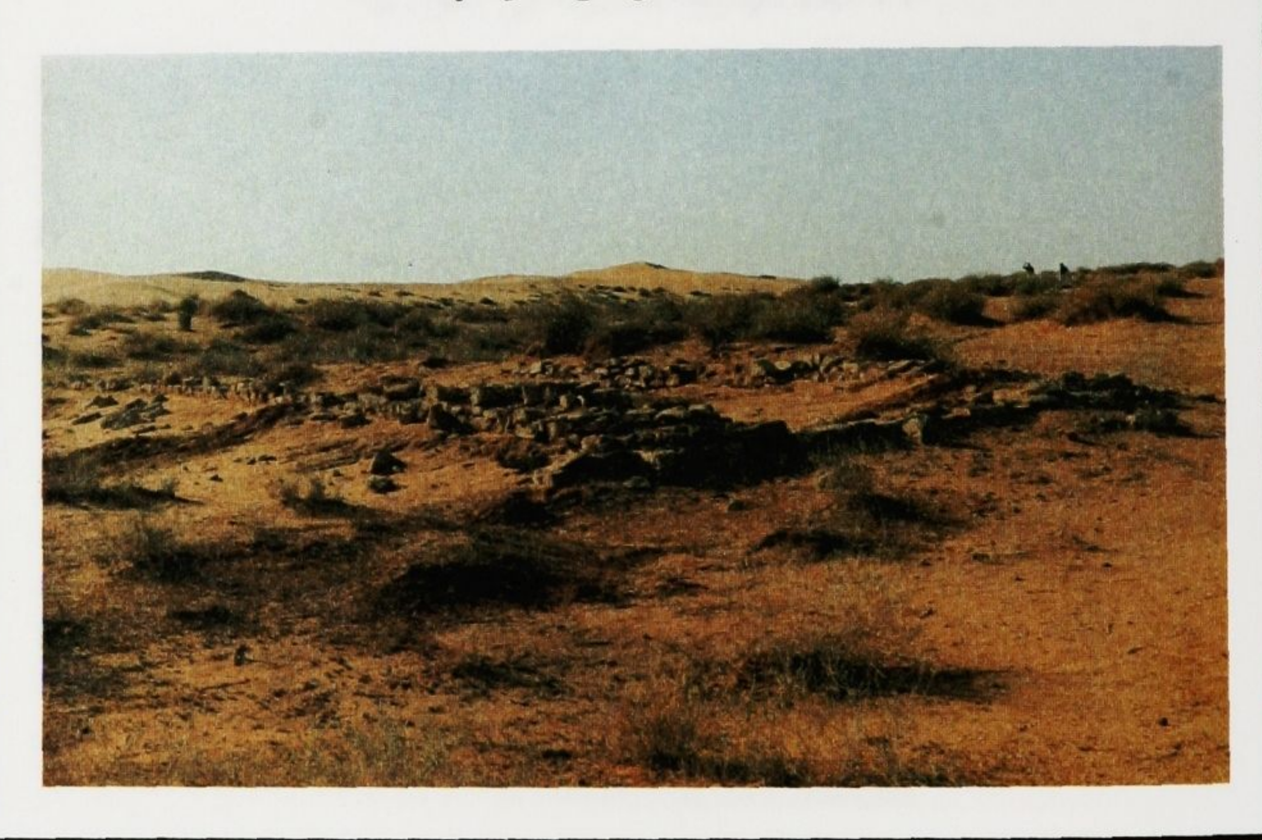


ب - السور الغربي لقصر العوسجة .

اللوحة رقم (٢١)

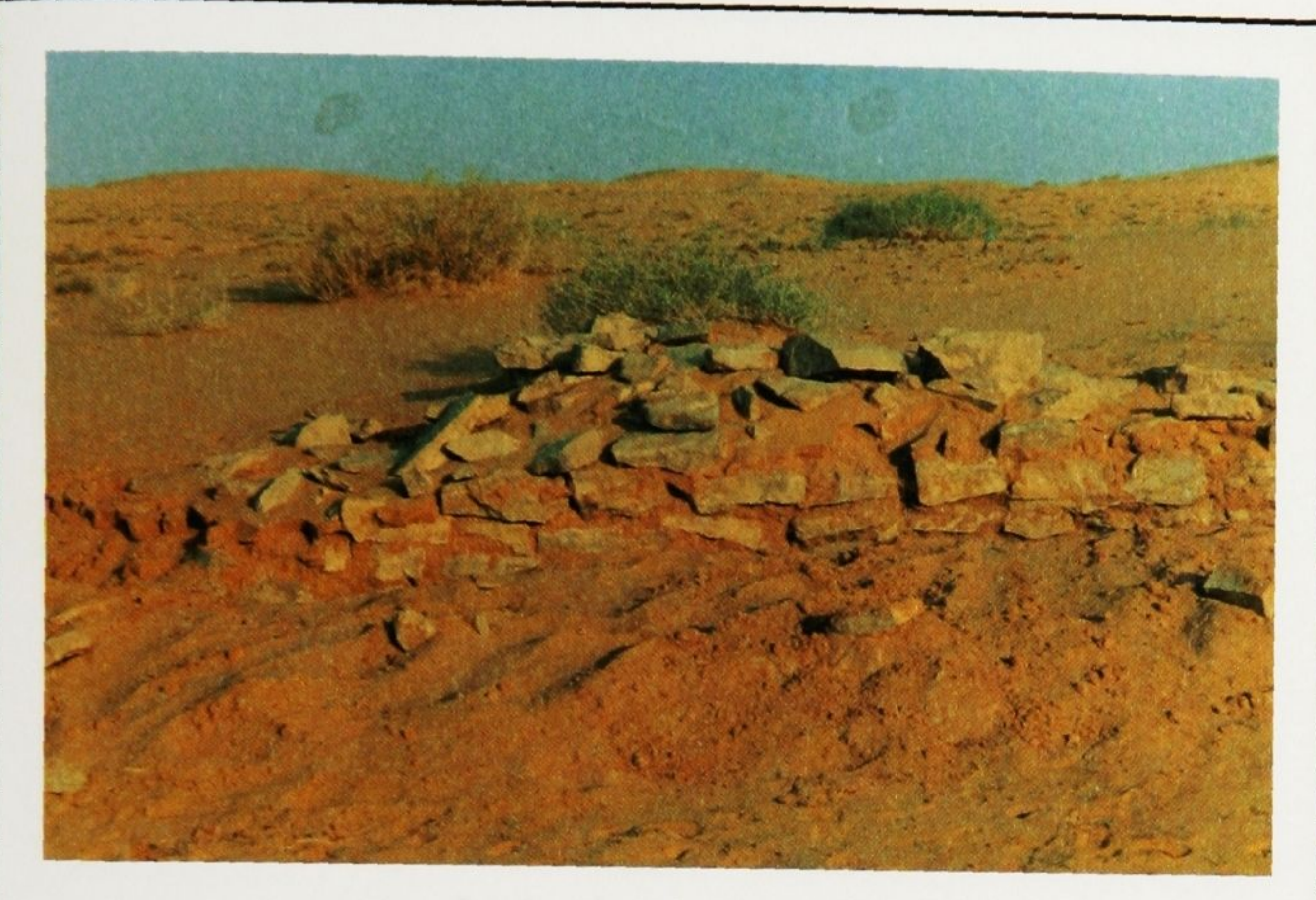


أ - أحد أحواض العوسجة



ب - أحد أحواض العوسجة تغمره الرمال .

اللوحة رقم (٢٢)



أ - طريقة بناء الأحواض في العوسجة

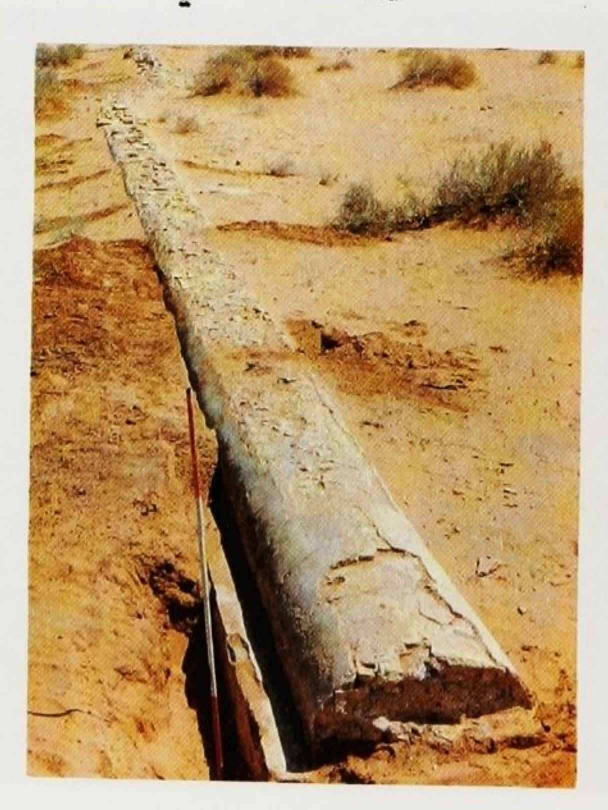


ب - الدعامة الخارجية لأحد أحواض العوسجة .

اللوحة رقم (٢٣)

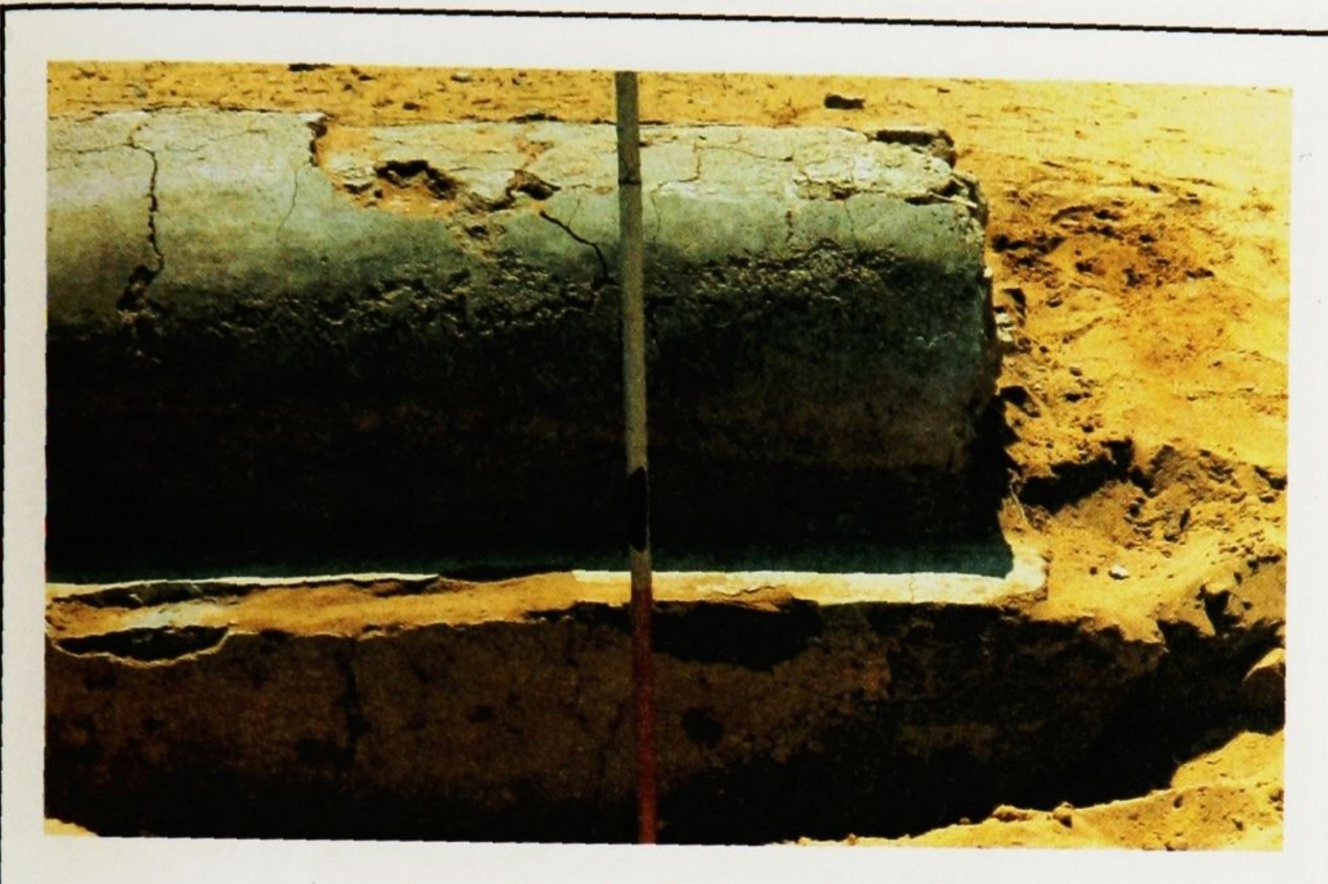


أ - قناة صغيرة مكشوفة في العوسجة



ب - سد العوسجة .

اللوحة رقم (٢٤)



أ - الطرف الشمالي لسد العوسجة



ب - الطرف الجنوبي لسد العوسجة .

اللوحة رقم (٢٥)

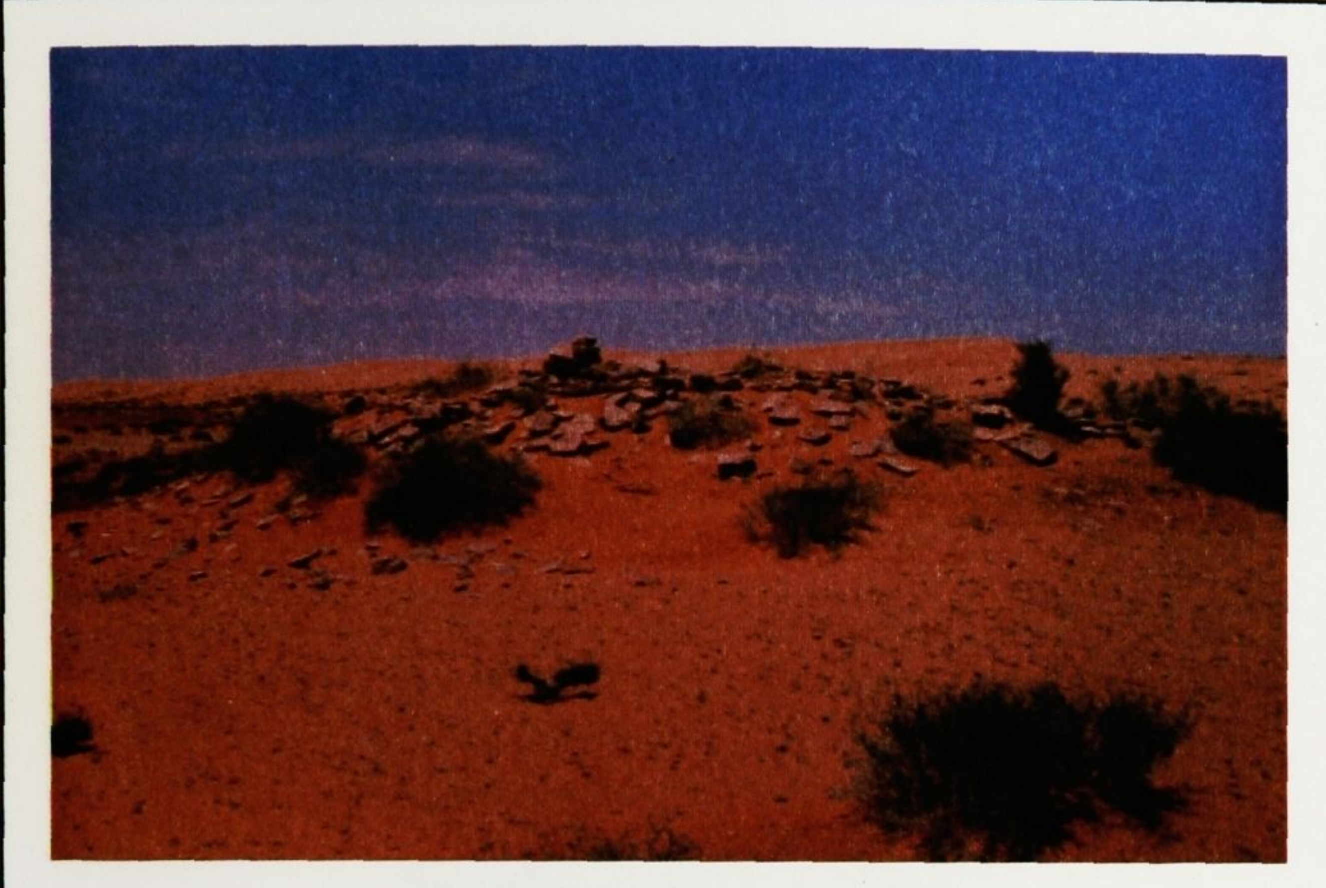


أ – بناء نصف أسطواني بجانب محراب مسجد العوسجة

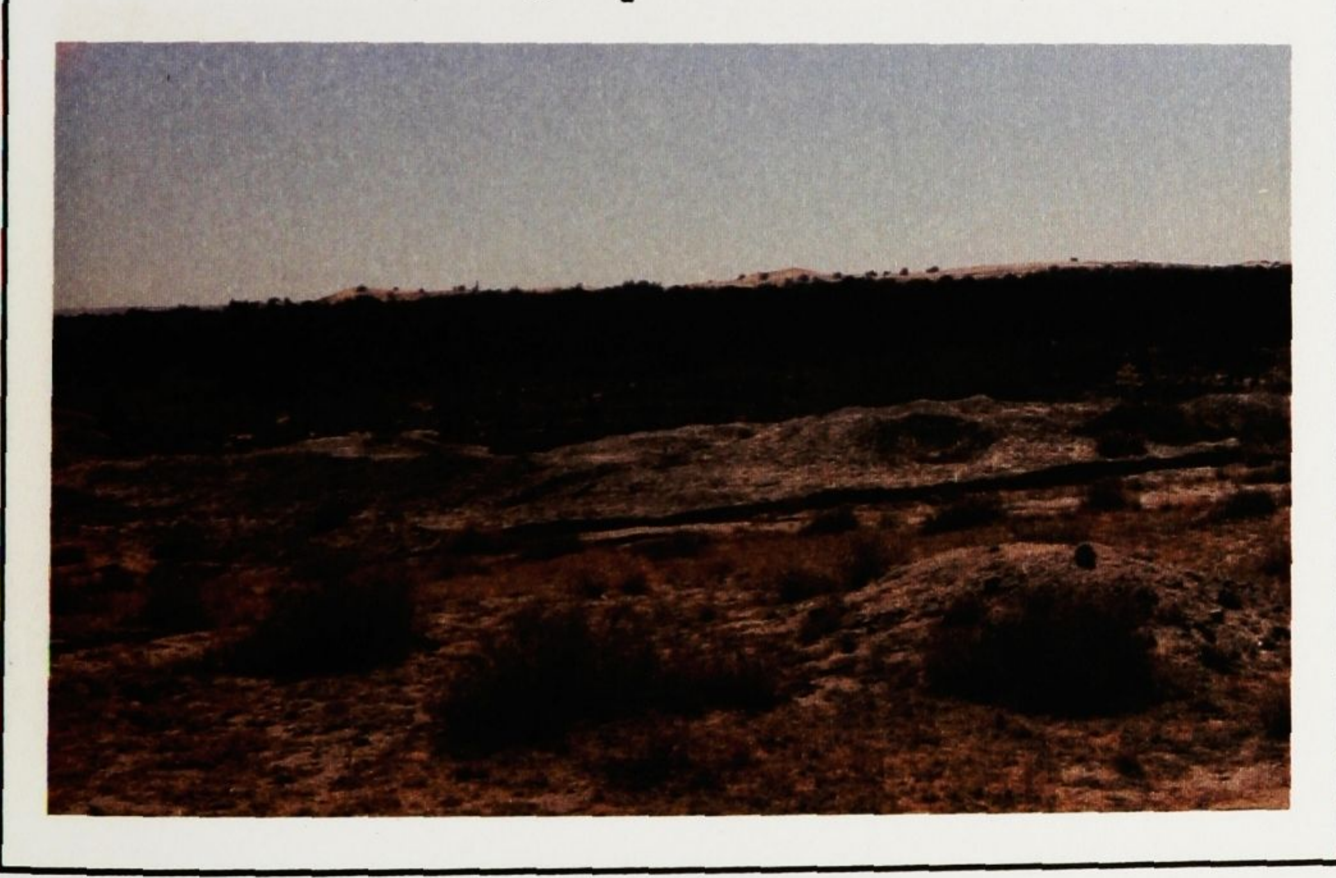


ب – محراب مسجد العوسجة .

اللوحة رقم (٢٦)



أ - منشآت معمارية في موقع العوسجة

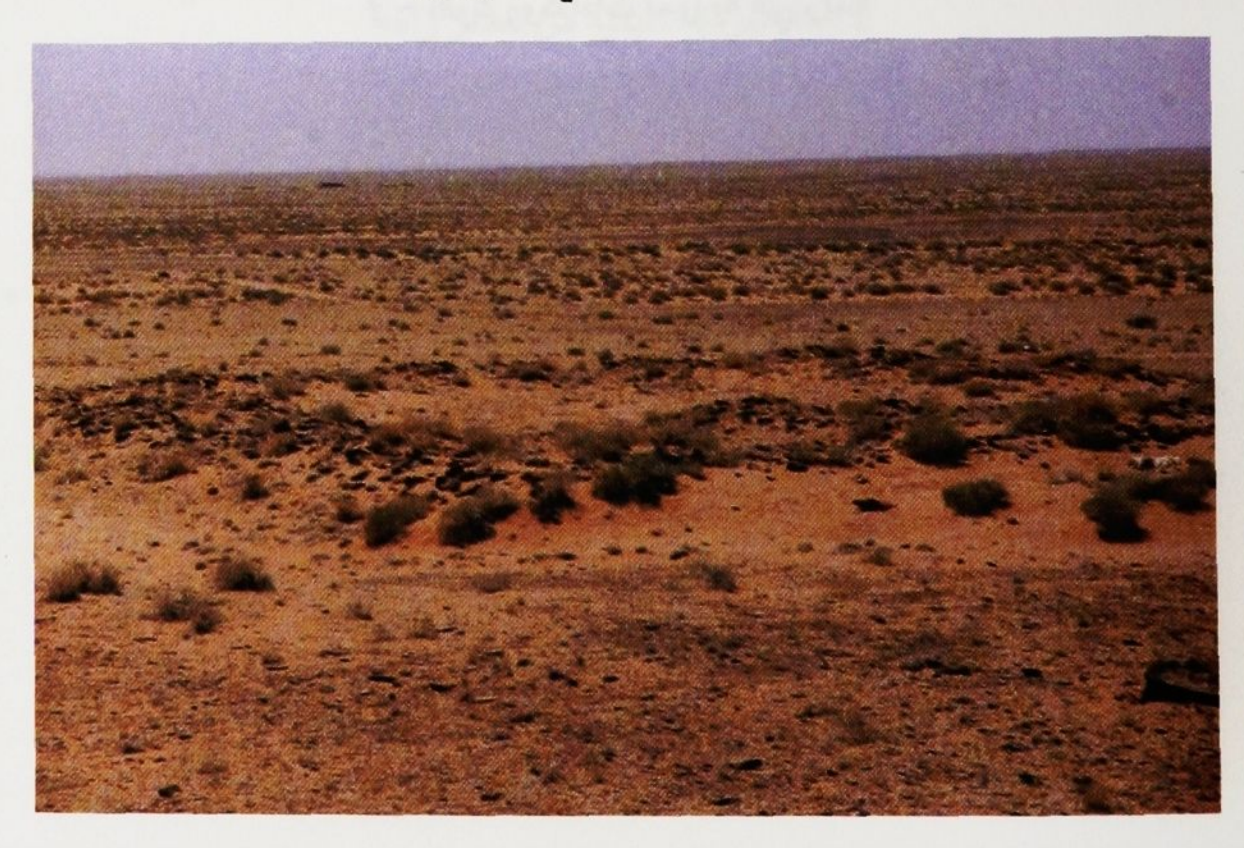


ب - موقع زبيدة على ضفة وادي الرمة .

اللوحة رقم (٢٧)

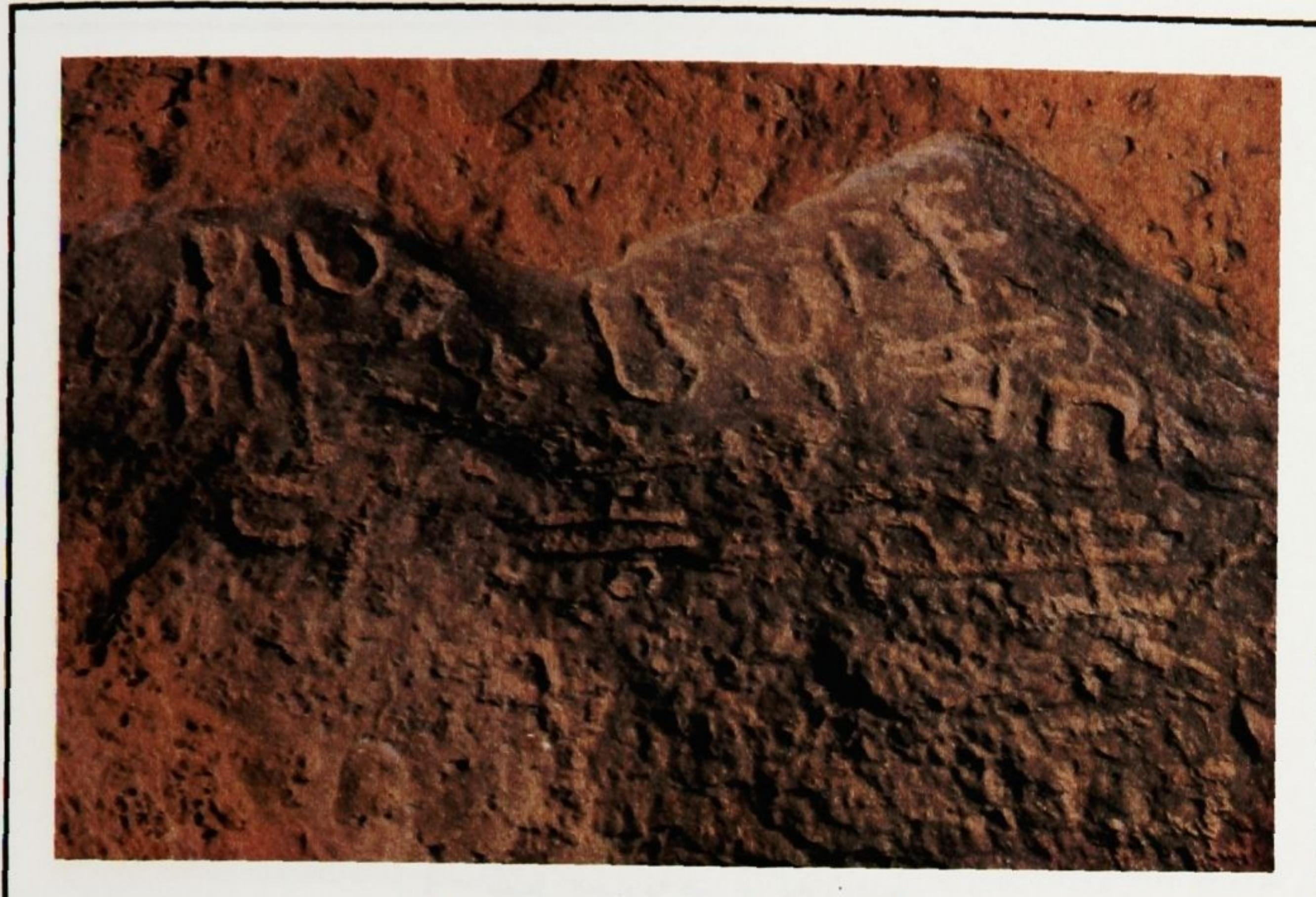


أ - كسر فخارية في موقع زبيدة

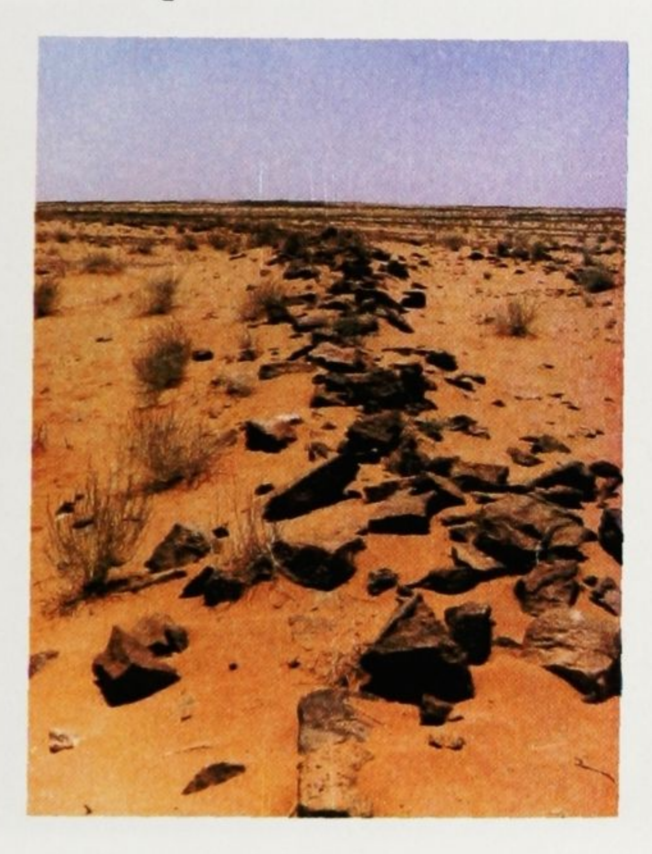


ب - منظر عام لموقع رامة .

اللوحة رقم (٢٨)

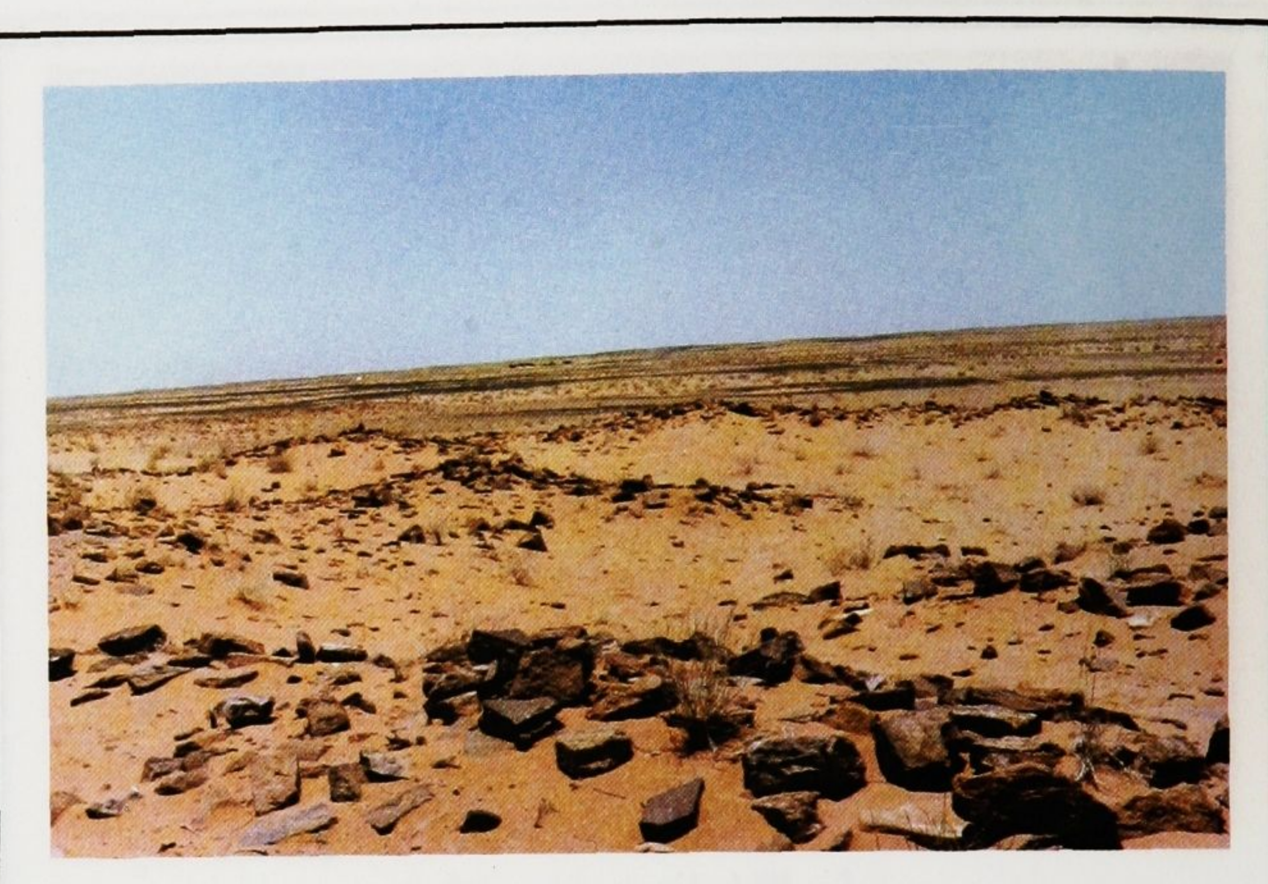


أ - نقوش وكتابات ثمودية في رامة



ب - امتداد السور الجنوبي في قصر رامة .

اللوحة رقم (٢٩)



أ - الأجزاء المتبقية من قصر رامة

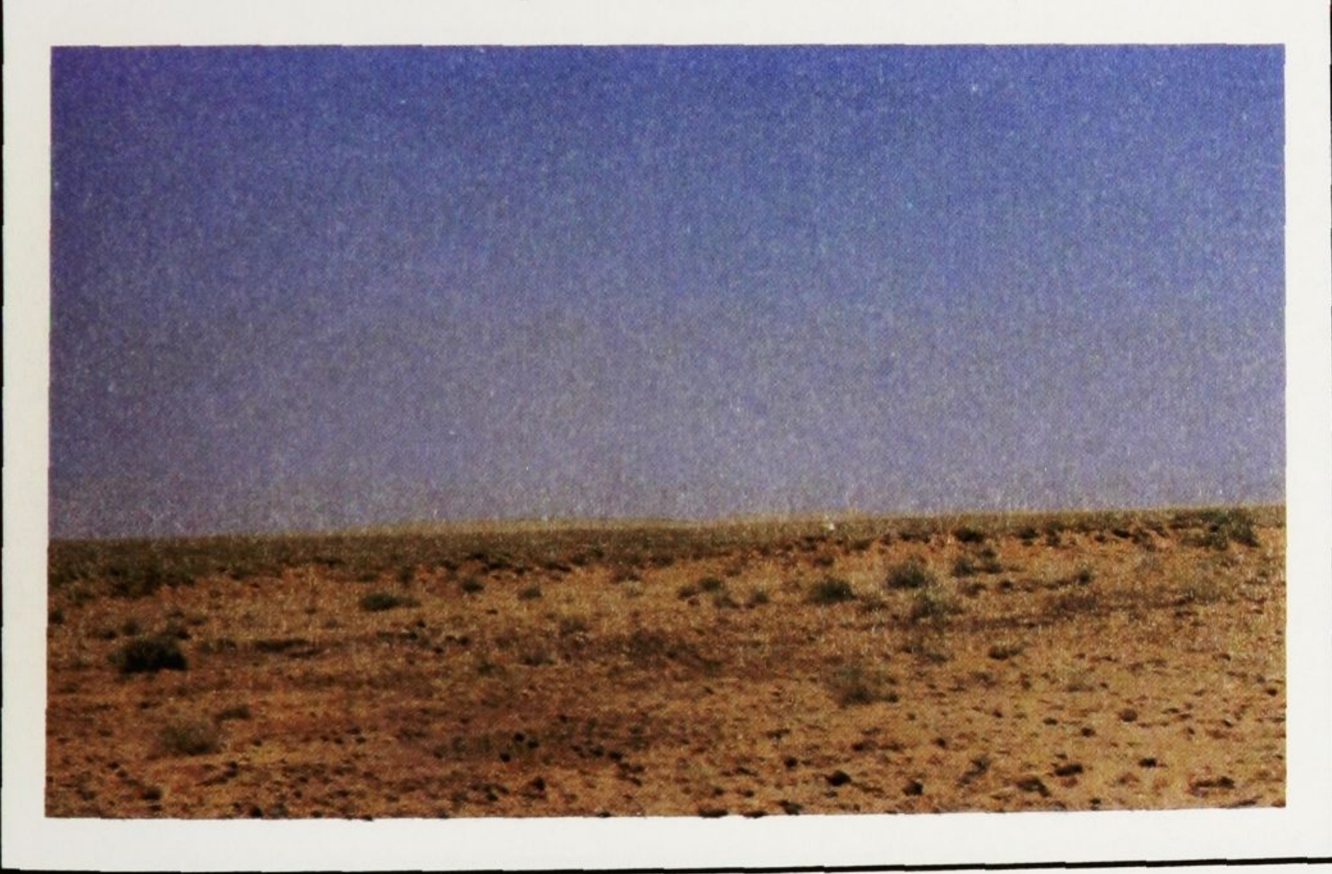


ب - إحدى آبار رامة .

اللوحة رقم (٣٠)

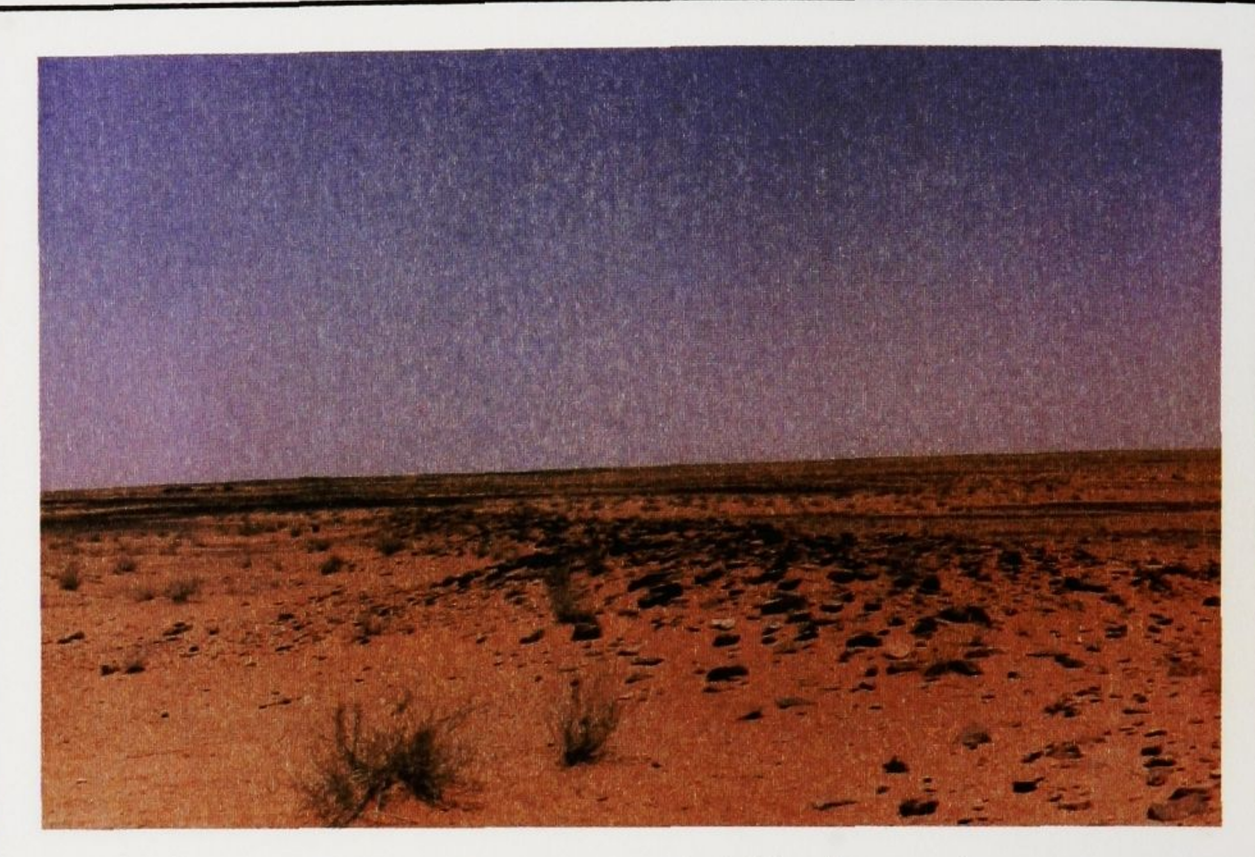


أ - أحد أحواض رامة تغطيه الرمال



ب - منطقة الأحواض والآبار في رامة .

اللوحة رقم (٣١)

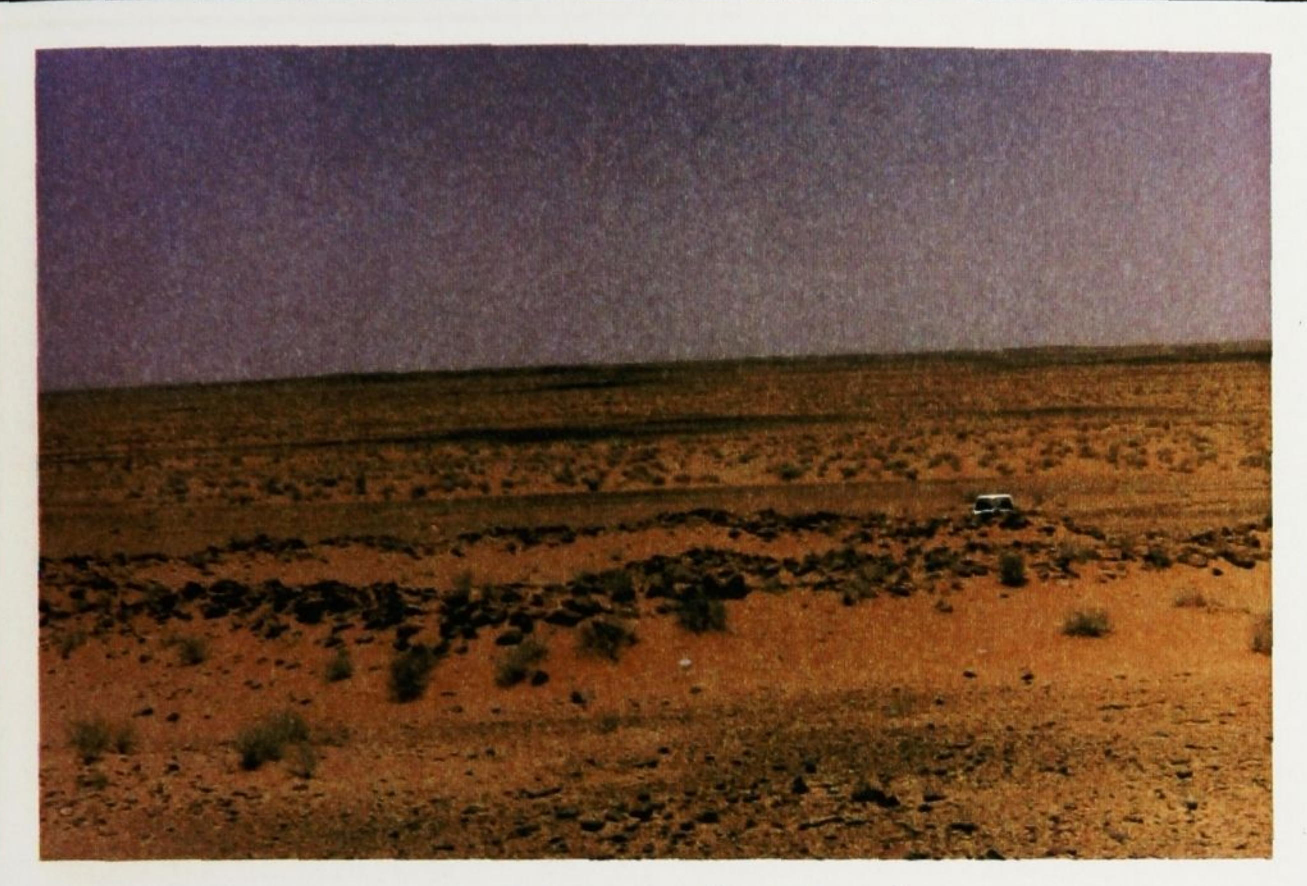


أ - الآبار المتجاورة في رامة

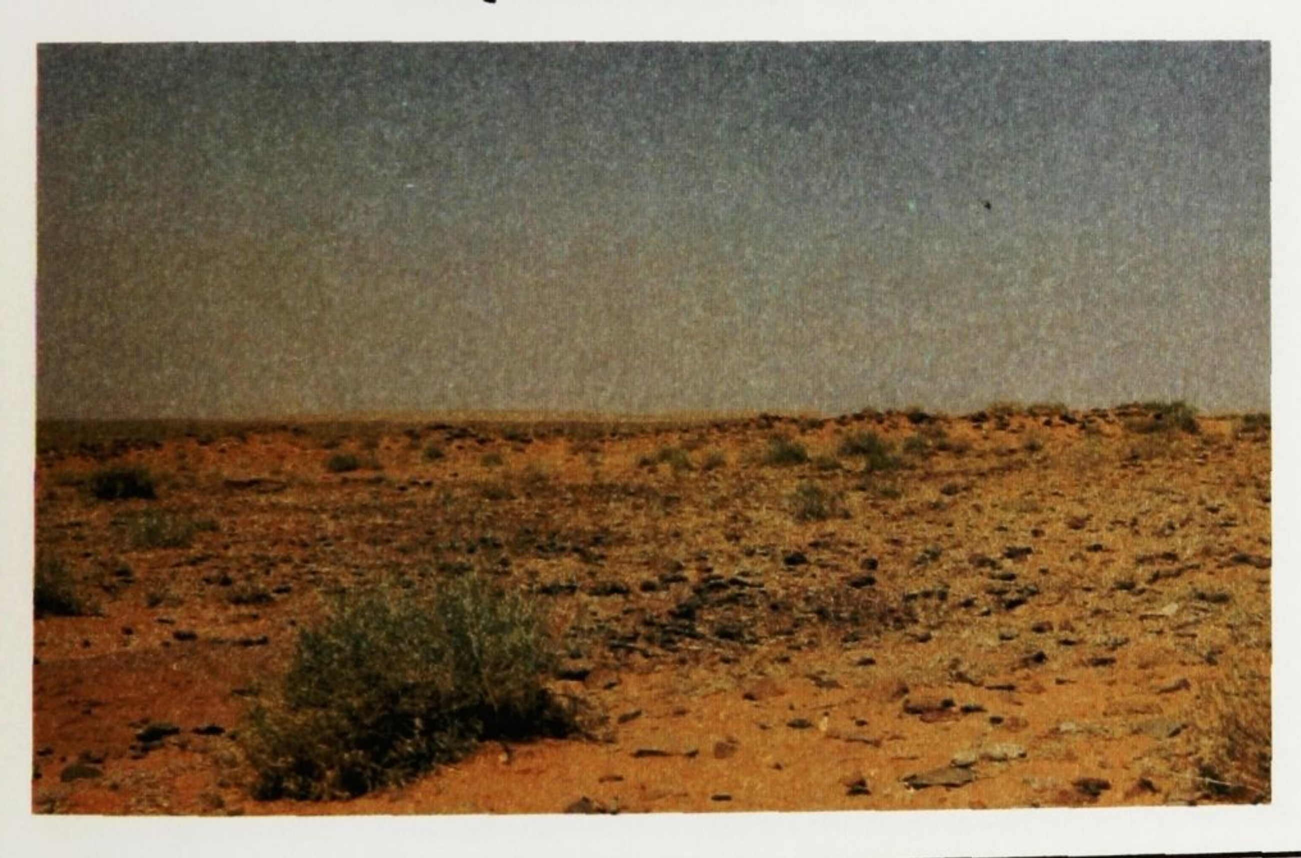


ب - كسر فخار وآثار حريق في موقع رامة .

اللوحة رقم (٣٢)

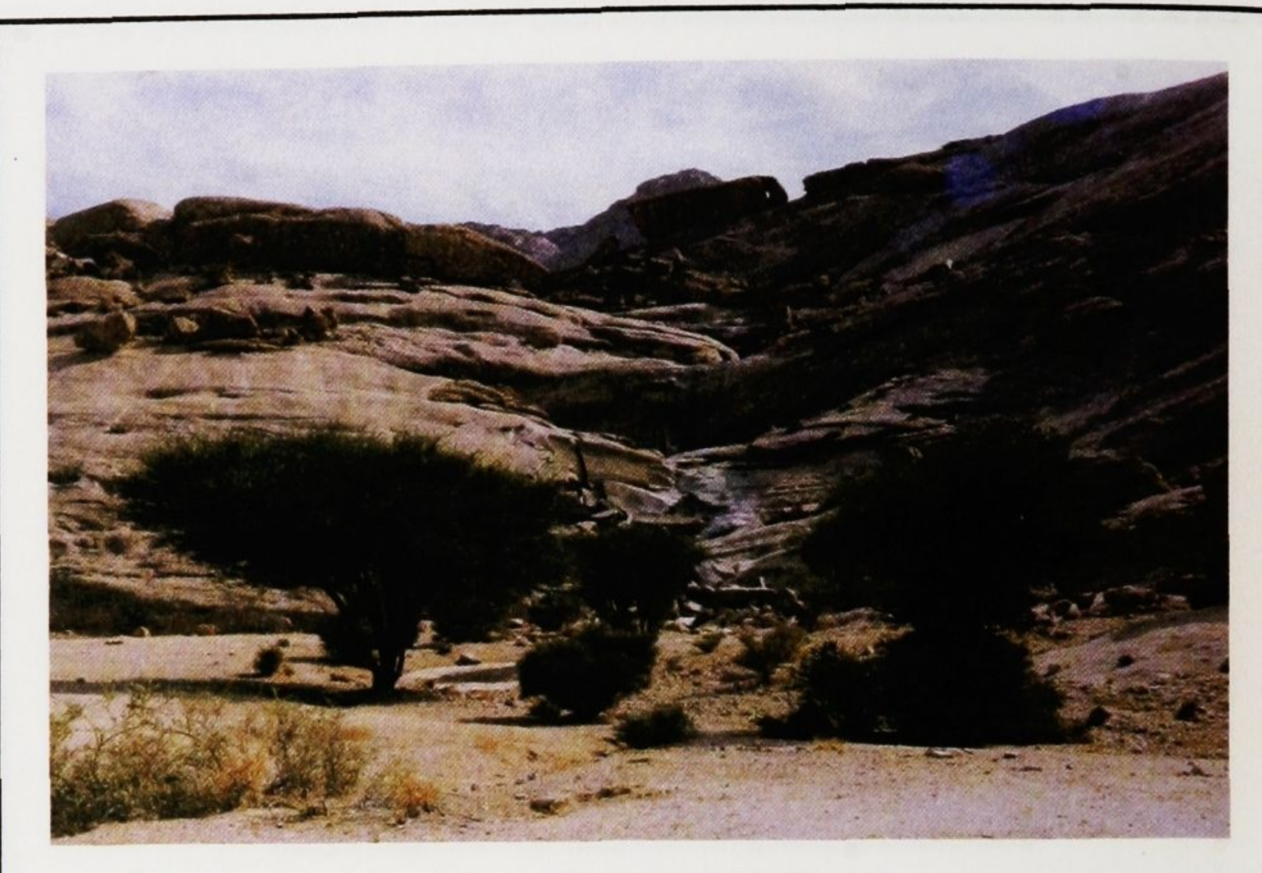


أ - منشآت أثرية مدفونة في رامة

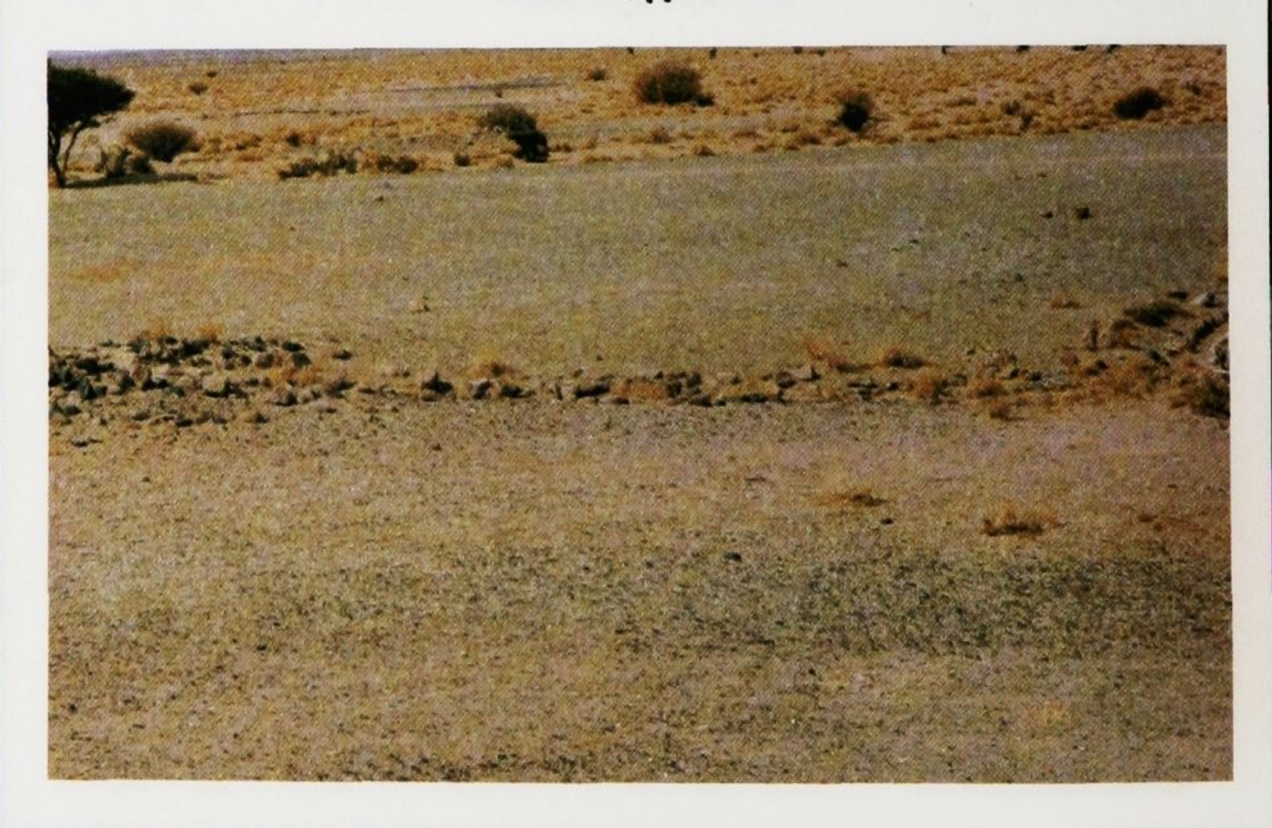


ب - كومة في منطقة الآبار في رامة .

اللوحة رقم (٣٣)



أ – جبل طخفة



ب – الموقع الأثري في طخفة .

اللوحة رقم (٣٤)



أ - بركة طخفة الدائرية

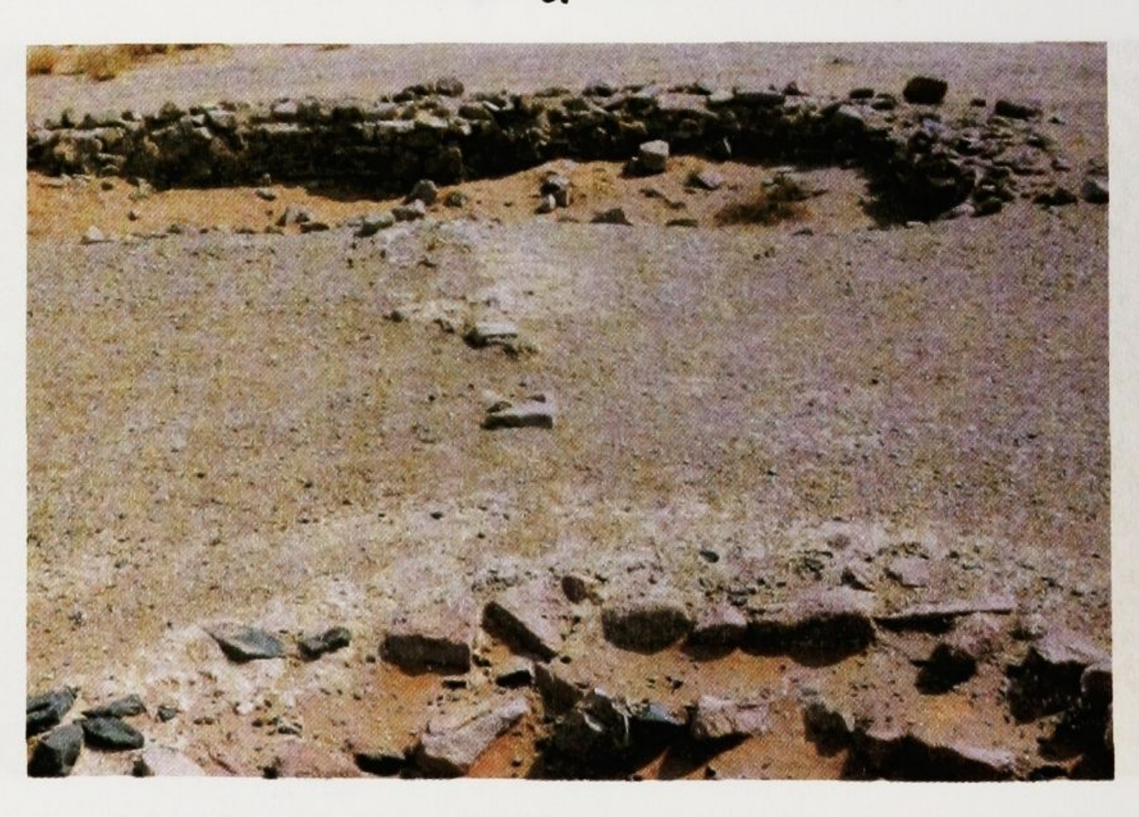


ب - الدرج في بركة طخفة .

اللوحة رقم (٣٥)

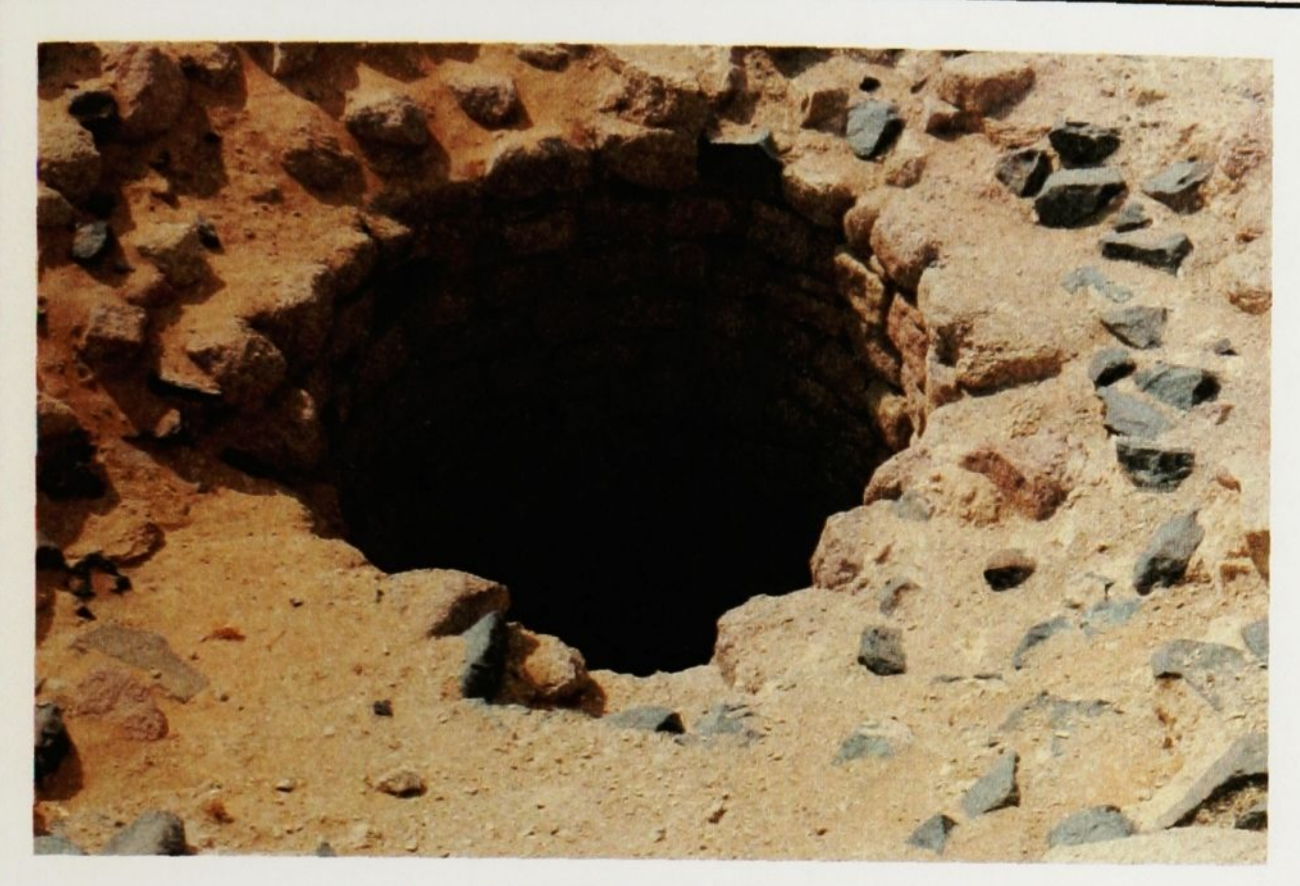


أ - قناة بركة طخفة



ب - الحوض والبئر تربط بينهما قناة في طخفة .

اللوحة رقم (٣٦)

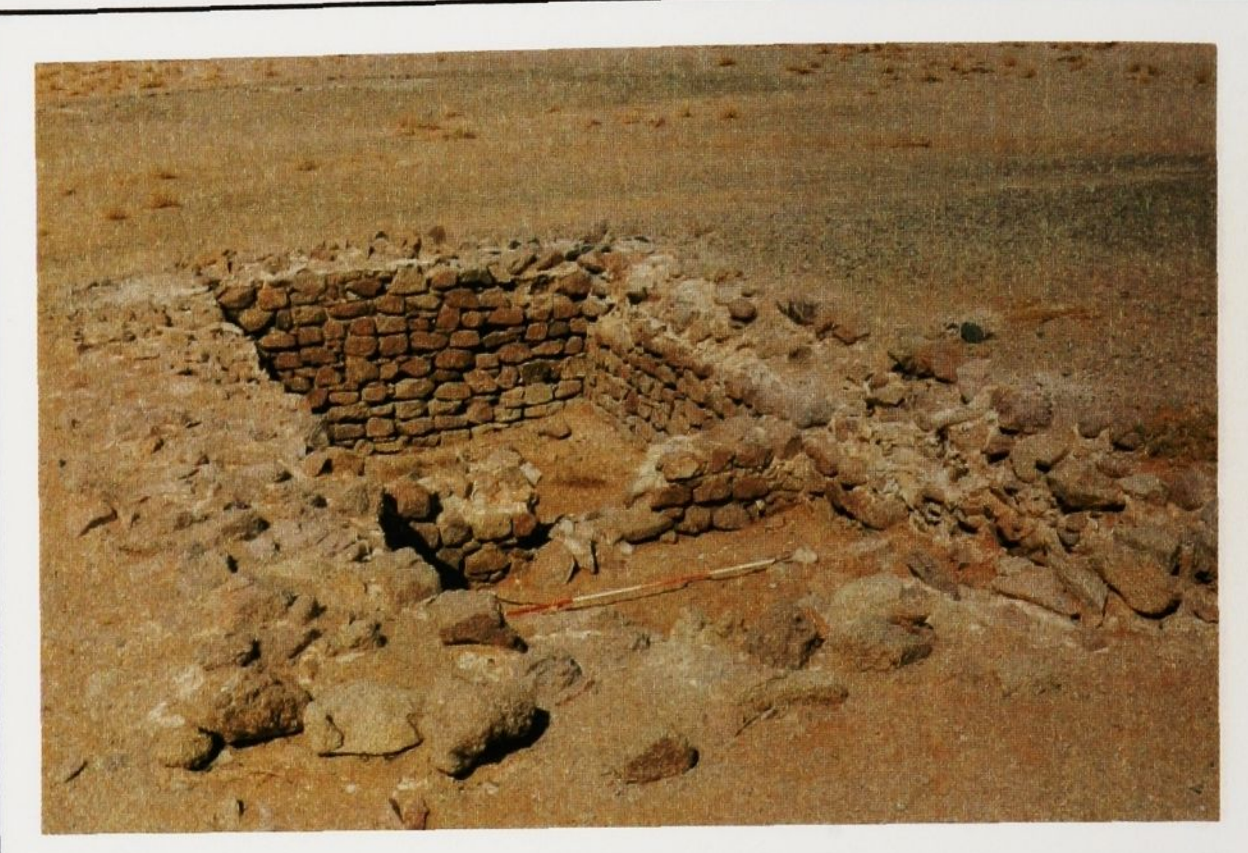


أ - إحدى الآبار في طخفة تبين طراز بناء الآبار



ب - قناة مكشوفة تربط ما بين الحوض والبئر في طخفة .

اللوحة رقم (٣٧)

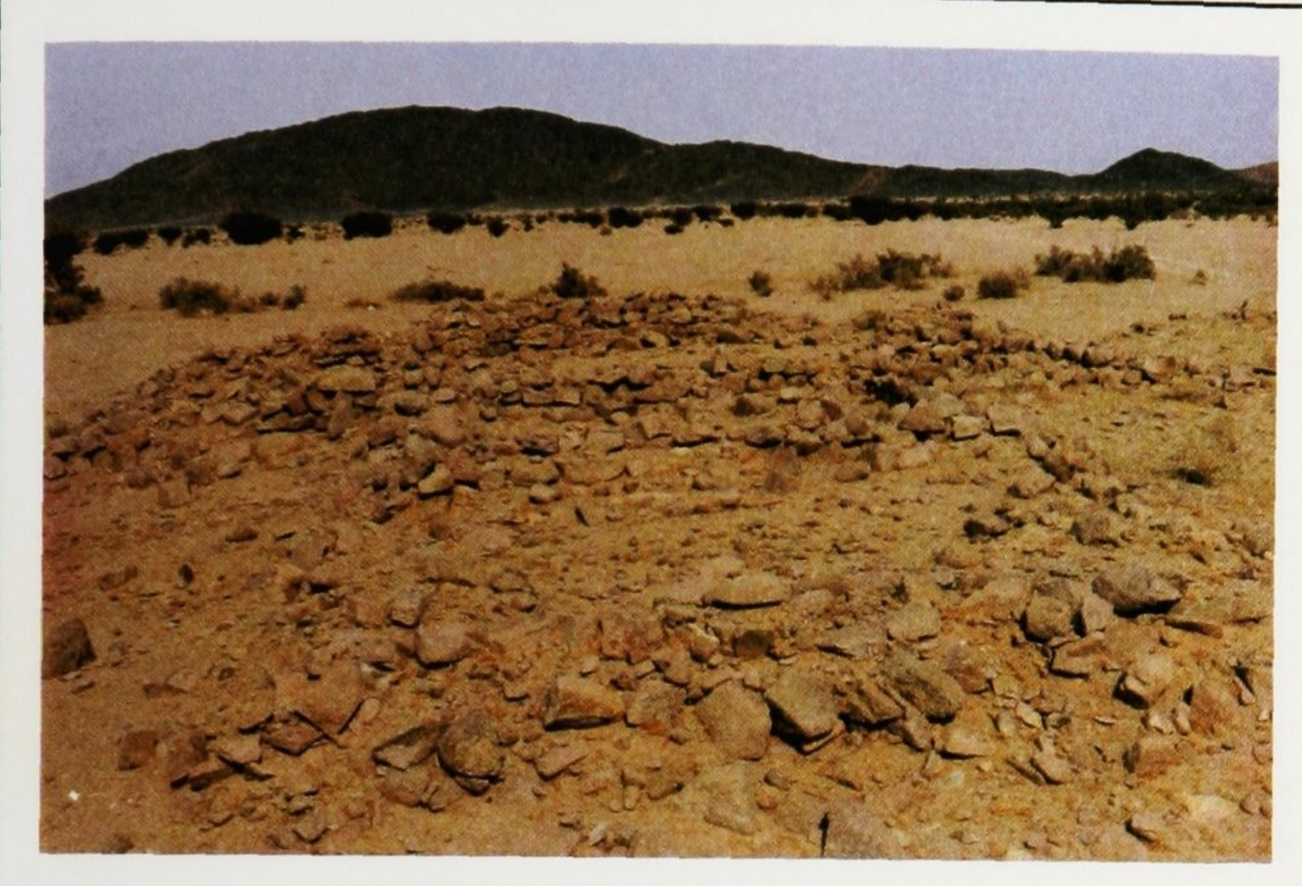


أ - حوض للماء في طخفة

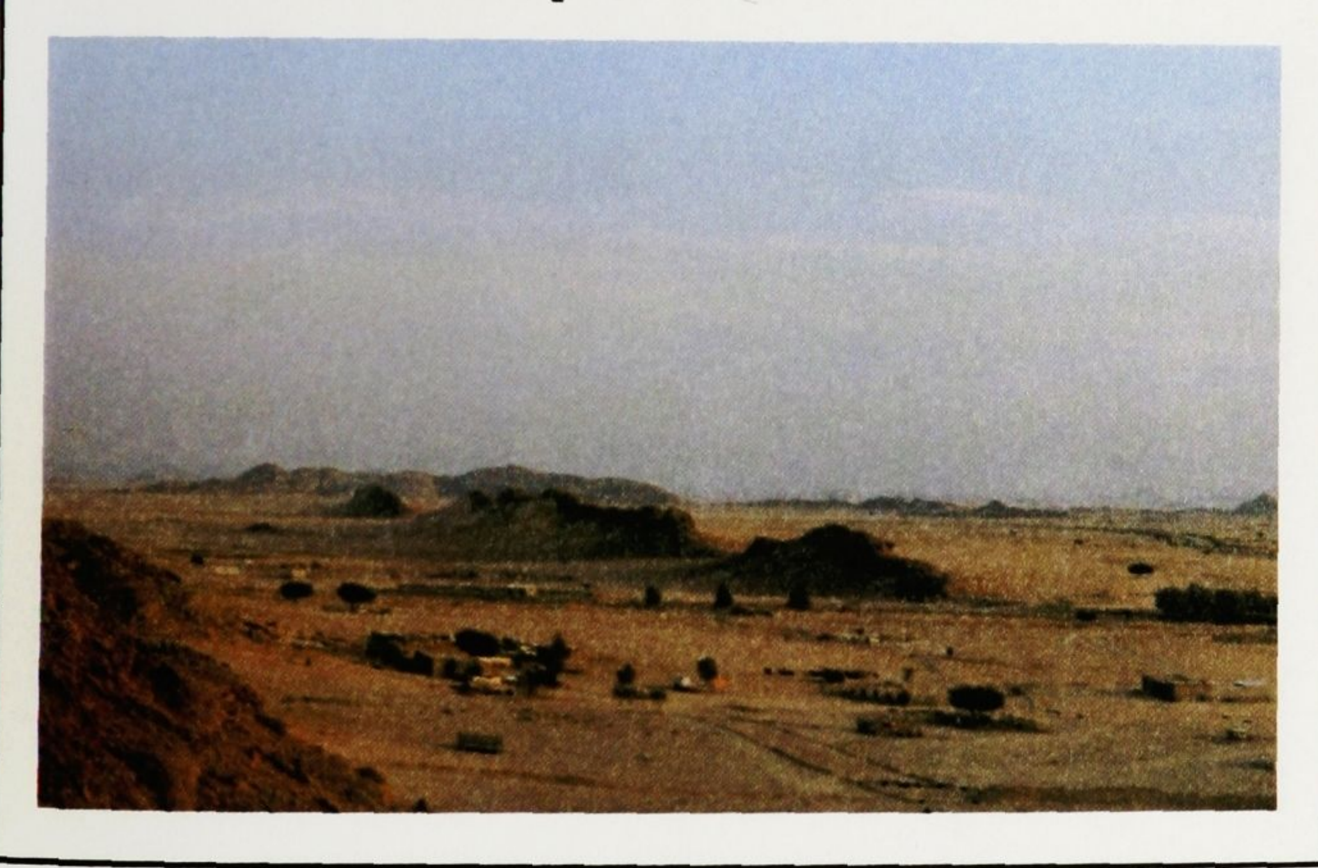


ب - حوض متصل بقناة مكشوفة في طخفة .

اللوحة رقم (٣٨)

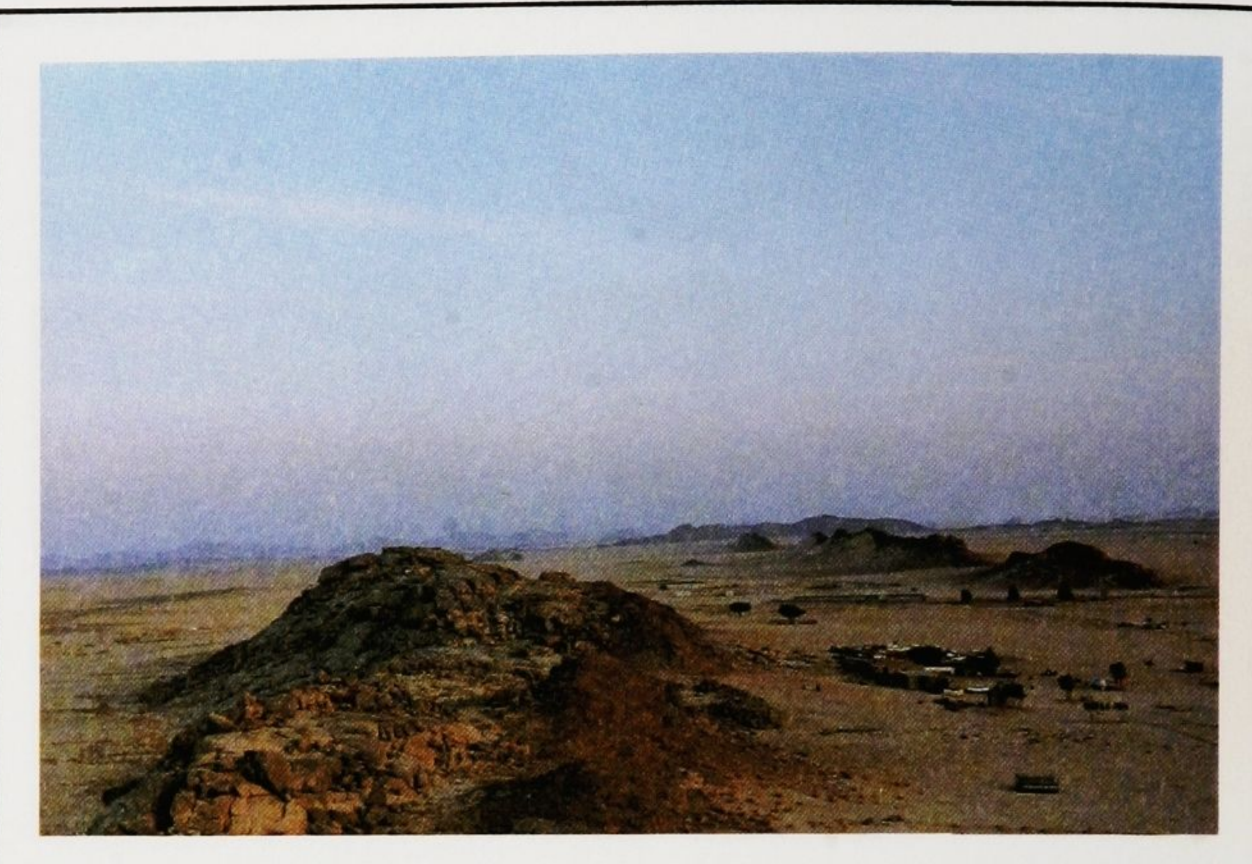


أ – بقايا القصر في طخفة



ب – الموقع الأثري في ضرية .

اللوحة رقم (٣٩)

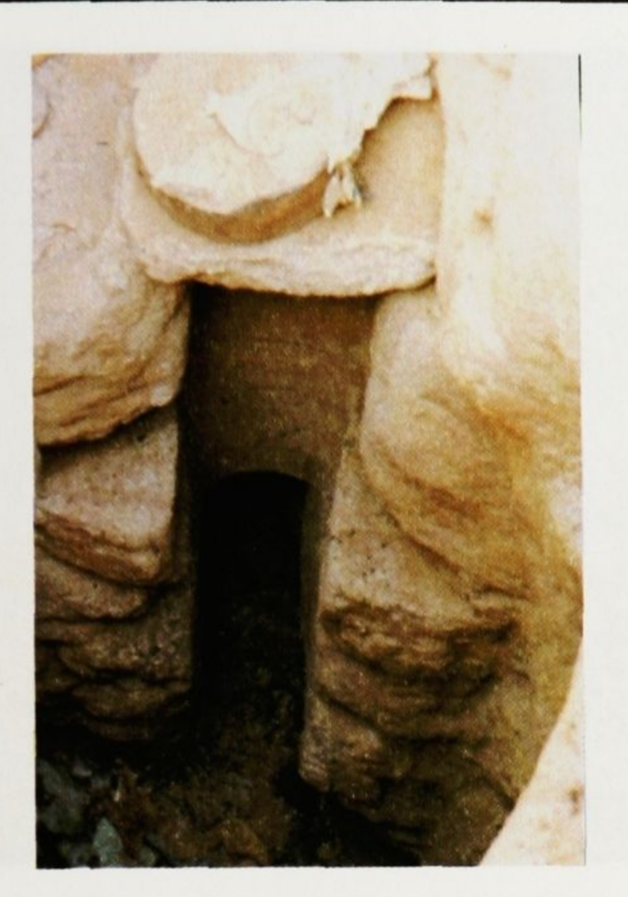


أ - موقع ضرية ويظهر جبل سناف - في وسط الصورة - الذي عثر فيه على الكتابات الإسلامية



ب - مجرى وادي ضرية منحدراً إلى الشرق

اللوحة رقم (٤٠)

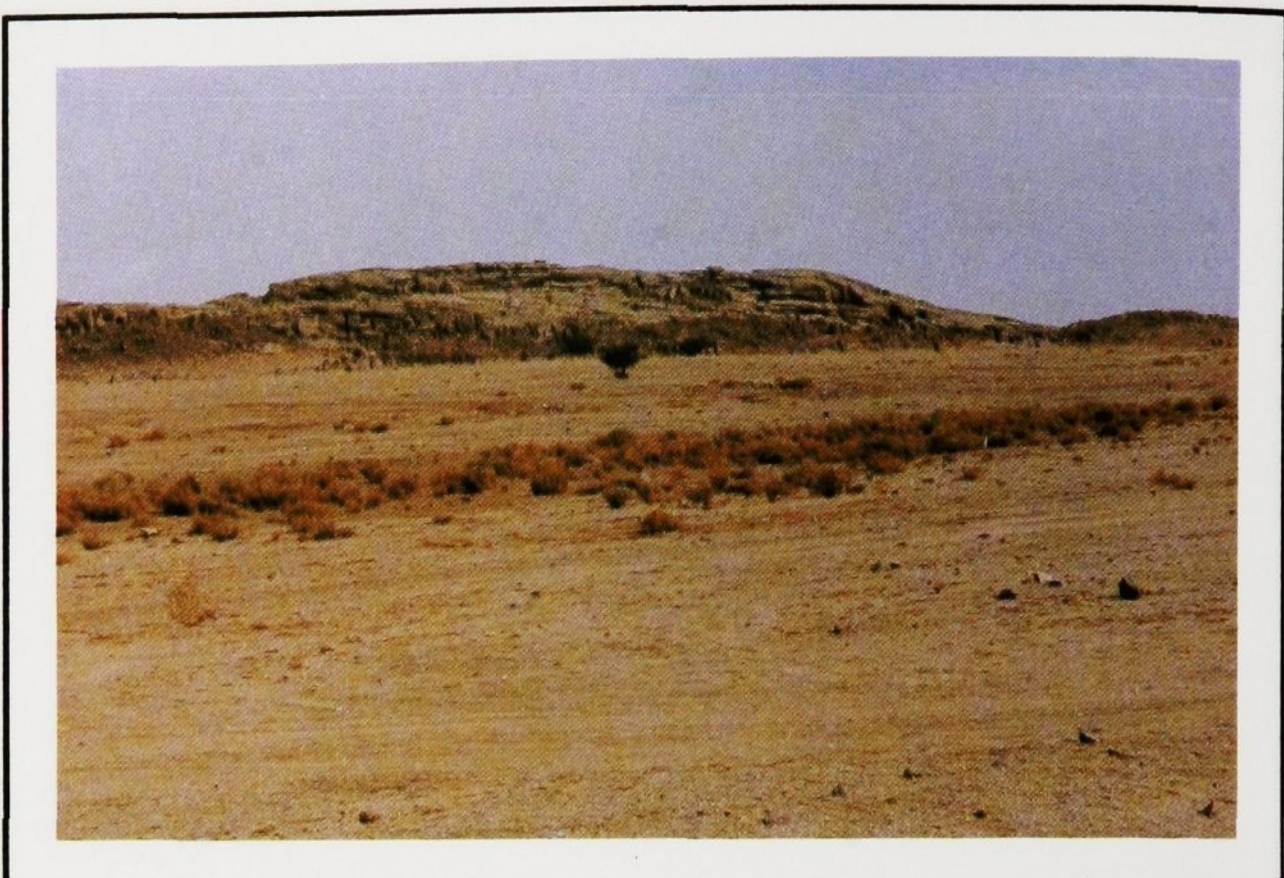


أ - قناة ضرية الأرضية المحفورة في الصخر

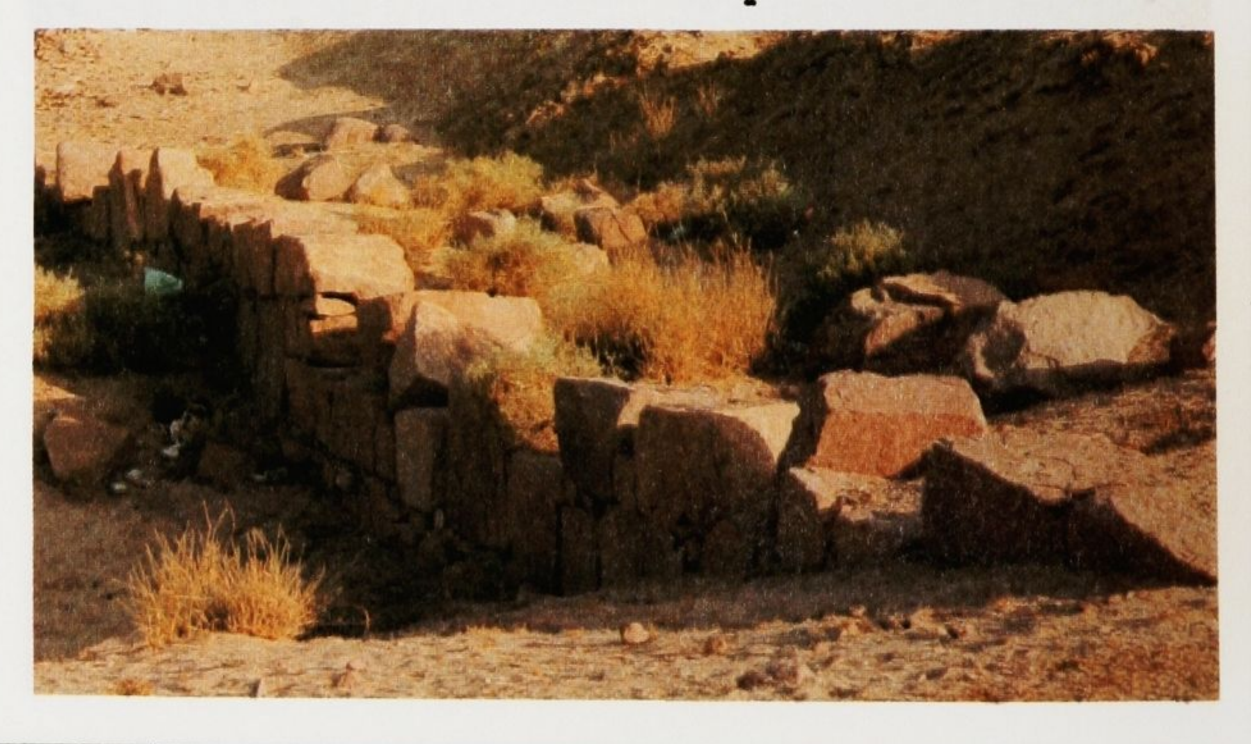


ب -إحدى الآبار الكبيرة التي تتصل بالقناة .

اللوحة رقم (٤١)

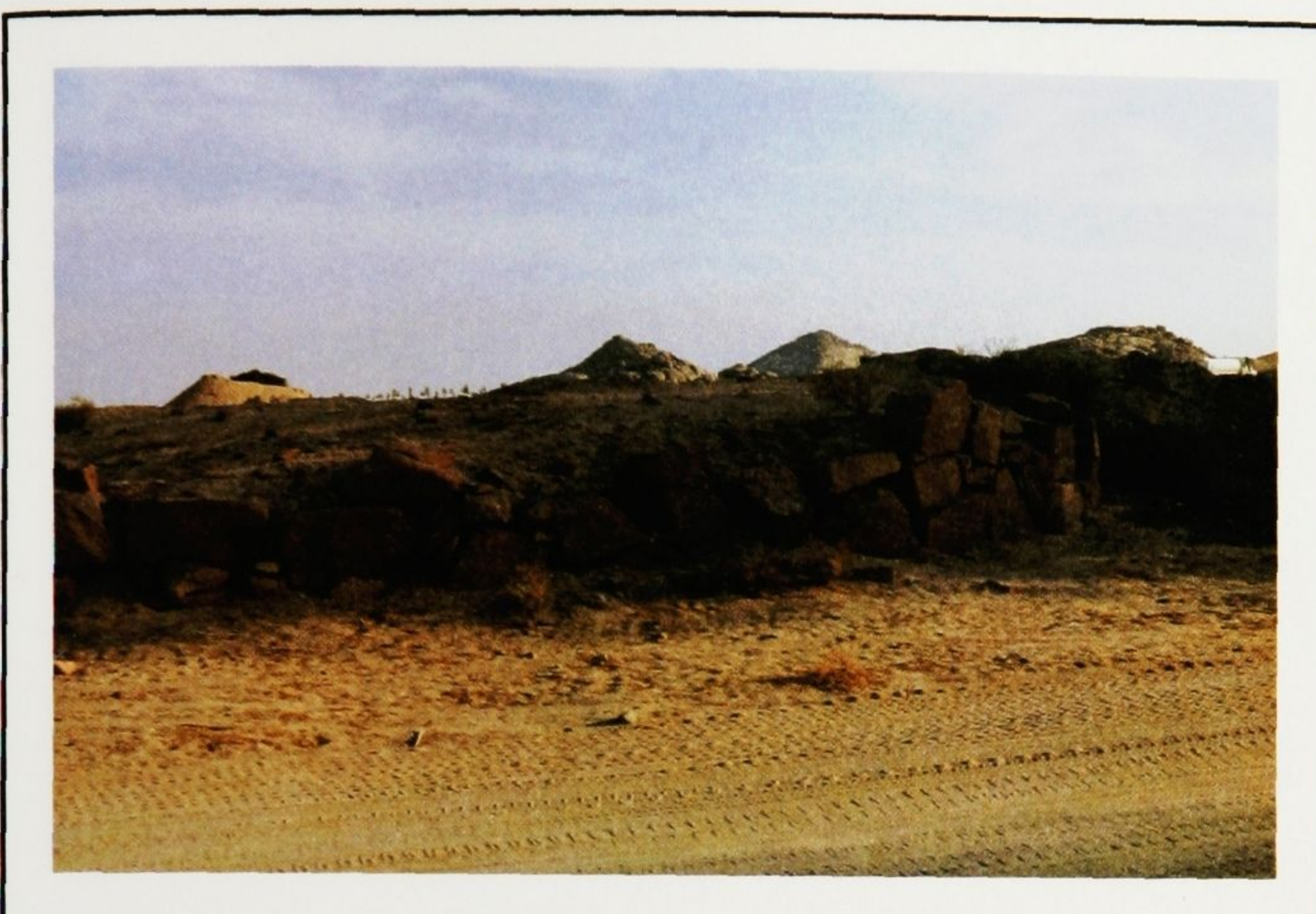


أ - الجزء الشمالي من ضرية حيث تنتشر الملتقطات السطحية وأساسات المباني، ويظهر جبل سناف أعلى الصورة



ب - الطرف الجنوبي من سد ضرية .

اللوحة رقم (٤٢)

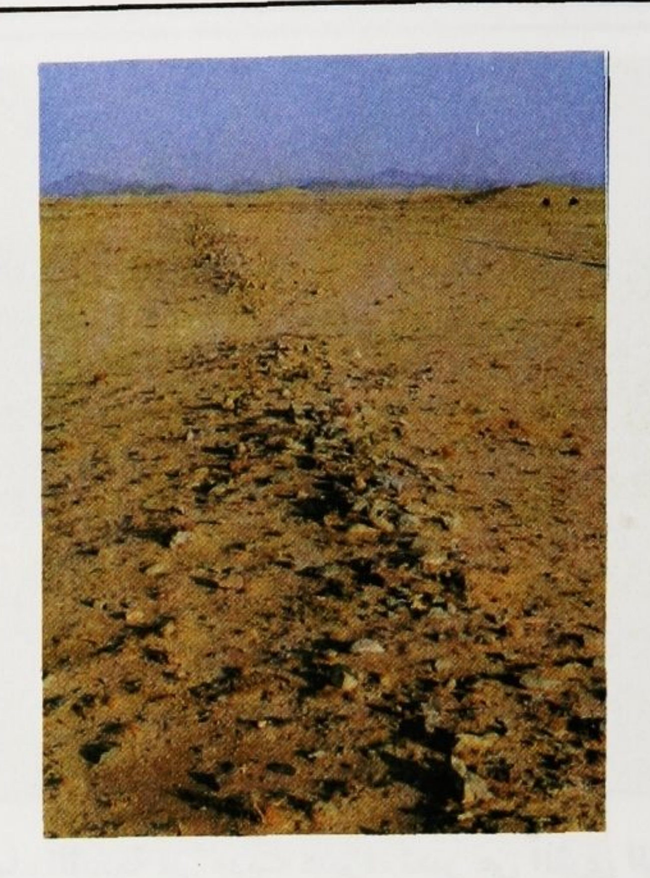


أ - طريقة بناء سد ضرية



ب - ريع ضرية وتظهر في وسط الصورة امتدادات المباني .

اللوحة رقم (٤٣)

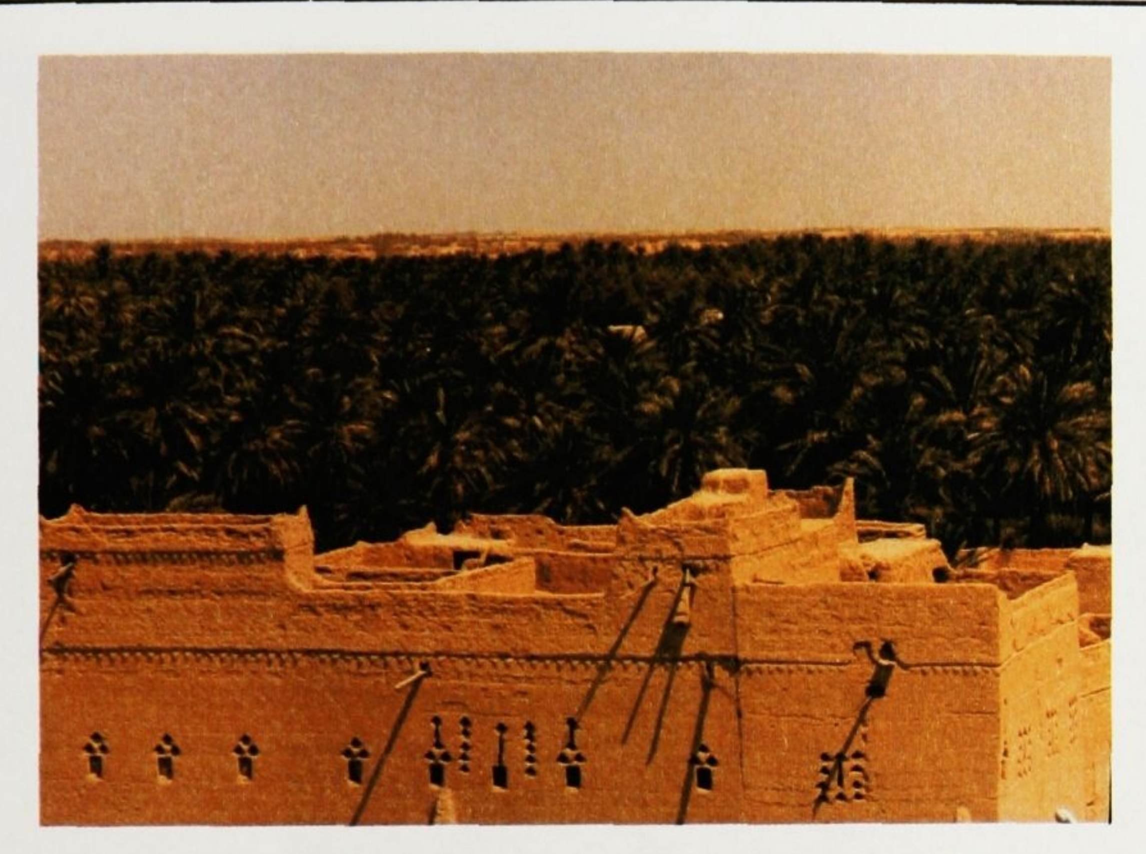


أ - الأساسات الممتدة لأكثر من ٣٠٠م في ريع ضرية

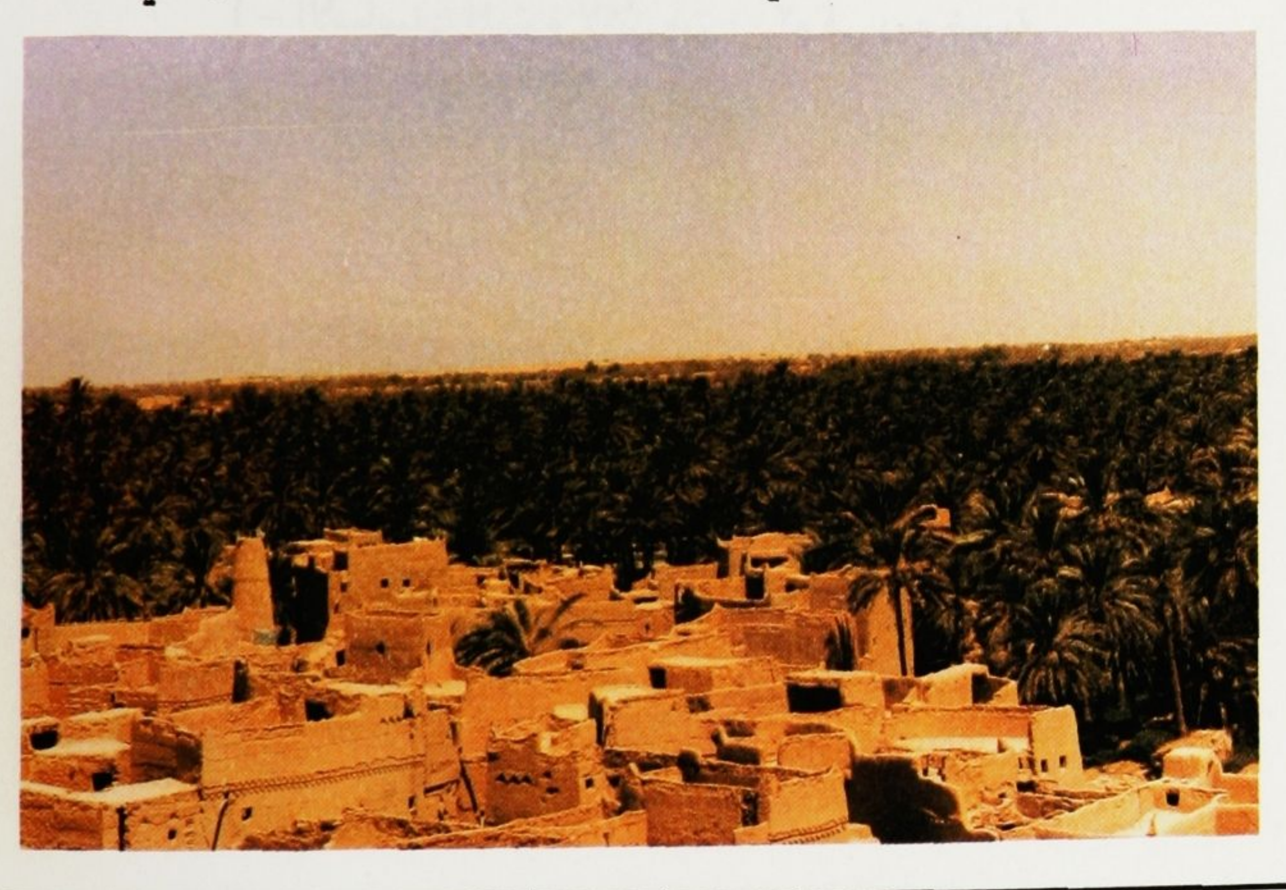


ب - أساسات حجرية وبئر مدفونة في ريع ضرية .

اللوحة رقم (٤٤)

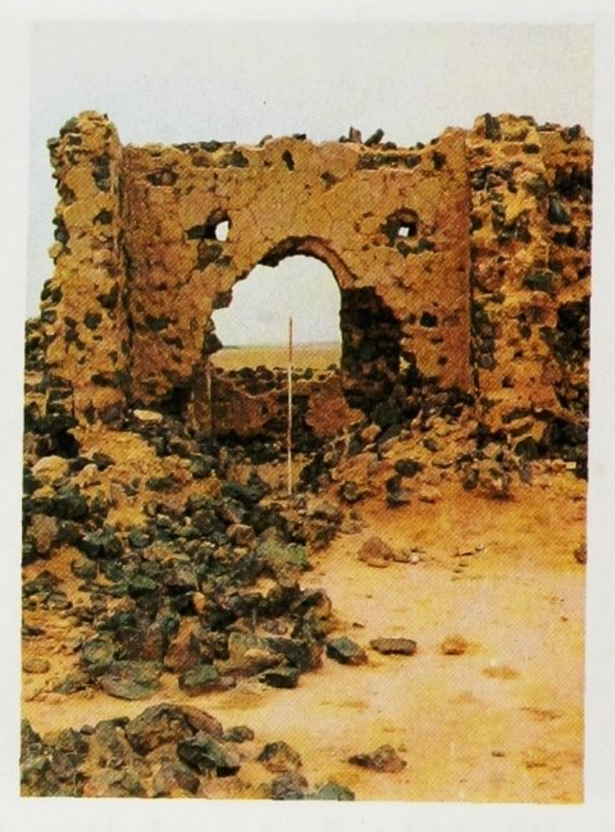


أ - جانب من الأحياء القديمة في مدينة عنيزة، تعبر عن القرى الزراعية في المنطقة

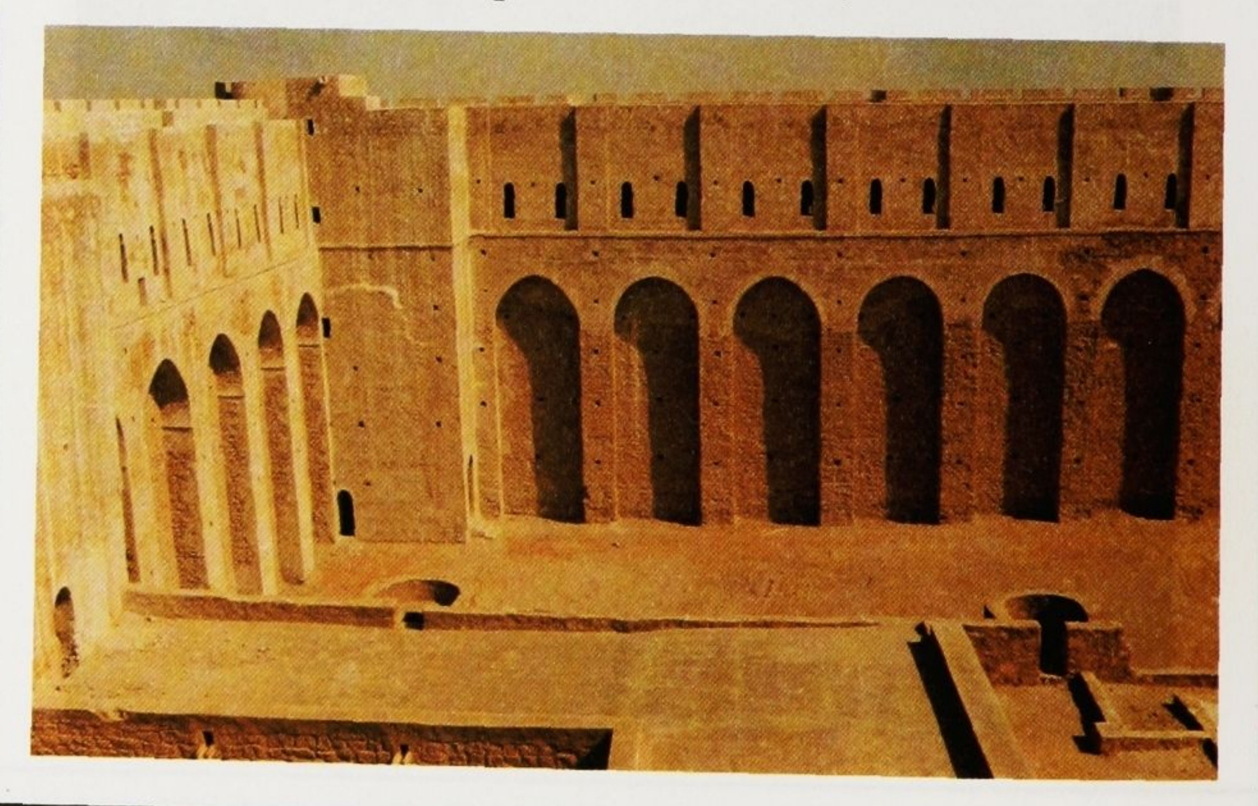


ب - جانب آخر من الأحياء القديمة في مدينة عنيزة .

اللوحة رقم (٤٥)



أ - ثقوب بالجدار وعقد مدبب في قصر مارد



ب - ثقوب بالجدران في حصن الأخيضر في العراق .

اللوحة رقم (٤٦)



أ - كسر فخارية غير مزججة من النباج (الأسياح)



ب - كسر خزفية مطلية بلون أزرق من موقع النباج (الأسياح) .

* تم ترقيم لوحات وأشكال المعثورات حسب تصنيفها وتسلسل أرقامها في الكشاف .

اللوحة رقم (٤٧)

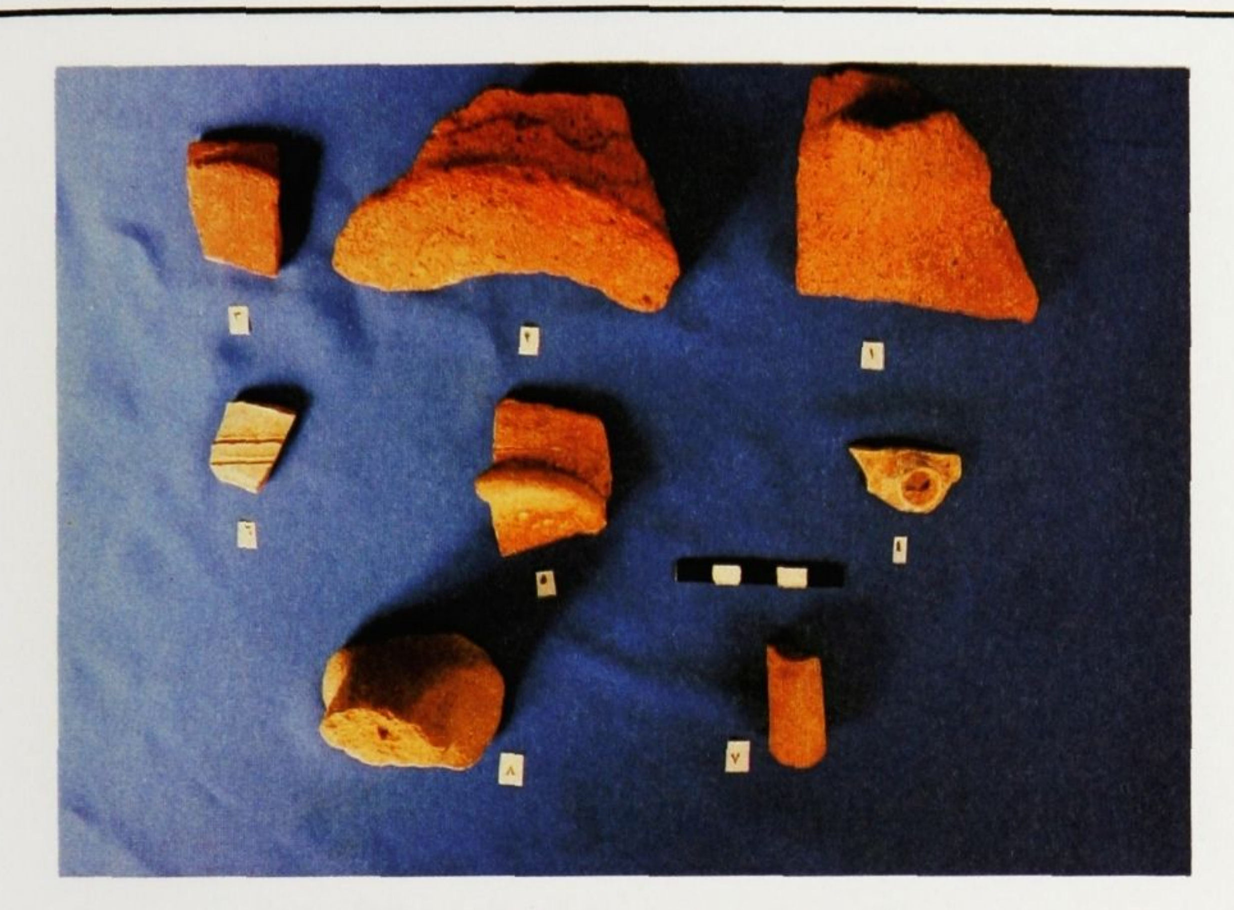


أ – كسر خزفية مطلية بلون أزرق وقصديري من النباج (الأسياح)

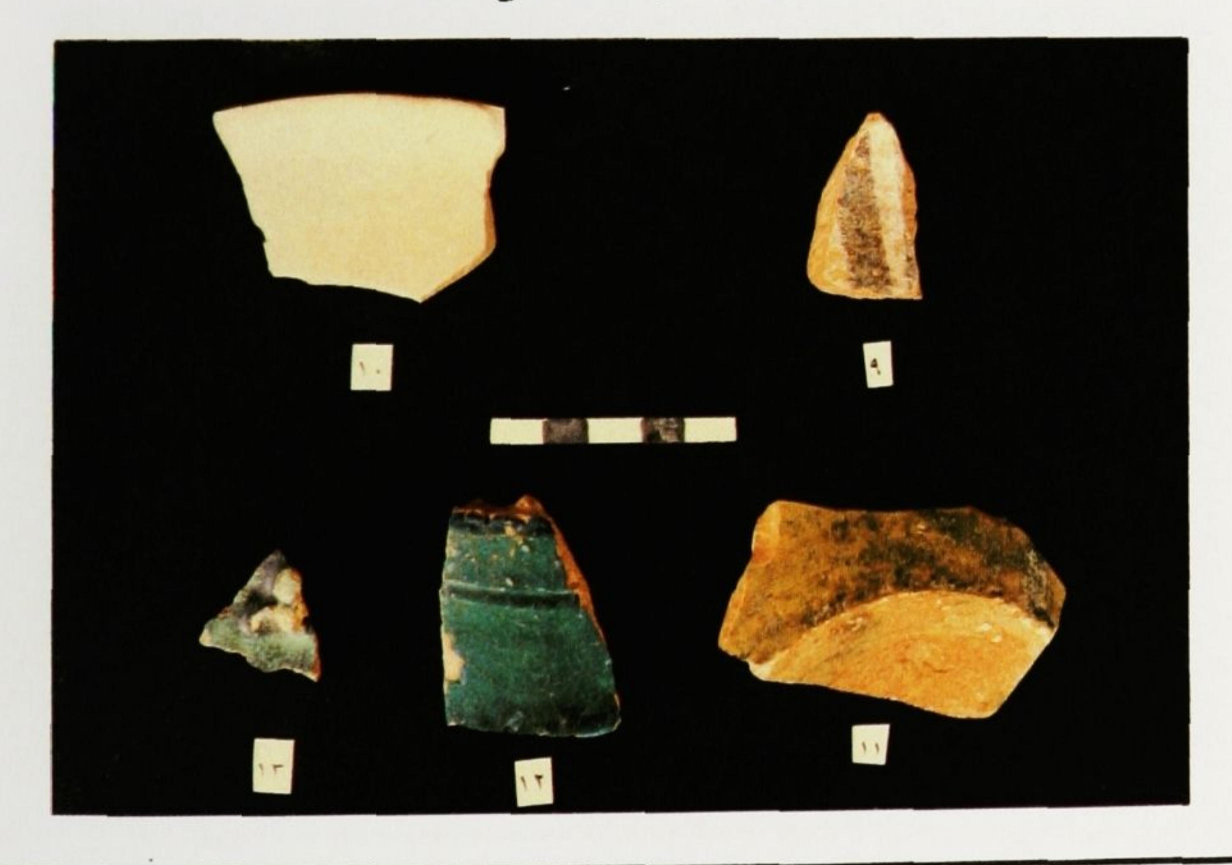


ب – كسر زجاجية من النباج (الأسياح) .

اللوحة رقم (٤٨)

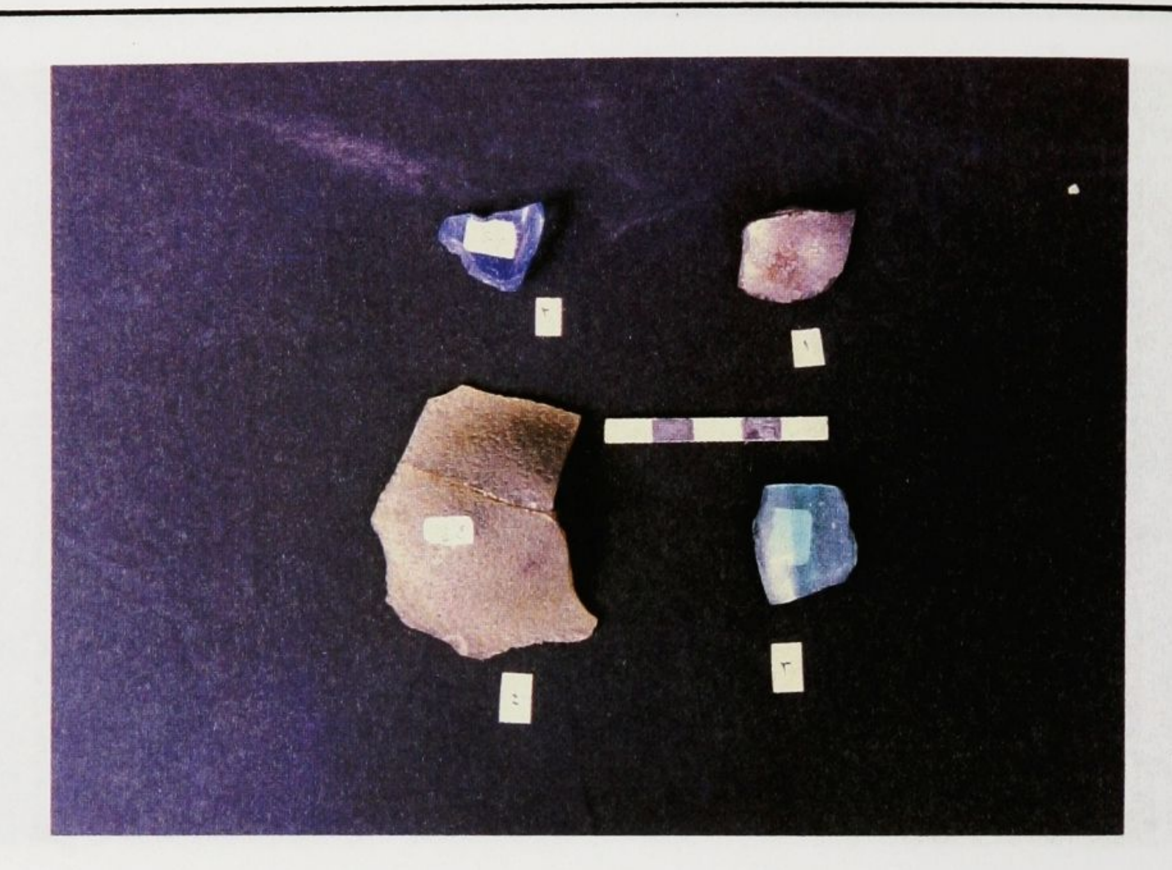


أ - كسر فخارية من موقع العوسجة



ب - كسر خزفية من العوسجة .

اللوحة رقم (٤٩)

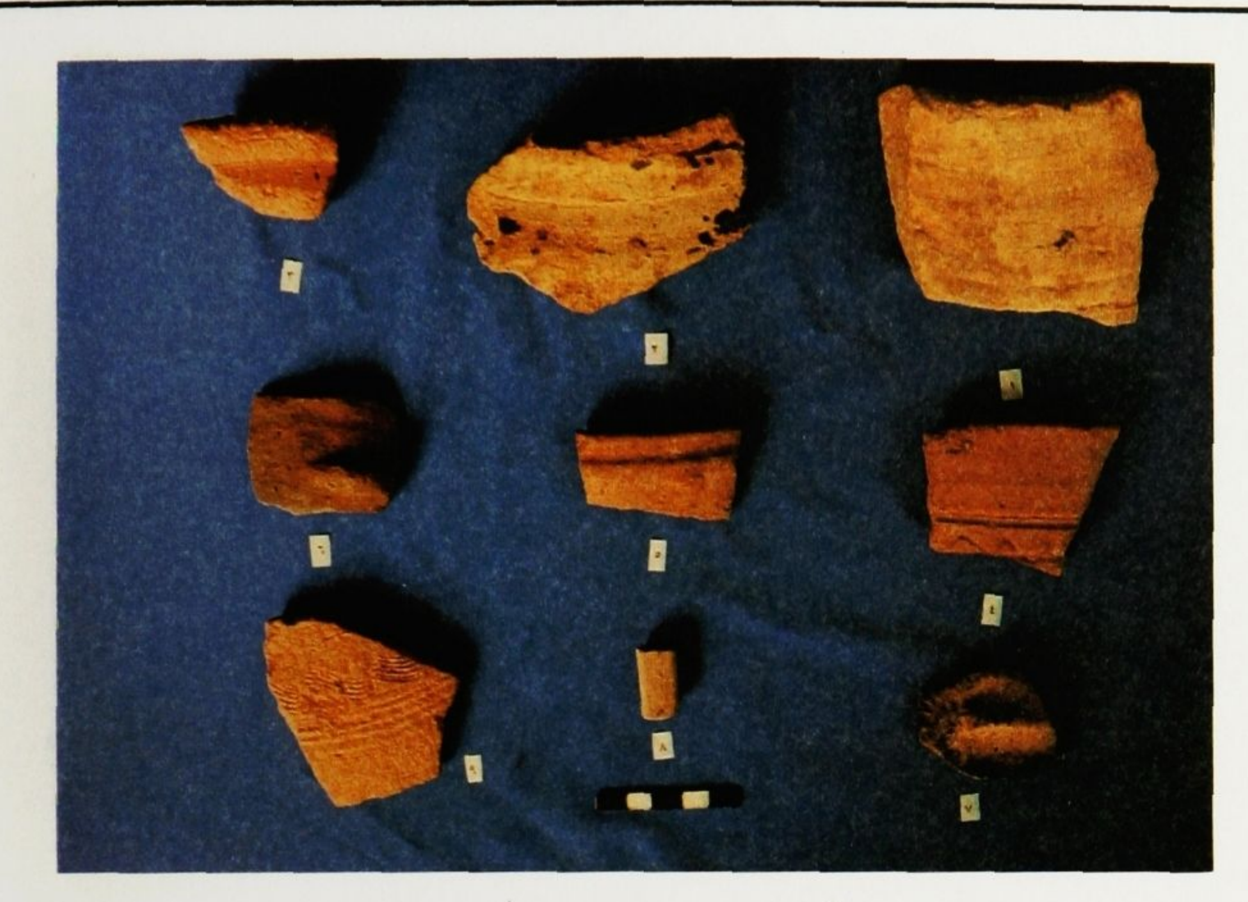


أ - كسر زجاجية من العوسجة



ب - مجموعة من الفخار والخزف من موقع رامة .

اللوحة رقم (٥٠)



أ - كسر فخارية من ضرية



ب - كسر فخارية من ضرية .

اللوحة رقم (٥١)



أ - كسر خزفية من ضرية



ب - كسر خزفية من ضرية .

اللوحة رقم (٥٢)



أ - كسر خزفية من ضرية



ب - كسر خزفية من ضرية .

اللوحة رقم (٥٣)

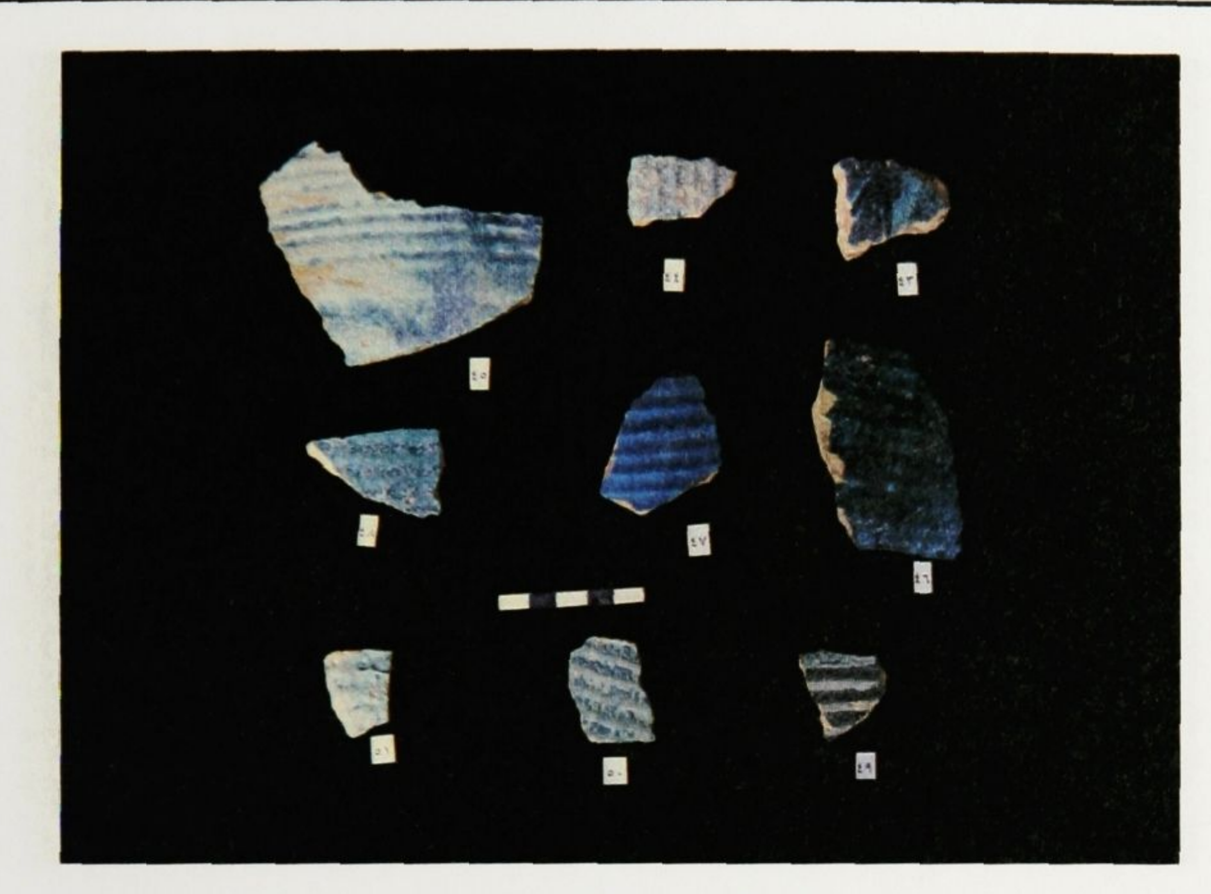


أ - كسر خزفية من ضرية

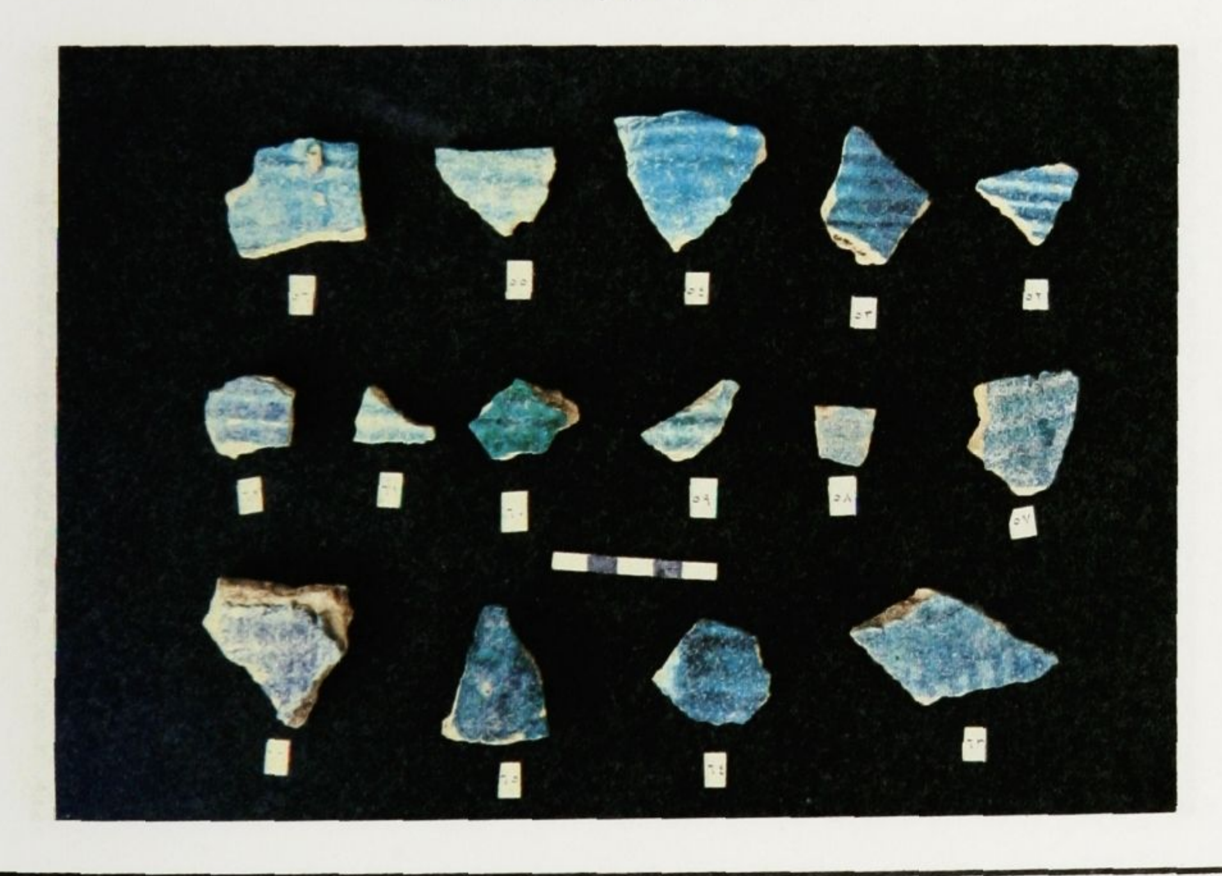


ب - كسر خزفية من ضرية .

اللوحة رقم (٥٤)



أ - كسر خزفية من ضرية



ب - كسر خزفية من ضرية .

اللوحة رقم (٥٥)



أ - كسر من الحجر الصابوني من ضرية



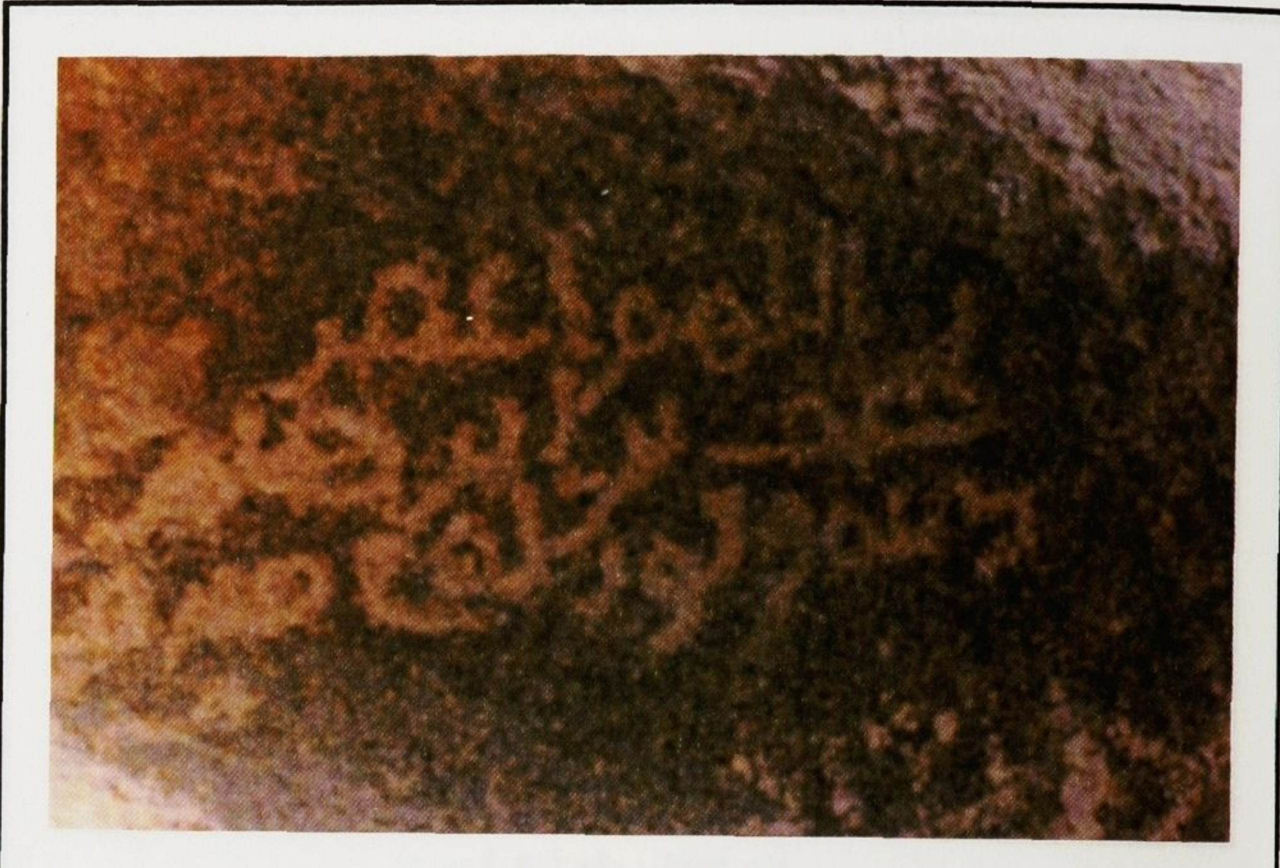
ب - كسر زجاجية من ضرية .

اللوحة رقم (٥٦)

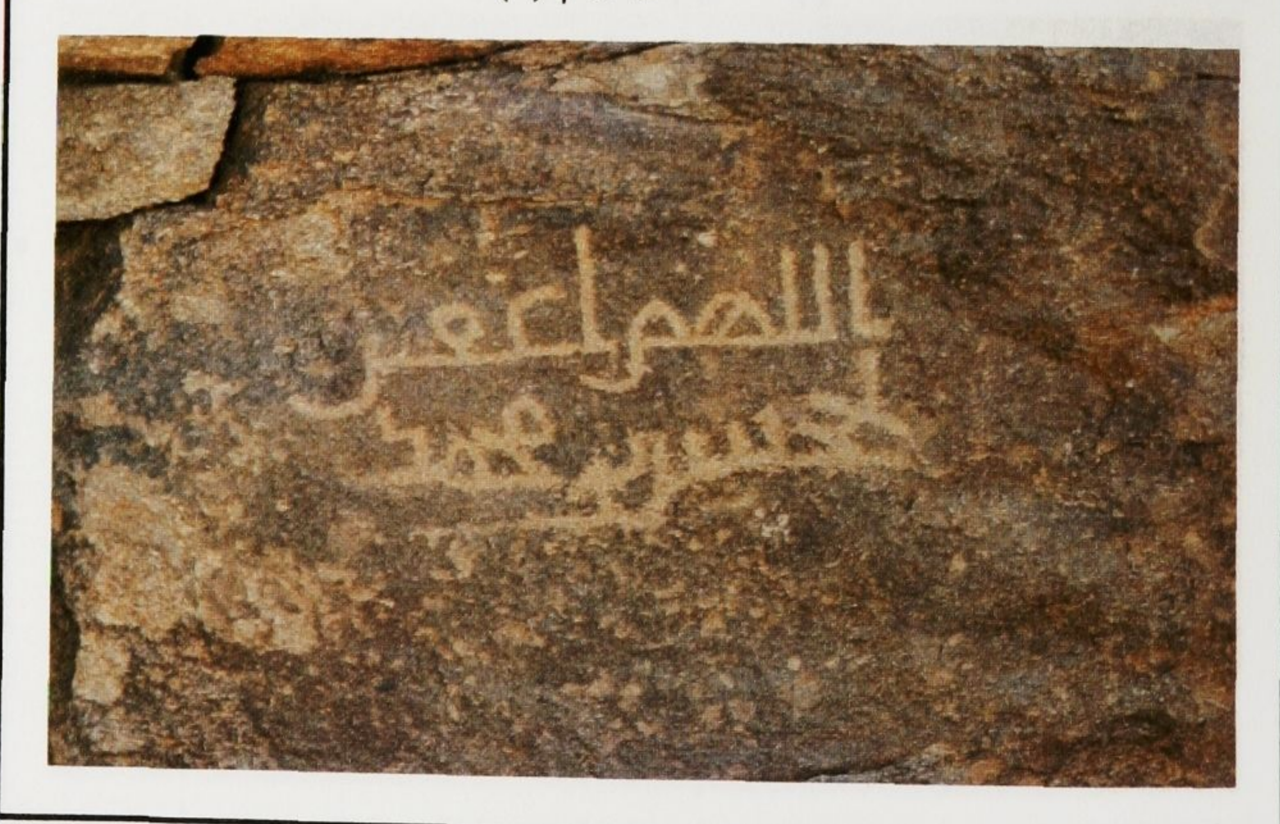


أ - ب - قطعتان برونزيتان من موقع ضرية .

اللوحة رقم (٥٧)

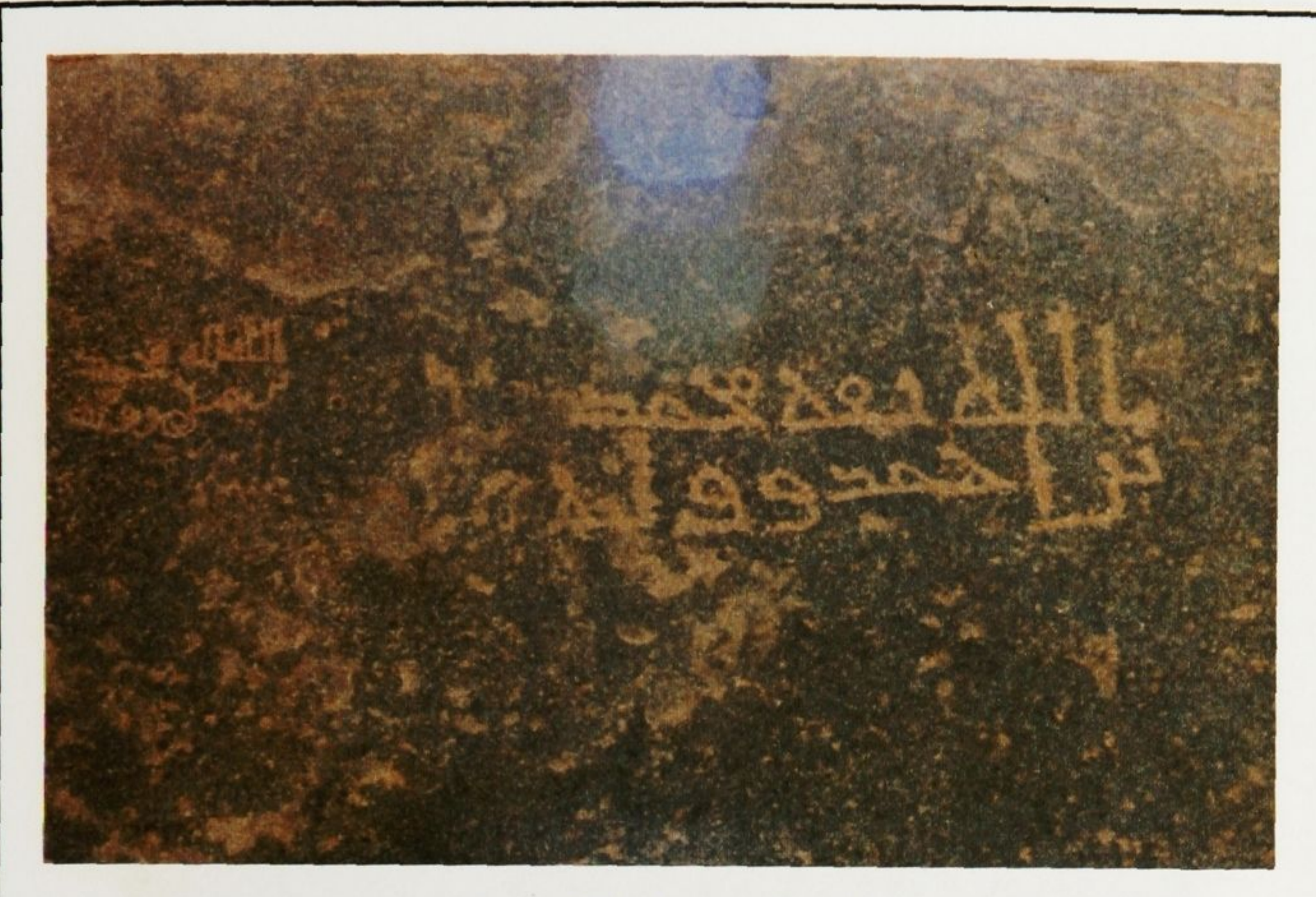


أ - النقش رقم (١)

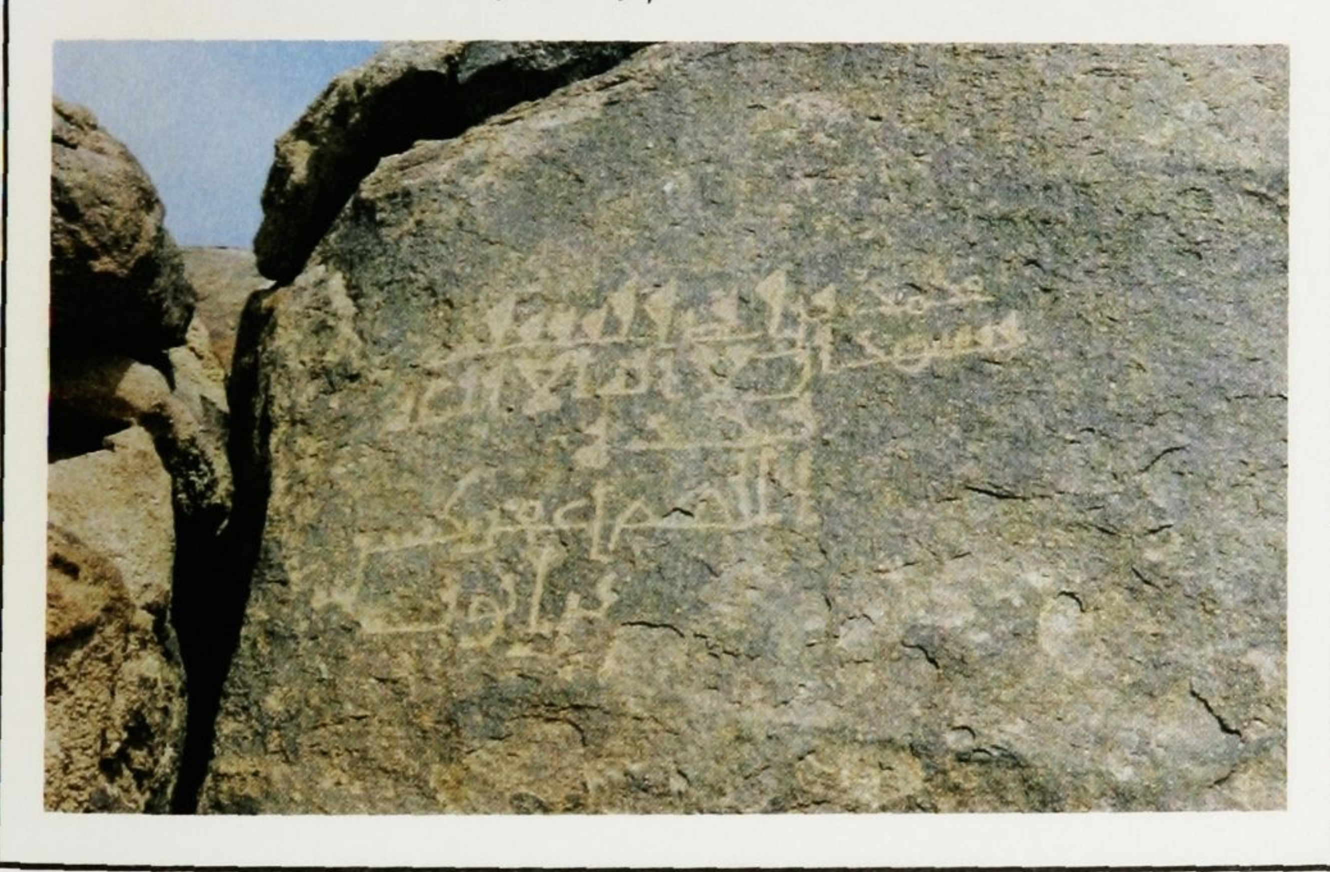


ب - النقش رقم (٢) .

اللوحة رقم (٥٨)



أ - النقش رقم (٣أ + ب)



ب - النقش رقم (٤أ + ب) .

اللوحة رقم (٥٩)

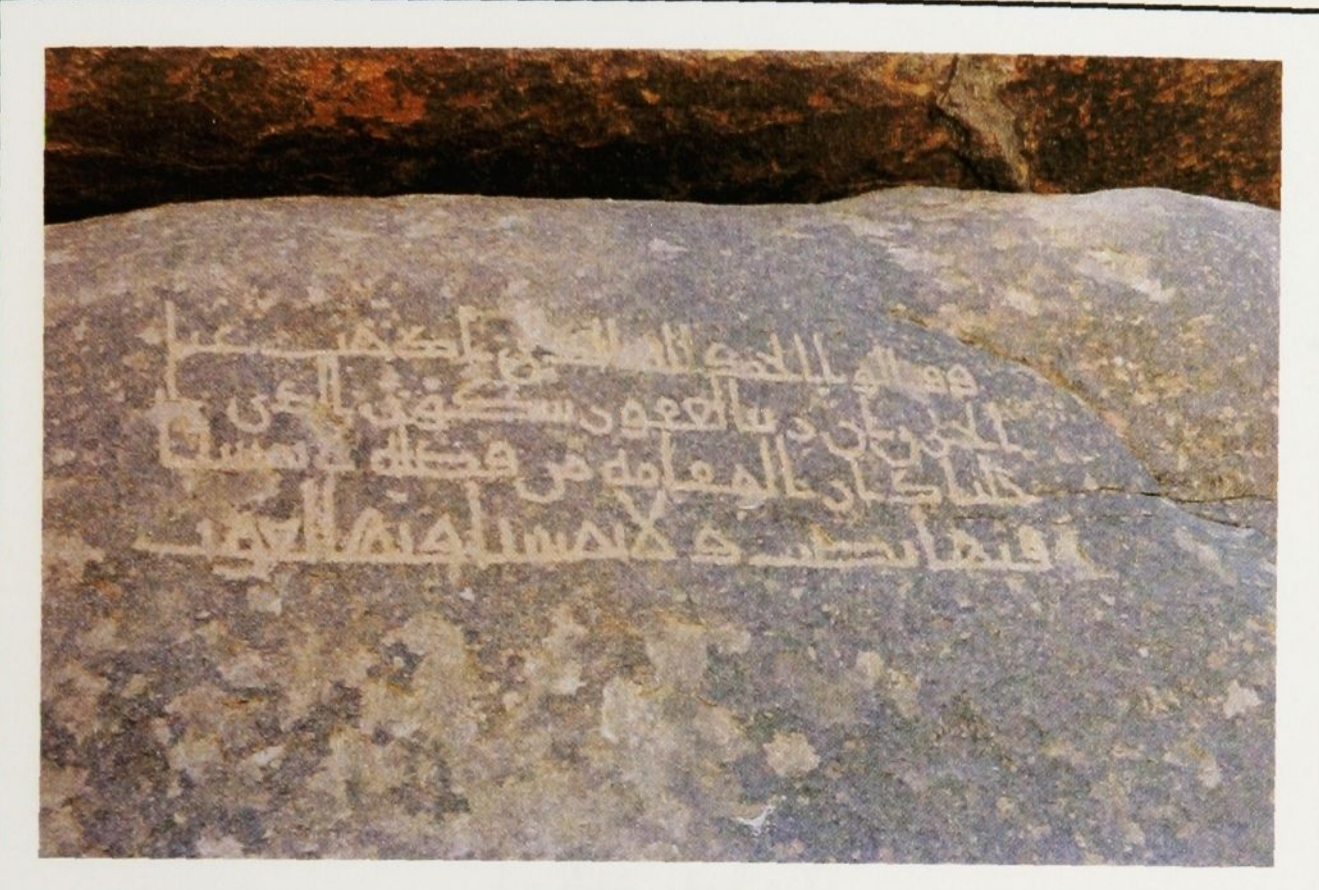


أ - النقش رقم (٥)

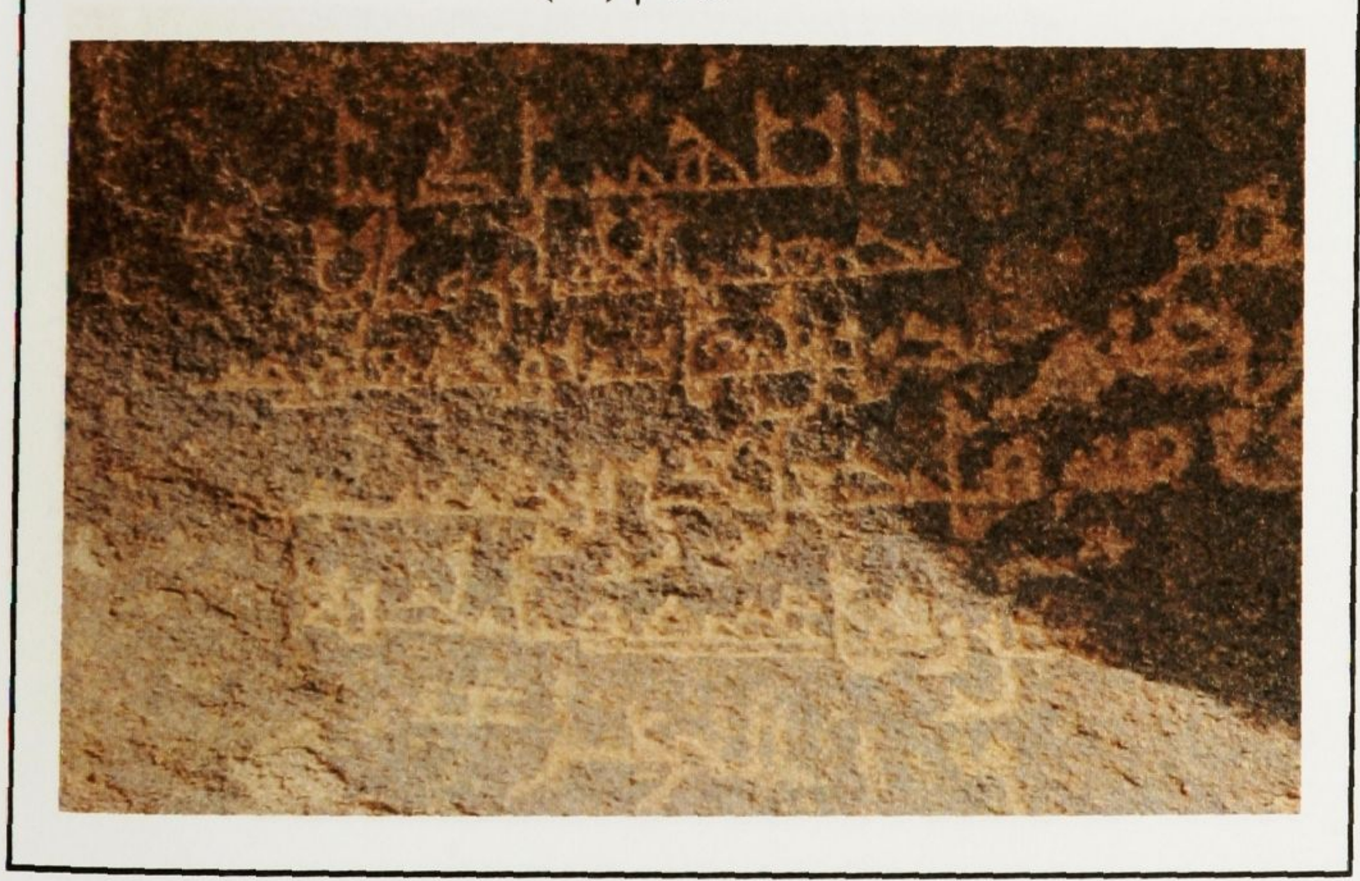


ب - النقش رقم (٦) .

اللوحة رقم (٦٠)

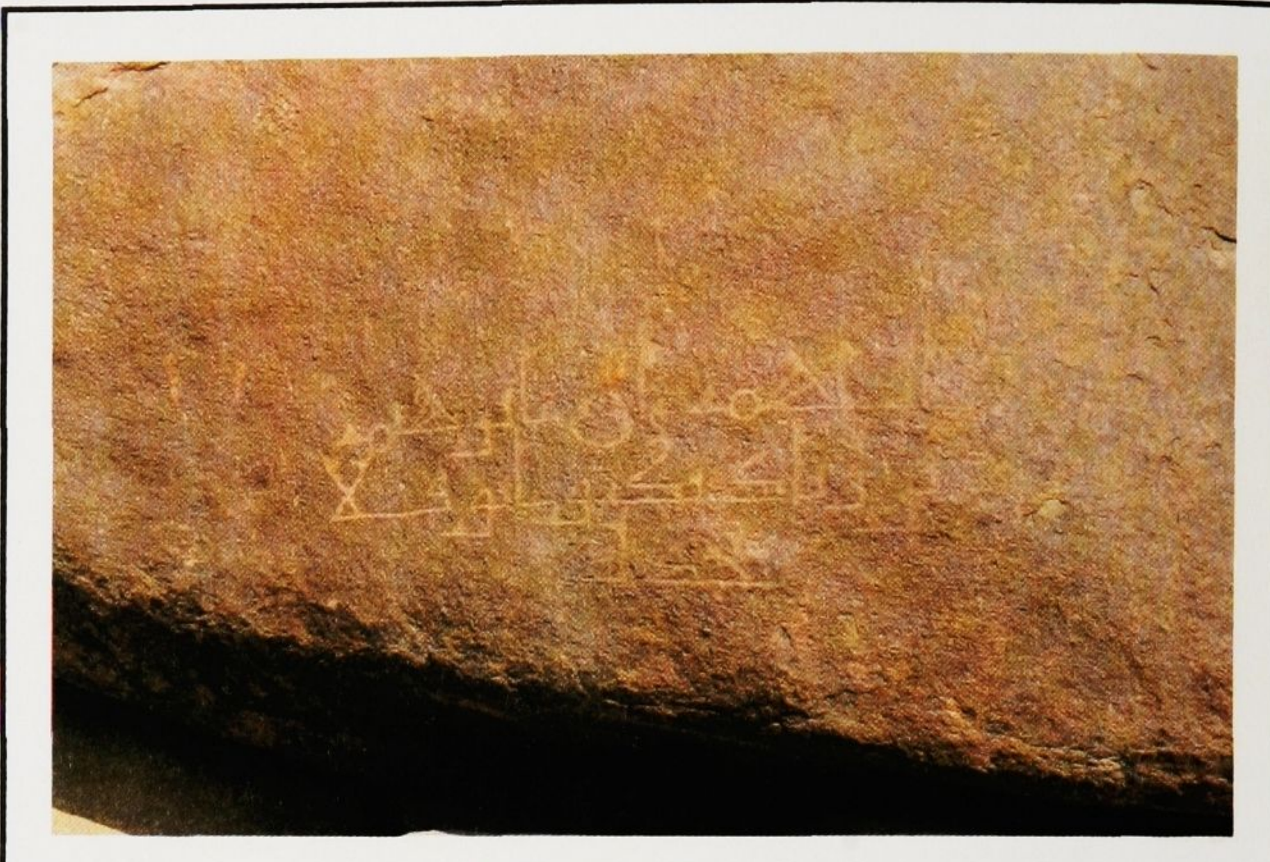


أ – النقش رقم (٧)

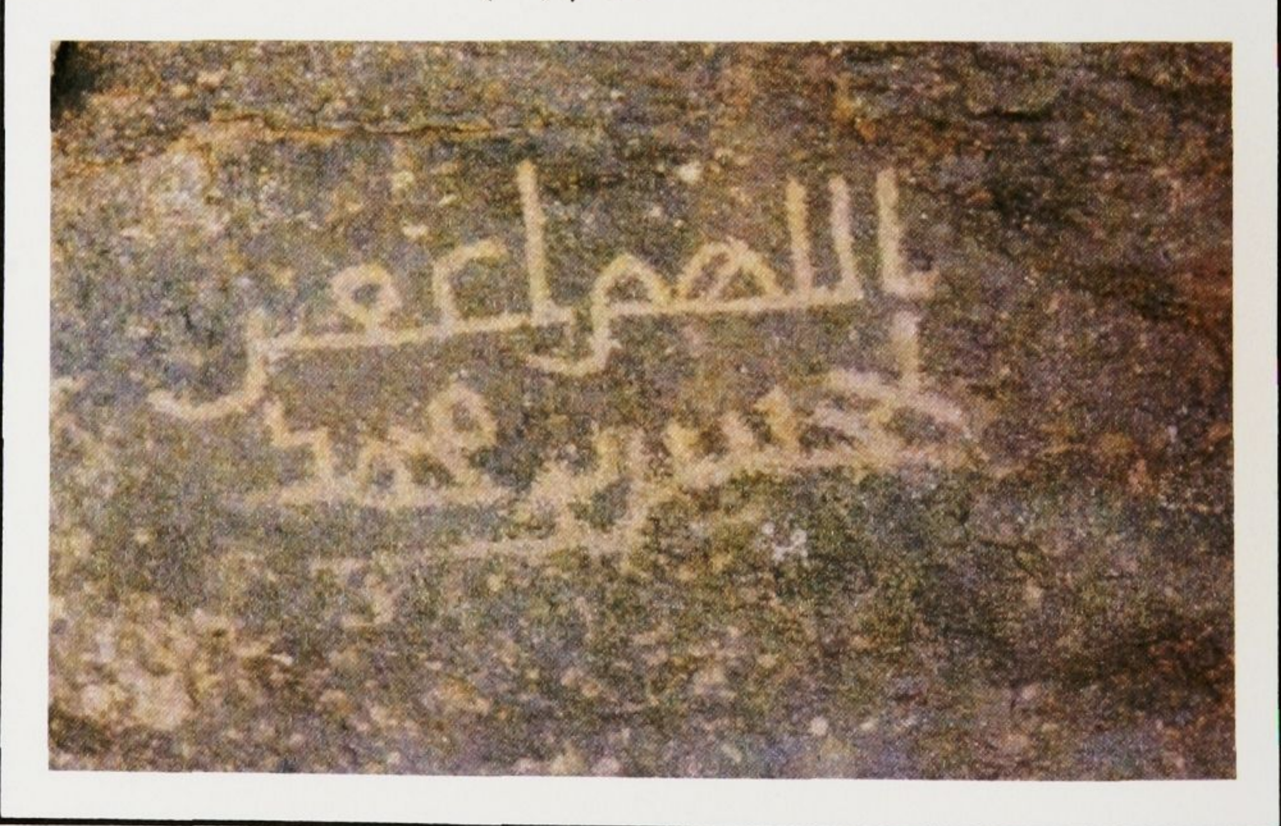


ب – النقش رقم (٨)

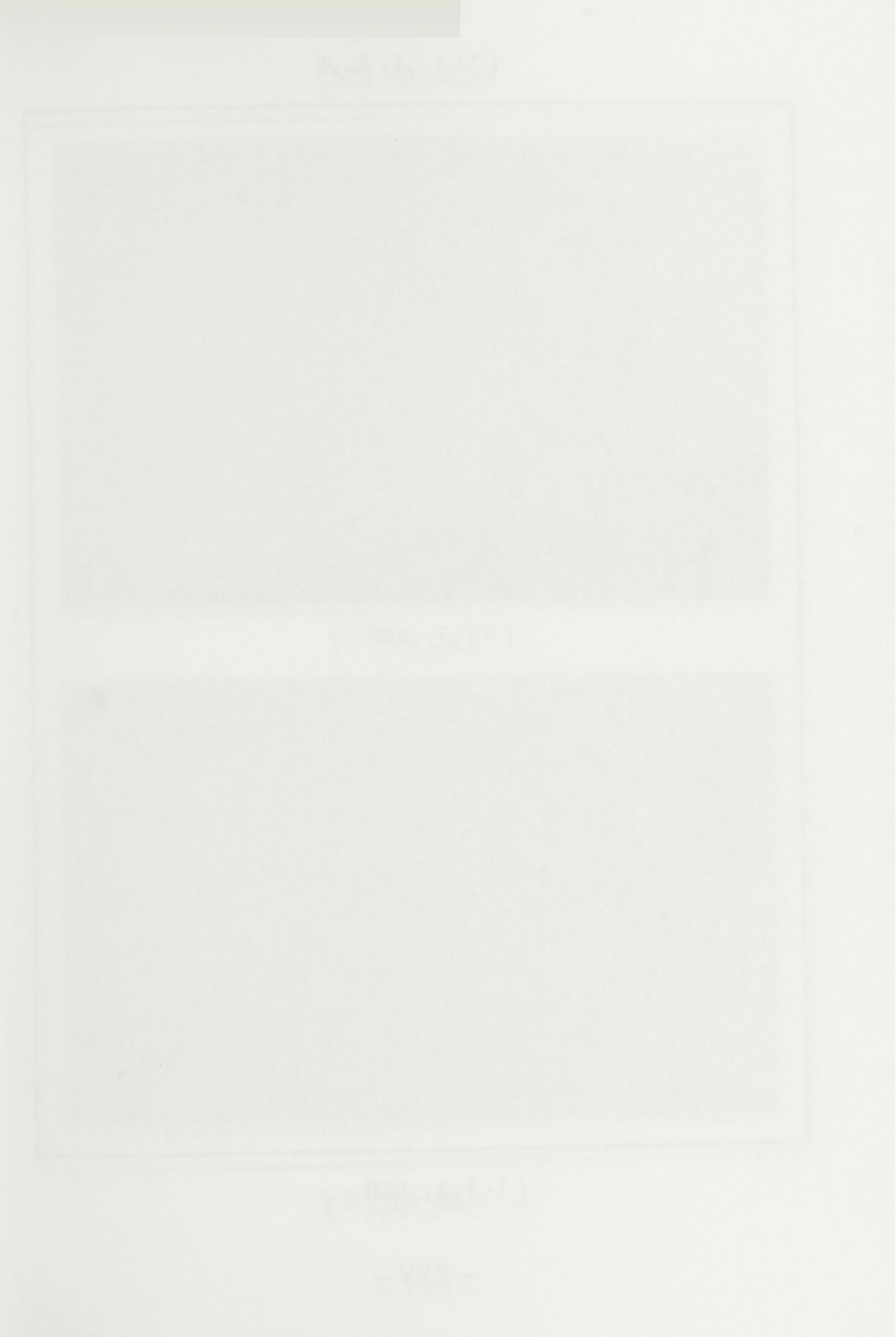
اللوحة رقم (٦١)



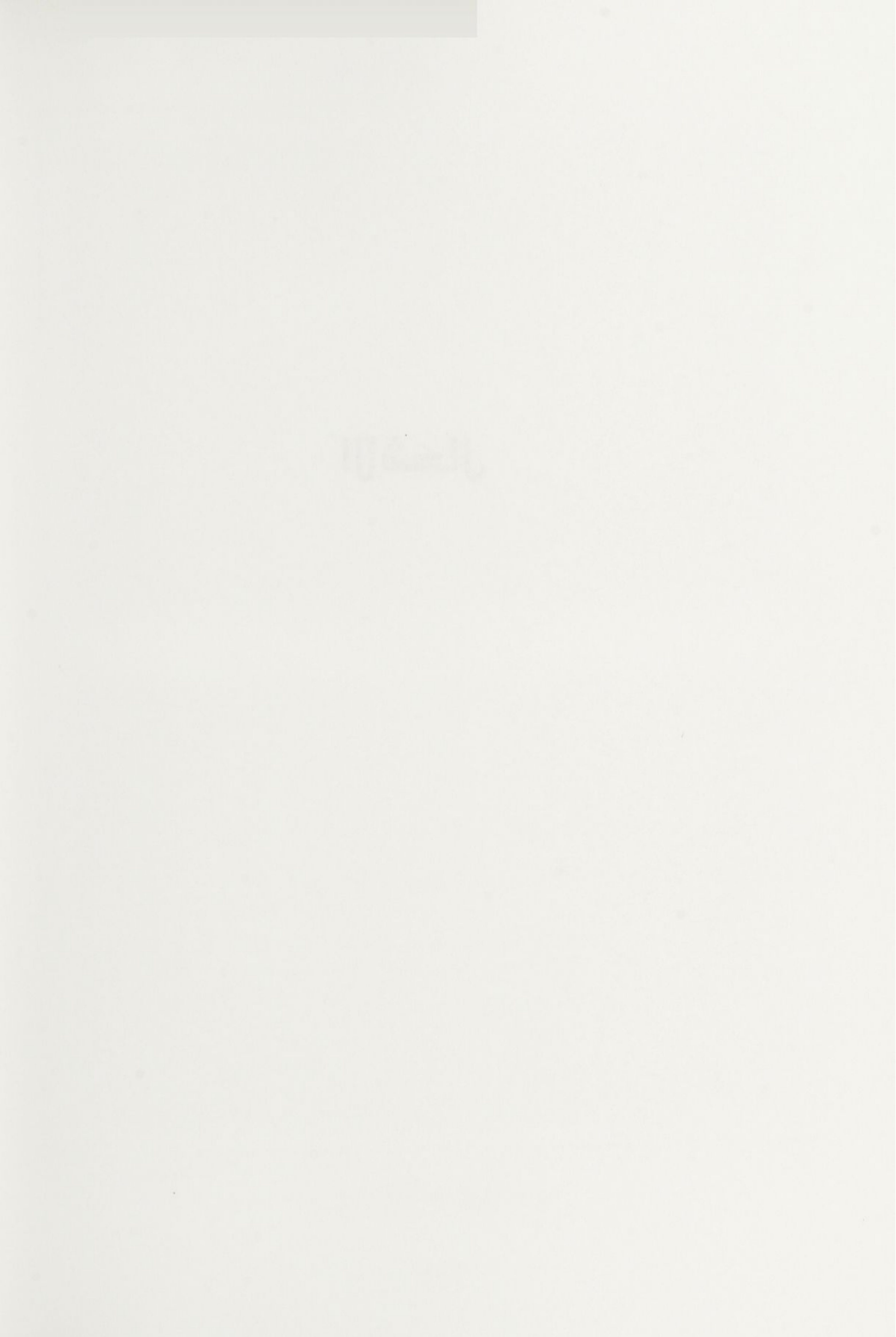
أ - النقش رقم (٩)



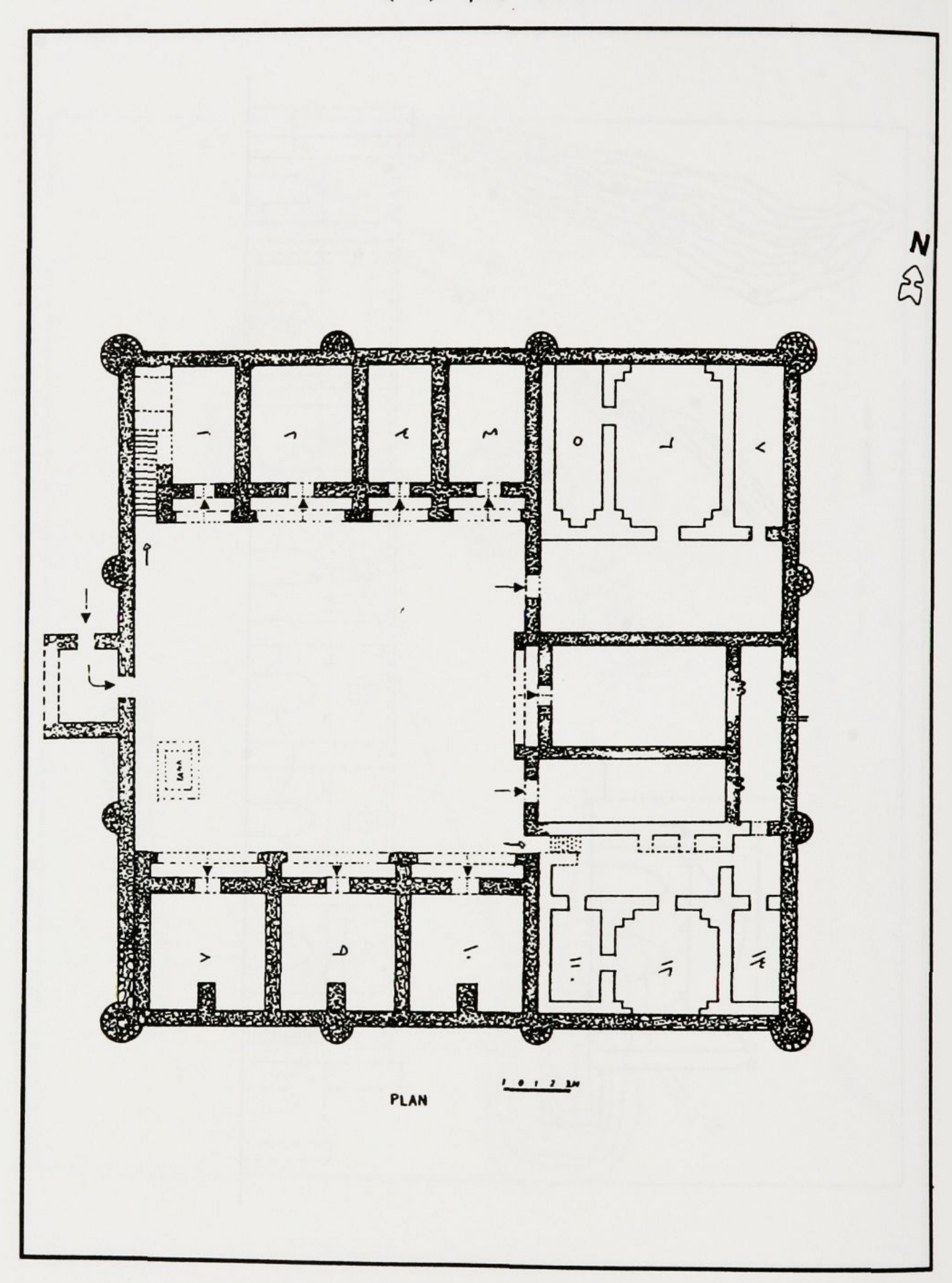
ب - النقش رقم (١٠)



الأشكال

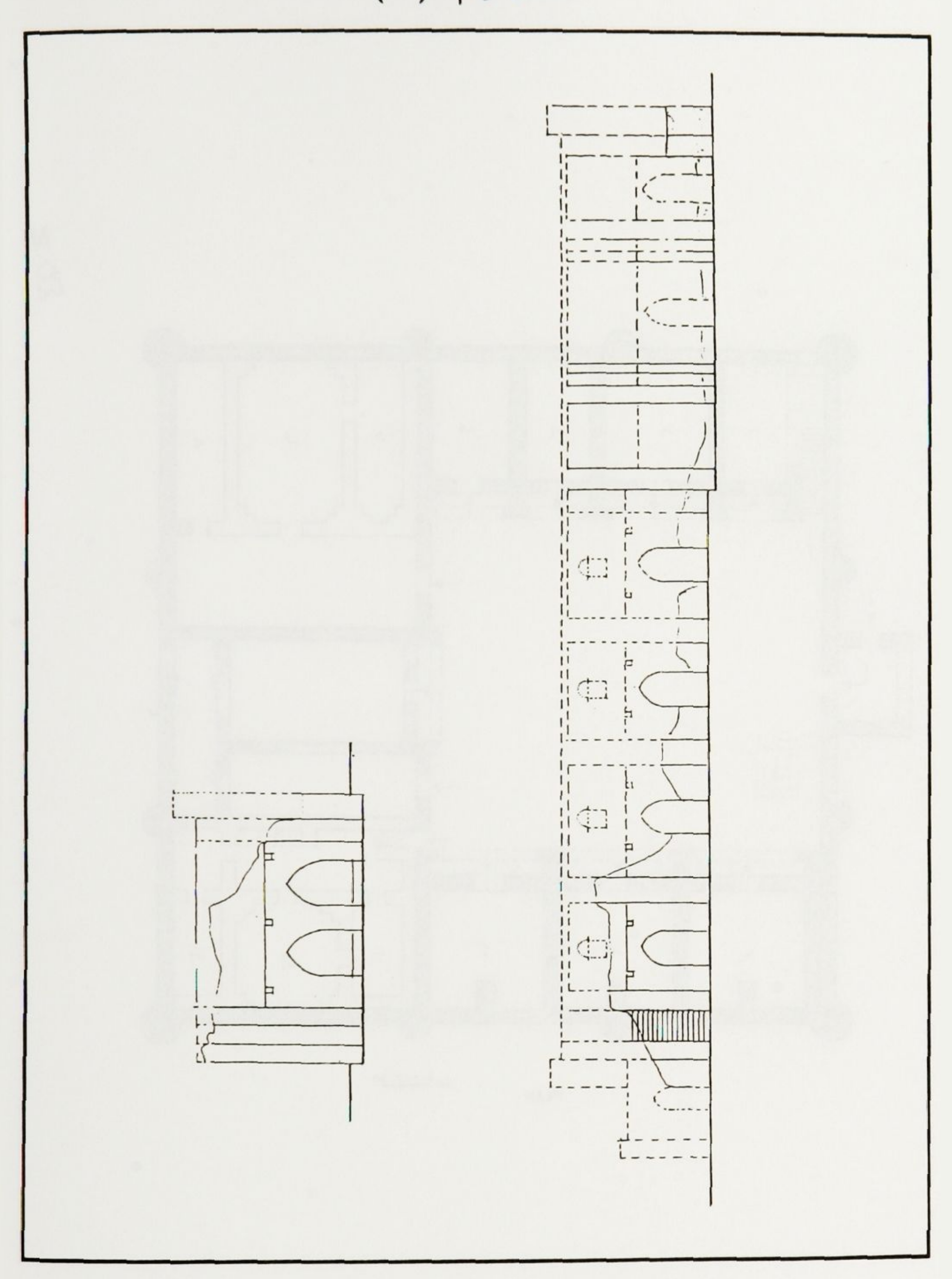


الشكل رقم (١)



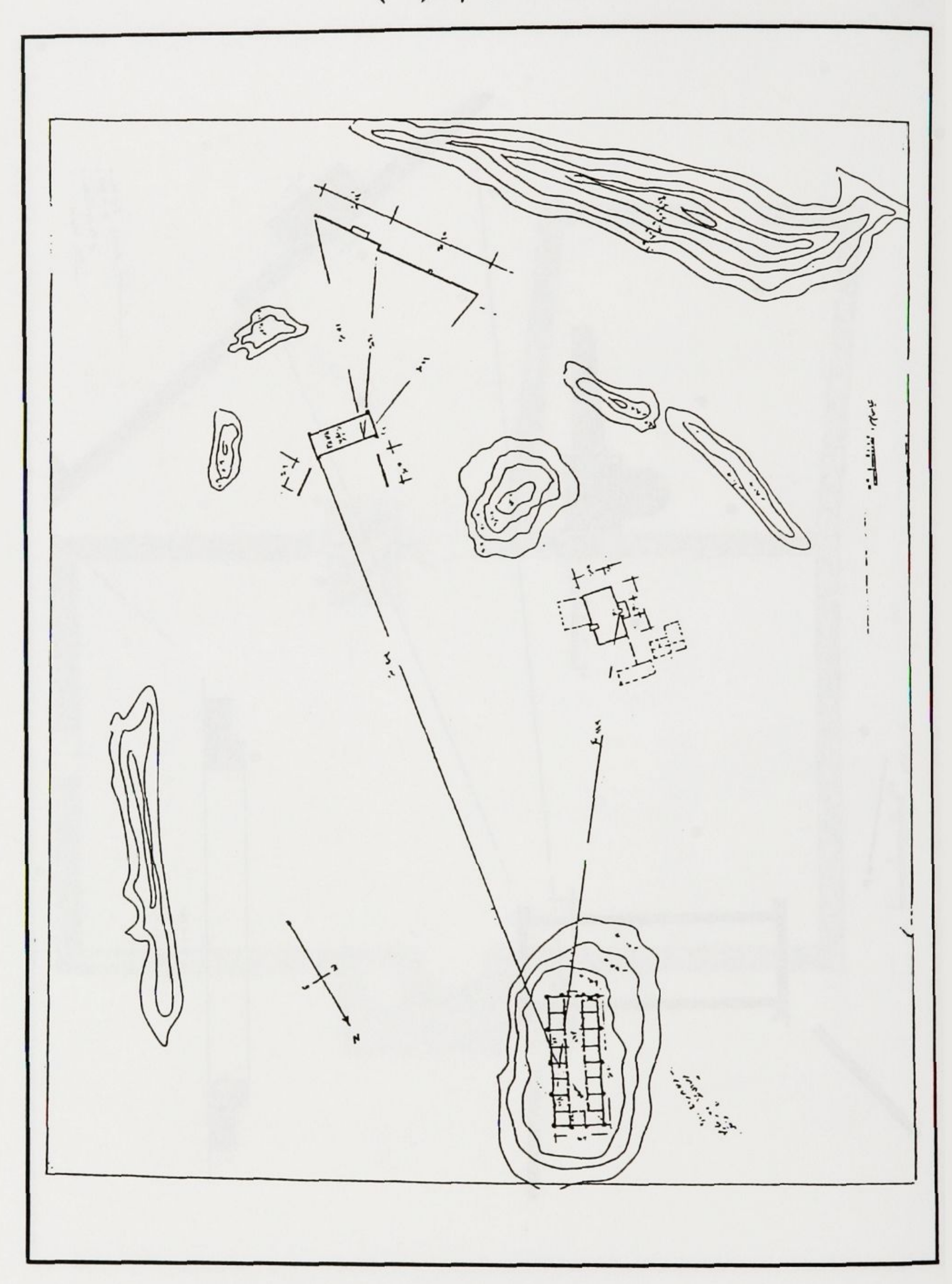
مخطط لقصر مارد في النباج - من عمل المؤلف .

الشكل رقم (٢)



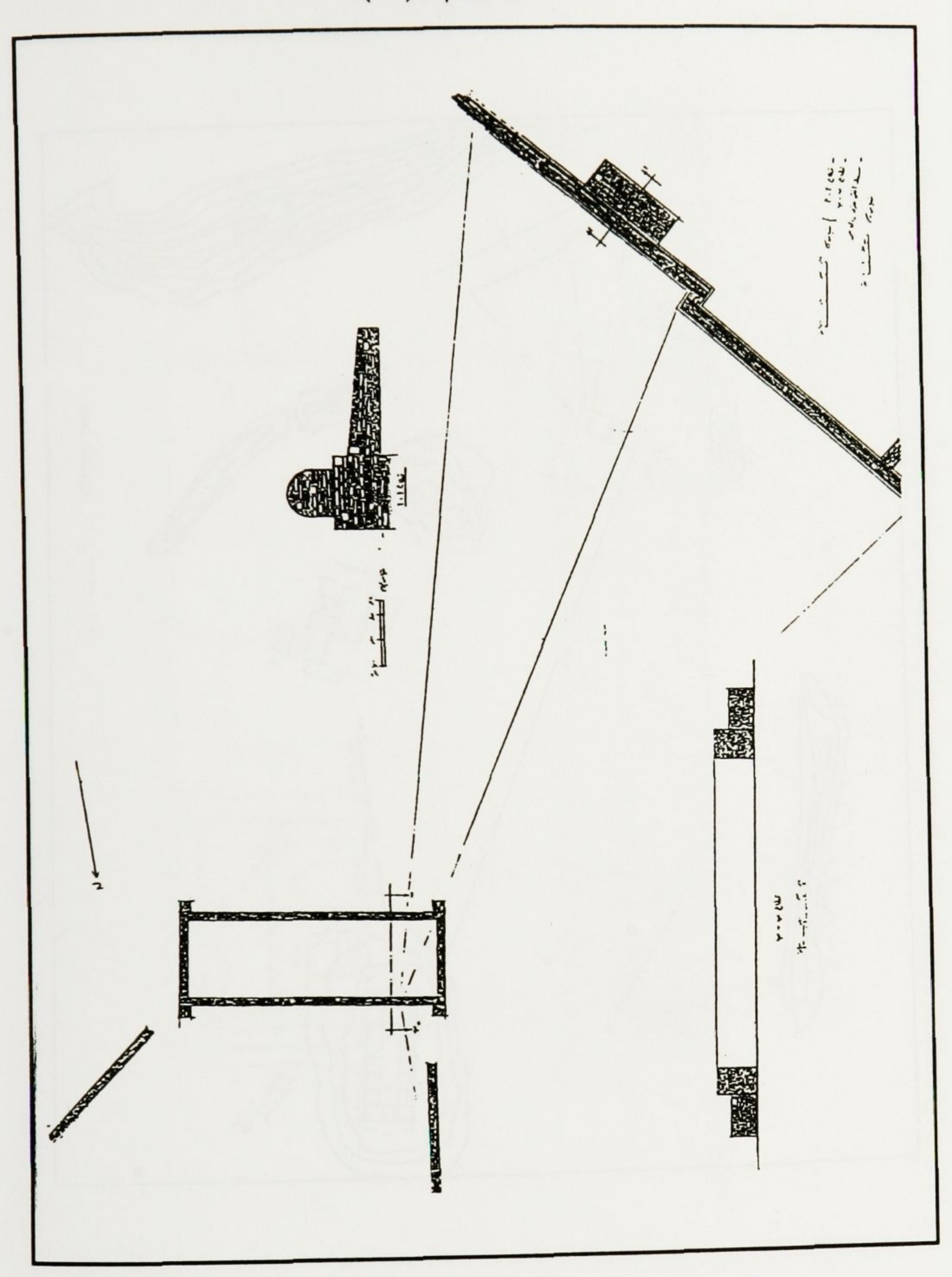
تصور لمخطط واجهة الوحدة الشمالية لقصر مارد - من عمل المؤلف .

الشكل رقم (٣)



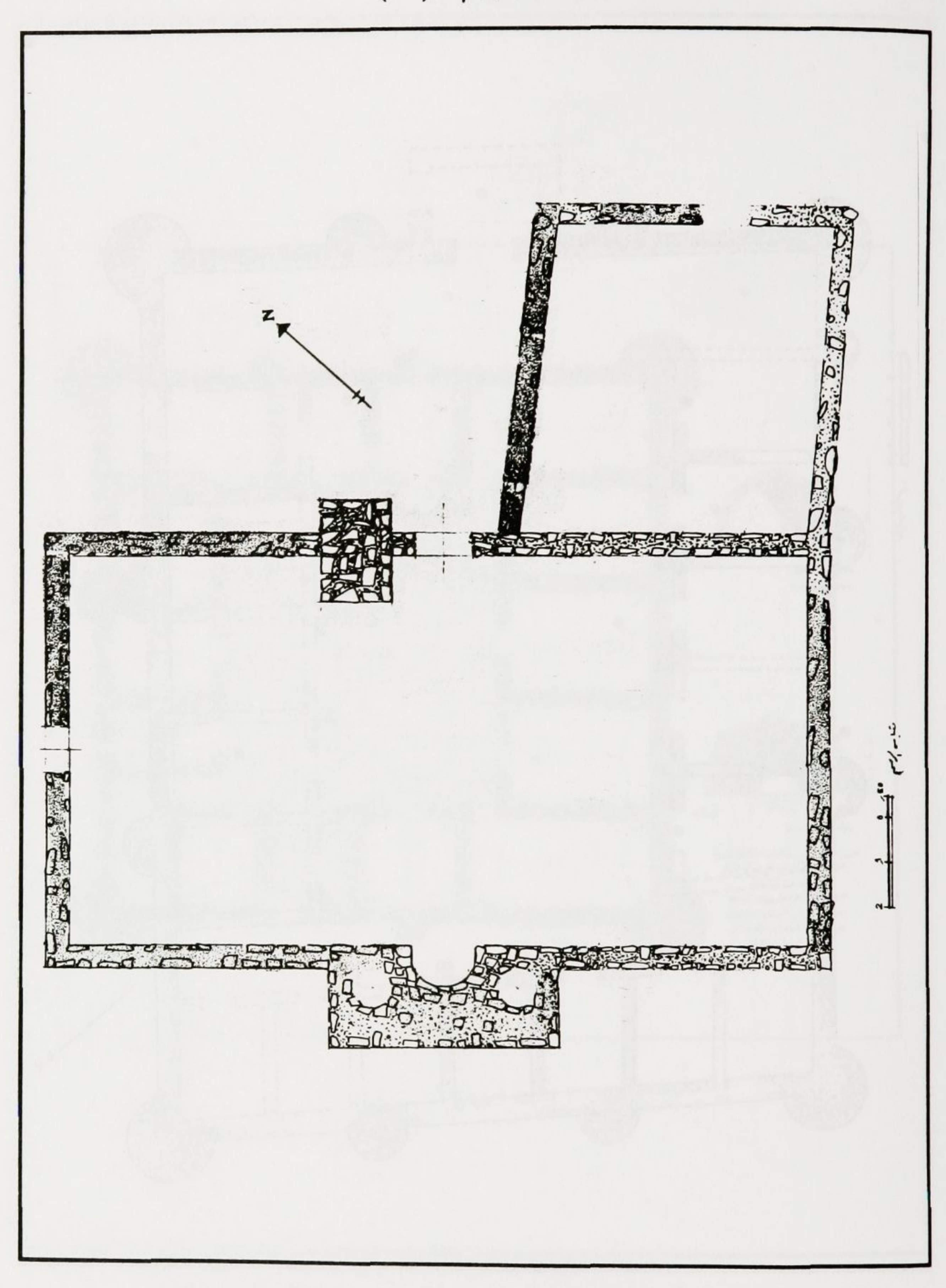
مخطط كنتوري لموقع العوسجة - من عمل المؤلف .

الشكل رقم (٤)



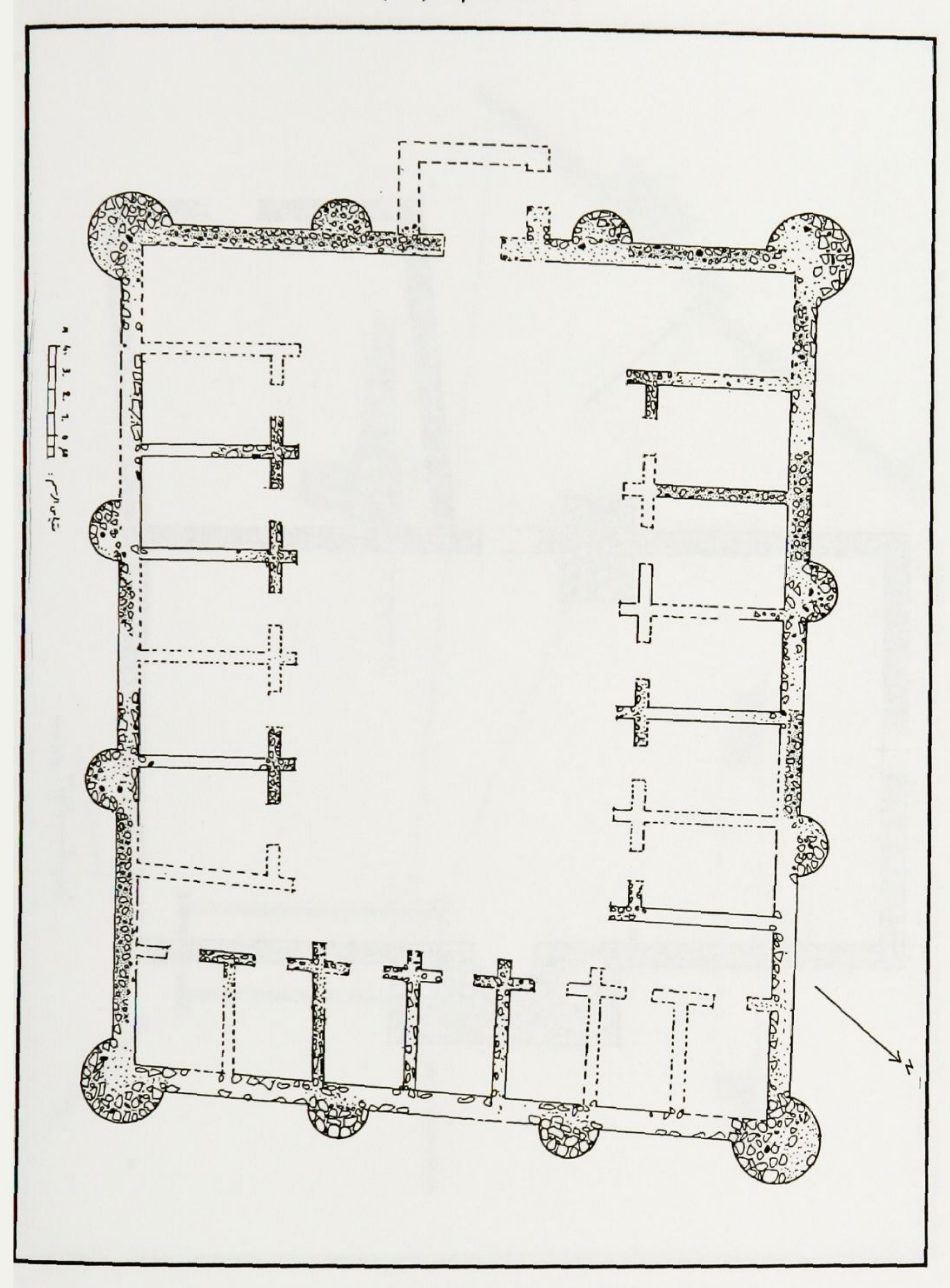
قطاع ومسقط أفقي للسد والحوض - من عمل المؤلف .

الشكل رقم (٥)



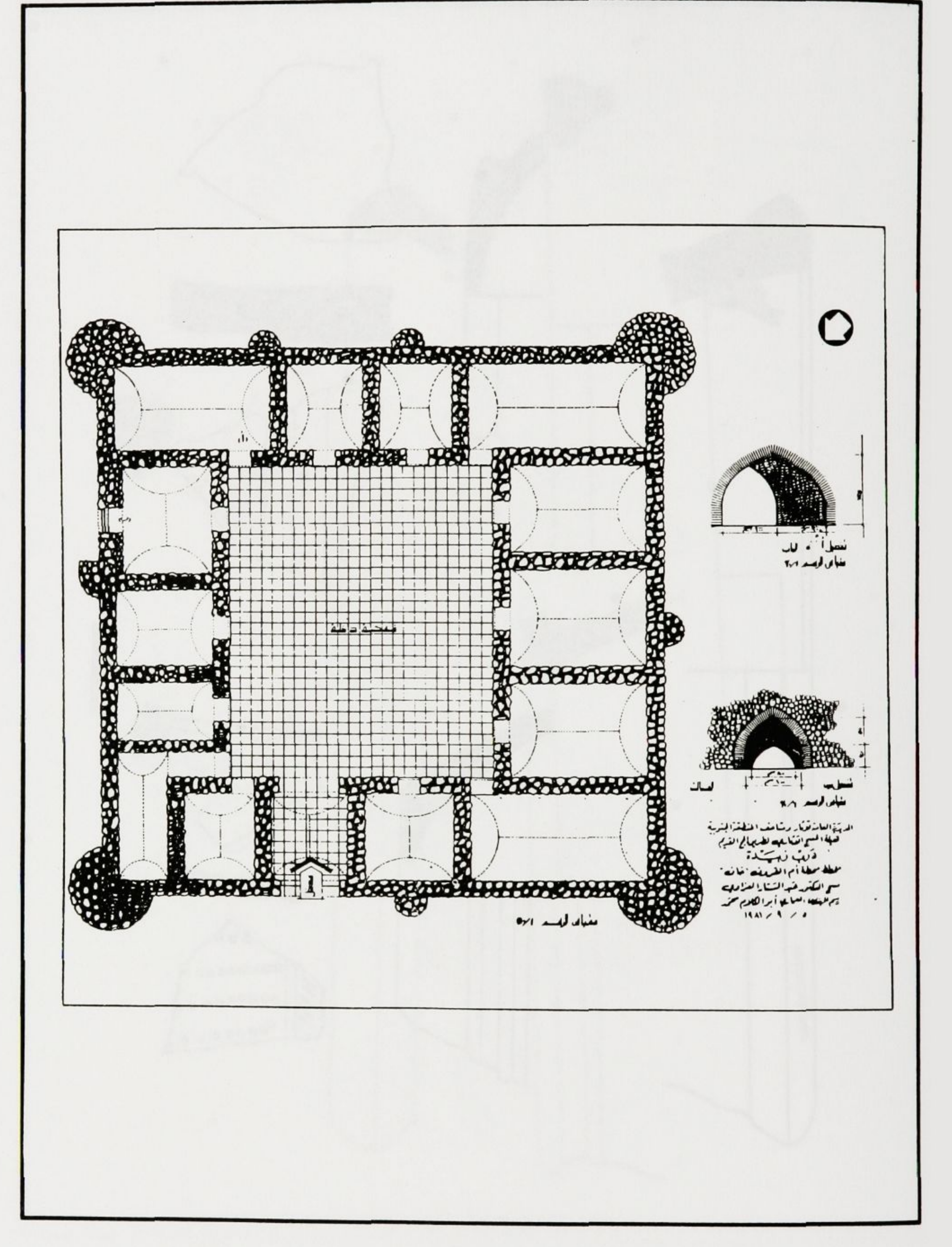
ب - تخطيط لمسجد العوسجة - من عمل المؤلف .

الشكل رقم (٦)



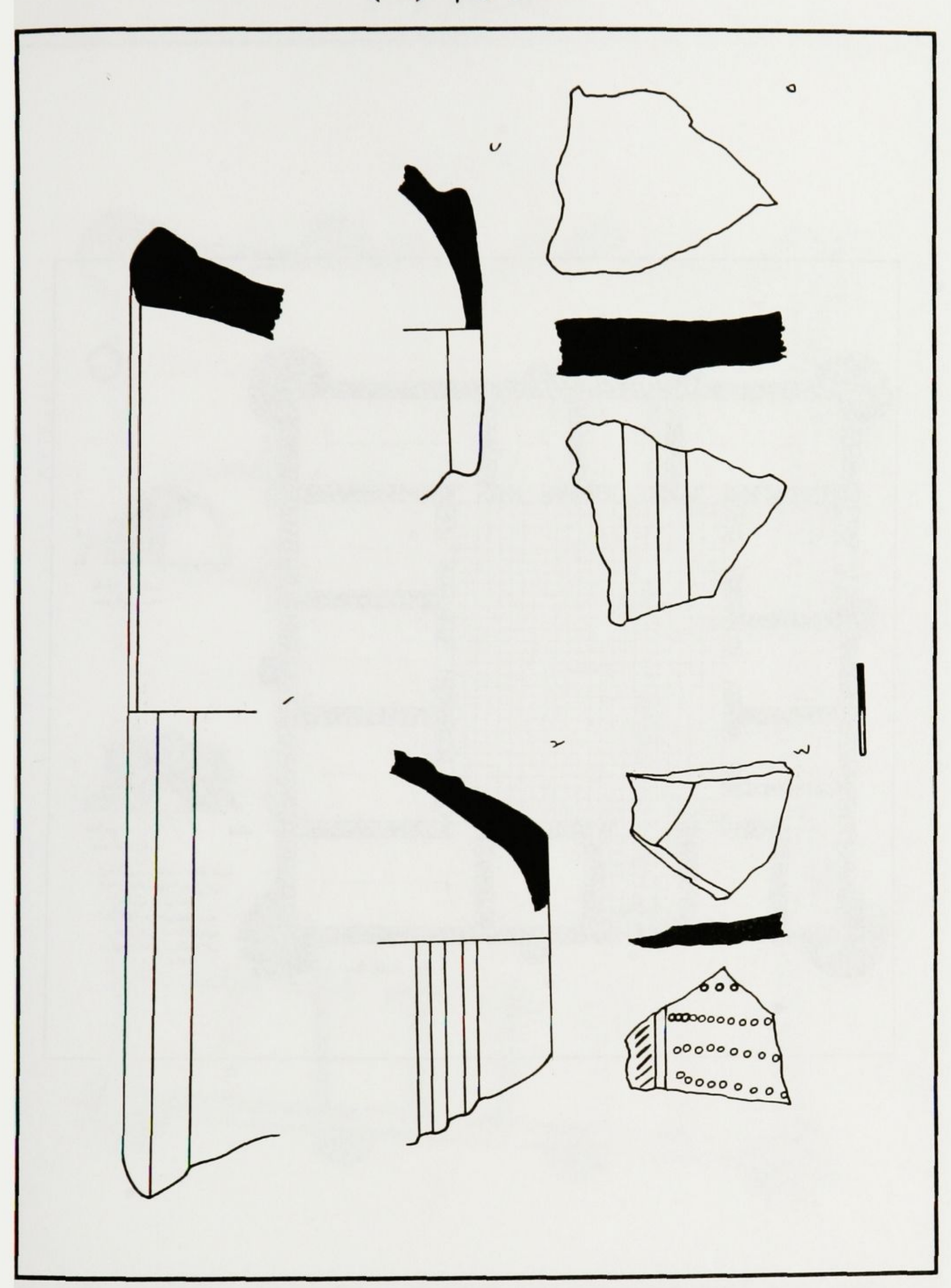
مخطط قصر رامة - من عمل المؤلف .

الشكل رقم (٧)



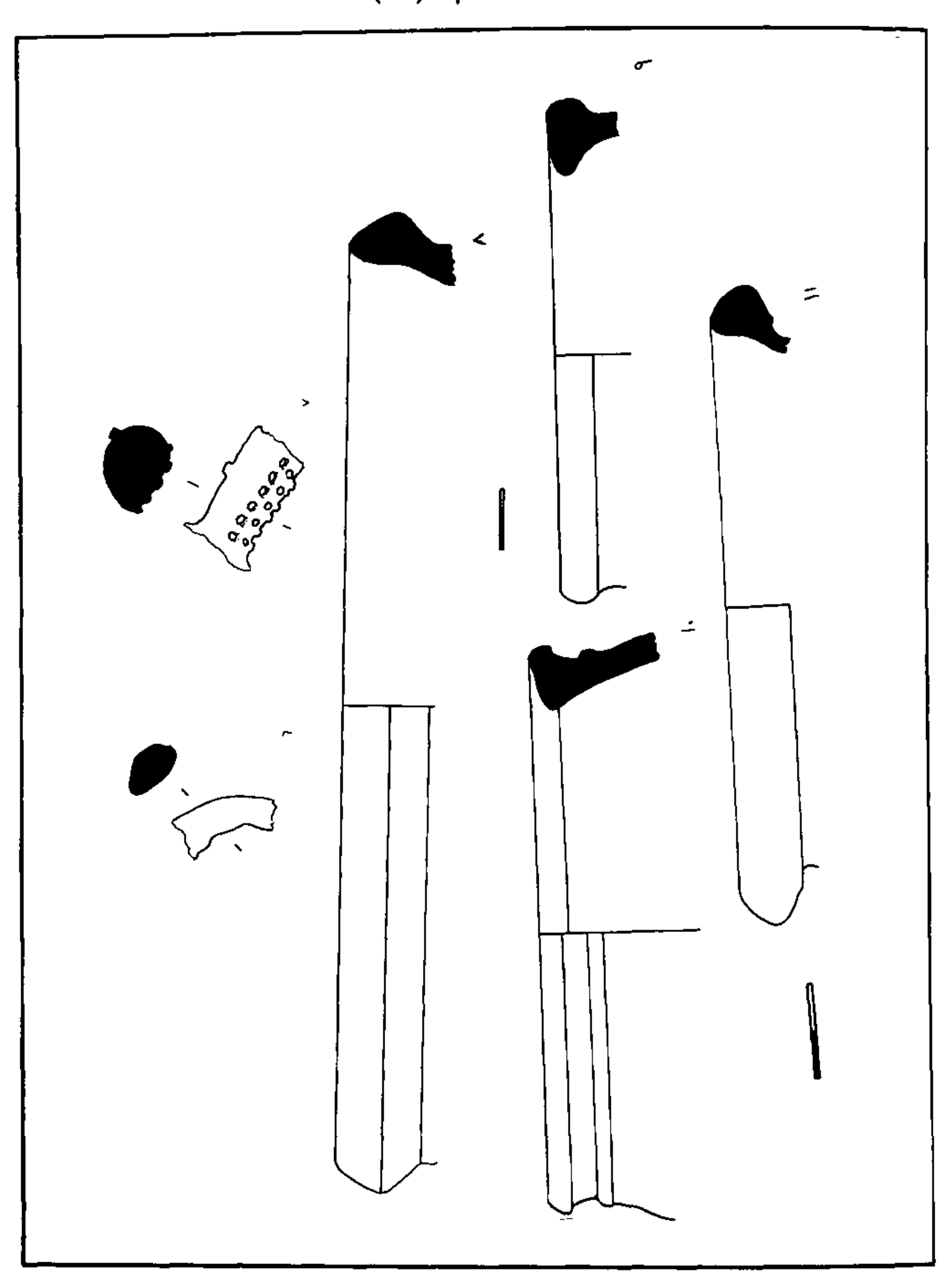
مخطط قصر أم القرون - المصدر : سومر جـ ١ + ٢، ٤٤، ١٩٨٦م .

الشكل رقم (٨)



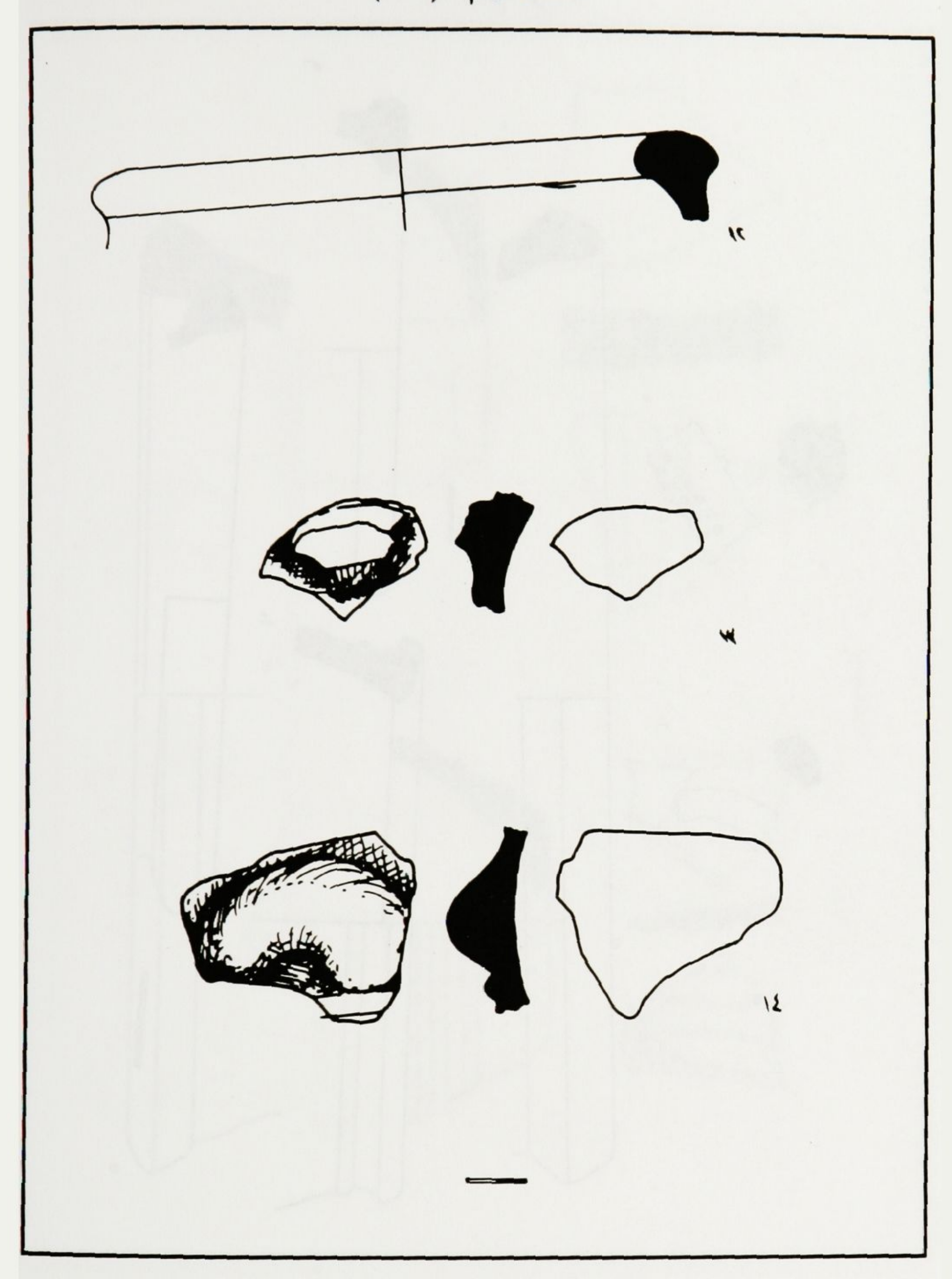
فخار غير مزجج من موقع النباج .

الشكل رقم (٩)



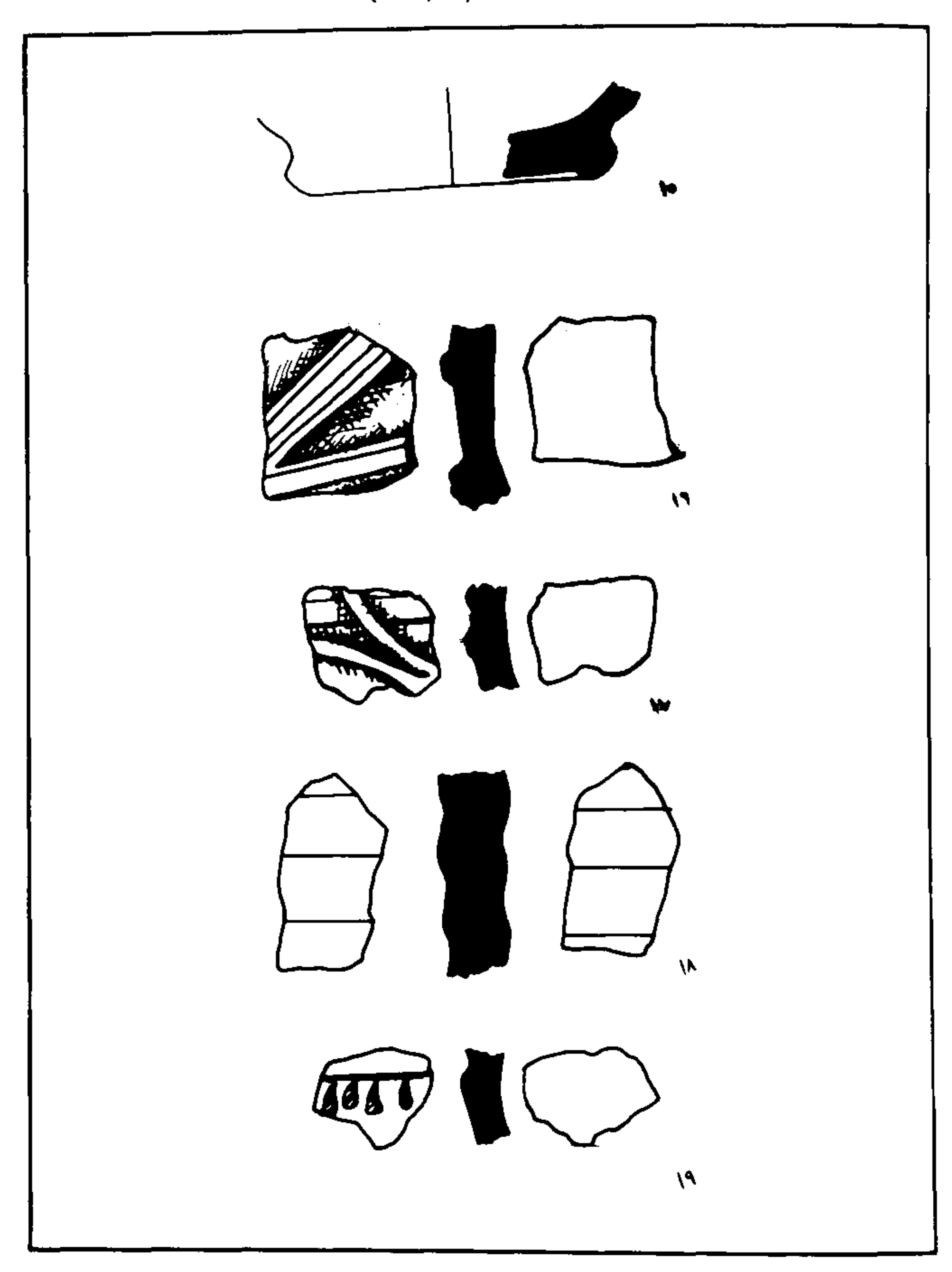
الخزف المطلي بلون أزرق من موقع النباج .

الشكل رقم (١٠)



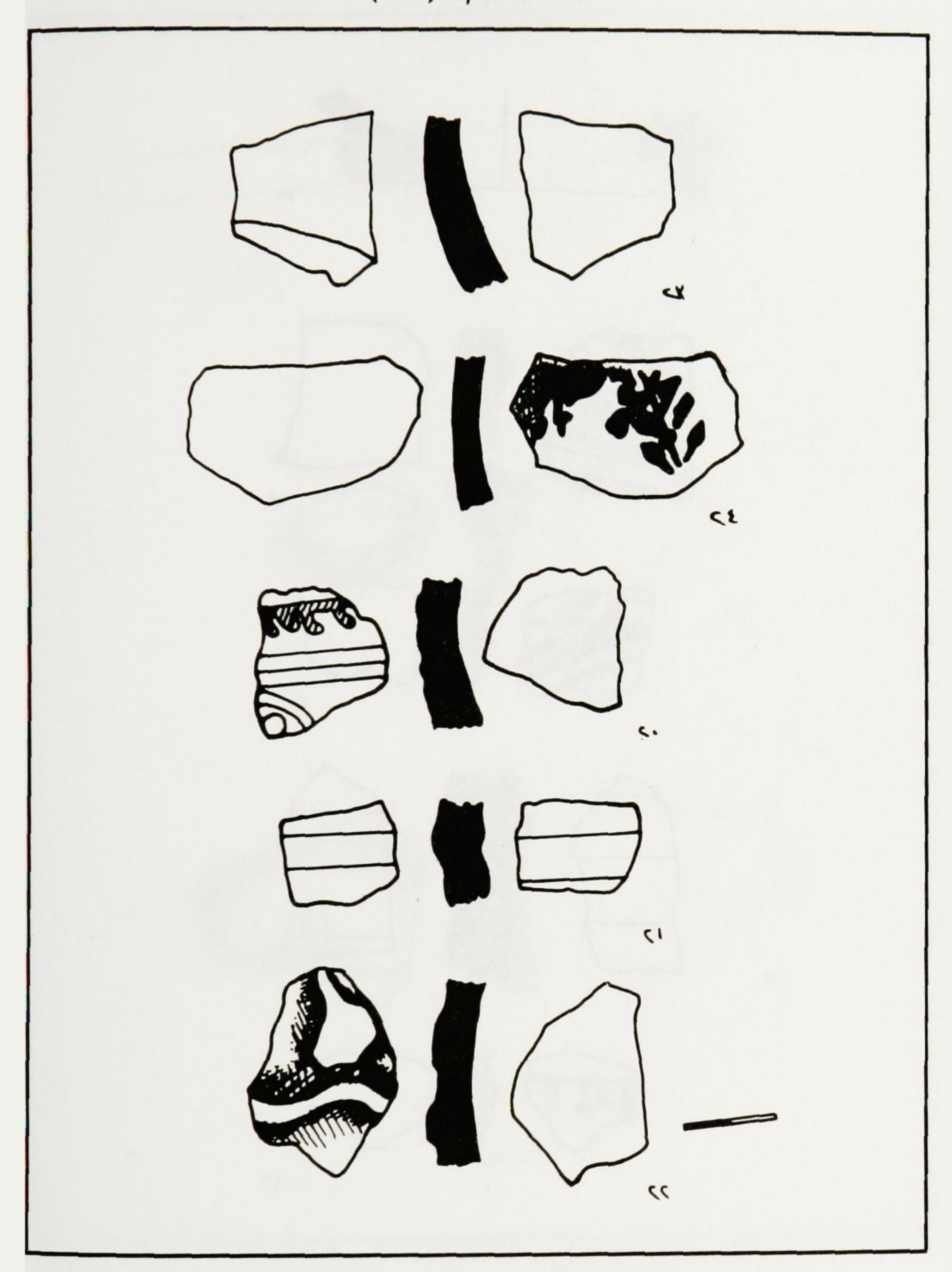
الخزف المطلي بلون أزرق من النباج .

الشكل رقم (١١)



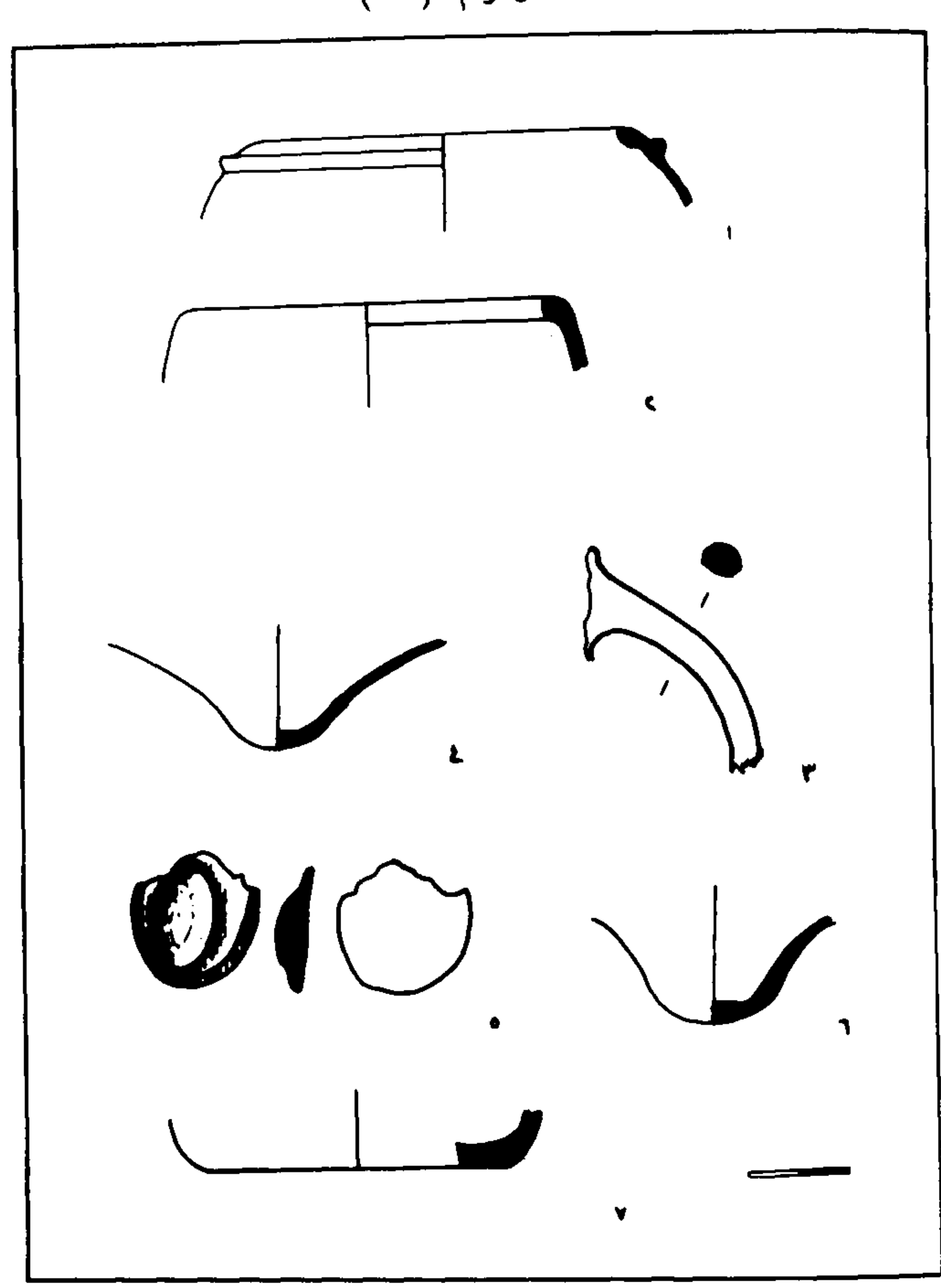
الخزف المطلي بلون أزرق من النباج .

الشكل رقم (١٢)



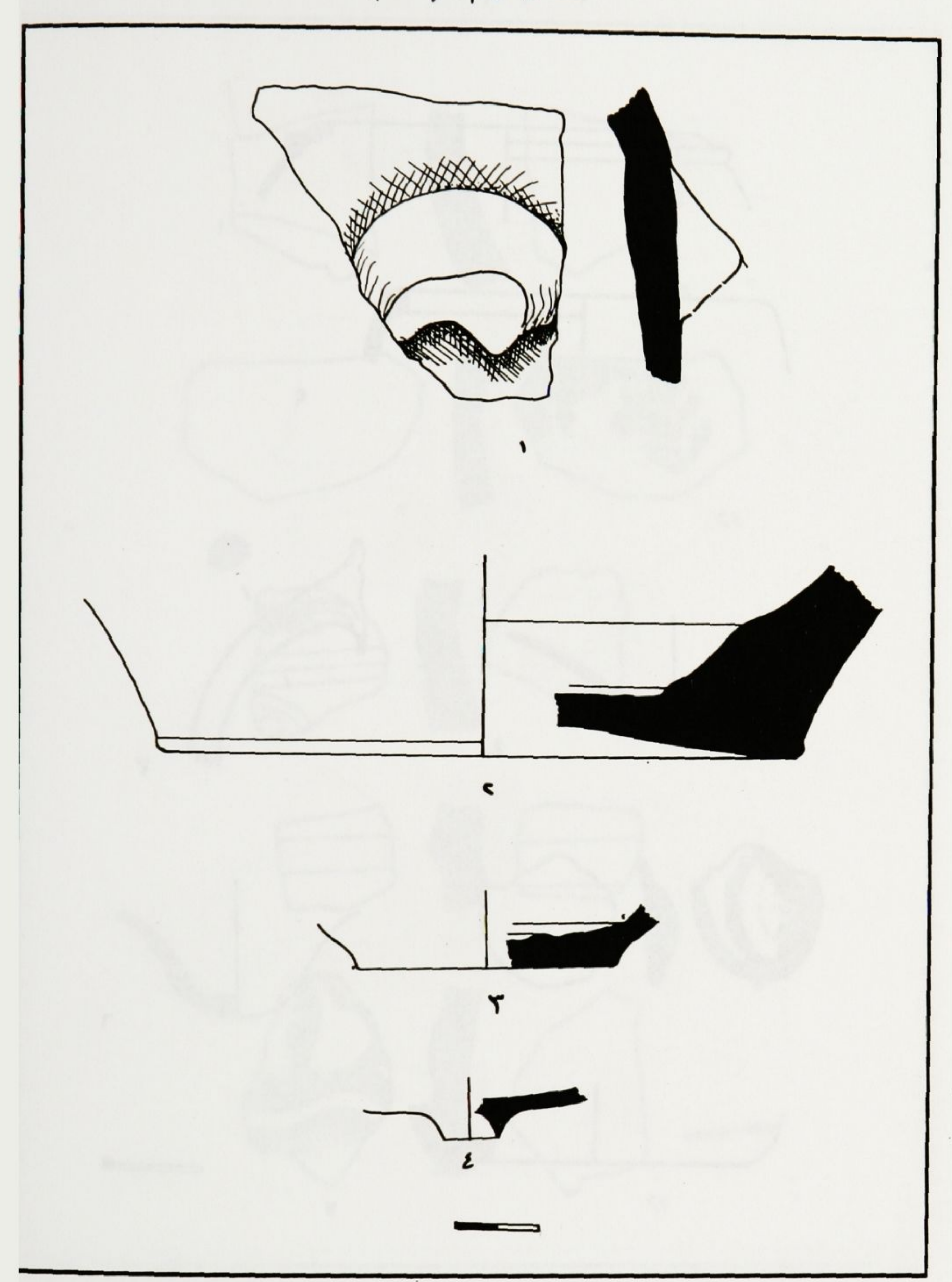
الخزف المطلي بلون أزرق من النباج .

الشكل رقم (١٢)



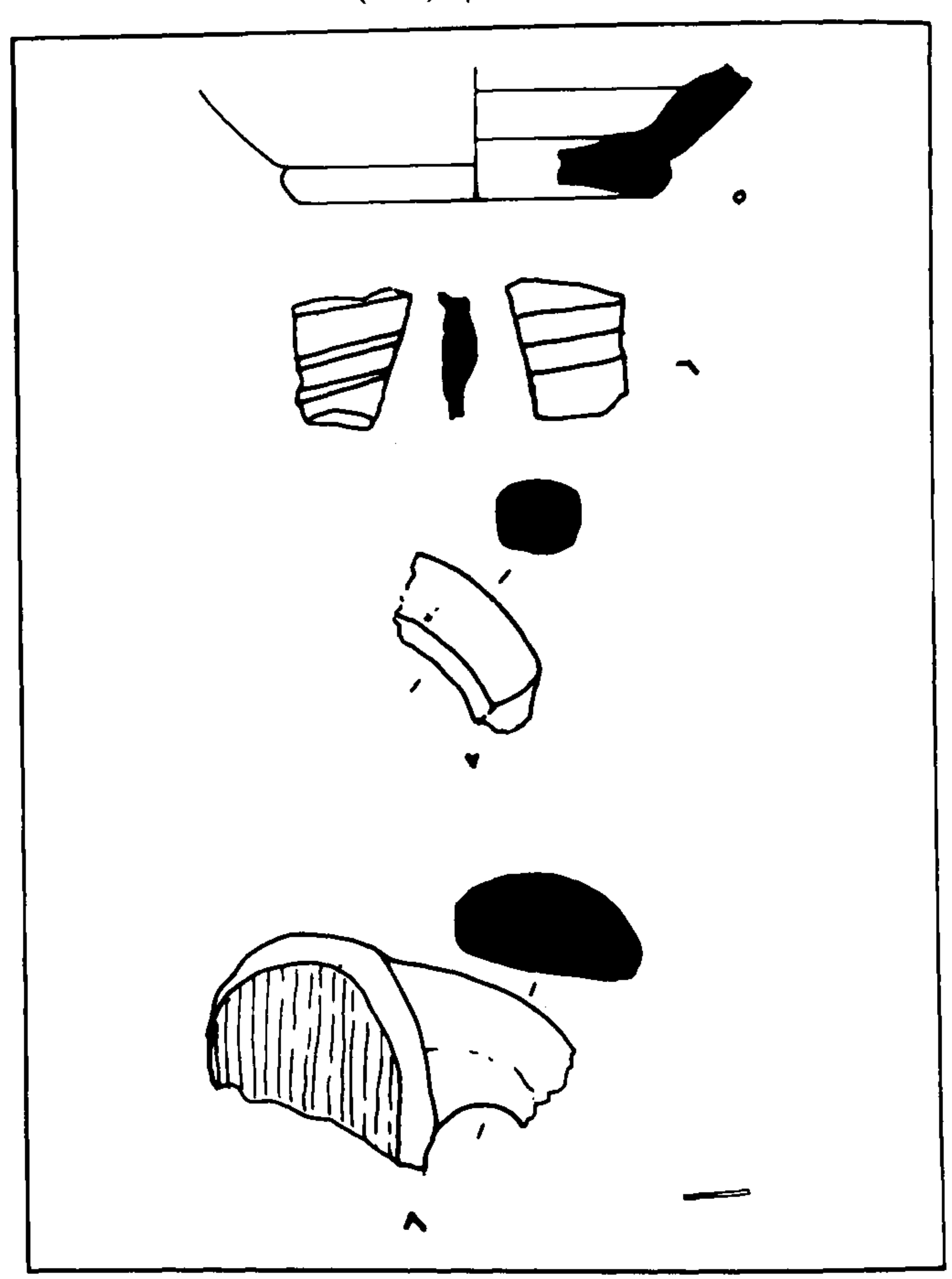
كسر زجاجية من موقع النباج .

الشكل رقم (١٤)



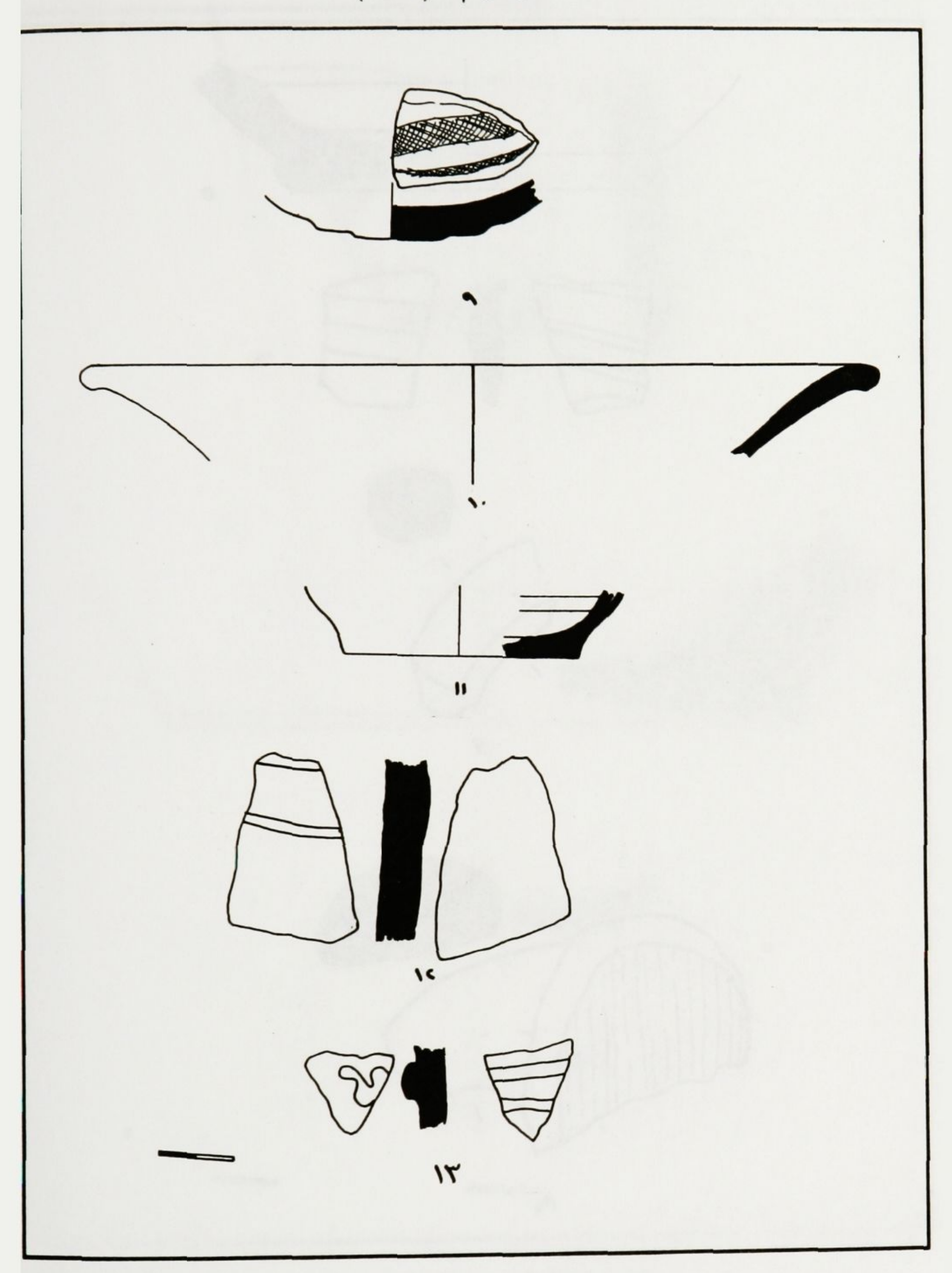
كسر فخارية من موقع العوسجة .

الشكل رقم (١٥)



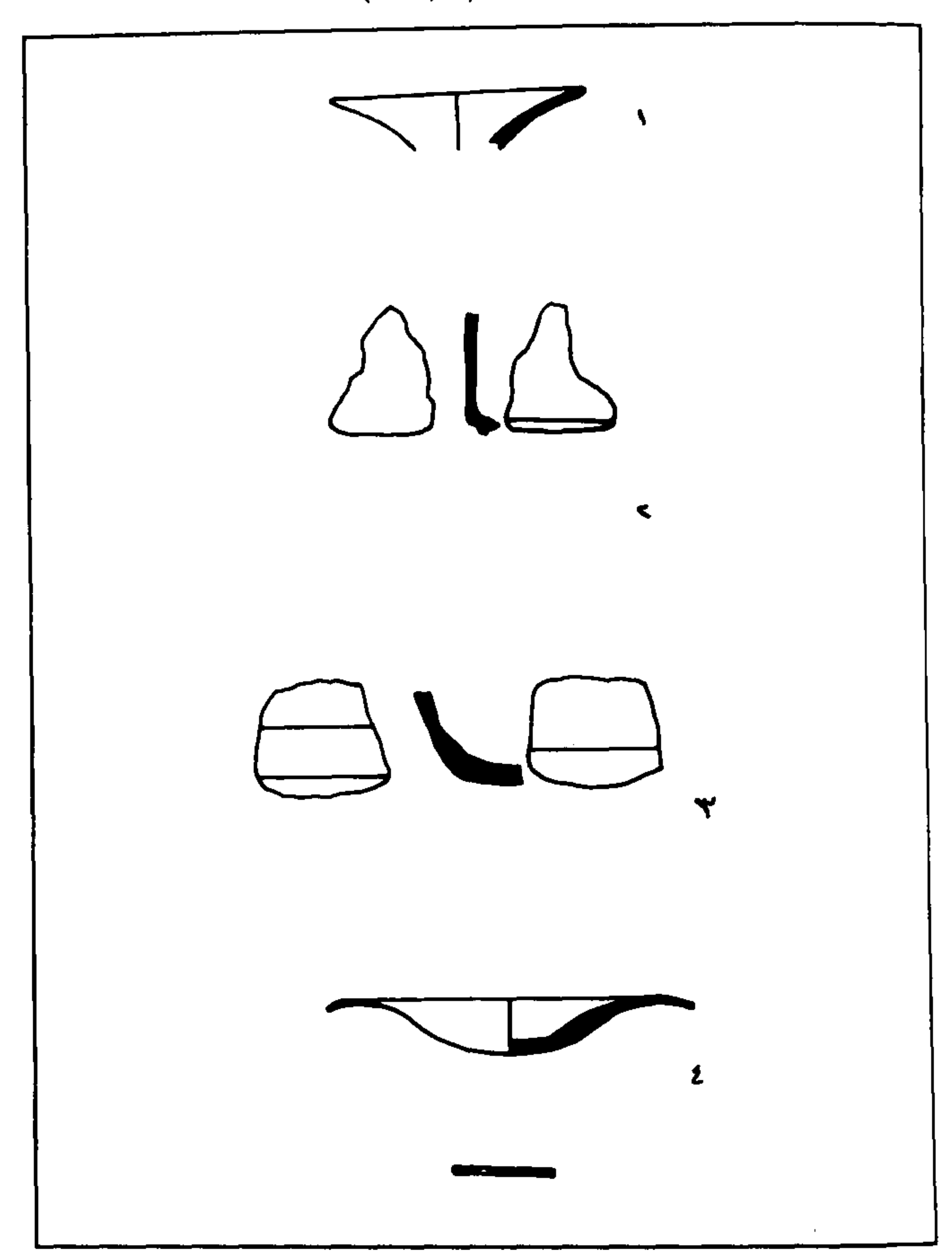
كسر فخارية من موقع العوسجة .

الشكل رقم (١٦)



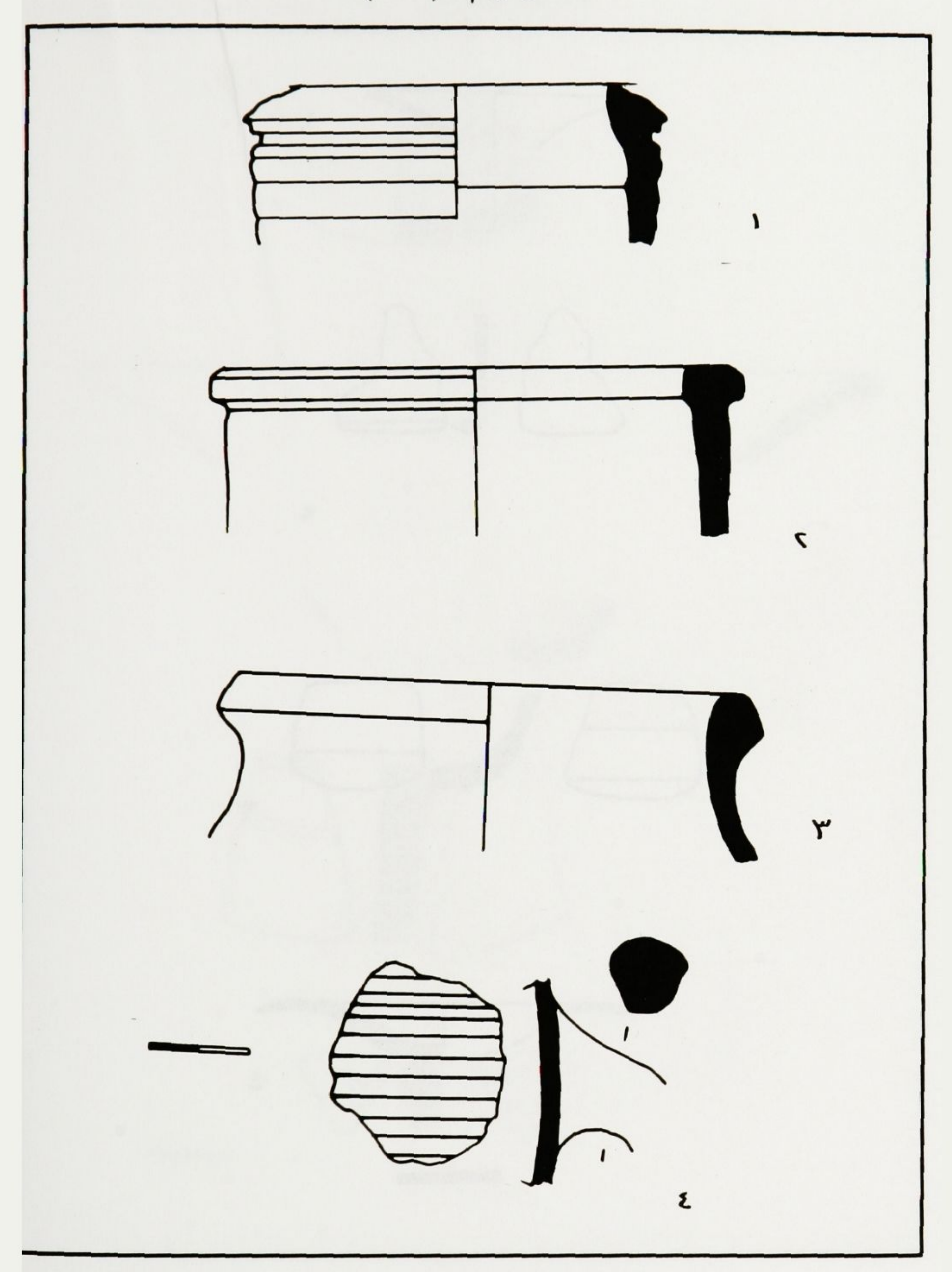
كسر من الخزف المتعدد الألوان - موقع العوسجة .

الشكل رقم (١٧)



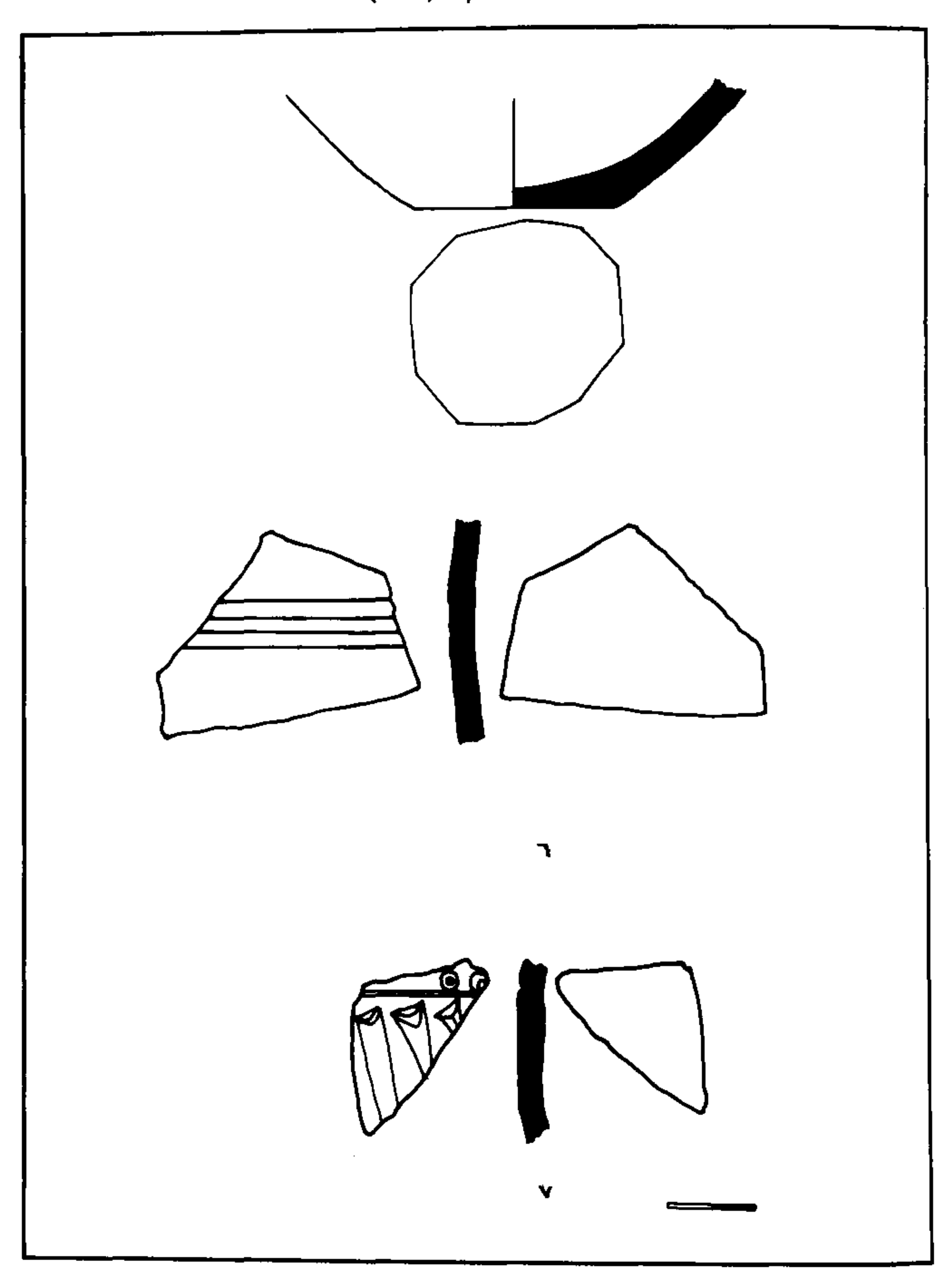
كسر زجاجية من موقع العوسجة .

الشكل رقم (١٨)



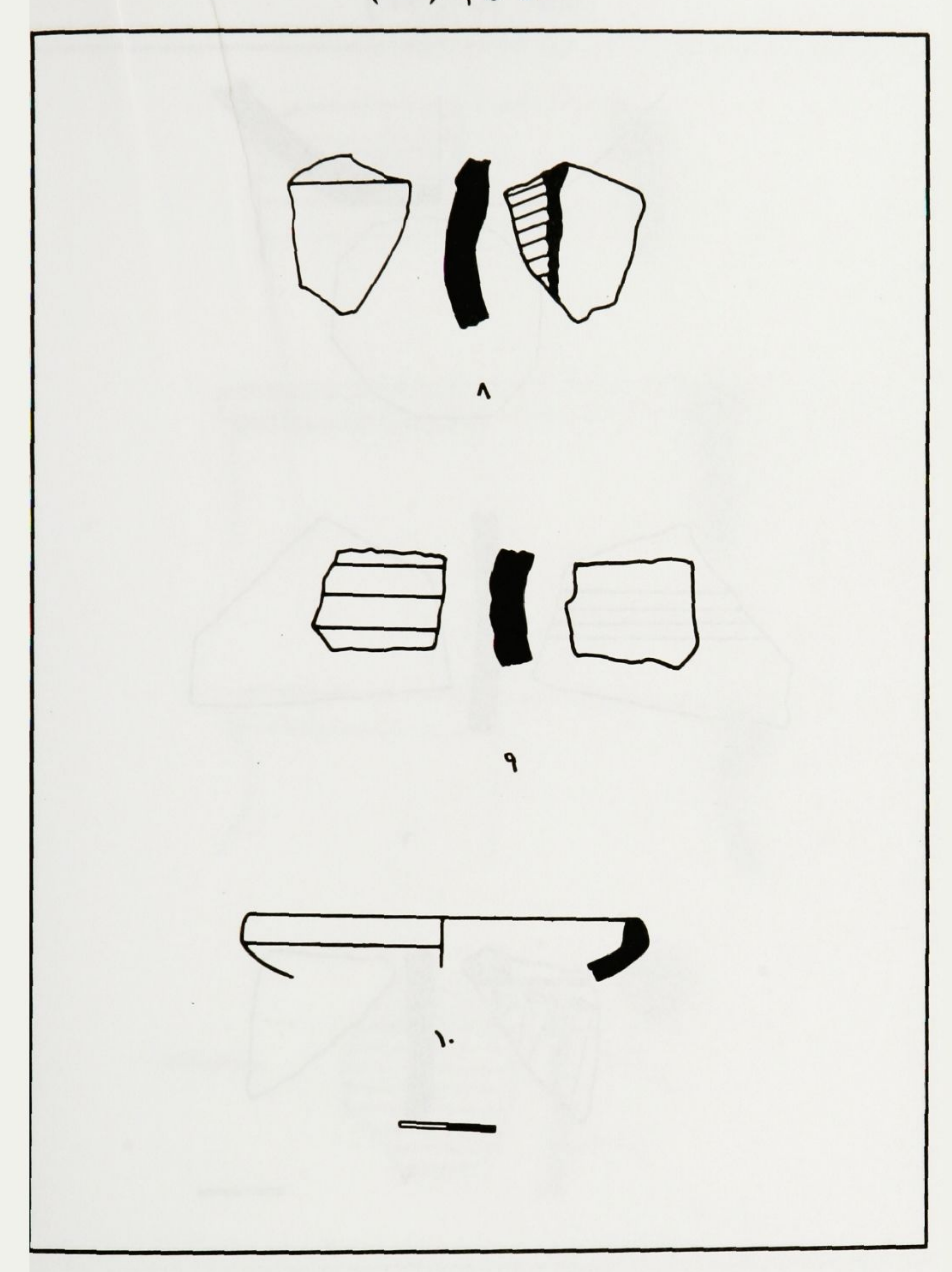
كسر فخارية من موقع رامة .

الشكل رقم (١٩)



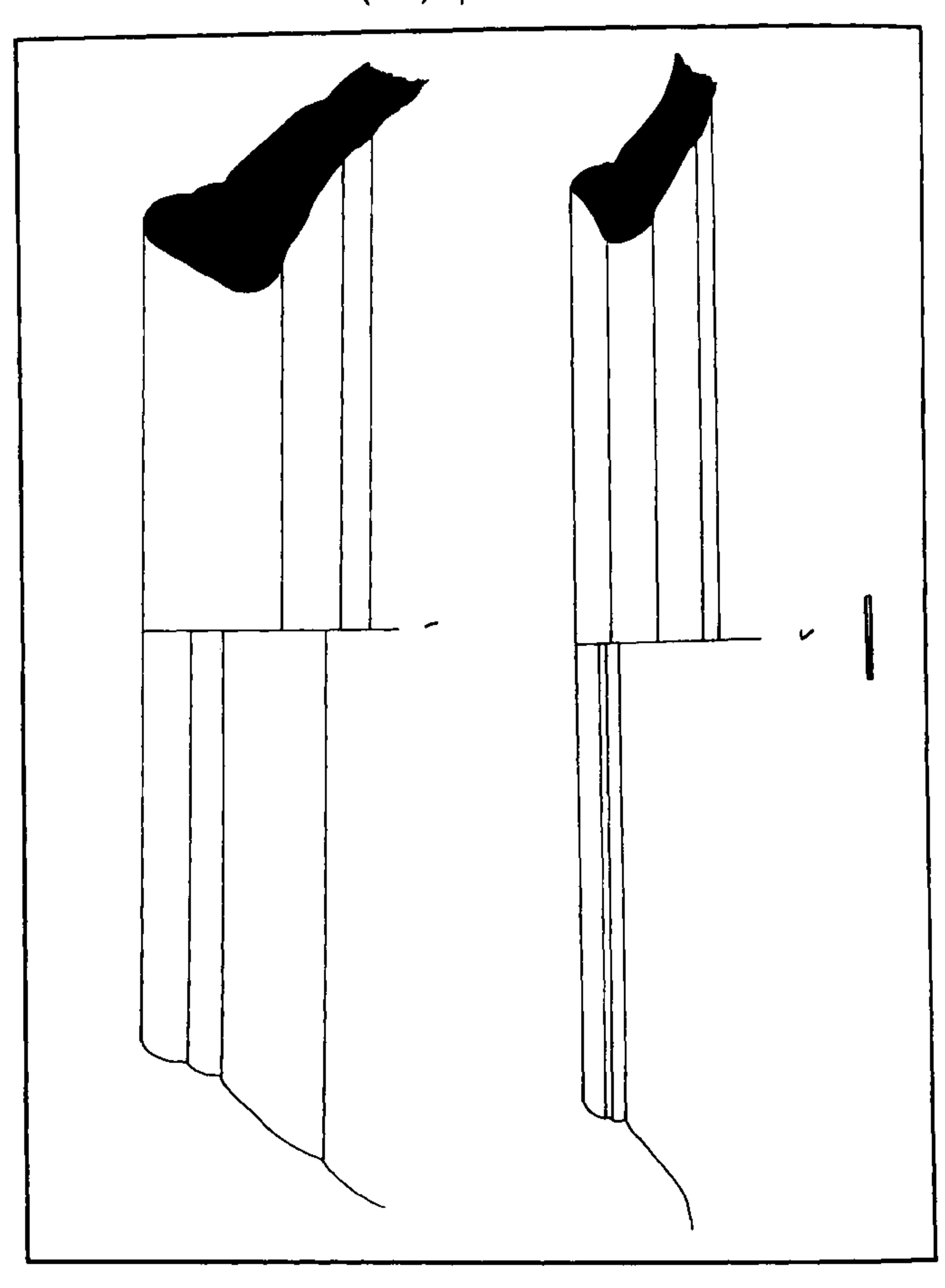
كسر فخارية من موقع رامة .

الشكل رقم (٢٠)



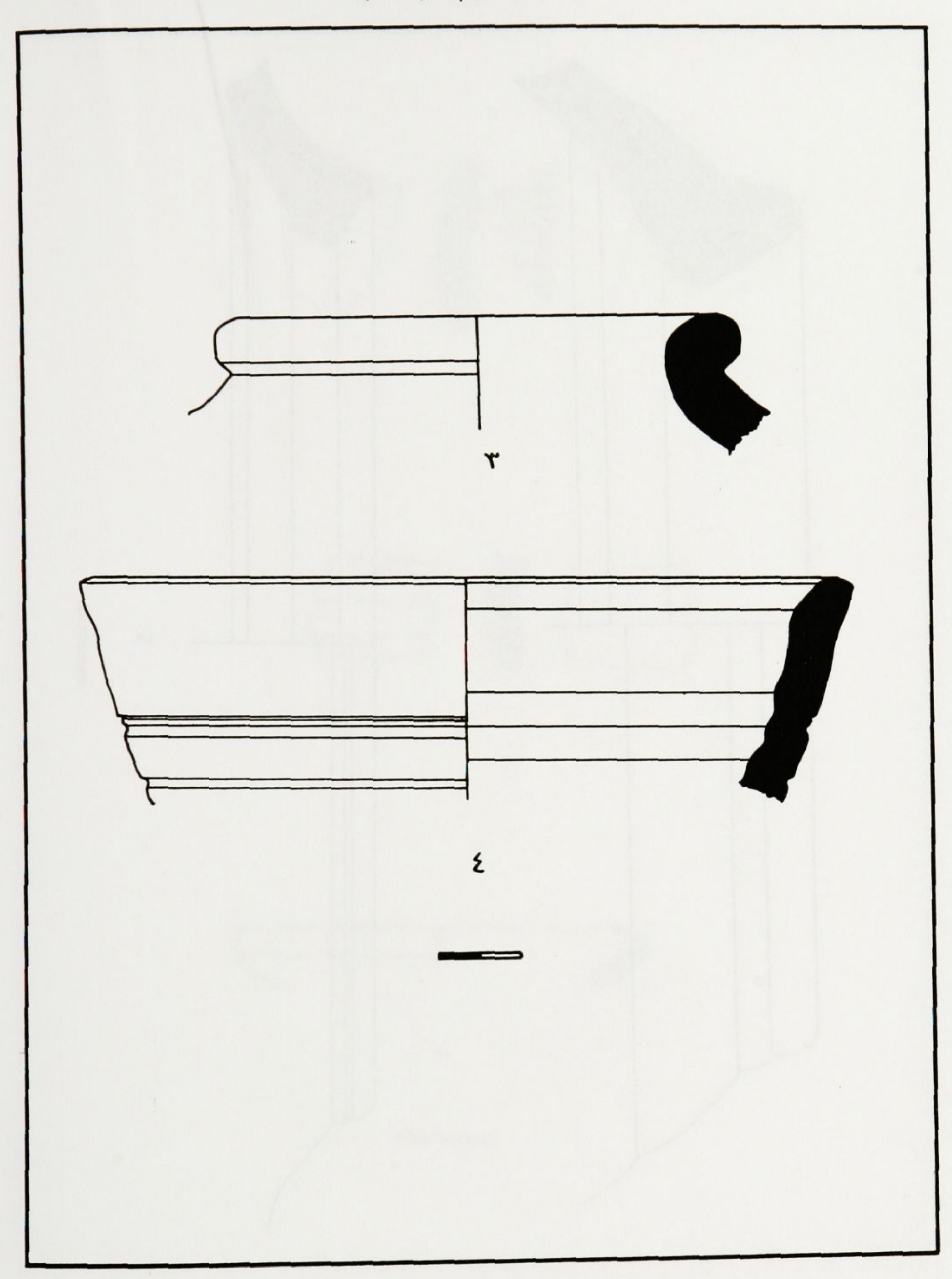
فخار نو الطلاء القلوي الأزرق ومتعدد الألوان من رامة .

الشكل رقم (٢١)



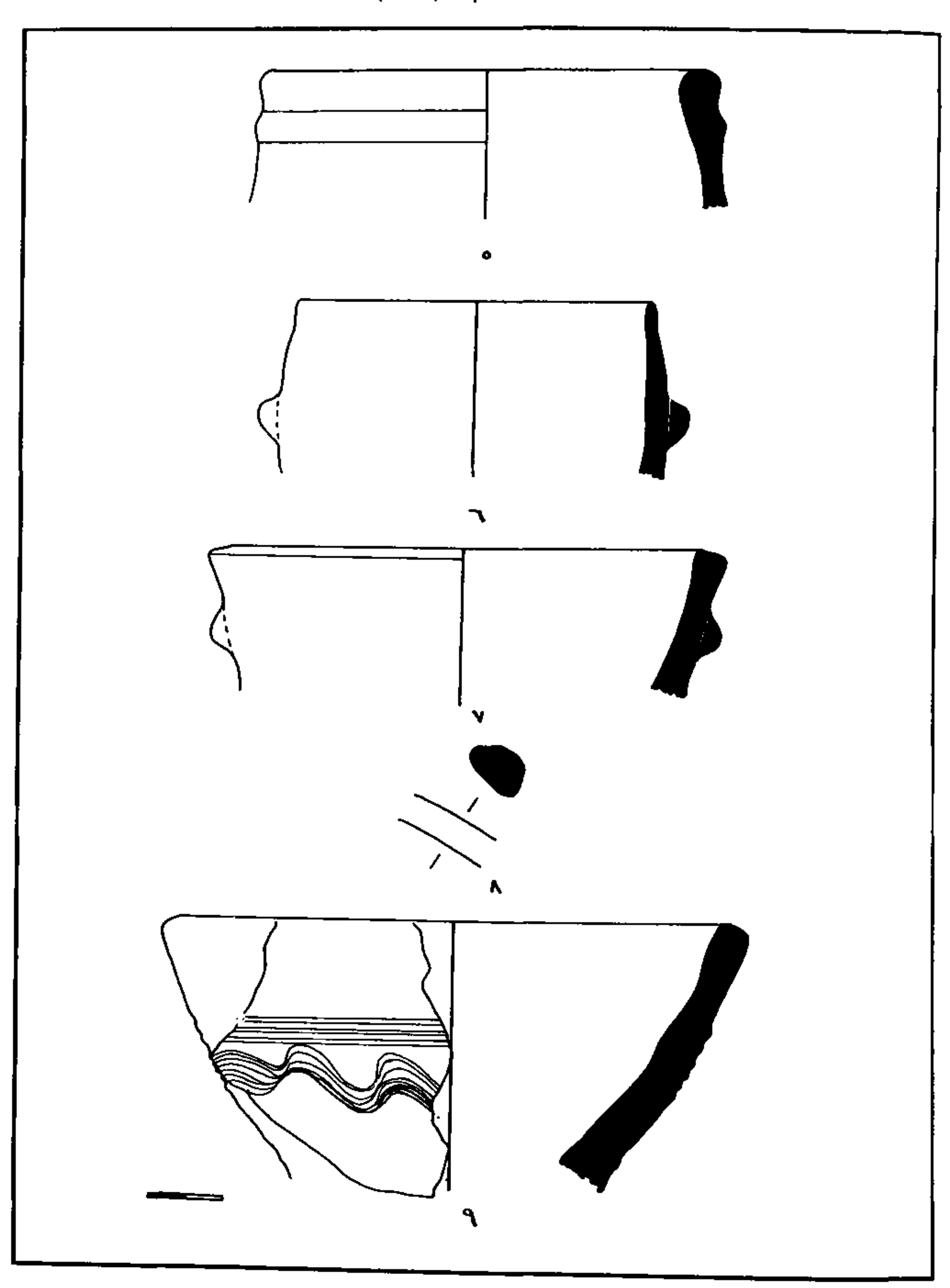
كسر من فخار غير مزجج من موقع ضرية .

الشكل رقم (٢٢)



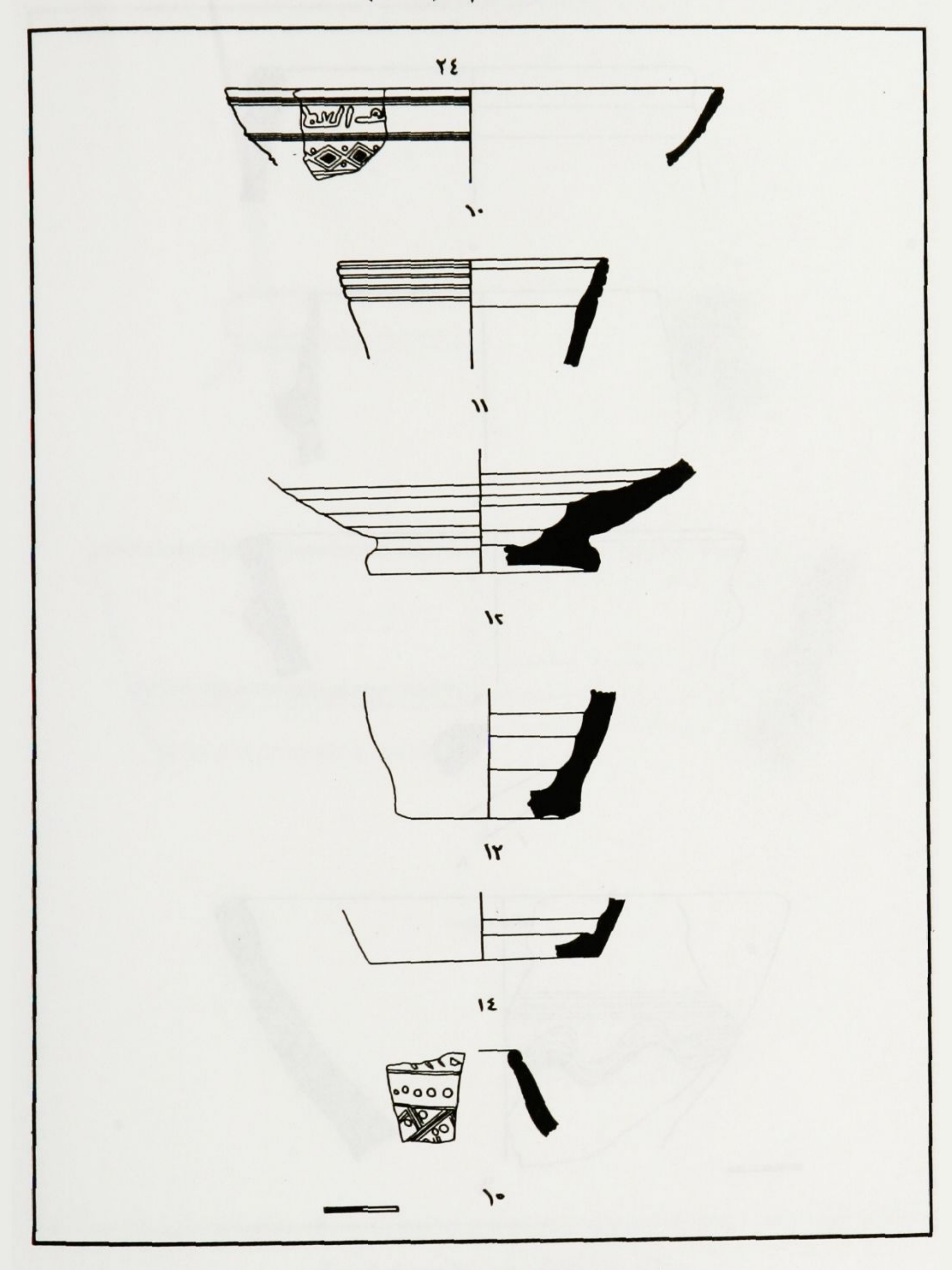
كسر من فخار غير مزجج – ضرية .

الشكل رقم (٢٣)



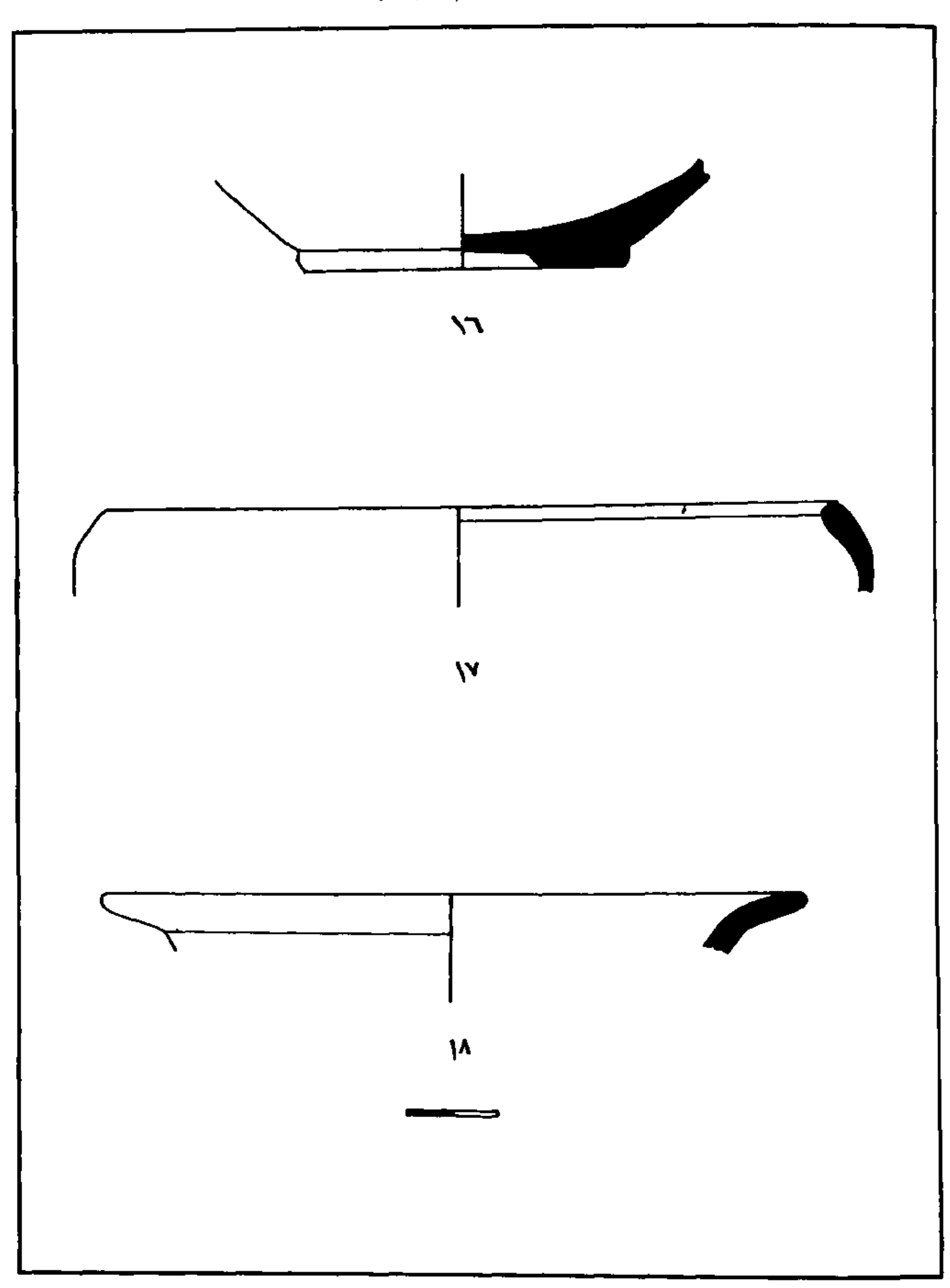
كسر من فخار غير مزجج – ضرية .

الشكل رقم (٢٤)



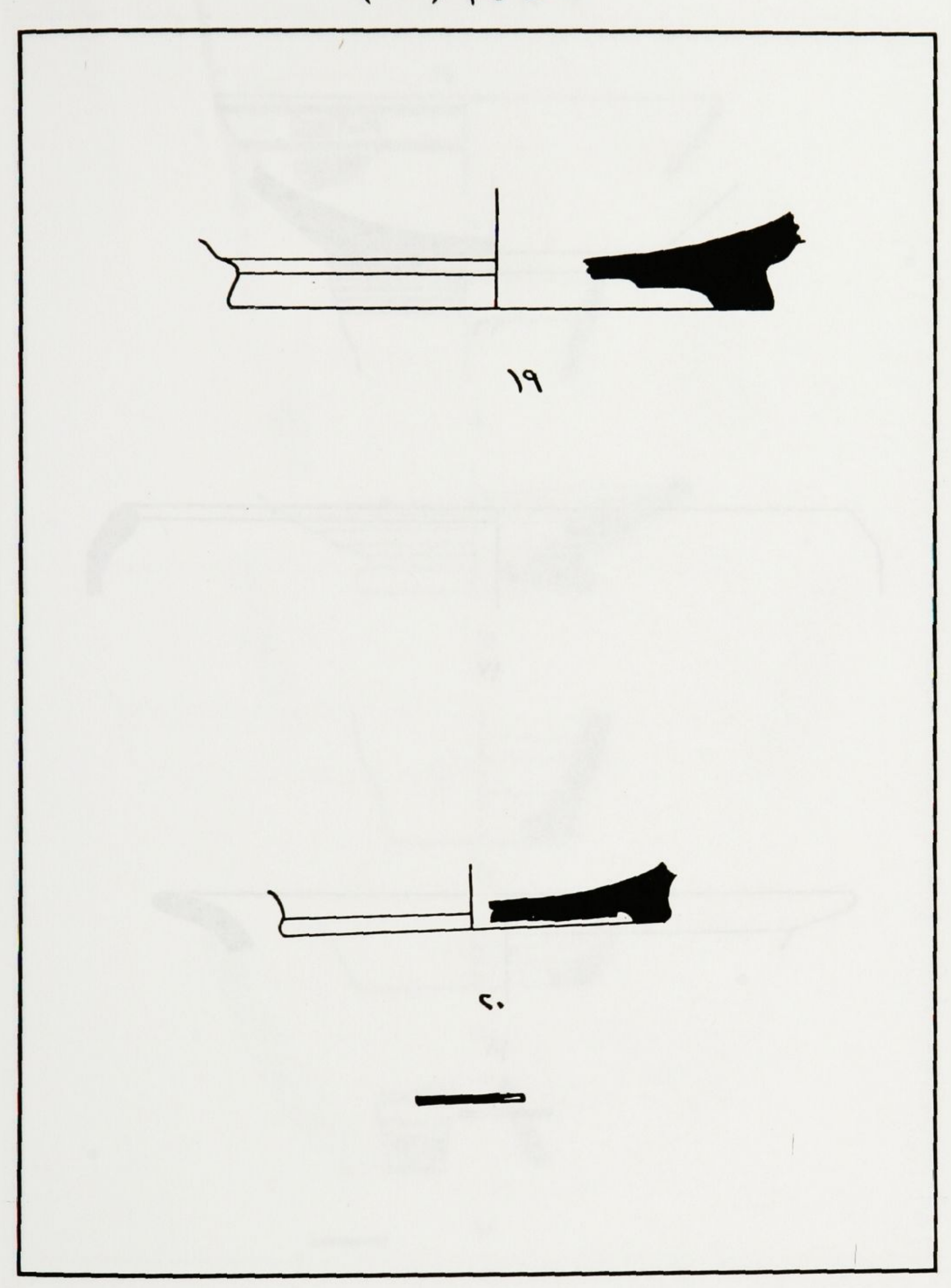
كسر من فخار غير مزجج - ضرية .

الشكل رقم (٢٥)



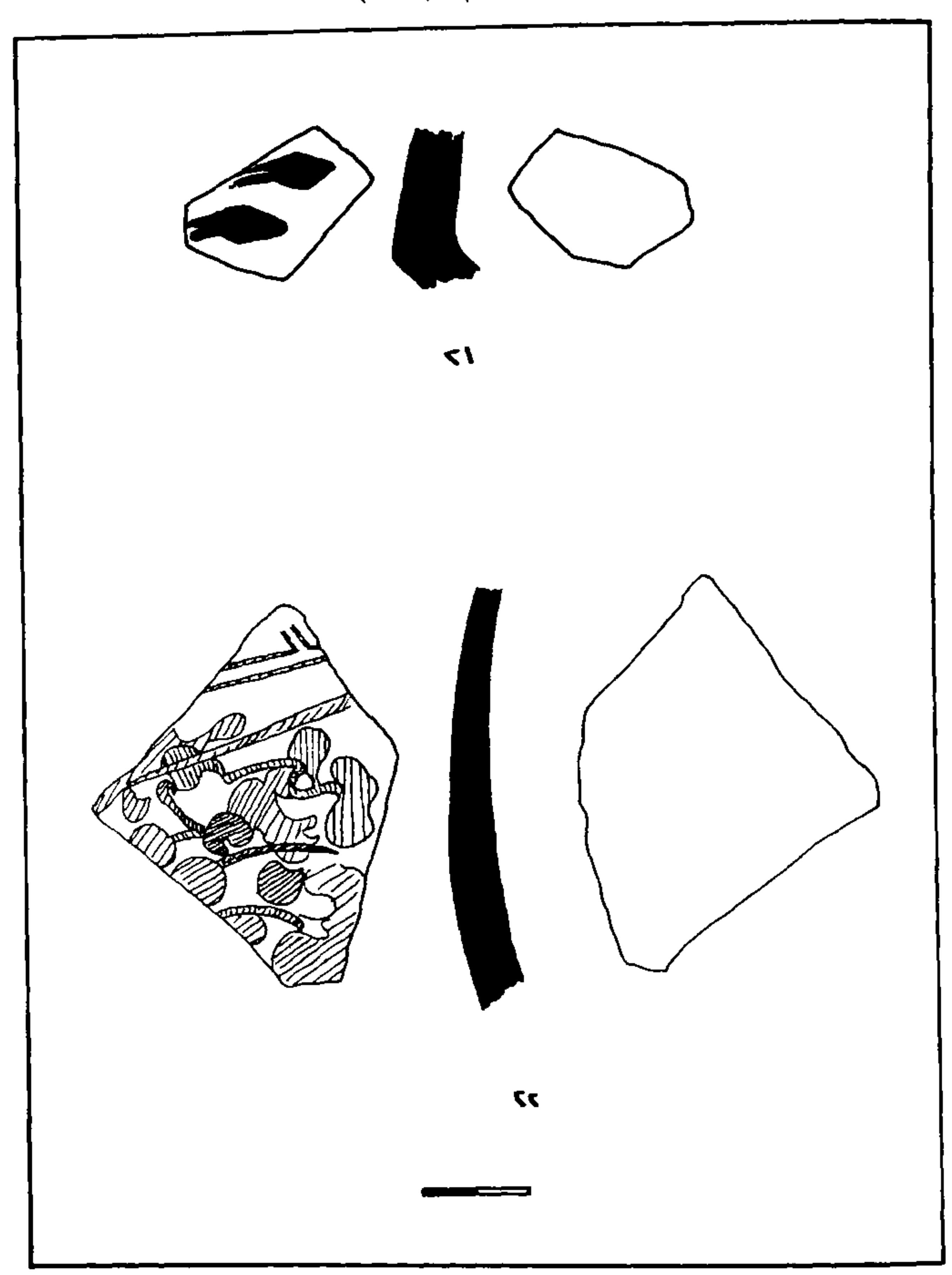
كسر من الخزف ومن الخزف القصديري المطلي والمبقع - ضرية .

الشكل رقم (٢٦)



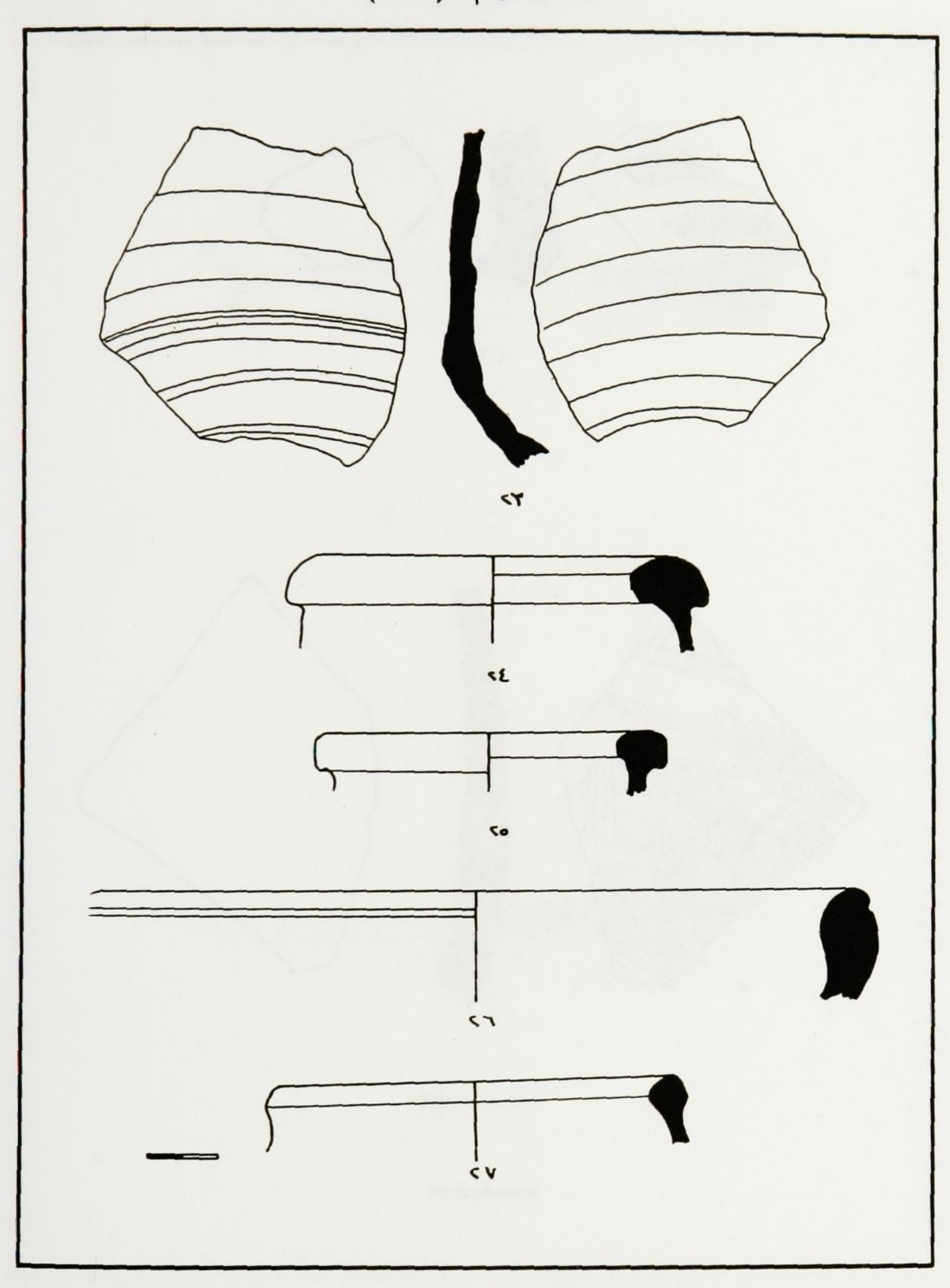
كسر من الخزف القصديري المطلي المخطط والمبقع - ضرية .

الشكل رقم (٢٧)



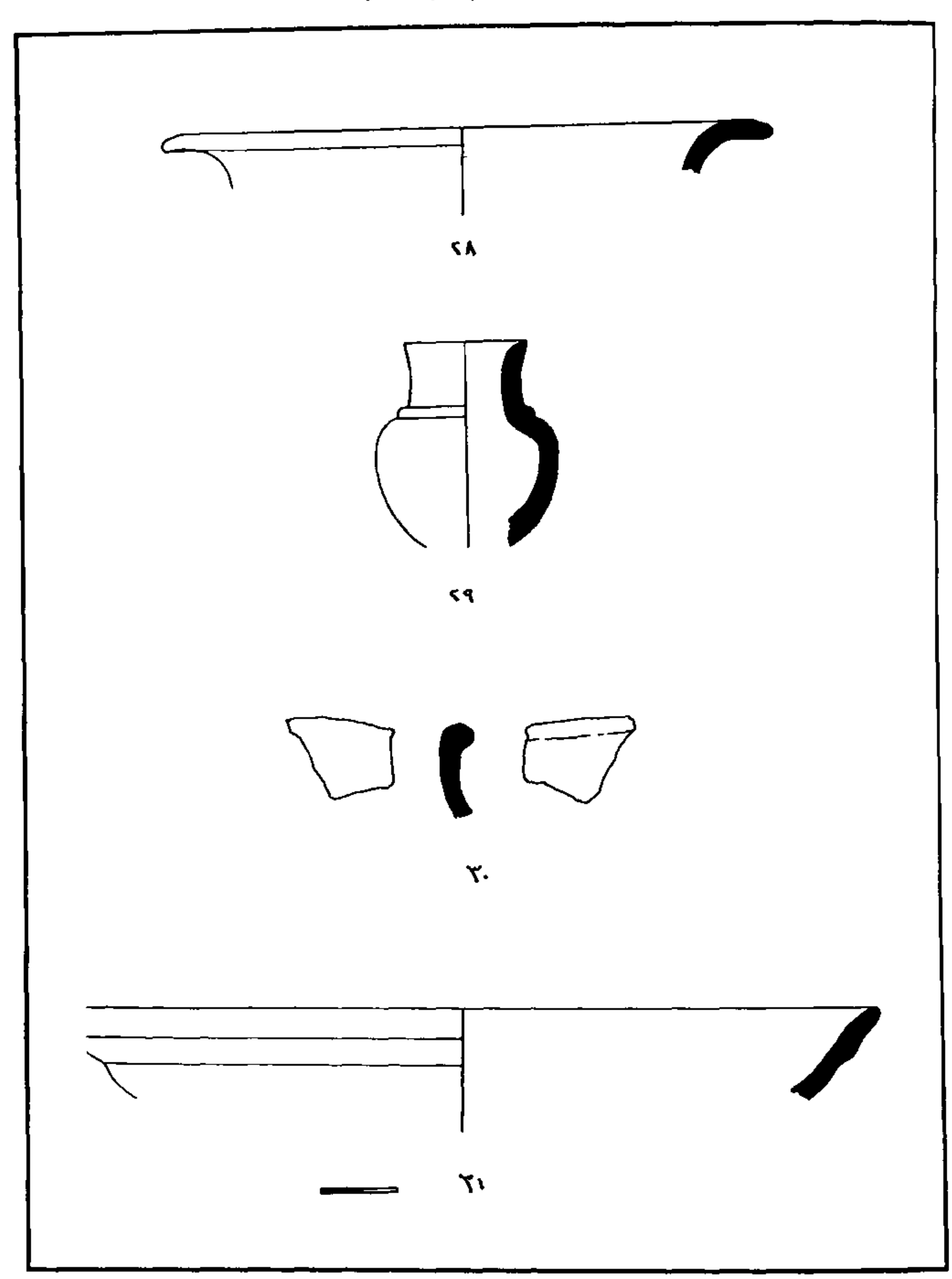
كسر من الخزف القصديري ذي الطلاء الكوبالتي - ضرية .

الشكل رقم (٢٨)



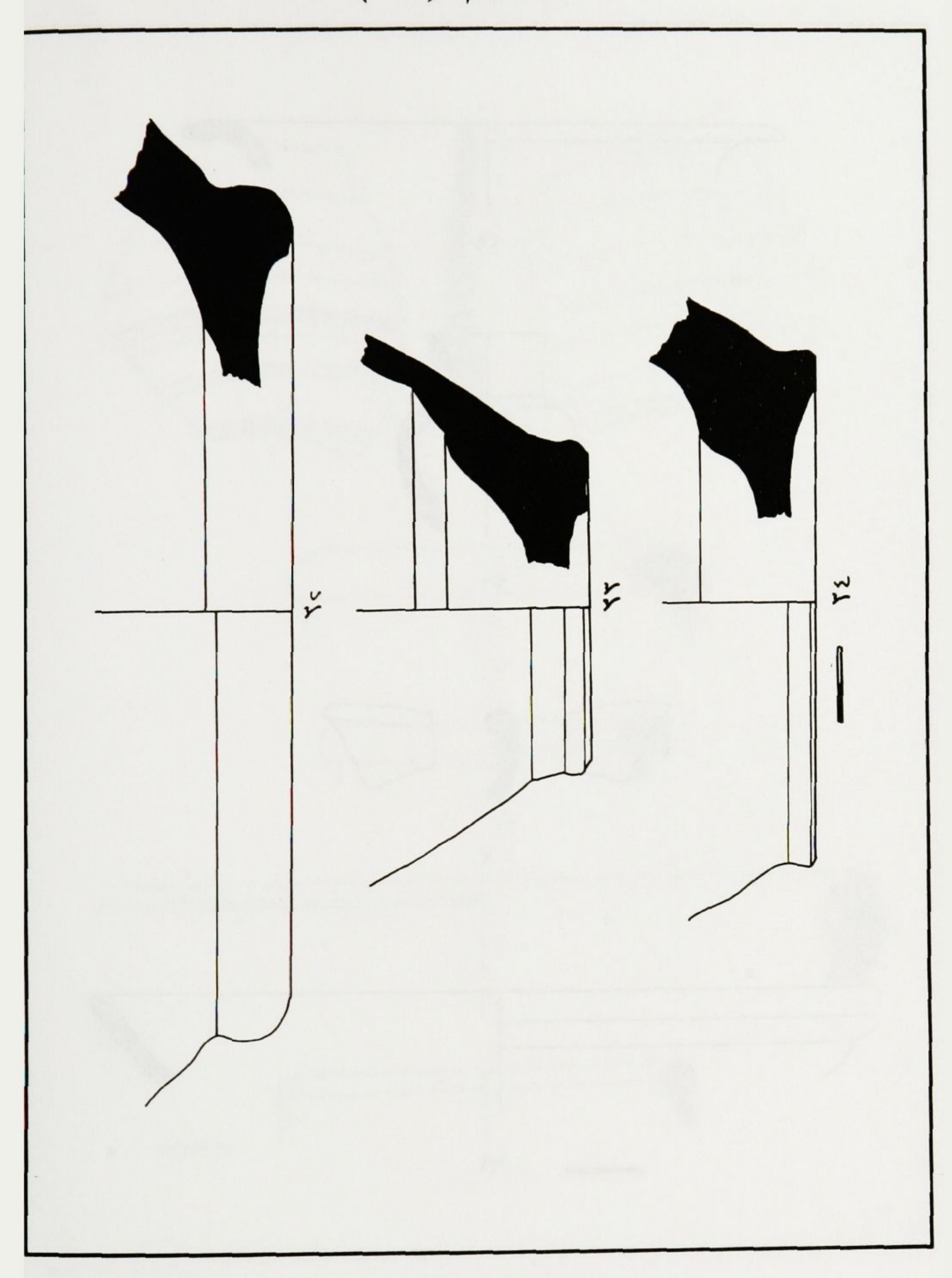
كسر خزفية من الطلاء الواحد - ضرية .

الشكل رقم (٢٩)



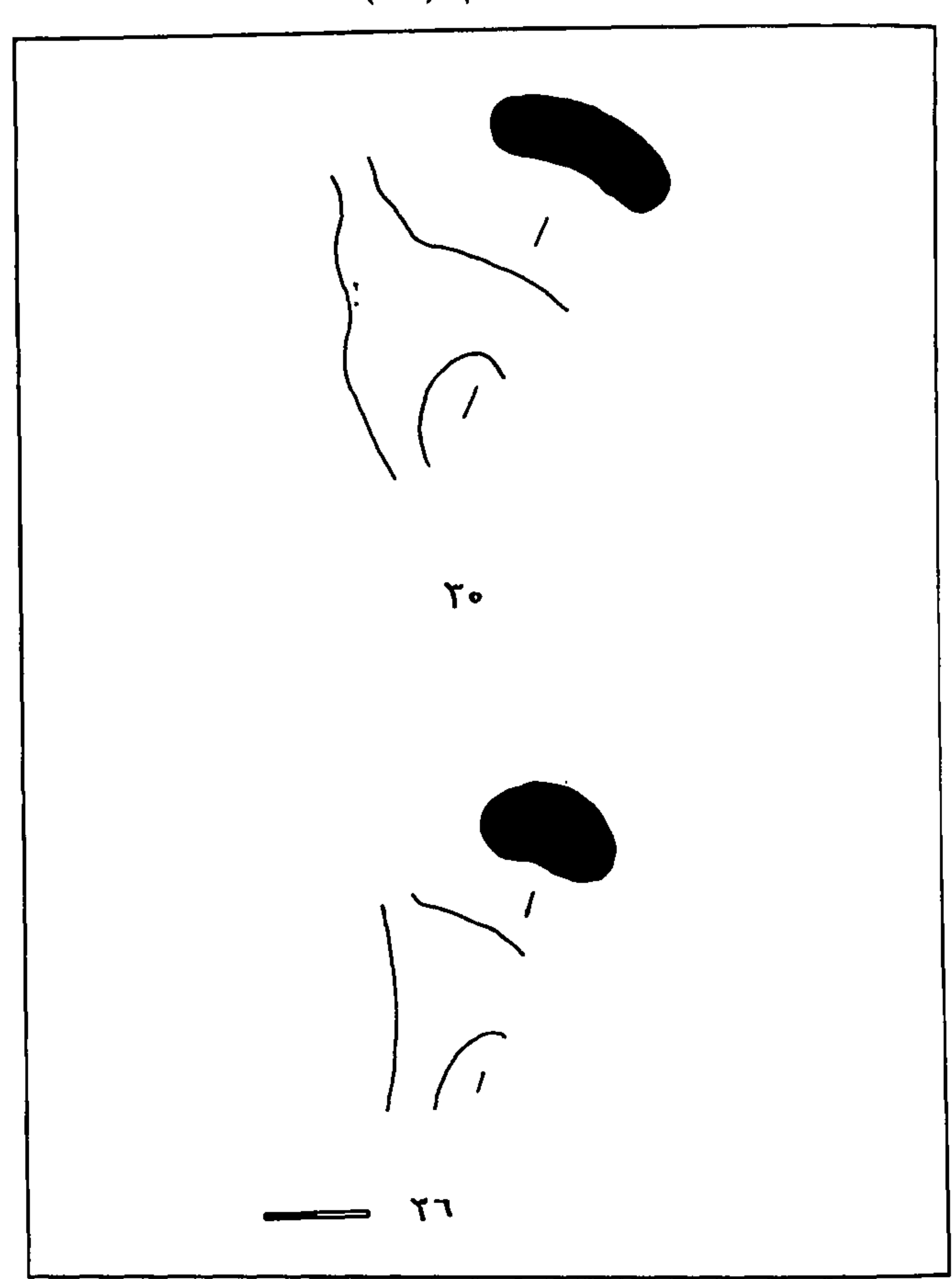
خزف ذو طلاء واحد – ضرية .

الشكل رقم (٣٠)



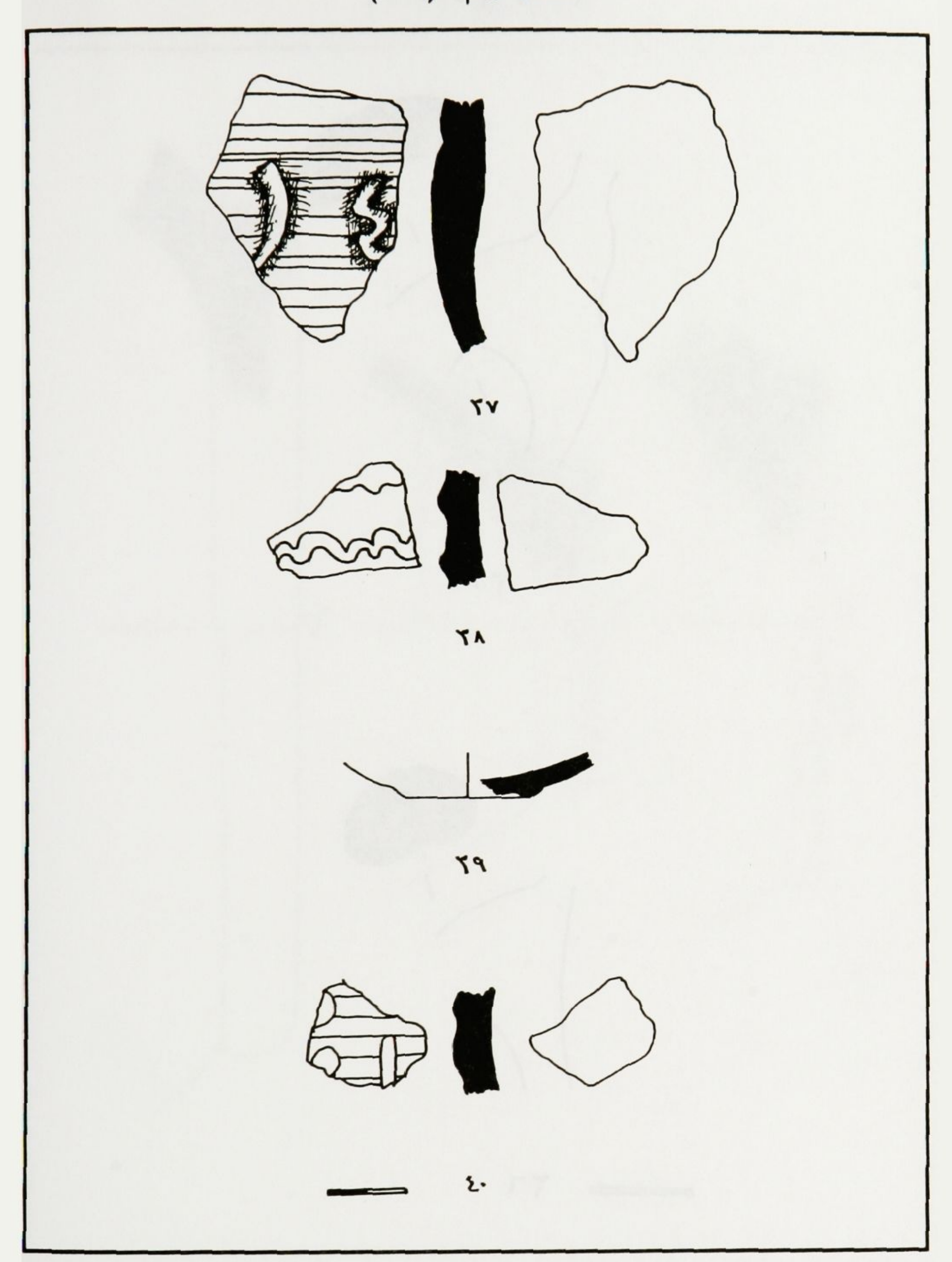
خزف نو الطلاء الواحد – ضربة .

الشكل رقم (٣١)



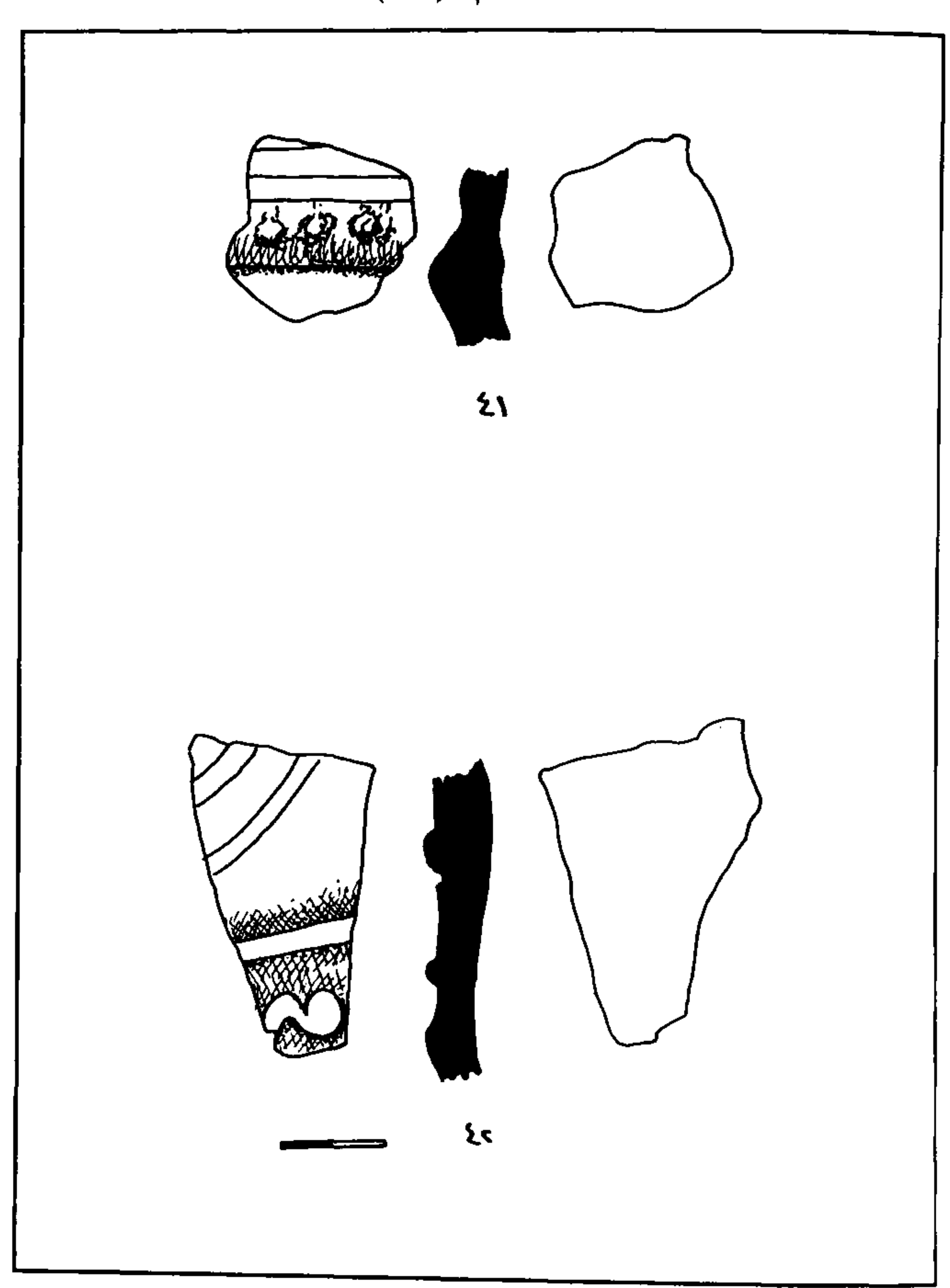
خزف ذو الطلاء الواحد - ضرية .

الشكل رقم (٣٢)



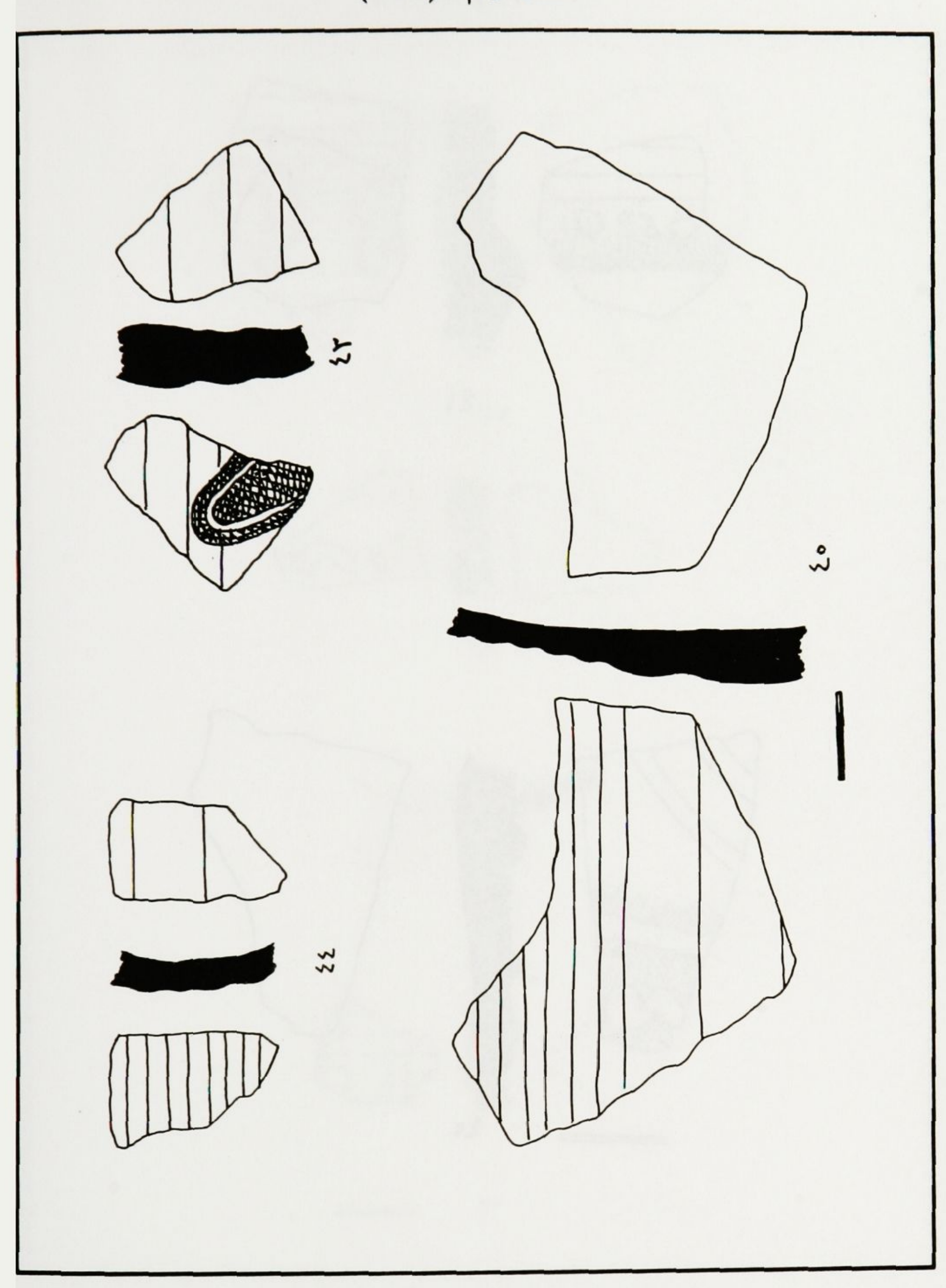
خزف ذو الطلاء الواحد – ضرية .

الشكل رقم (٣٣)



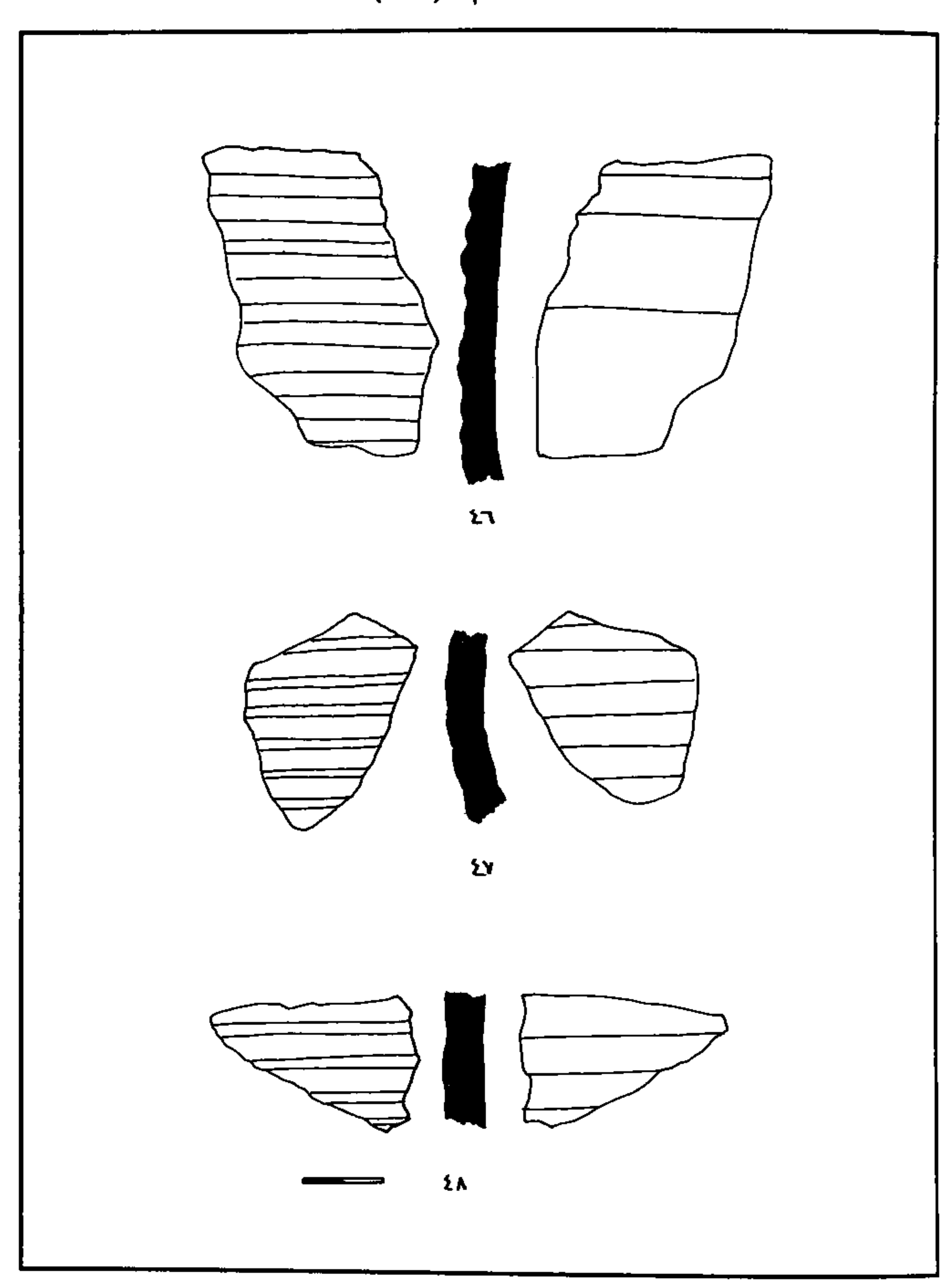
خزف نو الطلاء الواحد - ضرية .

الشكل رقم (٣٤)



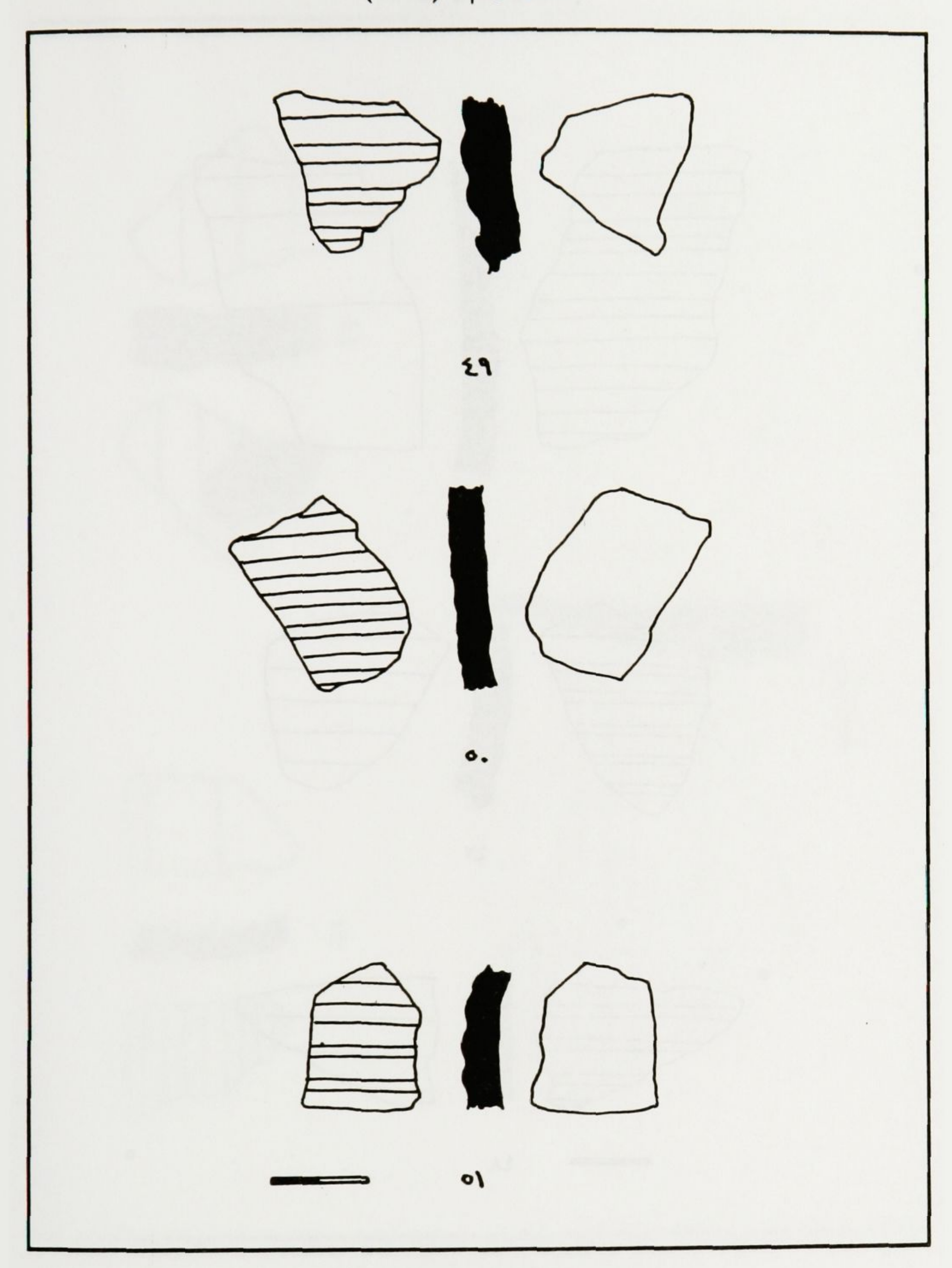
خزف ذو الطلاء الواحد - ضرية .

الشكل رقم (٣٥)



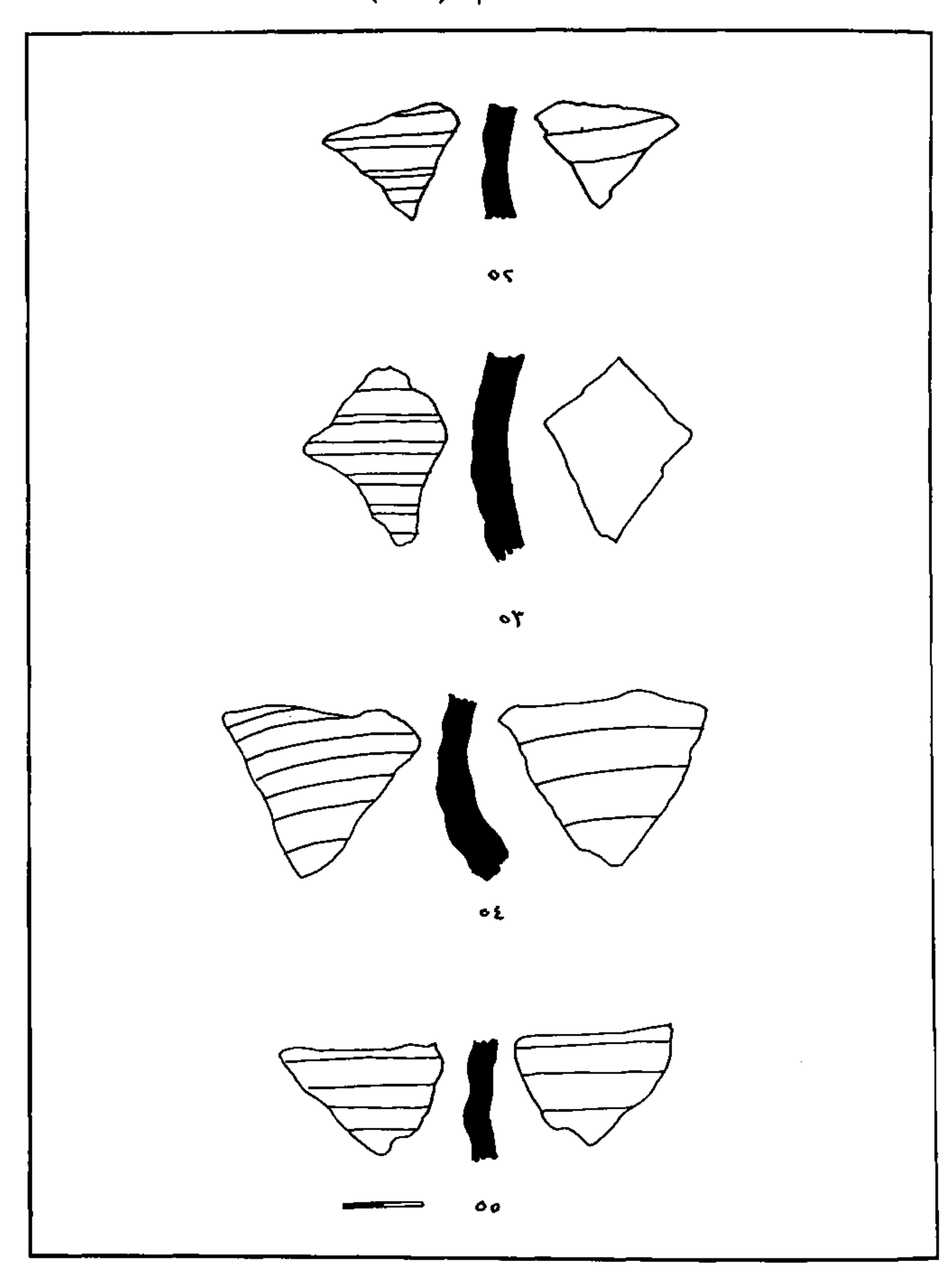
خزف ذو الطلاء الواحد – ضرية .

الشكل رقم (٣٦)



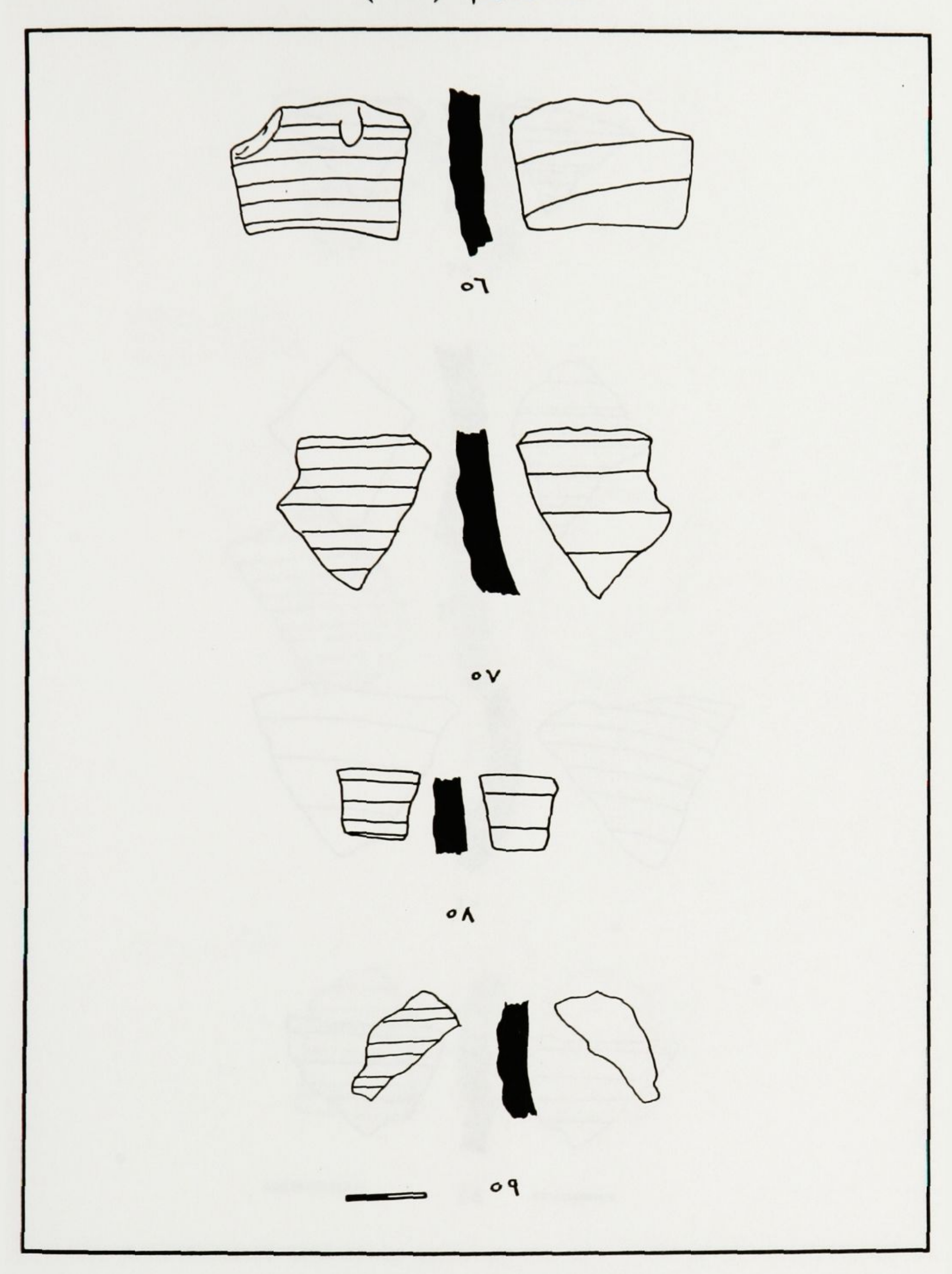
خزف ذو الطلاء الواحد - ضرية .

الشكل رقم (٣٧)



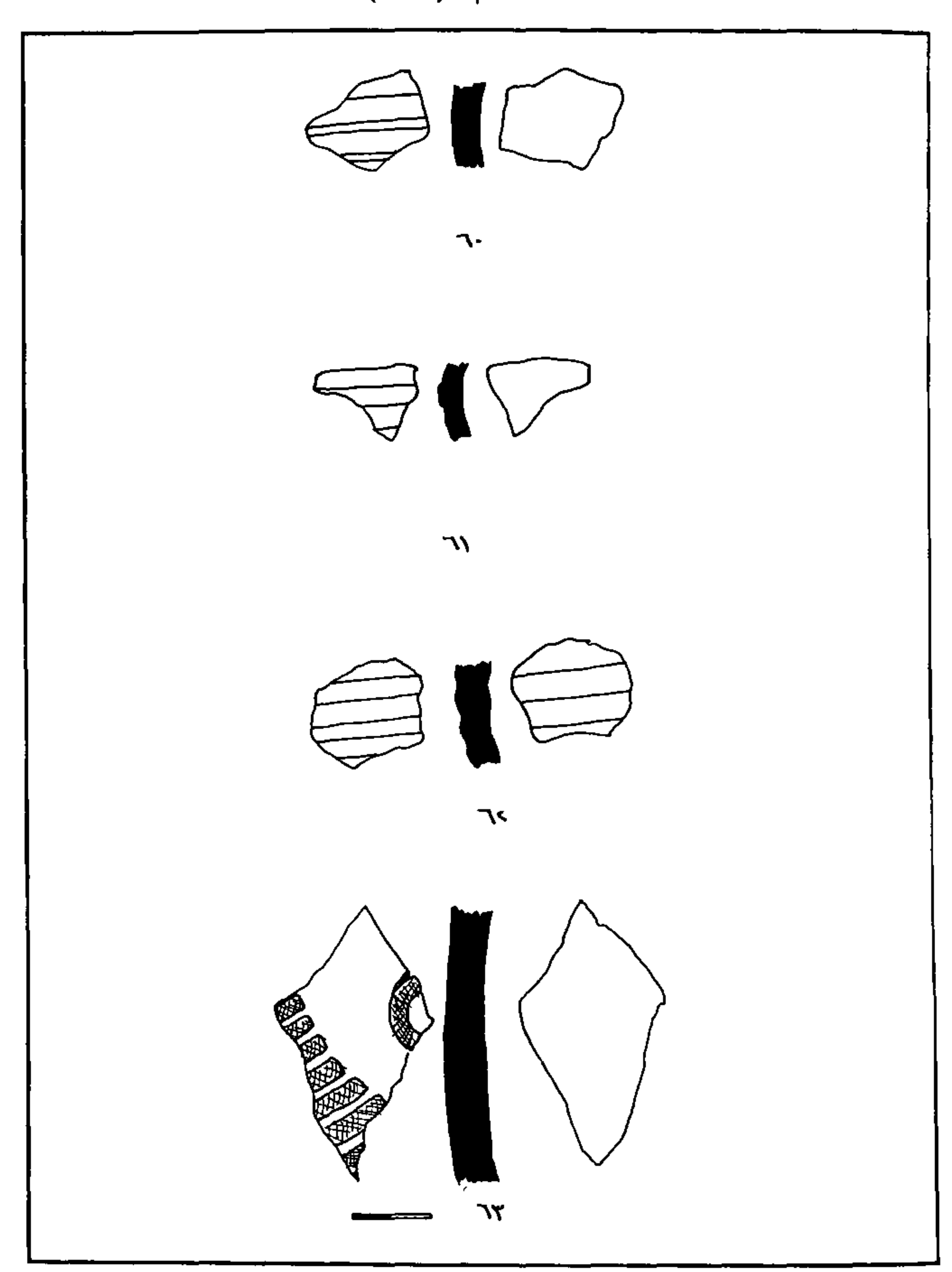
خزف نو الطلاء الواحد - ضرية .

الشكل رقم (٣٨)



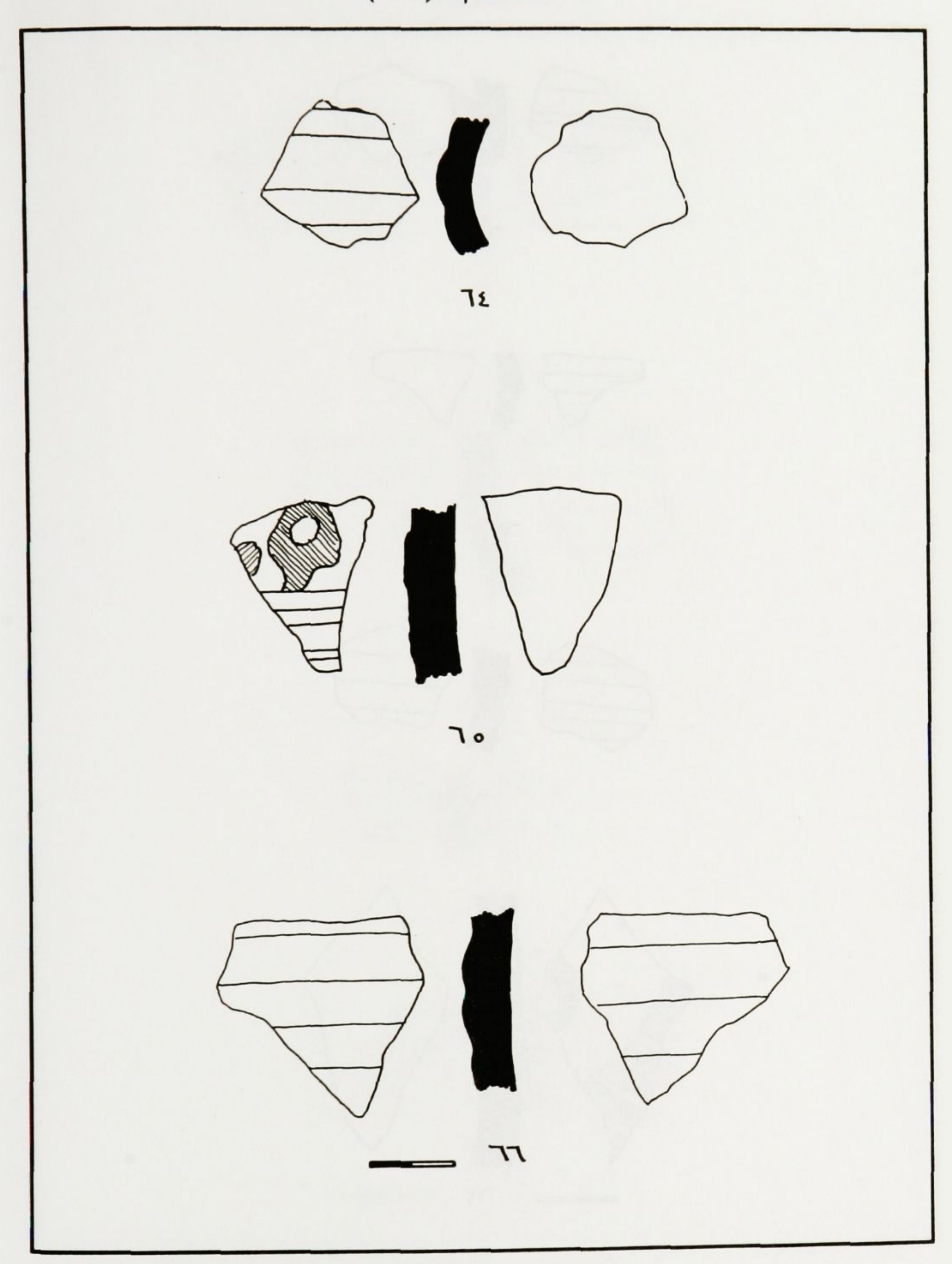
خزف ذو الطلاء الواحد - ضرية .

الشكل رقم (٣٩)



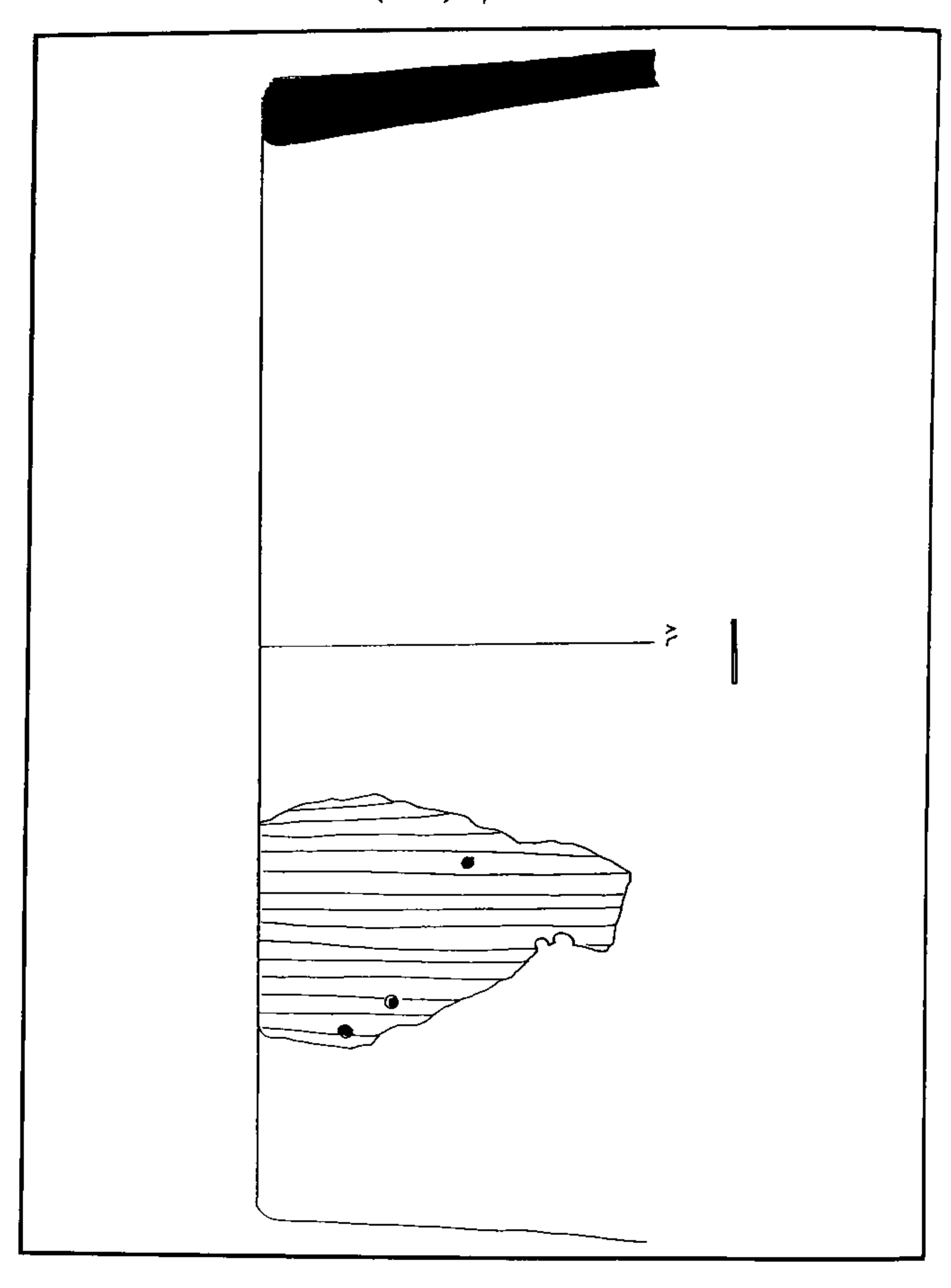
خزف ذو الطلاء الواحد - ضرية .

الشكل رقم (٤٠)



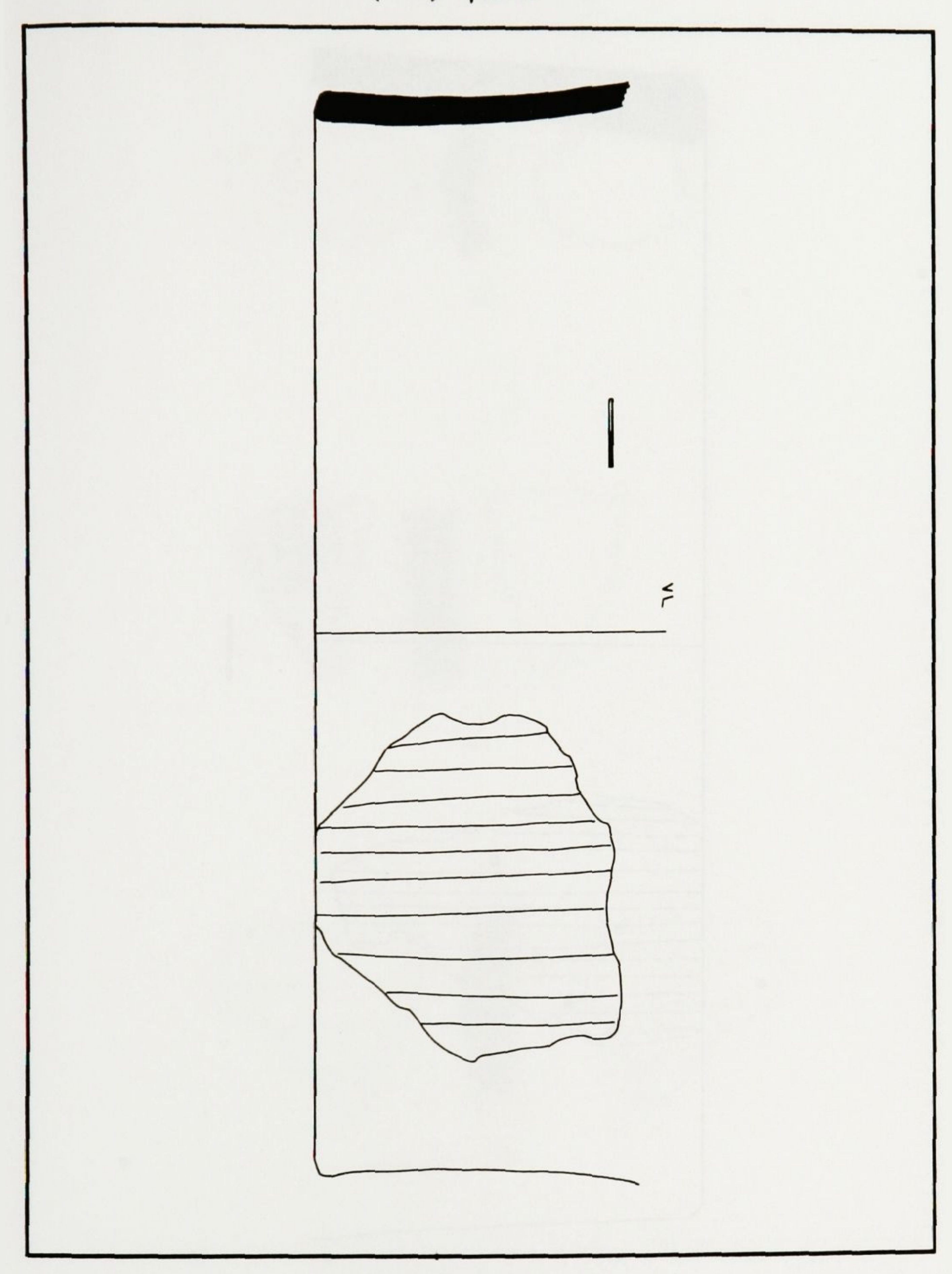
خزف ذو الطلاء الواحد - ضرية .

الشكل رقم (٤١)



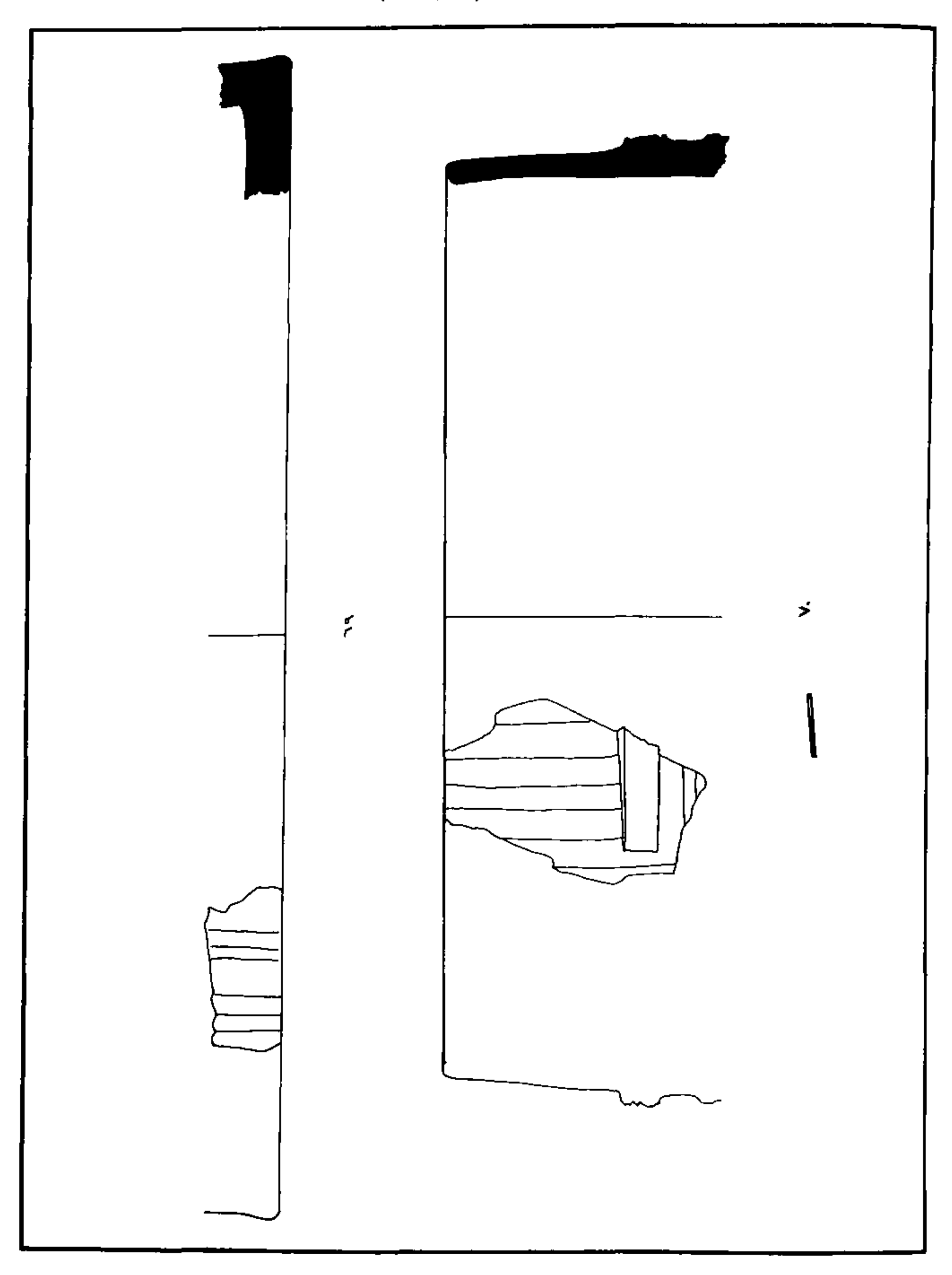
كسرمن زجاج - ضرية .

الشكل رقم (٤٢)



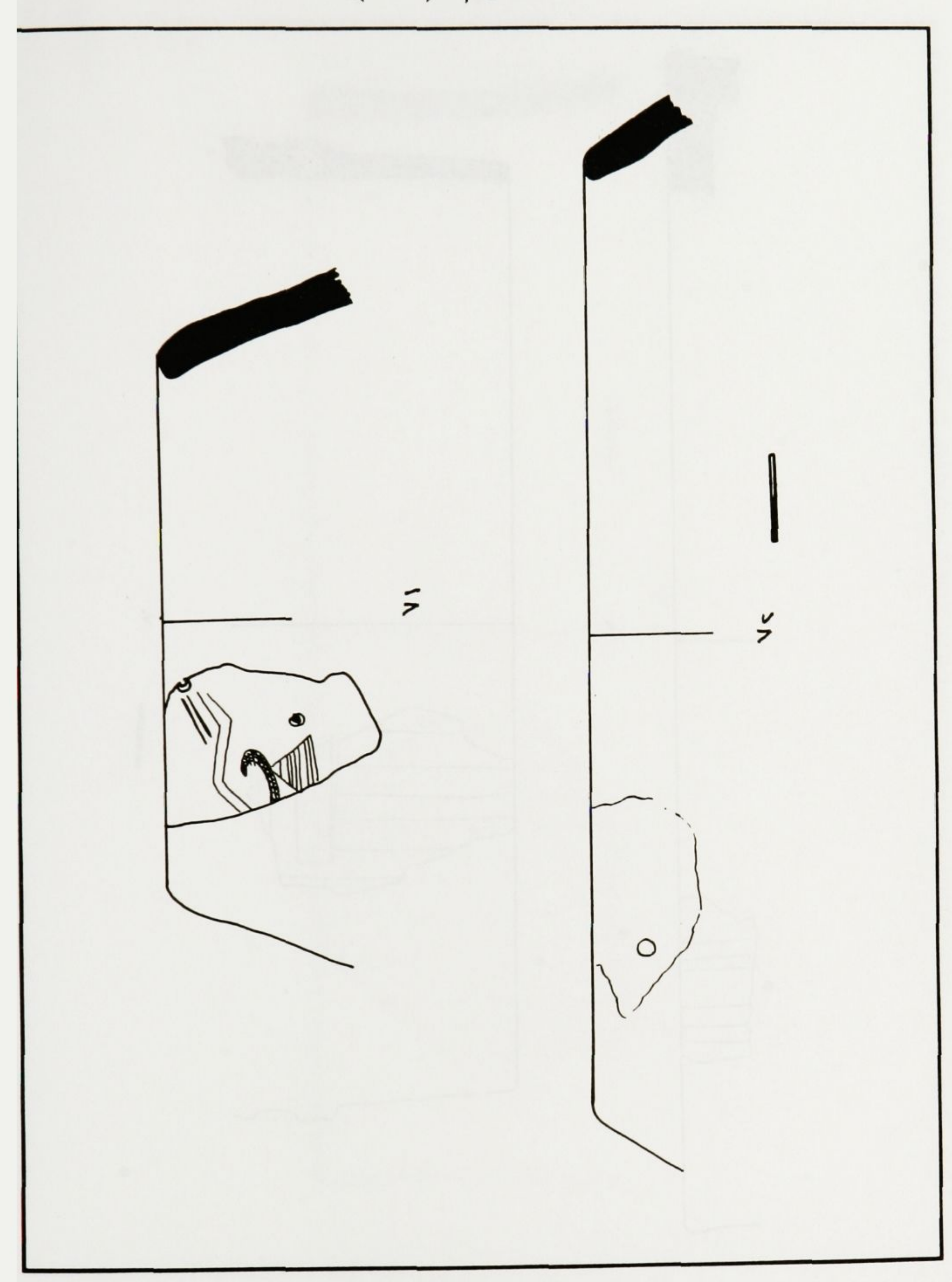
كسر من برونز - ضرية .

الشكل رقم (٤٣)



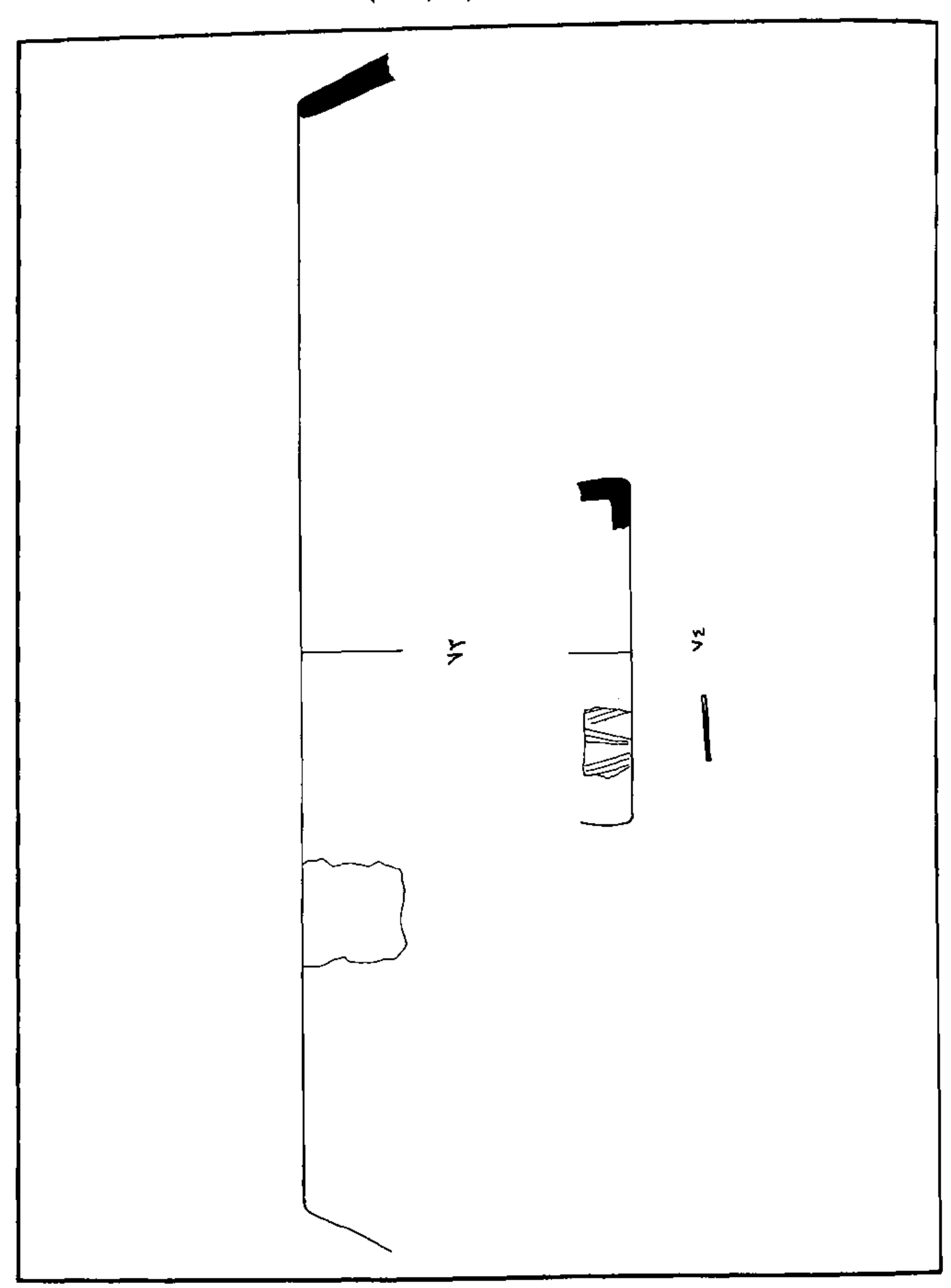
كسر من الحجر الصابوني - ضرية .

الشكل رقم (٤٤)



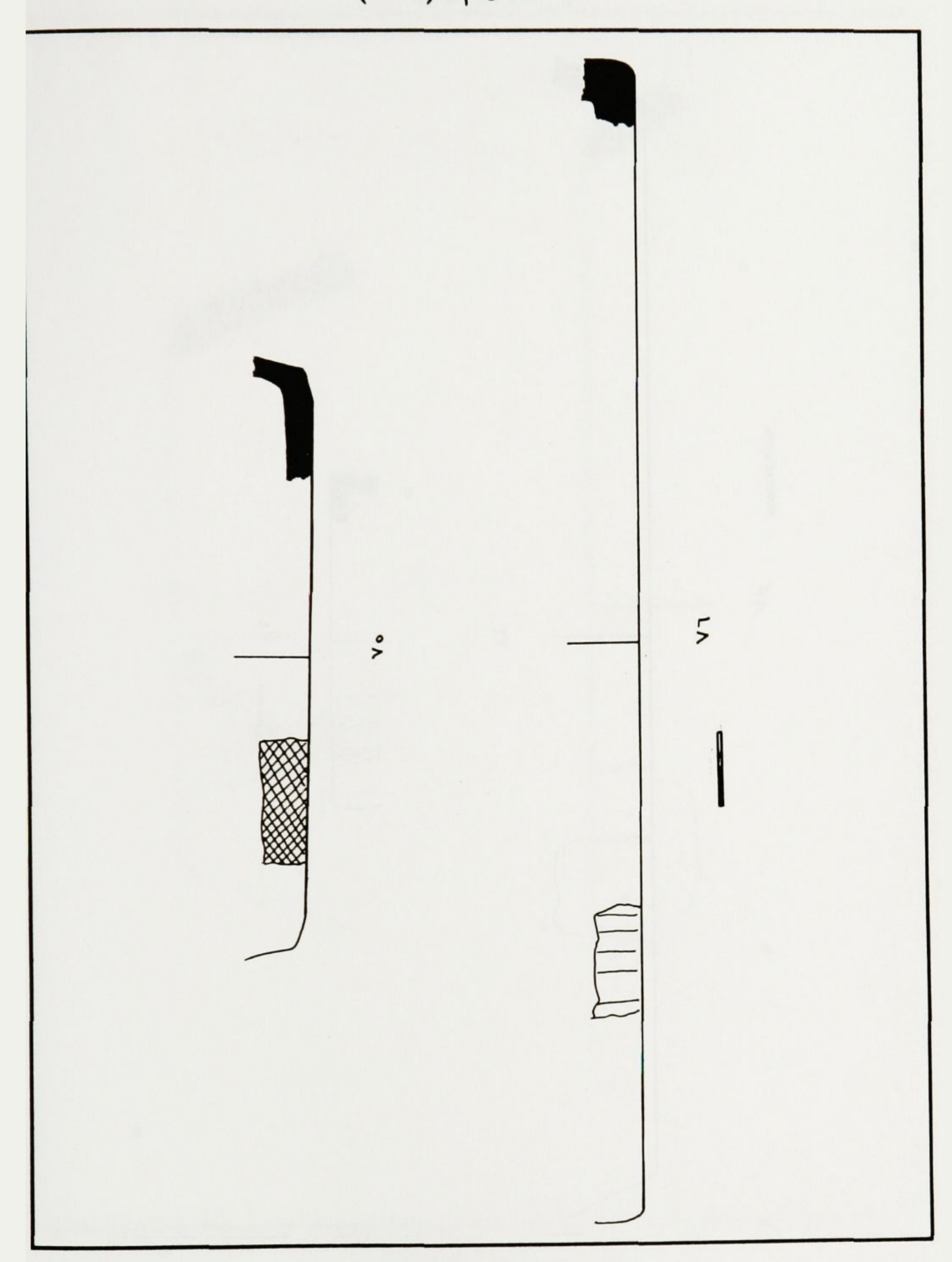
كسر من الحجر الصابوني .

الشكل رقم (٤٥)



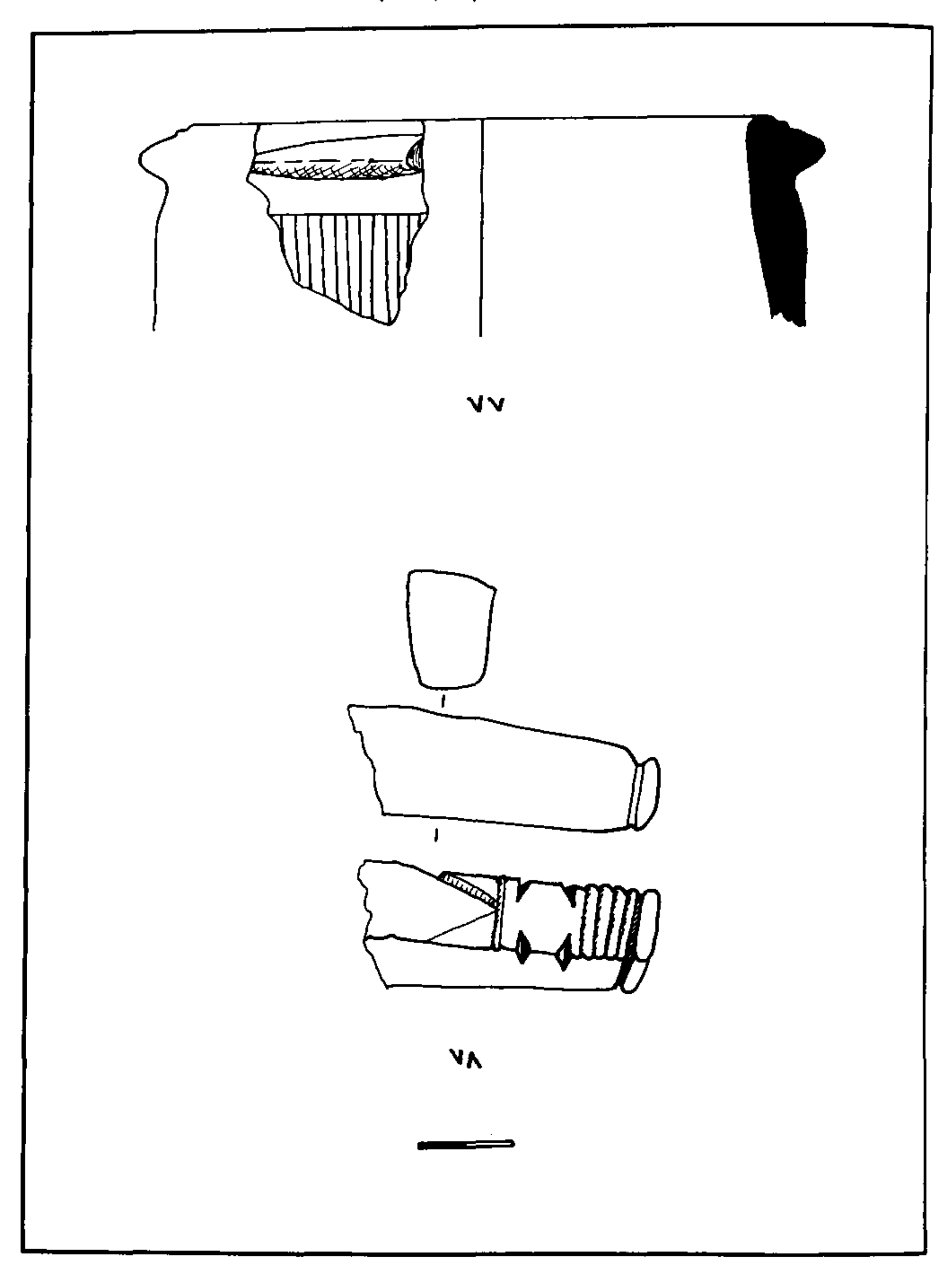
كسر من الحجر الصابوني .

الشكل رقم (٤٦)



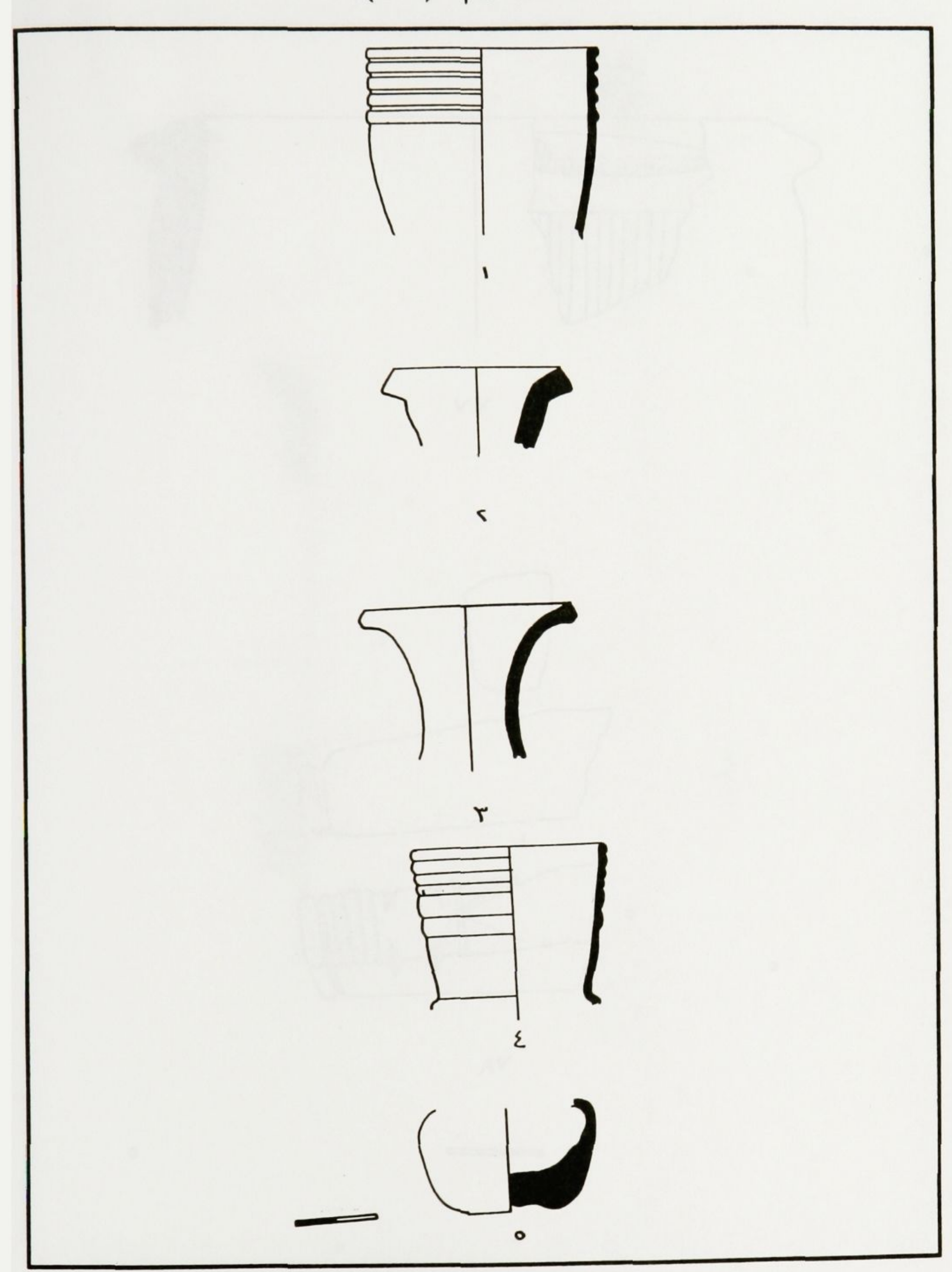
كسر من الحجر الصابوني .

الشكل رقم (٤٧)



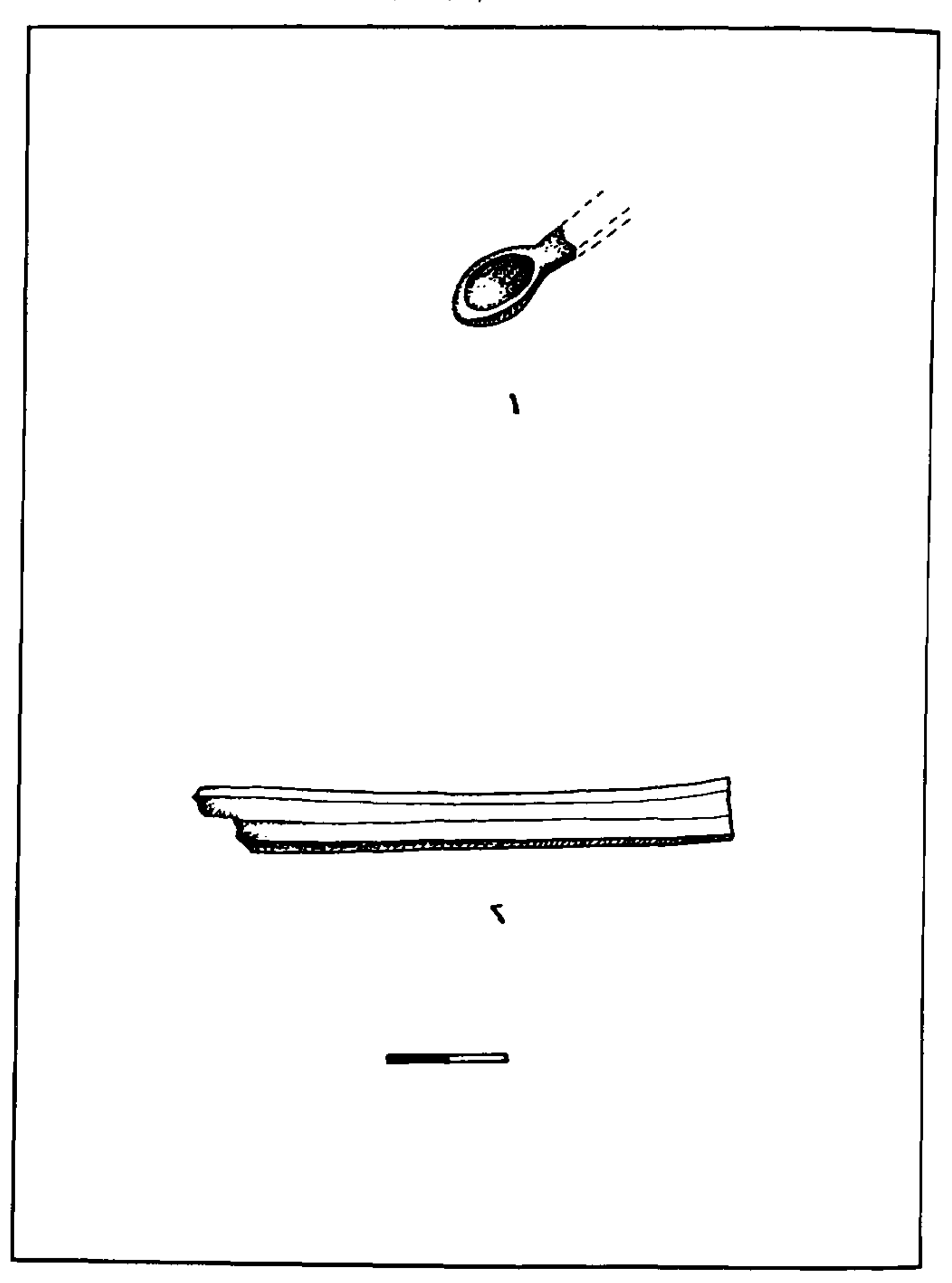
كسر من الحجر الصابوني .

الشكل رقم (٤٨)



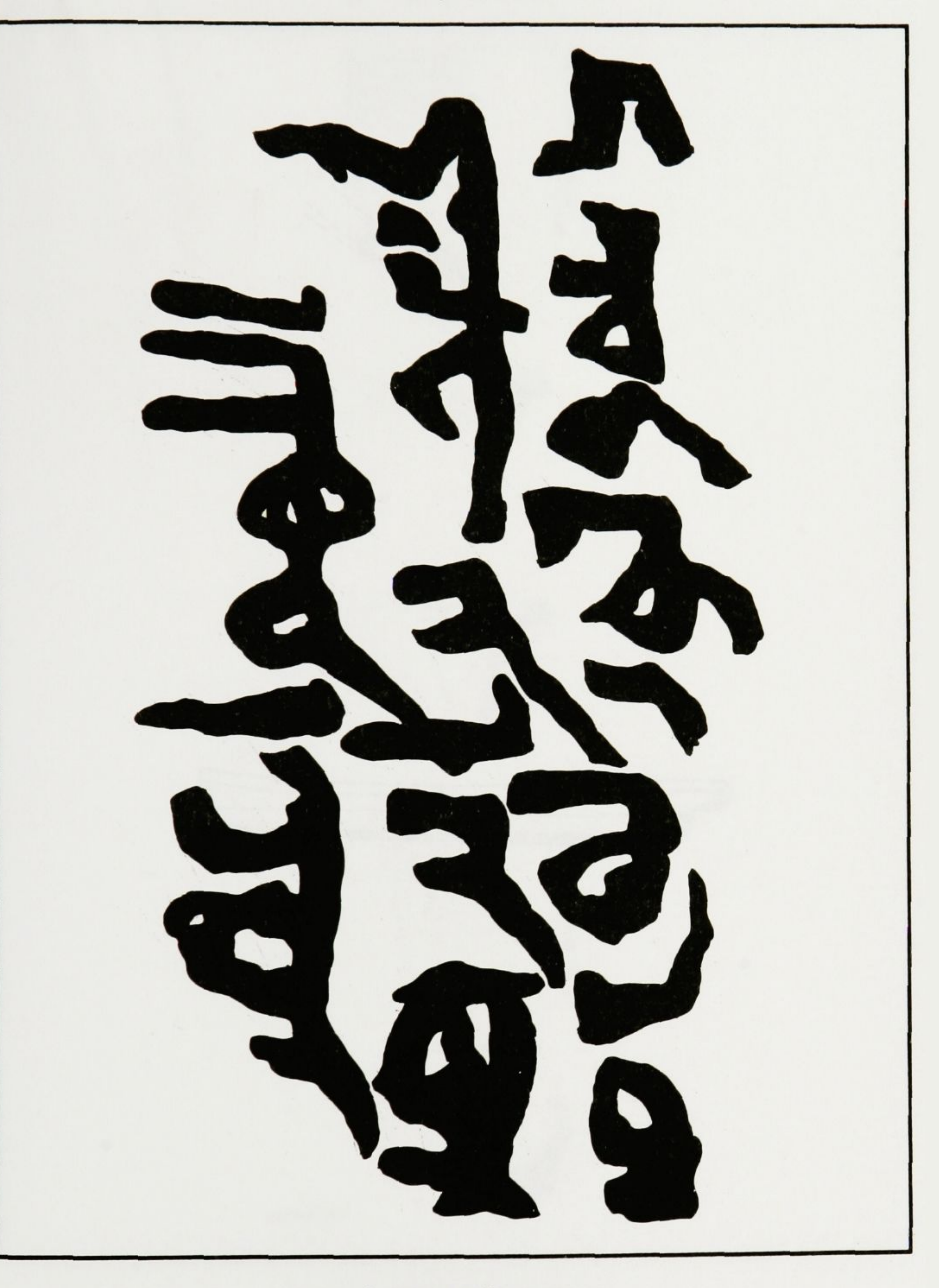
كسر من الزجاج - ضرية .

الشكل رقم (٤٩)



كسر من البرونز – ضرية .

الشكل رقم (٥٠)



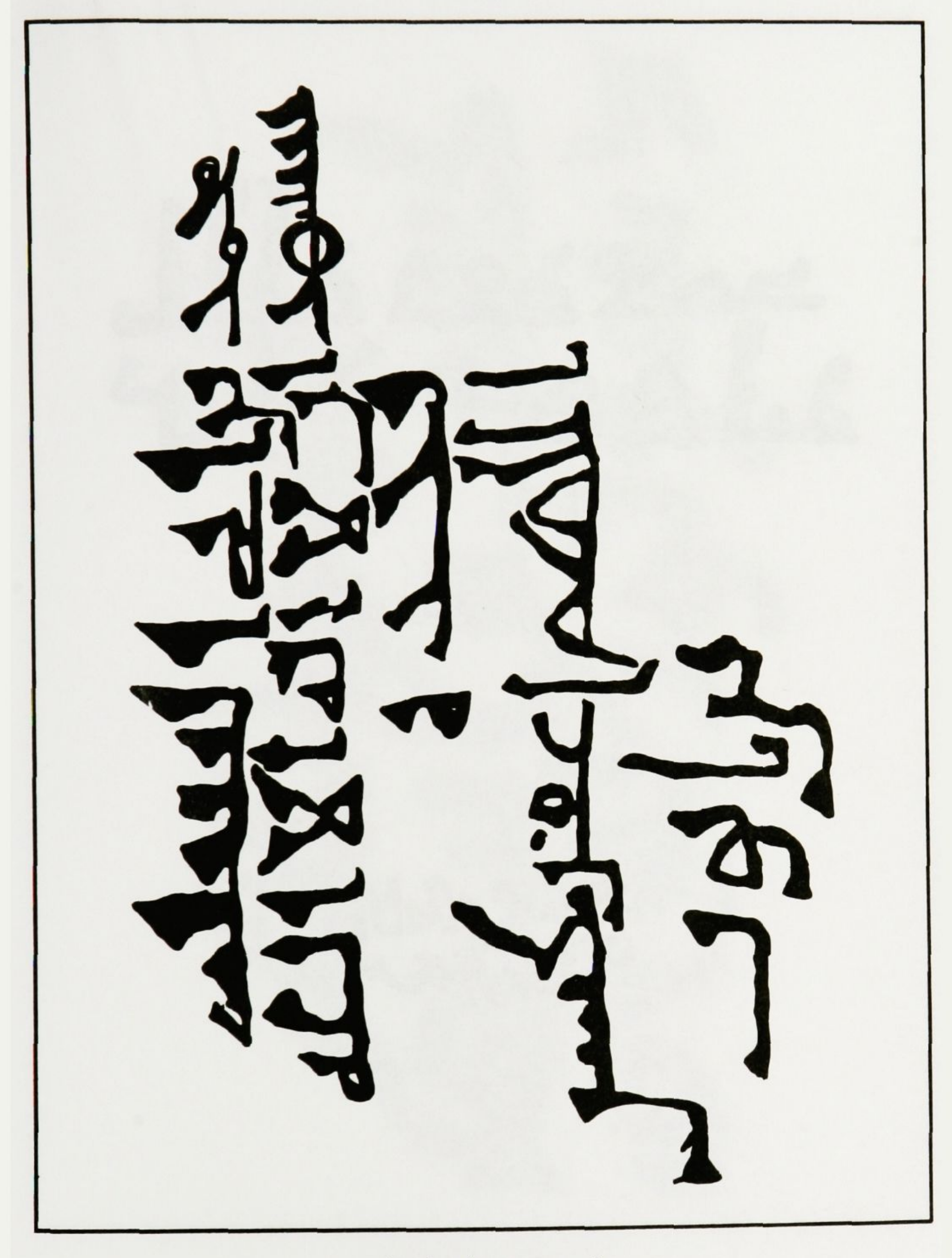
تفريغ للنقش رقم ١ .

الشكل رقم (٥١)

نقش رقم ٣

النقش رقم ٣ أ.ب

الشكل رقم (٥٢)



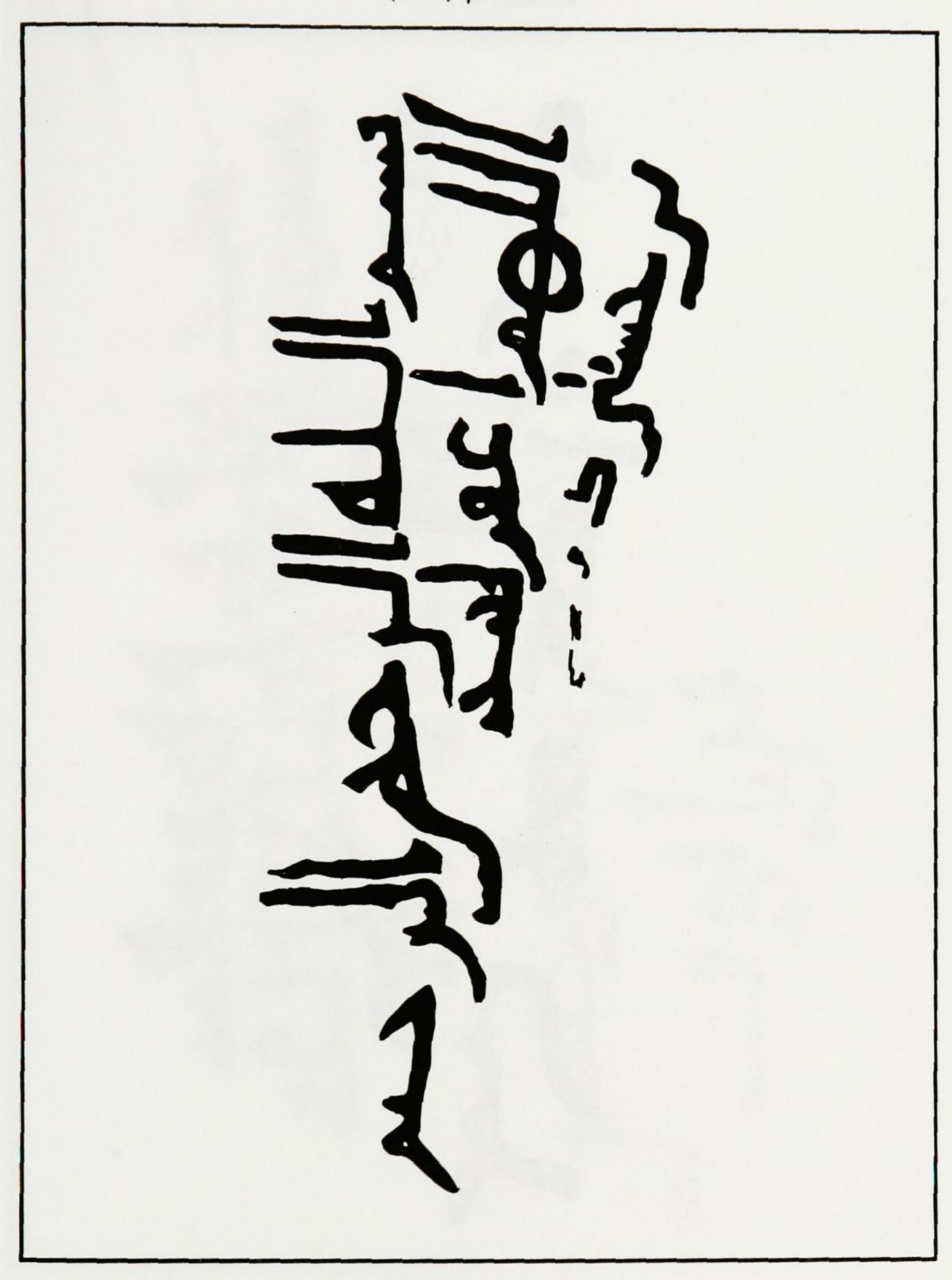
النقش رقم (٤ أ.ب) .

الشكل رقم (٥٢)



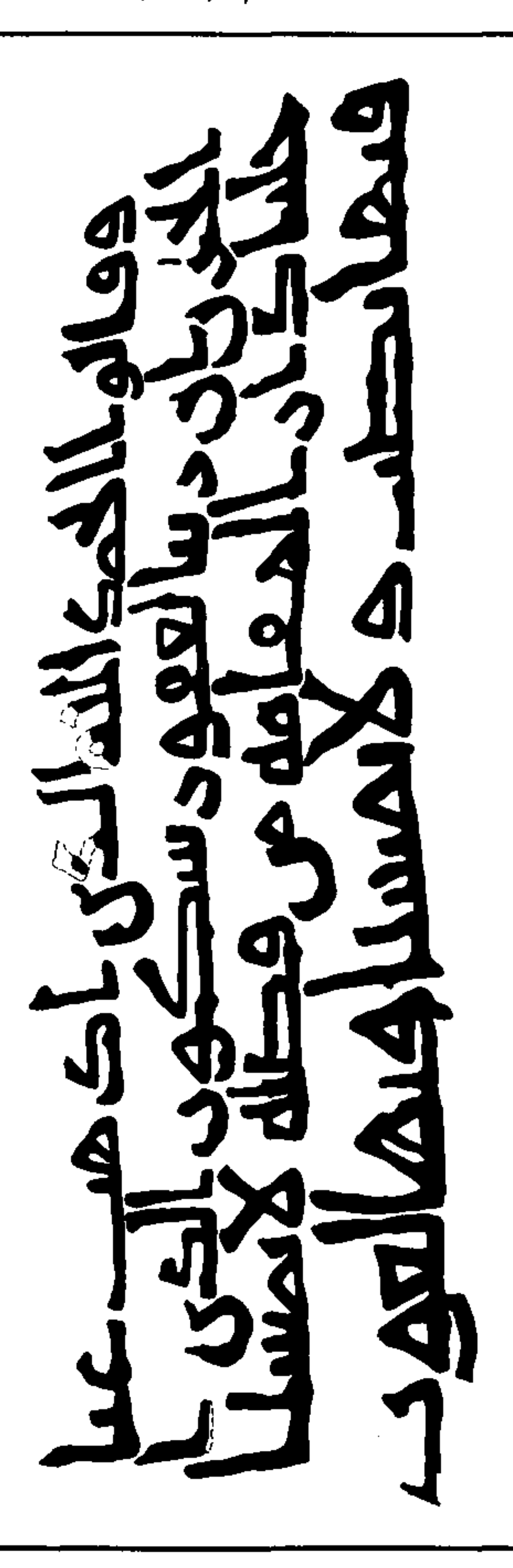
النقش رقم (٥)

الشكل رقم (٥٤)



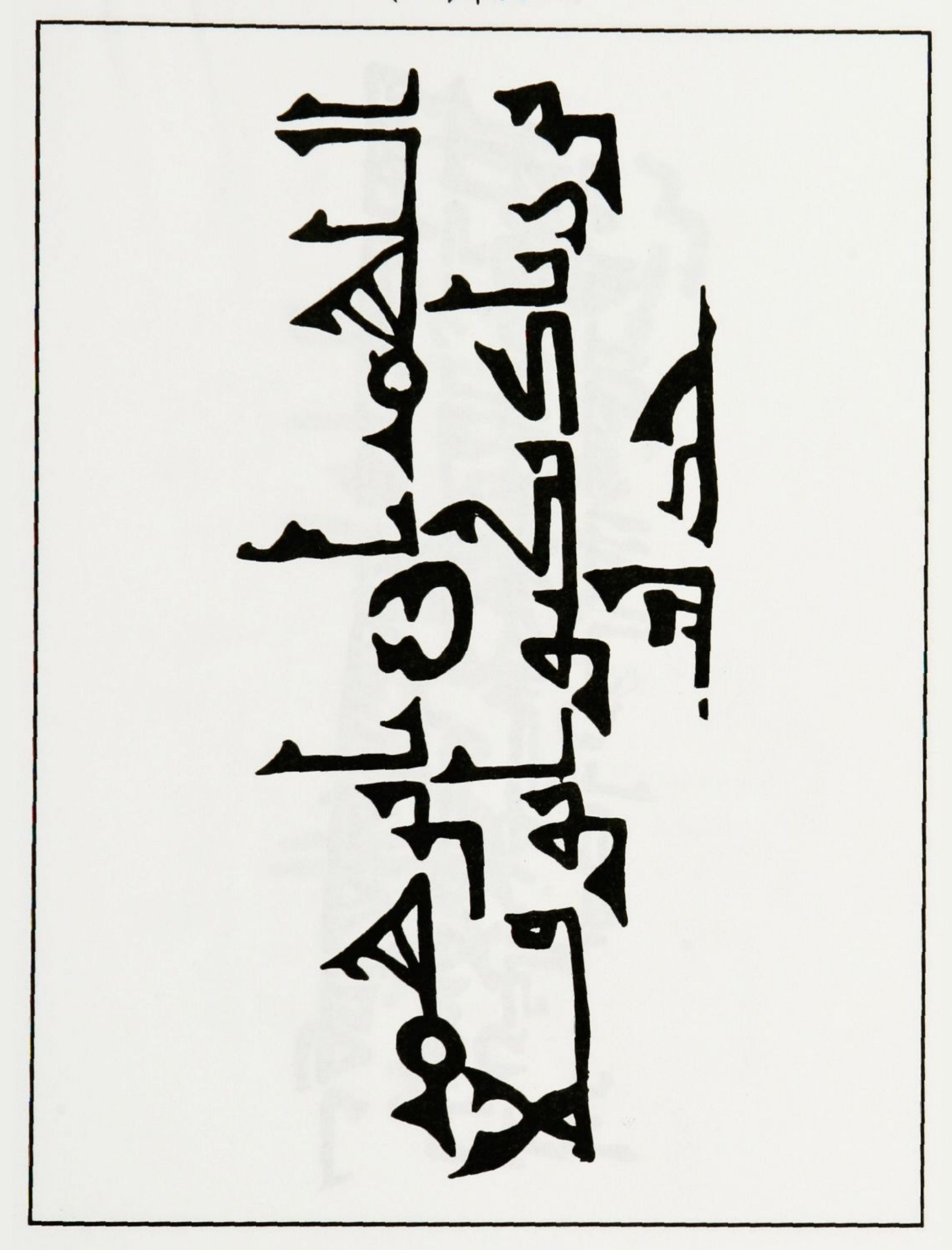
النقش رقم (٦) .

الشكل رقم (٥٥)



النقش رقم (٧)

الشكل رقم (٥٦)



النقش رقم (٩)

الشكل رقم (٥٧)



النقش رقم (١٠)

المصادر والمراجع

أولاً - المصادر العربية :

١ - إبراهيم، محمد أبو الفضل، والبجاوي، علي محمد.

أيام العرب قبل الإسلام. - ط ٣ - بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٨٨هـ.

٢ - إبراهيم، محمد وآخرون.

تقرير مبدئي عن نتائج الاستكشافات الأثرية في موقع المابيات الإسلامي - الموسم الأول، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. الأطلال، العدد التاسع، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٣ - إبراهيم، محمد وآخرون.

تقرير حفرية الموسم الثاني ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، الأطلال، العدد العاشر، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٤ - أبو خلف، مروان.

الحفريات الأثرية في المواقع الإسلامية في فلسطين: تاريخ وتقييم، نشرة أبحاث بيرزيت، العدد الرابع، ١٩٨٧م.

٥ - الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم.

الكامل في التاريخ. - ط٢. - بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٨٧هـ.

٦ - أدامز، روبرت وآخرون.

الاستكشاف الأثري للمملكة العربية السعودية، ١٣٩٧هـ-١٩٧٦م، الأطلال، العدد الأول، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٧ - أداموف، الكسندر - ترجمة د. هاشم صالح التكريتي.

ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها ج١. - ط٢. - البصرة ١٤٠٢هـ.

٨ - الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن محمد الحسني.

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب. - بيروت: ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٩ - أدمز، روبرت ماك.

أطراف بغداد تاريخ الاستيطان في سهول ديالي؛ ترجمة صالح العلي، وعلي المياح، وعامر سليمان. - بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٤م.

١٠ - الأزرقي، محمد بن عبدالله بن أحمد.

أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، جـ١+٢؛ تحقيق رشدي الصالح مكحس. - بيروت: دارالأندلس، .

١١ - الاصطخري، أبوإسحاق إبراهيم بن محمد الفارس الاصطخري المعروف بالكرخي.

المسالك والممالك؛ تحقيق محمد جابر عبدالعال وزميله. - القاهرة: ١٣٨١هـ-١٩٦١م.

١٢ - الأصفهاني، أبوالفرج.

الأغاني، شرح وتهميش، عبد أ، علي مهنا.

دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م. علي، جواد،

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٣. - بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٦م.

١٣ - وزارة الزراعة بالمملكة العربية السعودية.

أطلس المياه، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

١٤ - انجراهام، مايكل وآخرون.

التقرير المبدئي عن مسح المنطقة الشمالية الغربية (مع لمحة موجزة عن مسح المنطقة الشمالية)، الأطلال، العدد الخامس، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٥ - الأندلسي، محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (٣٨٤هـ-٤٥٦هـ).

جمهرة أنساب العرب. - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٦ - الأنصاري، عبدالرحمن بن محمد الطيب.

قرية الفاو وصورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية. - الرياض : جامعة الملك سعود، ١٤٠٥هـ.

١٧ - أوليفية.

رحلة أوليفية إلى العراق، ١٧٩٤/ ١٧٩٦م؛ ترجمة الدكتور يوسف حبي. - بغداد : المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٨هـ.

١٨ - أيوب، محمد ساهر.

القنوات الباطنية والكواظم، الندوة القطرية الخامسة. - بغداد : مركز إحياء التراث العلمي، ١٩٨٩م.

١٩ - بار، بيتر، ومحمد قزدر.

حفريات موقع زبيدة، (العمارة) بمنطقة القصيم، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٢٠ - باشا، أيوب صبري.

مرآة جزيرة العرب ج١ + ٢. - الرياض : دار الرياض للنشر، ١٤٠٣هـ.

٢١ - البدر، سليمان سعدون.

مكان الخليج في حضارة الشرق الأدنى القديم. رسائل جغرافية يصدرها قسم الجغرافيا بجامعة الكويت، والجمعية الجغرافية الكويتية، المحرم ١٤٠١هـ، ديسمبر ١٩٨٠م.

٢٢ - البستاني، المعلم بطرس.

محيط المحيط، الفيروزأبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط. - ط٢. - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ

٢٣ - البشاري، شمس الدين أبو عبدالله بن محمد الشامي.

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. - ط ٢. - ليدن، ١٩٠٦م.

٢٤ - بشر، عثمان بن عبدالله.

عنوان المجد في تاريخ نجد؛ تحقيق عبدالرحمن آل الشيخ، ج٢، ٢٧ . - ط ٤ . - الرياض : مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢٥ - البغدادي، عبدالرحمن عبدالله السويدي.

تاريخ حوادث بغداد والبصرة؛ تحقيق عماد عبدالسلام رؤوف . - ط ٢ . - بغداد : وزارة الثقافة والإعلام العراقية، ١٩٨٧م.

٢٦ - بكر، سيد عبدالمجيد.

المعجم الجغرافي لدروب الحجيج . - جدة : ١٤٠١هـ.

٢٧ - البكري، أبو عبيد الله بن عبدالعزيز الأندلسي.

معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع؛ تحقيق مصطفى السقا . - ط ١ . - القاهرة : ١٣٦٨هـ.

٢٨ - البكري، أبو عبيد.

المسالك والمسالك؛ تحقيق عبدالله يوسف الغنيم . - الكويت : ذات السلاسل، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٢٩ - البكري، محمد بن أبي بكر.

مختار الصحاح . - سوريا .

٣٠ - البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي.

فتوح البلدان؛ تحقيق محمد رضوان . - بيروت : ١٣٩٨هـ.

٣١ - البليهد، محمد بن عبدالله.

صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار. جـ١ - ٤ . - ط ٣ . - ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

٣٢ - بول، ستانلي لين.

الدولة الإسلامية؛ تحقيق بارتولد، وخليل أدهم، ترجمة محمد صبحي فزرات . - دمشق : مكتب الدراسات الإسلامية.

٣٣ - التغلبي ، عمرو بن كلثوم.

ديوان عمرو بن كلثوم التغلبي؛ تحقيق أيمن ميدان . - جدة : النادي الأدبي الثقافي بجدة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٣٤ - التيمي، أبو عبيدة معمر بن المثنى.

أيام العرب قبل الإسلام؛ جمع وتحقيق ودراسة عادل البيتاني . - ط ١ . - بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٣٥ - الجاسر، حمد.

المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، المنطقة الشرقية القسم الأول . - مصر : منشورات اليمامة، ١٣٩٩هـ.

٣٦ - ــــــــــــــــ .

الجفار "العقل" في منطقة الزلفي، صدى طويق، العدد الثالث، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٣٧ - ــــــــــــــــ .

الأخيضريون في اليمامة ، مجلة العرب ، ج ١-٢ س ، ١٤رجب وشعبان، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

٣٨ - ــــــــــــــــ .

ابن عربي موطد الحكم الأموي في نجد، . - الرياض : ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٣٩ - جعفر، أبو الفرج قدامة بن جعفر البغدادي.

نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة، ملحق في كتاب المسالك والممالك لأبي القاسم عبيد الله بن عبدالله بن خرداذبة- ليدن : مطبعة بريل، ١٨٨٩م.

أبو علي أحمد بن عمر، الأعلاق النفيسة . - ليدن : مطبعة بريل ، ١٩٨٣م.

٤٠ - حجارة، إسماعيل.

أنماط الاستيطان البشري في عصور ما قبل التاريخ ،العصور، مجلة علمية نصف سنوية تعنى بنشر البحوث التاريخية والآثارية الحضارية . - لندن : تصدر عن دار المريخ للنشر، المجلد الخامس، الجزء الأول ،يناير ١٩٩٠م / جمادى الآخرة، ١٤١٠هـ.

٤١ - الحربي، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم.

المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة؛ تحقيق حمد الجاسر. - ط ١. - بيروت: منشورات دار اليمامة، ١٣٨٩هـ.

٤٢ - الحلوة، صلاح، ونيل ماكنزي.

برنامج توثيق معالم الطريق الإسلامي الشهير بـ "درب زبيدة" التقرير المبدئي عن المرحلة الرابعة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م العدد الرابع، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٤٣ - الحلوة، صلاح. وجراج مورجاني.

برنامج توثيق معالم الطريق الإسلامي الشهير بـ "درب زبيدة" التقرير المبدئي عن المرحلة الخامسة لمسح درب زبيدة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م العدد الخامس، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

٤٤ - الحلوة، صلاح وآخرون.

تقرير مبدئي عن المرحلة السادسة لعملية توثيق معالم درب زبيدة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، العدد السادس، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٣م.

٤٥ - الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله. الحموي الرومي البغدادي.

معجم البلدان.

٤٦ - حميدة، عبدالرحمن.

أعلام الجغرافيين العرب. - دمشق: دار الفكر، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٤٧ - الحميري، محمد بن عبدالمنعم.

الروض المعطار في خبر الأقطار؛ تحقيق إحسان عباس. - بيروت: ١٩٧٥م.

٤٨ - الحنبلي، عبدالقادر بن محمد.

الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة. - ط ١. - الرياض: دار اليمامة، ١٤٠٣هـ.

٤٩ - حوقل، أبو القاسم بن حوقل النصيبي.

صورة الأرض. - بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٧٩م.

٥٠ - خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله.

المسالك والممالك . - ليدن : ١٩٦٧م. ابن عبدالسلام. **أشهر رحلات الحج**؛ تحقيق حمد الجاسر . - الرياض : دار الرفاعي، ١٤٠٢هـ.

٥١ - خسرو، ناصر.

سفرنامة رحلة ناصر خسرو؛ تحقيق يحيى الخشاب . - بيروت.

٥٢ - الخضري بك، محمد.

محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية . - القاهرة : ١٩٧٠م.

٥٣ - الخطيب، عبدالباسط.

سبع سنابل خضر . - جدة : دار الأصفهاني، ١٩٨٠م.

٥٤ - ابن خميس، عبدالله بن محمد.

الدهنا، في محاضرات وبحوث، ٣، . - الرياض : مطابع الفرزدق التجارية.

٥٥ - ________________.

تاريخ اليمامة - مغاني الديار ومالها من أخبار آثار- الرياض : مطابع الفرزدق، ١٤٠٧هـ، / ١٩٨٧م.

٥٦ - ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد.

تاريخ بن خلدون . - بيروت : مؤسسة جمال، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

٥٧ - خياط، خليفة.

تاريخ خليفة بن خياط؛ تحقيق أكرم ضياء العمري . - الرياض : دار طيبة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٥٨ - الدايل، خالد وآخرون.

مشروع استكشاف درب زبيدة - تقرير مبدئي عن الموسم الثاني، العدد الثاني، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٥٩ - الدايل، خالد، ونيل ماكينزي وآخرون.

التقرير المبدئي لمسح درب زبيدة المرحلة الثالثة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م العدد الثالث، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٦٠ - الدباغ، تقي .

الوطن العربي في العصور الحجرية . - ط ١ . - بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٨م .

٦١ - دلو ، برهان الدين .

جزيرة العرب قبل الإسلام جـ ١ + ٢ . - بيروت : الفارابي، ١٩٨٩م .

٦٢ - ديجيسوس، برنتس، وآخرون .

تقرير مبدئي عن مسح مناطق التعدين ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

٦٣ - ديماند، م س .

الفنون الإسلامية؛ ترجمة أحمد عيسى . - ط ٣ . - القاهرة : دار المعارف، ١٩٨٢م .

٦٤ - الذييب، سليمان عبدالرحمن .

الموطن الأصلي للأنباط (بحث تحت النشر مجلة الدارة) .

٦٥ - ــــــــــــــ .

نقوش عربية شمالية من تبحر شمال غرب المملكة العربية السعودية (بحث تحت النشر مجلة الدارة) .

٦٦ - الرازي، محمد بن أبي بكر .

مختار الصحاح .

٦٧ - الراشد، سعد بن عبدالعزيز .

الربذة صورة للحضارة الإسلامية المبكرة في المملكة العربية السعودية . - الرياض : مطابع جامعة الملك سعود، ١٤٠٥هـ .

٦٨ - ــــــــــــــ .

درب زبيدة طريق الحج من الكوفة إلى مكة المكرمة دراسة تاريخية وحضارية أثرية . - الرياض : دار الوطن، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م .

٦٩ - ــــــــــــــــــ.

مجلة كلية الآداب .

١ - **تقرير موجز لنتائج الموسم الأول للحفائر الأثرية في موقع الربذة الإسلامي**، مجلة كلية الآداب ، جامعة الملك سعود ، العدد السابع ، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م .

٢ - **تقرير موجز لنتائج الموسم الثاني لحفائر الربذة** . جامعة الملك سعود ، العدد الثامن ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

٣ - **تقرير موجز لنتائج الموسم الثاني لحفائر الربذة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م مجلة كلية الآداب** ، جامعة الملك سعود ، العدد التاسع ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

٧٠ - ــــــــــــــــــ.

برك المياه القديمة على طريق الحج من العراق إلى مكة ونظائرها في الأقطار الأخرى .

٧١ - ــــــــــــــــــ.

الربذة تاريخًا وحضارة . العصور ، المجلد الثالث ، الجزء الأول ، ١٤٠٨هـ .

٧٢ - ــــــــــــــــــ.

الآثار الإسلامية في الجزيرة العربية في عهد الرسول والخلفاء الرشدين . العصور ، المجلد الثالث ، الجزء الثاني ، ١٤٠٨هـ

٧٣ - الربدي . محمد بن صالح .

بريدة دراسة في الخصائص الطبيعية السكانية ، ١٤٠٧هـ جـ١ + ٢ .

٧٤ - رستة ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري .

تاريخ الأمم والملوك . - بيروت : دار القاموس (د . ت) .

٧٥ - الريحاني ، أمين .

نجد وملحقاته . - ط ٥ . - الرياض : منشورات الفخارية ، ١٩٨١م .

٧٦ - زكار، سهيل.

أخبار القرامطة. - الرياض : دار الكوثر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٩م.

٧٧ - الزوزني، أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن الحسين .

شرح المعلقات السبع. - بيروت : دار صادر بدون تاريخ.

٧٨ - زارينس، يوريس وآخرون.

التقرير المبدئي لمسح المنطقة الوسطى، ١٣٩٨م/١٩٧٨م العدد الثالث ،١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

٧٩ - ________________.

التقرير المبدئي عن مسح المنطقتين الوسطى والجنوبية الغربية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، الأطلال، العدد الرابع ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨١م.

٨٠ - ________________.

التقرير المبدئي الثاني عن مسح المنطقة الجنوبية الغربية، الأطلال، العدد الخامس، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٨١ - ________________.

تقرير مبدئي عن مسح وتنقيب لجران، الأخدود، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ، الأطلال العدد السابع ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٨٢ - ________________.

الاستكشافات الأثرية الحديثة في سهل تهامة الجنوبي موقعي "عثر، وسهى" ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م ، الأطلال، العدد التاسع، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٨٣ - الزيلعي، أحمد بن عمر.

أضواء جديدة على تاريخ الأسرة الموسوية من خلال ثلاثة نقوش كوفية من موقع السرين الأثري جنوب مكة المكرمة - الجزء الأول ، المجلد السادس. - لندن : مجلة العصور، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٨٤ - استيفنسن.

زراعة الواحة في وسط وشرق شبه الجزيرة العربية؛ ترجمة زين الدين عبدالمقصود رسائل جغرافية نشرة دورية يصدرها قسم الجغرافيا بجامعة الكويت. - الكويت : المطبعة العصرية، يناير ١٩٧٩م صفر ١٣٩٩هـ.

٨٥ - السلمان، عبدالماجود أحمد.

الموصل في العهدين الراشدي والأموي، مطابع جامعة الموصل.

٨٦ - السمهودي، نور الدين علي بن أحمد.

وفاء الوفاء. - بيروت : دار التراث العربي.

٨٧ - سوسة، أحمد.

تاريخ حضارة وادي الرافدين. - بغداد : دار الحرية، ١٩٨٦م.

٨٨ - السيف، عبدالله.

الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي. - بيروت : ١٤٠٢هـ.

٨٩ - الشايع، عبدالله بن محمد.

نظرات في معاجم البلدان؛ تحقيق مواضع هامة في نجد. - الرياض : مرامر للطباعة الإلكترونية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٩٠ - الشبل، عبدالله بن يوسف.

الدولة الأخيضرية، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد السادس، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

٩١ - الشريف، عبدالرحمن صادق، صالح، حسن عبدالقادر.

موارد المياه الجوفية في حوض النفود الرسوبي الكبير. - الدارة، العدد الرابع، السنة الثالثة، صفر ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٩٢ - الشريف، عبدالرحمن صادق.

منطقة عنيزة، دراسة إقليمية، ١٩٦٩م.

٩٣ - شهاب، حسن صالح.

أسطورة هيبالوس والملاحة في المحيط الهندي، رسائل جغرافية، نشرة دورية يصدرها قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية. - الكويت ذو الحجة، ١٤٠٧هـ/ أغسطس ١٩٨٧م.

٩٤ - الشويعر، محمد بن سعد.

نجد قبل ٢٥٠ سنة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٩٥ - شيحة، مصطفى عبدالله.

شواهد قبور إسلامية من جبانة صعدة باليمن. - القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٩٦ - الصابوني، محمد علي.

مختصر تفسير ابن كثير. - جزء ٣. - بيروت: ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.

٩٧ - الطبري، مجد الدين محمد بن يعقوب.

المغانم المطابة في معالم طابة؛ تحقيق حمد الجاسر. - الرياض: دار اليمامة، ١٩٨٩م.

٩٨ - الطبري، محمد بن جرير.

تاريخ الأمم والملوك مج ٤. - بيروت: دار إحياء التراث.

٩٩ - طه، منير يوسف.

تنقيبات البعثة الآثارية العراقية، مستوطنة الدرحانية بإمارة رأس الخيمة "دولة الإمارات العربية المتحدة" تنقيبات الموسم الأول، ١٩٧٣م سومر، العدد الحادي والثلاثون.

١٠٠ - الظاهري، أبو عبدالرحمن بن عقيل.

أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء، القسم الأول. - الرياض: دار اليمامة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٩٣م.

١٠١ - ــــــــــــــــ.

مسائل من تاريخ الجزيرة العربية . - الرياض : دار الأصالة ص ٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

١٠٢ - العاضدي، عبدالقادر سلمان.

واسط في العصر العباسي. - بغداد : منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الحرية، ١٩٨٣م.

١٠٣ - عبدالباقي، أحمد.

معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري مركز دراسات الوحدة العربية. - بيروت : مايو ١٩٩١م.

١٠٤ - عبدالخالق، هناء.

الزجاج الإسلامي، منشورات وزارة الإعلام، مديرية الآثار العامة. - بغداد : دار الحرية، ١٩٧٦م.

١٠٥ - ــــــــــــــــ.

كيف نؤرخ باستخدام الزجاج في : النفائث والكتابات القديمة في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. - تونس : ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٠٦ - ــــــــــــــــ.

ميزات الزجاج العراقي في العصور الإسلامية . سومر، العدد التاسع والعشرون، ١٩٧٣م.

١٠٧ - عبدالغني، إبراهيم عبدالعزيز.

نجديون وراء الحدود "العقيلات"، دار الساقية، ١٩٩١م.

١٠٨ - عبده، أسعد سليمان.

معجم الأسماء الجغرافية المكتوبة على خرائط المملكة العربية السعودية. - جدة : المدني للطباعة، ١٤٠٤هـ.

١٠٩ - آل عبدالقادر، محمد بن عبدالله بن عبدالمحسن.

تحفة المستفيد بتاريخ الإحساء في القديم والجديد؛ علق عليه حمد الجاسر. - ط ٢ - القسم الأول. - الأحساء: مكتبة الأحساء الأهلية، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

١١٠ - العزاوي، عبدالستار جبار.

العقود والأقبية العراقية في العصور الإسلامية. - بغداد: رسالة ماجستير، ١٩٦٩م.

١١١ - ــــــــــــــ.

مزايا العقود والقبو في العمارة العربية في العراق، الآثار الإسلامية في الوطن العربي، تصدرها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. ـ صنعاء: تونس، المؤتمر التاسع، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١١٢ - العبودي، محمد بن ناصر.

المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية بلاد القصيم، المجلد السادس. - الرياض: منشورات دار اليمامة المطابع الأهلية، ١٤٠٠هـ.

١١٣ - العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر.

تهذيب التهذيب، ج٥، . - حيدر أباد. سير أعلام النبلاء؛ تحقيق القرقسوس، وصا غرجي. - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١١٤ - العلي، صالح أحمد.

خطط البصرة ومناطقها، دراسة في أحوالها العمرانية والمالية في العهود الإسلامية الأولى، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٦هـ.

١١٥ - ــــــــــــــ.

امتداد العرب في صدر الإسلام. - ط ٢. - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

١١٦ - علي، جواد.

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. - ط٢. - بيروت: دار الملايين، ١٩٧٦م.

١١٧ - علي، عباس محمد.

محاضرات مادة الاستيطان المدني (لم تنشر).

١١٨ - غبان، علي إبراهيم.

الآثار الإسلامية في شمال المملكة جـ١ + ٢. - الرياض : مطبعة سفير، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

١١٩ - الغزي، عبدالعزيز بن سعود.

شواهد أثرية على استمرارية الاستيطان في واحة الخرج في العصور القديمة.
العصور - المجلد السابع، الجزء الثاني.

١٢٠ - ـــــــــــــــــــ.

أنماط الفخار الإسلامي في المملكة العربية السعودية (بحث لم ينشر).

١٢١ - ـــــــــــــــــــ.

التحول الاستيطاني في واحة الخرج في العصور القديمة. (بحث غير منشور).

١٢٢ - الغنيم، عبدالله يوسف.

أشكال سطح الأرض المتأثرة بالرياح في شبه الجزيرة العربية. - الكويت، ١٤٠١هـ.

١٢٣ - الفعر، محمد فهد عبدالله.

تطور الكتابات والنقوش في الحجاز منذ فجر شبه الجزيرة العربية. - الكويت، ١٤٠١هـ.

١٢٤ - الفيروز أبادي، أبو عبدالله بن محمد.

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. - بيروت : دار إحياء التراث العربي ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

١٢٥ - قزدر، محمد حمد، وآخرون.

تقرير عن أعمال ونتائج الموسم الأول لحفرية ثاج، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، الأطلال، العدد الثامن، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

١٢٦ - القوصي، عطية.

تجارة الخليج بين المد والجزر في القرنين الثاني والثالث الهجريين، رسائل جغرافية يصدرها قسم الجغرافيا بجامعة الكويت، والجمعية الجغرافية الكويتية. - الكويت: يونيو ١٩٨٠م. رجب ١٤٠٠هـ.

١٢٧ - الكحلاوي، محمد محمد.

عرفاء البناء في المغرب والأندلس وأهم أعمالهم المعمارية، ١٤٠٤هـ (بحث غير منشور).

١٢٨ - كريزيول.

الآثار الإسلامية الأولى؛ ترجمة عبدالهادي عبلة، أحمد غسان سبانوم، . - دمشق : دار قتيبة، ١٤٠٤هـ.

١٢٩ - كراتشكوفسكي اغناطيوس يوليا نوفتش.

تاريخ الأدب الجغرافي العربي؛ ترجمة صلاح الدين هاشم. - ط ٢ . - بيروت : دار الغرب الإسلامي.

١٣٠ - لبيدا، إبراهيم.

مكانة الخليج العربي التجارية ومصادرها، مجلة المؤرخ، تصدرها الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، العدد (٢٤) . - الرياض، ١٩٨٤م.

١٣١ - لسترنج، كي.

بلدان الخلافة الشرقية؛ ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد. - ط ٢ . - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ.

١٣٢ - اللعبون، عبدالعزيز.

أقدم غابة صخرية في العالم، السنبلة العدد (١١)، ربيع الأول، ١٤١١هـ سبتمبر ١٩٩١م.

١٣٣ - لوريمر، ج ج.

دليل الخليج القسم الجغرافي.

١٣٤ - لومبارد، موريس.

الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى؛ ترجمة عبدالرحمن حميدة. - دمشق : دار الفكر.

١٣٥ - ماسينيون.

خطط البصرة وبغداد؛ ترجمة إبراهيم السامرائي. - ط١ . - بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١م، بول.

١٣٦ - ماهر، سعاد.

الفنون الإسلامية. - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.

١٣٧ - مايكل، مايكل، وآخرون.

تقرير مبدئي عن استكمال مسح المنطقتين الشمالية الغربية والشمالية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، الأطلال، العدد السادس، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

١٣٨ - محمدين، محمد محمود، وحسن عبدالعزيز أحمد.

الأقاليم الجافة، دراسة جغرافية في السمات والأنماط، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١٣٩ - محمدين، محمد محمود.

مع التكوينات الجيولوجية، ربيع الآخر ١٤١١هـ/ نوفمبر ١٩٩٠م، البلديات، مجلة تصدرها وزارة الشؤون البلدية والقروية في المملكة العربية السعودية، العدد ٢٤، السنة السادسة.

١٤٠ - المشهداني، محمد جاسم، عبدالله بن عامر. - بغداد : **دار الشؤون الثقافية**، ١٩٨٨م.

١٤١ - المعارك، إبراهيم عبدالعزيز.

بريدة ماض مجيد وحاضر مزدهر ومستقبل مشرق. - الرياض : شركة العبيكان للطباعة والنشر، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٤٢ - المعيقل، خليل بن إبراهيم.

دراسة لآثار موقع عكاظ . بحث تحت النشر، مجلة الدارة.

١٤٣ - المغنم، علي، ودانيال بوتس وآخرون.

التقرير المبدئي عن الموسم الثاني لمسح المنطقة الشرقية، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، الأطلال، العدد الثاني، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

١٤٤ - المقدسي، محمد بن أحمد.

المعروف بالبشاري؛ وضع مقدمته محمد مخزوم. - بيروت : دار التراث العربي.

١٤٥ - المنجد، عبدالرحمن بن عثمان.

تاريخ هجر الأحساء، مطابع الجواد، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

١٤٦ - المنجد، صلاح الدين.

دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي. - بيروت : ١٩٧٩م.

١٤٧ - ابن منظور.

لسان العرب؛ إعداد وتصنيف، يوسف خياط، ونديم مرعشلي.

١٤٨ - مهدي، علي محمد.

الأخيضر. - بغداد: مطبوعات مديرية الآثار العامة، ١٩٦٩م.

١٤٩ - المهندس، أحمد، ومحمد السنوسي.

مبادئ الجيولوجيا العامة . - الرياض : دار عالم الكتب، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٥٠ -النقيب، خلدون حسن.

المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية. - بيروت : ١٩٨٧م.

١٥١ - النقيدان، سليمان.

آثار تتحدث عن القديم في بلادنا، مجلة المنهل جـ ٥، المجلد ٢٦، جمادى الأولى ١٣٨٥هـ/ سبتمبر ١٩٦٥م.

١٥٢ - الهاشمي، رضا جواد.

تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم. - ط ١. - بغداد. - الكويت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

١٥٣ - الهجري، أبو علي.

أبحاثه في تحديد المواضع؛ تحقيق حمد الجاسر. - الرياض: دار اليمامة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨ - المقدسي.

١٥٤ - هرتسفلد، أرنست.

تنقيبات سامراء؛ ترجمة الدكتور علي يحيى منصور جـ١ + ٢. - بغداد: المؤسسة العامة للآثار والتراث، ١٩٨٥م.

١٥٥ - هرتسفلد، واينسيت فريد ريش زره.

فخاريات سامراء المزججة؛ ترجمة علي يحيى محمود. - بغداد: وزارة الثقافة والإعلام.

١٥٦ - ابن هشام، أبو محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري.

السيرة النبوية لابن المنظور - هشام. ج٤؛ تحقيق طه عبدالرؤوف سعد. - ط ١ منقحة. - بيروت: دار الجيل، ١٩٧٥م.

١٥٧ - الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب.

صفة جزيرة العرب؛ تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي. - الرياض: دار اليمامة، ١٣٩٧هـ.

١٥٨ - الهمداني، الحسن بن أحمد بن محمد المعروف بابن الفقيه.

مختصر كتاب البلدان. - ليدن: مطابع بريل، ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م.

١٥٩ - الواقدي، محمد بن عمر بن واقد.

كتاب الردة مع نبذة من فتوح العراق، وذكر المثنى بن حارثة الشيباني، رواية أحمد ابن محمد بن أعثم الكوفي؛ تحقيق يحيى الجبوري. - بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

١٦٠ - الوشمي، صالح بن سليمان.

الآثار الاجتماعية والاقتصادية لطريق الحج العراقي على منطقة القصيم. - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

١٦١ - ــــــــــــــــــــــ.

ولاية اليمامة، دراسة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية حتى نهاية القرن الثالث الهجري. - الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة.

١٦٢ - وليستر، جيمس ريموند.

رحلتي إلى بغداد في عهد الوالي داود باشا. - بغداد: ١٩٨٤م.

١٦٣ - الوليعي، عبدالله بن ناصر.

١٢ تعرج الأنهار والأودية، بحوث جغرافية، مطابع جامعة الملك سعود، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

١٦٤ - ويتكومب، دونالد.

آثار واحات الأحساء في العصر الإسلامي، الأطلال، العدد الثاني، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

١٦٥ - اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب.

كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي. - بيروت: ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٦٦ - ريتشارد، برامكامب، وليون راميرز، وآخرون.

خريطة جيولوجية لمربع وادي الرمة ج م - ٢٠٦ أ. - جدة: وزارة البترول والثروة المعدنية. - جدة: ١٩٨٢م.

١٦٧ - وزارة البترول والثروة المعدنية.

خريطة جغرافية لمربع وادي الرمة، ٢٠٦ ب، . - جدة: ١٩٨٢م.

١٦٨ - إدارة خدمات المنطقة.

خريطة منطقة القصيم، إدارة خدمات المنطقة بإمارة القصيم.

١٦٩ - وزارة المالية.

خريطة أعدتها وزارة المالية.

ثانيًا - المصادر الأجنبية :

170 - Baramki, D.C.

The Pottery from Kh. El-Mefijer. **Quarterly of the Department of Antiquities in Palestine,** vols. 9-10, 1939-1943, pp. 65-103.

171 - Al-Dosary, A. A. F.

Carte Archeologigue Mdi evale De La Region D'Al-Sharqiyya, En Arabie Seoudite. Unpublished Ph.D. Thesis, Lyon, - 1991.

172 - Fehervari, G.

Islamic Pottery. : Faber and Faber, London, 1973.

173 - al-Gailani, L.

Steatite stone vessels from Mesopottamia and elsewhere. **Sumer,** no. XXI (1-2), 1957, pp. 14 - 48.

174 - Ghabban, A.I. H.

Introduction A L'etude Archeologique des deux Routes Syrienne et Egypytienne de Unpublished Ph.D. Thesis. Universite de Provence Alx Marseillel Centre D'Aix Faculte des Lettres, 1988.

175 - Al. Ghazzi A.S.

A Comparative Study of Pottery from a Site in al-Kharj Valley, Central Arabia., Unpublished Ph.D. Thesis, Institute of Archaeology, University College, University of London, 1990.

176 - Gowlett, J.

Ascent to Civilization, London.

177 - Creswell,

Early Muslim architecture, 1958.

178 - Grube, E.J.

Islamic Pottery of the Eighth to the Fifteenth Century in the Keirn Collection. London : Faber and Faber, 1976.

179 - Hoag, J.D.

Islamic Architecture. New York : Harry Abrams, 1979.

180 - Al-Janab, T. J.

Studies in Mediaeval Iraqi Architcture. Baghdad, 1982.

181 - King, G.

The Historical Mosques of Arabia, 1986.

182 - Kolbas, J.G.

A Colour Chronology of Islamic Glass. **Journal of Glass Studies,** no. 25, 1983, pp. 95-100.

183 - Lane, A.

Mediaeval Finds at al Mina in North Syria. **Archaeologia,** no. Lxxxv, 1938, pp. 19-78.

184 - Lane, A. and R.B. Serjeant,

Pottery and Glass from the Aden Littoral with Historical Notes. **Journal of the Royal Asiatic Society**. 1947-1948 pp. 108-133.

185 - Mellaartt, J.

The Neolithic of the Near East. London, 1981.

186 - Michell, G.

Architecture of the Islamic World. London: Thames and Hudson, 1977.

187 - Al-Muaikel, K. I.

Study of the Archaeology of the Jawf Region. Riyadh: King Fahd National Library, 1414/1994.

188 - Parr, P.J., G.L. Harding and J.E. Dayton

Preliminary Survey in Northwest Arabia. **Bulletin of the Institute of Archaeology,** nos. 8-9, 1970. pp. 193-246.

189 - Al-Rashid S.A.

Darb Zubaydah : the Pilgrim Road from Kufa to Mecca. Riyadh, Riyadh University Libraries, 1980.

190 - Rice, D. T.

The Oxford Excavations at Hira, 1931. **Antiquity**, no.6 (23), 1932, pp. 276-292.

191 - Whitcomb, D. S.

The Archaeology of Oman; Preliminary Discussion of the Islamic **Periods. Journal of Oman Studies,** 1,1975. pp. 123-157.

192 - Whitcomb, D.S.

Khirbet al-Mafjar Reconsidered; the Ceramic Evidence. **Bulletin of the American Schools of Oriental Research**, no. 271, 1988.

الكتاب

- هذا الكتاب في الأصل رسالة ماجستير قدمت لكلية الآداب - جامعة الملك سعود بإشراف الأستاذ الدكتور سعد بن عبدالعزيز الراشد وكيل وزارة المعارف المساعد للآثار والمتاحف .

وهو يعالج طبيعة الاستيطان والمواقع الأثرية في منطقة القصيم ، التي يقع بعضها على طرق قوافل الحج والتجارة . وفي ضوء ما ذكرته المصادر التاريخية والجغرافية فإن منطقة القصيم أدت دوراً كبيراً في الفترات الإسلامية المبكرة كحلقة وصل ، ربطت شرق العالم الإسلامي والحرمين الشريفين في الحجاز بحكم مرور الطرق داخلها. كما إنها اكتسبت مكانة متميزة لوقوعها بين الحواضر الإسلامية في العراق و مكة المكرمة والمدينة المنورة ، واليمامة . وقد اعتمد المؤلف على الدراسات الجيولوجية والطبوغرافية للمنطقة والحالة السياسية وحركة السكان والقبائل وربط العلاقة ما بين المنطقة وطرق التجارة، ساعيًا من خلال هذه الدراسة إلى توثيق المواقع الأثرية في المنطقة التي عرف بعضها كبلدات وقرى زراعية، وبعضها كمحطات توقف واستراحة على الطرق ، وتسليط الضوء عليها ؛ بالإضافة إلى إبراز الخصائص المحلية والثقافية للمنطقة من خلال دراسته للمعالم الأثرية كالعمارة ، والآثار المنقولة كالفخار ، وكشف العلاقة بين المواقع الأثرية في منطقة الدراسة .

- كما يهدف إلى كشف طبيعة الاستيطان والأنماط والطرز المعمارية التي سادت في هذه المواقع والتحولات التي طرأت عليها على امتداد الفترة الزمنية التي عاشتها .

المؤلف :

عبدالعزيز بن جارالله بن إبراهيم الجارالله . ولد بمدينة بريدة بالقصيم عام ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م .

- حصل على درجة البكالوريوس في الآثار الإسلامية من جامعة الملك سعود عام ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م .
- عمل موظفًا في وزارة المعارف الإدارة العامة للآثار والمتاحف منذ عام ١٤٠٣هـ وحتى عام ١٤١٤هـ ، أجرى خلالها العديد من الأبحاث والتنقيبات الأثرية . كما أسهم في العديد من الحفريات والمسوحات . وله إسهام ملحوظ في دراسة وتقييم الكثير من المخطوطات والقطع الأثرية والمسكوكات . له العديد من الأبحاث المتخصصة المنشورة مشاركة مع آخرين .
- مثّل وزارة المعارف مندوبًا لإدارة الآثار في كثير من اللقاءات الدولية والمحلية . وهو عضو في جمعية الآثار السعودية ، وعضو المجلس الأعلى لمتحف بريدة .
- عمل في الصحافة السعودية بجريدة الرياض وما زال في مجال الثقافة والآثار مشرفًا على المواد الأثرية .
- حصل على درجة الماجستير من جامعة الملك سعود قسم الآثار والمتاحف عام ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .
- يحضر الآن لنيل درجة الدكتوراه في التخصص نفسه بجامعة الملك سعود .
- عمل مديراً لإدارة الاختبارات بتعليم الرياض . ويعمل حاليًا بمكتب وزير المعارف .

ISBN 9960-00-082-6
ردمك ٦-٨٢-٠٠-٩٩٦٠